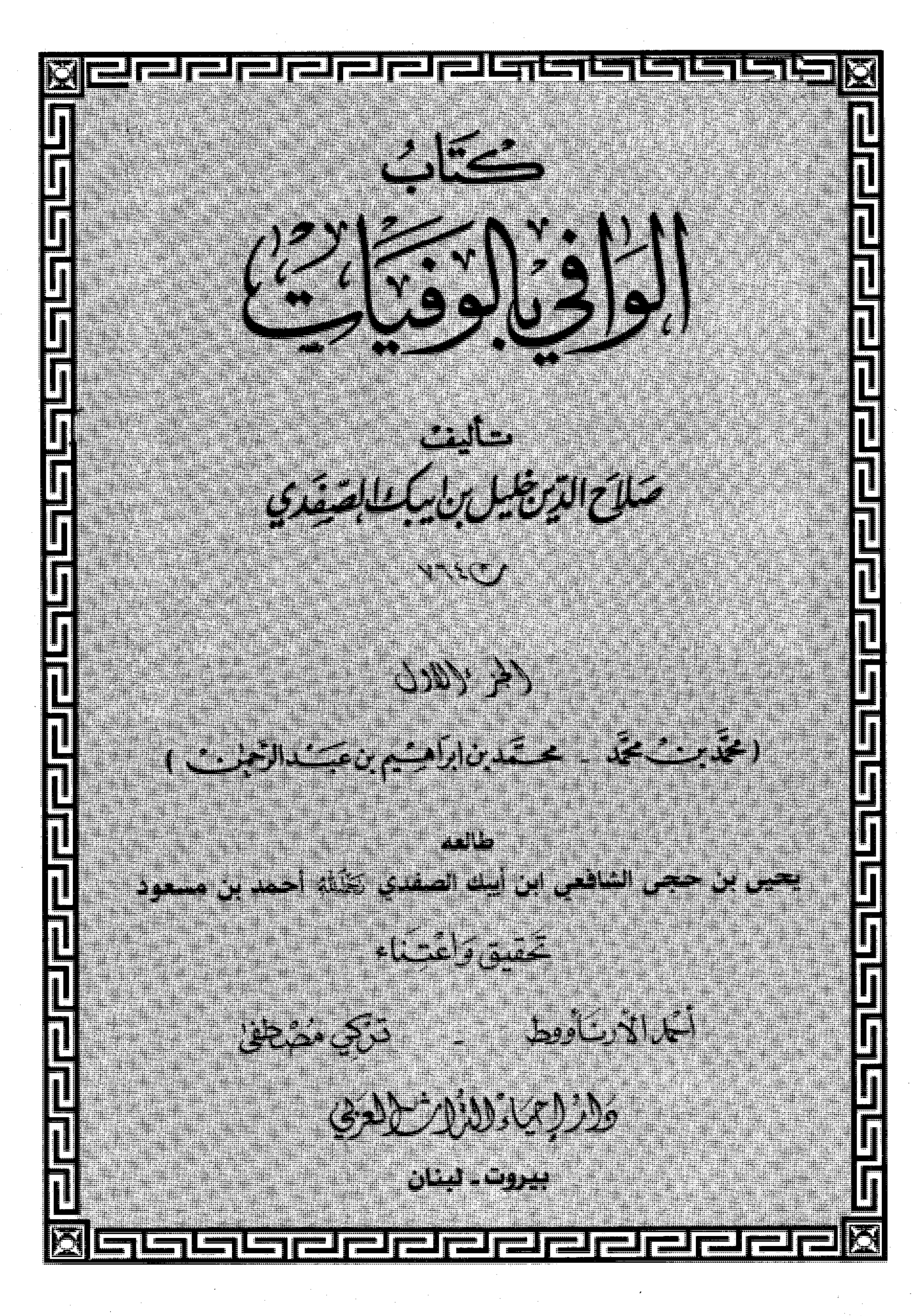


كتاب

الوافي بالوفيات

تأليف

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

(ت ٧٦٤ هـ)

الجزء الأول

(محمد بن محمد - محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن)

طالعه

يحيى بن حجي الشافعي ابن أيبك الصفدي كتبه أحمد بن مسعود

تحقيق واعتناء

أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

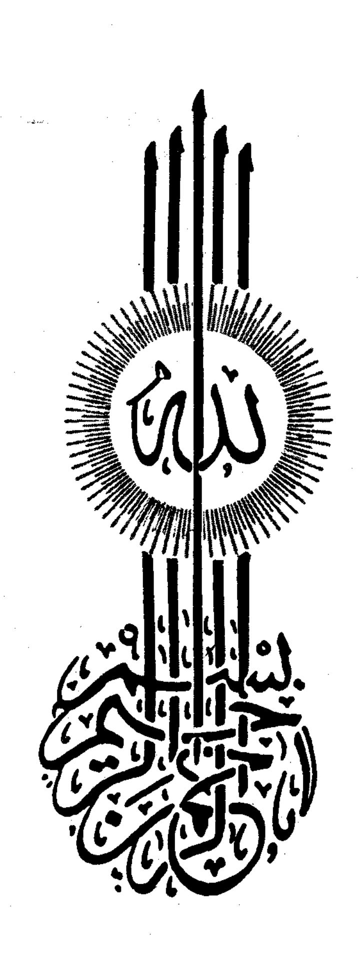
دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

كتاب

الوافي بالوفيات

١


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في الصَّفَدِي وكتابه

١ ـ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**الدرر الكامنة**» (٢/ ٨٧) ترجمة (١٦٥٤) جمع [أي الصفدي] تاريخه الكبير الذي سماه«**الوافي بالوفيات**» في نحو ثلاثين مجلدة على حروف المعجم وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه «**أعوان النصر في أعيان العصر**» في ست مجلدات.

وكان محبَّباً إلى الناس، حَسَن المعاشرة، جميلَ المودَّة. وكان في الآخر قد ثَقُلَ سَمْعُه وكان قد تصّدى للإفادة بالجامع، وقد سمع منه من أشياخه الذَّهَبِيّ، وابن كثير، والحُسَيْنِيّ وغيرهم.

٢ ـ وقال الذهبيُّ في حَقِّهِ «الأديب البارع، الكاتب، شارك في الفنون، وتقدَّم في الإنشاء وجَمَعَ وصَنَّفَ».

وقال أيضاً: «سَمِعَ مِنّي، وسمعت منه، وله تواليف، وكتب، وبلاغة».

وقال في «**المعجم المختص**»: «الإمام العالم... البليغ الكامل طلب العِلْمَ، وشاركَ في الفضائل وسادَ في الرسائل، وقَرَأَ الحديث، وجَمَعَ وصَنَّفَ. له تواليف، وكتب وبلاغة.

٣ ـ وقال الحُسَينِيُّ: «كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم».

٤ ـ وقال ابن كثير: «كتَبَ ما يُقارب مائتين من المجلدات».

٥ ـ وقال ابن سعد: «كان مِن بقايا الرؤساء الأخيار، وَوُجِدَ بخطِّه كَتَبْتُ بيدي ما يُقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعلَّ الذي كتبته في الإنشاء ضِعْفا ذلك».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

توطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، مَن يهدِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد، فَيَسُرُّ دار إحياء التراث العربي أن تقدم للعالم الإسلامي واحِدٌ من أهم كتب التاريخ وتراجم الرجال الذي أَلَّفه علمٌ من علماء الإسلام هو الإمام الأديب، المُؤرِّخ النَّاظِم، النَّاثر خليل ابن أَيْبَك بن عبد الله الصَّفَدي، أو الصَّفاء، صلاح الدين (ت ٧٦٤ هـ) المسمى: **«الوافي بالوفيات»**[١].

وهذا الكتاب الضخم هو ثروة عظيمة في تراجم الرجال والتاريخ يقع في (٢٩) مجلدة تقريباً ترجم فيه صاحبه لأكثر من (١٢,٠٠٠) ترجمة من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقُرَّاء، والمحدثين، والفقهاء والمشايخ، والصلحاء، وأرباب العِرْفان والأولياء، والنُّحَاة، والأدباء، والكُتَّاب والشعراء، والأَطِبّاء والحُكماء، والأولِياء، والعُقَلاء، وأصحاب النحل والبِدَع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه الفضلاء، ورتَّبه على حروف المعجم حتى تسهل الاستفادة منه.

وهو أشبه ما يكون بـ**«تاريخ الإسلام»** للحافظ شمس الدين الذهبي شيخ المؤلِّف (ت ٧٤٨ هـ)

(١) بدأ بنشر الكتاب المستشرق الألماني هلموت ريتر عام ١٩٣١ ثم س. ديدرينغ بمراجعة الأستاذ الفاضل المرحوم خير الدين الزركلي صاحب **«الأعلام»** وفضيلة الدكتور الشيخ صلاح الدين المنجد، والدكتور إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، ويوسف ڤان إس، وغيرهم وقامت بنشر الكتاب دار النشر فرانز شِتايز شتوتغارت عام ١٩٩١ م. قسم النشر الإسلامية التي أسسها هلموت ريتر إصدار ألبرت ديترش.

الذي رتَّبه على الوَفَيات. وقد غَلَبَ على «**الوافي**» طابع الأدب والنظم وأخبار القضاة والولاة والحكام. من تواريخ ماتت أخبارها، دفعت المؤلِّف إلى مطالعة أخْبَار مَمْن تقدَّم، وإذ التاريخ للزمان مرآة وربما أفاد حَزماً وتَحَزّماً، وموعِظَةَ وعِلماً وهِمَّةً تُذْهِبُ هَمَّاً، لم يُخِلِ المؤلف بذكر وفاة أَحَدٍ ممن ترجم له من التاريخ الغابر.

وقد عَبَّر المؤلف بنفسه عن أسباب تأليف كتابه فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيّه: «جمع المؤرخون رحمهم الله تعالى أخبار تلك الأخبار، ونظموا سلوك تلك الملوك، وأخروا عقود تلك العقول، وصَانُوا فصول تلك الفصول، فوقفتُ على تواريخ ماتت أخبار في جلدها، ودخلتُ بتسطيرها الذي لا يبلى جَنَّةَ خلدها.

ووجدت النفَس تستروح إلى مطالعة أخبار مَنْ تَقَدَّمَ، ومُراجعة آثار من خرب رَبْعُ عُمره وتهدَّم، ومنازعة أحوال من غير في الزمان وما ترك للشعراء من متردَّم، إذْ هُوَ فَنٌّ لا يُمَل من إثارة دفاين دفاتره، ولا تُبَلَ جوانح من ألفه إلاّ بمواطن مواطره، كم من ناظِرٍ اجْتنى زهراً ناضراً من أوراقه، وكم من ماهِرٍ اقتنى قمراً سافراً بين أزواقه.

وما نحن إلا مثلهم غير أنهم مَضَوْا قَبْلَنَا قُدُما ونحن على الأَثَرِ

والتاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة.

لولا أحاديث أبقتها أوايلنا من النَدَى والرَدَى لم يُعرف السمرُ

وما أحسن قول الأرّجاني.

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش في أوّلِ الدهرِ
وتحسبه قد عاش آخر دهره إلى الحشر أنْ أبْقَى الجميل من الذكرِ
فقد عاش كلّ الدهر من كان عالماً كريماً حليماً فاغتنم أطْوَل العُمُرِ

وربما أفاد التاريخ حَزماً وعَزماً، ومَوْعِظَةً وعِلماً، وهِمَّةً تُذهب هَمّاً، وبَياناً يزيل وهناً ووَهماً، وحِيَلا تثار للأعادي من مكامن المكايد، وسُبُلاً لا تعرج بالأماني إلى أن تقع من المصايب في مصايد، وصبراً يبعثه التأسّي بمن مَضَى، واحتساباً يوجب الرضا مَرَّ وحلا من القضا، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فكم تشبّث من وقف على التواريخ بأذيال مَعالٍ تنوّعت أجناسها، وتشبّه بمن أخلده خموله إلى الأرض وأصعده سعده إلى السُهَى، لأنه أخذ التجارب مجّاناً ممن أنفق فيها عُمره، وتجلّت له العبر في مرآة عقله فلم تطفح لها من قلبه جمرة، ولم تسفح لها في خدّه عبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

فَأَحببت أنْ أَجْمَعَ من تراجم الأعْيان من هذه الأمة الوَسَط، وكَمَلة هذه الملة التي مدّ الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسط، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل معرك لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب، ممن وقع عليه اختيار تتبعي

واختباري، ولزّني إليه اضطرام تَطَلُّبي واضطراري، ما يكون مُتّسقاً في هذا التأليف درّه، منتشقاً من روض هذا التصنيف زهره.

فلا أُغادر أحداً من الخلفاء الراشدين، وأعْيان الصحابة والتابعين، والملوك والأُمَراء، والقُضاة والعُمَّال والوُزَراء، والقُرَّاء والمحدّثين والفُقَهاء والمشايِخ والصُلَحاء، وأرْباب العِرْفان والأوْلياء، والنُّحَاة والأُدَباء والكُتَّاب والشُعْراء، والأَطِبَّاء والحُكَماء والألِبَّاء والعُقَلاء، وأصحاب النِّحل والبِدَع والآراء، وأعْيان كل فن اشتهر ممن اتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد، ولبيبي مفيد. . .

طـواه الـرَدَى طـيّ الـرداء وغـيّـبـت فـواضـلـه عـن قـومـه وفـضـايـلـه

فقد دعوتُ الجَلَلَى إلى هذا التأليف، وفتحت أبوابه لمن دخلها بلا تسويغ تسويف ولا تكليم تكليف، وذكرت لمن يجب فتحاً يسّره، أو خَيْراً قرّره، أو جوداً أرْسله، أو مقالة حرّر فنّها وعرّفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شِعْراً نَظَمه، أوْ نَثراً أحكمه.

ذِكْـر الـفـتـى عـمـره الـثـانـي وحـاجـتـه مـا فـاتـه وفـضـول الـعـيـش أشـغـال

ولم أُخِلَّ بذكر وفاة أحد منهم إلاّ فيما نَدَرَ وشَذَّ، وانْخَرَطَ في سلك أقرانه وهو فذّ، لأني لم اتحقق وفاته، وكم من حاول أمْراً فما بلغه وفاته، على أنه قد يجيء في خلال ذلك من لا يُضطر إلى ذكره، ويبدو هجر شَوكه بين وصال زهره» انتهى كلام المؤلِّف[1].

وقد أفرد الصفدي من تاريخه الكبير هذا أهل عصره في كتاب سماه «**أعوان النَّصر في أعْيانِ العصر**».

وقد صدر المُؤَلّف كتابه بمقدمة تعرض فيها لعلم التاريخ: ذكر فيها أقدم التواريخ التي بأيدي الناس، وكيفية كتابة التاريخ، وما يضطر إليه المؤرّخ، وفوائد التاريخ، وذكر شيء من أسماء كتب التواريخ المؤلَّفَة لمن تقدم من أرباب هذا الفن في تاريخ المشرق، ومصر، والمغرب واليمن والحجاز، فضلاً عن التواريخ الجامعة، وتواريخ الخلفاء، وتواريخ الملوك، والوزراء والعمّال والقُضاة، والقّراء، والعلماء والشعراء، وتواريخ مختلفة لا شك أنه أي المؤلِّف نقل عنها.

كما عَمَد المؤلف بعد هذا ذكر مقتطفات من السيرة النبوية الشريفة العطرة، تحدّث فيها عن أخلاقه ﷺ ومعجزاته وآياته وغزواته، وحججه وعُمَرِه، وزَوْجاته وأَوْلاده وبَناتِهِ وأعمامه وعماته وأمرائه ورسله إلى المُلوك. ومواليه، إمائه وخدمِهِ، وحَرَسِهِ، وكُتَّابِهِ، والنُّجباء من أصْحابِهِ والعَشَرة المشهود لهم بالجنة، والذين أشبهوه.

ثم تَحدث عن دَوَابّه وسِلاحه وأثْوابه وأَثاثه وهكذا. . . إلى أن بدأ بتراجم كتابه فبدأ بالمحمدين تعظيماً للنبي ﷺ وتشريفاً له.

---

(١) انظر المجلد الأول: المقدمة.

هذا وقد وضعنا وراء هذه الكلمة مقدمة جعلناها في أربعة أقسام:

القسم الأول في ترجمة الإمام الصفدي تُعرَفُ به وبمكانته وأقوال العُلماء فيه، وتذكر مناقبه ومؤلفاته.

القسم الثاني: وفيه الكلام عن مخطوطات الكتاب.

القسم الثالث: وفيه تبيان منهج المؤلّف في كتابه.

القسم الرابع: وفيه تبيان خطة عملنا في الكتاب.

ربّنا تقبّل منا هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وانفع به عبادك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ربنا واكتب ثوابه وأجره في صحيفة كل من خَدَمه ونسخه ونشره وطبعه وحقّقه، ومثل ذلك لقارئه وحامله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخَلْقِ والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، ومن اتبعهم باحسانٍ إلى يوم الدين.

وكتبه تركي المصطفى

حلب ـ طلافح

٢٧ رمضان المبارك ١٤١٩ هـ

الموافق ١٤ كانون الثاني يناير ١٩٩٩ م

مقدمة

أولاً: ترجمة المؤلف:



أولاً: ترجمة المؤلف(١)

١ ـ اسمه ونسبه

هو الإمام الأديب المؤرِّخ، الناظم الناثر الشيخ خليل بن أَيْبَكَ بن عبد الله الصَّفَدِي أبو الصفاء، الشافعي، صلاح الدين. والصَّفَدِي: بفتحتين ومهملة إلى صَفَدَ بالشام كما قال السيوطي في لب اللباب.

(١) انظر: ١ ـ «**طبقات الشافعية الكبرى**» للسبكي (١٠/ ٥) ترجمة (١٣٥٢) بتحقيق الحلو.
٢ ـ و«**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٤/ ٣٠٣).
٣ ـ و«**البدر الطالع**» للشوكاني (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).
٤ ـ و«**الدرر الكامنة**» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٨٧) ترجمة (١٦٥٤).
٥ ـ و«**حسن المحاضرة**» للسيوطي (١/ ٢٦٢).
٦ ـ و«**ذيول العبر**» للذهبي (٣٦٤).
٧ ـ و«**السلوك لمعرفة دول الملوك**» للمقريزي القسم الأول من الجزء الثالث (٨٧).
٨ ـ و«**شذرات الذهب**» لابن العماد (٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).
٩ ـ و«**فهرس الفهارس**» للكتاني (٢/ ١١٤ ـ ١١٥).
١٠ ـ و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري زادة (١/ ٢٥٨).
١١ ـ و«**النجوم الزاهرة**» لابن تغري بردي (١١/ ١٩ ـ ٢١).
١٢ ـ و«**آداب اللغة**» لزيدان (٣/ ٢٤١).
١٣ ـ و«**معجم المطبوعات العربية**» لسركيس (٨٣٥).
١٤ ـ و«**الديباج المذهب**» لابن فرحون (١١٥).
١٥ ـ و«**نيل الابتهاج**» للتنبكتي (٩٥).
١٦ ـ و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة (٣١، ٤٨، ١٢٨، ٣٨٨، ٤٨٨، ٥٩٣، ٦٠٦، ٦٦٧، ٧٢١، ٨٤١، ٩٠٤، ١٠٧٣، ١١٠٧، ١١٢٣، ١٢٧٤، ١٤٨٨، ١٥٣٧، ١٥٤٨، ١٥٨٦، ١٩٩٦).
١٧ ـ و«**إيضاح المكنون**» للبغدادي (١/ ٢٩١، ٢٩٣، ٥٥١)، (٢/ ٦٧، ٨٣، ٤٤١، ٦٧٨).
١٨ ـ و«**كتبخانه**» عاطف أفندي (١٢٨).
١٩ ـ **وكوبرلي زاده محمد**».
٢٠ ـ باشا كتبخانة سنده (٨٦/ ٢).
٢١ ـ و«**كتبخانة عاشر أفندي**» (٣٨، ٣٩، ٤٥).
٢٢ ـ و«**نور عثمانية كتبخانه**» (٢١٤، ٢٣٨).
٢٣ ـ و«**فهرست الخديوية**» (٥/ ١٧٣).
٢٤ ـ و«**فهرس دار الكتب المصرية**» (٣/ ٤٢٠، ٤٢١).
٢٥ ـ و«**كنوز الأجداد**» محمد كرد علي (٣٨٠ ـ ٣٨٦).
٢٦ ـ و«**حديقة الأفراح**» لأحمد الأنصاري (١٢٩، ١٣٠).

٢ ـ مولده

وُلِدَ في صفد في فلسطين سنة ستٍّ وتسعين وستمائة.

٣ ـ نشأته وشيوخه

تعلَّم في دمشق، فَعانى صَنْعَة الرسم فَمَهَرَ بها، ثم وَلَعَ بالأدب وتراجم الأعيان وكتب الخط الجيّد، وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه وقال الشعر الحَسَن.

ثم أكثر جدّاً من النَّظْم والنثر والترسُّل والتواقيع وأخذ عن الشهاب محمود والحافظ فتح الدين وابن سيد الناس وبه تمهَّرَ بالأدب وابن نباتة، وأبي حيّان. ونحوهم.

وقرأ على الشيخ الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله. كتاب «**شفاء السَّقام في زيادة خير الأنام**» عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

٢٧ ـ و«**جولة في دور الكتب الأميركية**» لكوركيس عوّاد (٨٠).
٢٨ ـ و«**مكتبة المجلس النيابي في طهران**» لأسعد طلس (٢٤).
٢٩ ـ و«**التعريف بالمؤرخين**» لعباس العزاوي (١٩٣ ـ ١٩٦).
٣٠ ـ و«**فهرس مخطوطات الموصل**» للحلبي (٢٠٧).
٣١ ـ و«**فهرس المخطوطات المصورة**» للطفي عبد البديع (٢/ ٢٣، ٨٢، ١٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤).
٣٢ ـ و«**الأعلام**» للزركلي (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦).
٣٣ ـ و«**معجم المؤلفين**» لكحالة (٤/ ١١٤ ـ ١١٥).
ـ وانظر المجلات التالية:
٣٤ ـ «**مجلة الرسالة**» بالقاهرة لمحمود رزق سليم (٦/ ١٤٣١ ـ ١٤٣٤).
٣٥ ـ «**لغة العرب**» (١/ ٣١١، ٣١٢)، (٩/ ٧٨٧ ـ ٧٩٠).
٣٦ ـ مجلة «**المجمع العلمي العربي**» لمحمد كرد علي (١٦/ ٣٨، ٣٩).
٣٧ ـ و«**مجلة المجمع**» للشيخ الدكتور صلاح الدين المنجد (٢٨/ ٤٩٠، ٤٩٢، ٦٢٩، ٦٣٠).
٣٨ ـ و«**مجلة المجمع**» لمحمد دهمان (٣١/ ٤٩٦، ٤٩٧).
٣٩ ـ و«**مجلة معهد المخطوطات**» للشيخ الدكتور صلاح الدين المنجد (٢/ ١٠٨ ـ ١١١).
٤٠ ـ و«**مجلة المقتبس**» (٨/ ٧٧٢ ـ ٧٧٩).
٤١ ـ و«**مجلة الندوة**» للحبيب الجنحاني السنة (٣)، العدد (١)، الصفحة (٣٦، ٣٨).
وانظر المصادر الأجنبية التالية:
42 - Krenkow: Encyclopèdie de l'islam IV: (54, 56).
43 - Arabic manuscripts in the Princetan 34, Mingana: Catalogue of arabic manuscripts (755 - 747).
44 - De Slane: Catalogue des manuscrits arabes (551, 552).
Ahlwardt:... verzeiehniss, der arabischen handschriften VII: 561, 562, 572, 573, IX 342, 344.
45 - Manuscrits arabes de l'Escurial 3: 280.
46 - Brockelmaon g, II: 31 - 33 s, II: 27 - 29.

وسمع بمصر من يُونُس الدبوسي ومن معه.

وبدمشق من المِزّيّ والذهبي وابن كثير والحسيني وجماعة.

وطاف مع الطلبة وكتب الطباق.

٤ ـ مناصبه

تولى ديوان الإنشاء في صَفَد ومِصْرَ وحَلَب، ثم وكالة بيت المال في دمشق.

٥ ـ كتبه ومؤلفاته

قال السبكي في «**الطبقات**» «وصَّنف الكثير في التاريخ والأدب، قال لي [أي قال الإمام الصفدي للسبكي وكانت بينهما صداقة ومرسالة منذ الصغر][1] إنه كتب أزْيَدَ من (٦٠٠) ستمائة مجلد تصنيفاً.

١ ـ جمع «**تاريخه الكبير**» الذي سماه «**الوافي بالوفيات**» في نحو ثلاثين مجلدة في التراجم على حروف المعجم، وهو كتابنا الذي بين يديك.

٢ ـ وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه «**أعوان النصر في أعيان العصر**» في ست مجلدات.

٣ ـ وله «**شرح لامية العجم**» كثير الفوائد واسمه «**الغيث المسجم في شرح لامية العجم**» مطبوع يقع في مجلدات.

٤ ـ و«**ألحان السواجع بين المبادىء والمراجع**» مجلدان. وهي رسائله لبعض معاصريه رَتَّبَ أسماؤهم على حروف المعجم.

ومن تصانيفه اللطاف:

٥ ـ «**التنبيه على التشبيه**».

٦ ـ و«**جرّ الذيل في وَصْفِ الخيل**».

٧ ـ و«**توشيح الترشيح**».

٨ ـ و«**كشف الحال في وَصْفِ الخال**».

٩ ـ و«**جنان الجناس**» (مطبوع) في الأدب.

١٠ ـ و«**الشعور بالعور**» في تراجم العور وأخبارهم (مخطوط).

١١ ـ و«**نكت الهميان**» ترجم به فضلاء العميان (مطبوع).

---

(١) كان الإمام السبكي قد ساعده في آخر عمره. فولي كتابة الدَّسْت، ثم ساعده، فوليَ كتابة السِرّ بحلب، ثم ساعده، فَحضَر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدَّست. إلى أن مات.

١٢ ـ و«**التذكرة**» (مخطوط) مجموع شعر وأدب وتراجم وأخبار كبير جدّاً جاء في تعليقات الميمني أن منه أحد عشر جزءاً في مكتبة البساطي بالمدينة (رقم ١٦٥ ـ ١٧٥ أدب).

١٣ ـ «**نصرة الثائر**» (مخطوط) في نقد المثل السائر.

١٤ ـ «**تشنيف السمع في انسكاب الدمع**» (مطبوع).

١٥ ـ «**دمعة الباكي**».

١٦ ـ «**أعيان العصر**» في التراجم (كبير).

١٧ ـ و«**منشآته**» (جزء).

١٨ ـ و«**ديوان الفصحاء**» (مخطوط) مجموع في الأدب.

١٩ ـ «**تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**» (مطبوع وهي غير الرسالة التهكمية التي شرحها ابن نباتة.

٢٠ ـ «**جلوة المذاكر**» (مخطوط) في الأدب.

٢١ ـ «**المجاراة والمجازاة**» (مخطوط).

٢٢ ـ «**فض الختام في التورية والاستخدام**» (مخطوط).

٢٣ ـ و«**تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب**» (مطبوع).

٢٤ ـ و«**تصحيح التصحيف وتحرير التحرين**» (في اللغة) ورسائل منها.

٢٥ ـ «**الروض الباسم**».

٢٦ ـ و«**الحسن الصريح في مائة مليح**» (مخطوط) بخطه في دار الكتب، وفي نهايتها. إجازة ذكر فيها بعض مؤلفاته (كما في تعليقات أحمد خيري).

٢٧ ـ و«**قهر العابسة بذكر نسب الجراكسة**» (مطبوع).

٢٨ ـ و«**الوصف والتشبيه**» (مخطوط).

٢٩ ـ و«**وصف الهلال**» (مطبوع).

٣٠ ـ و«**وصف الحريق**» (مخطوط).

٣١ ـ و«**كشف السّرّ المُبْهَم في لزوم ما لا يلزم**» (مخطوط) وذكره عبيد.

٣٢ ـ و«**غوامض الصحاح**» للجوهري (مخطوط) بخطه في الأسكوريال الرقم (١٩٢).

وله شعر فيه رقة وضعة.

٦ ـ مناقبه وأقوال العلماء فيه

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في **«الدرر»**.

«وأول ما رُئِيَ كتابة الدرج بِصَفَد. ثم بالقاهرة، وباشر كتابة السِّرِّ بِحَلَبَ وقتاً، والتوقيع بدمشق، ووكالة بيت المال.

وكان محبباً إلى الناس، حسن المُعاشَرة، جميل الموَدَّة، وكان في الآخر قد ثَقُلَ سَمْعُه.

وكان قد تصدّى للإفادة بالجامع، وقد سمع منه من أشياخه: الذَّهَبِيّ، وابن كثير، والحُسَيْنِيّ وغيرهم.

قال الذهبيُّ في حَقِّهِ: «الأديب البارع، شارك في الفنون، وتقدَّم في الإنشاء وجَمَعَ وصَنَّفَ».

وقال أيضاً:

«سَمِعَ مِنِّي، وسمعت منه، وله تواليف، وكتب، وبلاغة».

وقال في **«المعجم المختص»**.

«الإمام العالم. . . البليغ الكامل، طلب العِلْمَ، وشارك في الفضائل وسادَ في الرسائل، وقرأ الحديث، وجمع وصَنَّفَ، وله تواليف، وكتب وبلاغة.

وقد ترجم له السُّبْكيُّ في **«الطبقات»**.

وقال الحُسَيْنِيُّ:

«كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم».

وقال ابن كثير: «كتَبَ ما يُقارب مائتين من المجلدات».

وقال ابن سعد: «كان مِنْ بقايا الرؤساء الأخيار، وَوُجِدَ بخطِّه: كَتَبْتُ بيدي ما يُقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعلَّ الذي كتبته في الإنشاء ضعف ذلك».

وقال ابنُ رافِع: «قرأ بنفسه شيئاً من الحديث، وكتب بعض الطباق، وقرأ الأدب على شيخنا الشهاب محمود، ولازمَهُ مُدَّة طويلة وكتب عنه الذهبيُّ من شعره، وذكر في **«معجمه»**، وأنشد عنه ابنُ رافع عدّة مقاطيع مِنْ نظمه، منها:

بِسَهْمِ أجْفانِه رَمَاني | وذبْتُ مِن هجره وبينه
إن متُّ ما لي سواه خَصْم | لأنه قاتلي بعينه

قال الشوكاني في **«البدر الطالع»** وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه، وقد صنَّفَ ابنَ نباتة في ذلك مُصَّنفاً سماه **«خبر الشعير المأكول المذموم»** وبيَّن سرقاته لشعره.

٧ ـ وفاته:

مات رحمه الله بدمشق قيل ـ بالطاعون ـ في ليلة عاشر شوّال سنة (٧٦٤ هـ).

ثانياً: مخطوطات الكتاب:

لا توجد في مكتبة واحدة، بل هي مُتَفَرِّقة في مواضع عديدة من بلدان العالم كتُركيّا (استانبول) ومصر، وأوروبا، وإفريقية.

وقد وجدت بعض الأجزاء مكتوبة بخط المؤلِّف منها.

١ ـ **نسخة خزانة نور عثمانية** رقم (١٣٩١) وهي ناقصة.

٢ ـ **نسخة مكتبة السليمانيّة** (تركيا) رقم (٨٤٠) وهي جيدة قوبلت على خطّ المؤلف مرّتين: أولاً عام (٨٦٩ هـ) ثم (٨٧٣ هـ) وعليها تعليقات بخط الحافظ ابن حجر العسقلاني وكانت من كتب خزانة الأمير يشبك الدوادا الكبير المقتول عام (٨٨٥ هـ) وفي ورقتها الأُولى سماعات نُقِلت من خط المؤلف.

٣ ـ **نسخة شهيد علي باشا** رقم (١٩٦٤) وهي تشتمل على الجزء الأول والثاني من الكتاب.

٤ ـ **نسخة وحيدة في خزانة السراي** (استانبول) تحت رقم (٢٩٢٠) تقع في (١٩٥) ورقة.

أما كتاب الصَّفَدي المسمى «**أعيان العَصْر وأعوان النَّصْر**» الذي ترجم فيه المؤلف لأبناء عصره وأعيان قَرْنِهِ، فقد أوْرَدَ في «**الوافي**» تراجم بعض رجاله ونُسَخُه في استانبول (تركيا) بعضها مكتوبة بيد المؤلِّف.

هذا وقد حصلنا على نسخة خطيّة للكتاب، فيها القسم غير المطبوع حتى الآن، ونحن نعمل على تحقيقه وإصداره للمارّة الأولى بإذن الله.

ثالثاً: منهج المؤلف في كتابه:

يعتبر هذا الكتاب دائرة معارف تاريخية، حوى بين دفتيه عدداً ضخماً من التراجم وهو أشبه ما يكون بما يعرف في عصرنا في وسائل الإعلام المعاصر (بملف توثيقي) جامع شامل، جمع فيه تراجم الأعلام من كل صنف دون تفريق بينهم في العصور أو الأمصار ممن وقع اختياره عليه من الملوك والقادة والمشايخ والقضاة، وأعيان كل فن ممن اشتهر به منسوقة وفق ترتيب حروف المعجم.

والكتاب حافل بمصادر متنوعة تعتبر صورة حية لقرائح العلماء تبين لنا أسماء كتبهم ومؤلفاتهم وتروي من خلالها أخبارهم الأدبية والتاريخية والسياسية والحديثية والفقهية، وتعود أهمية كتاب «**الوافي**» إلى مميزاته الجامعة لما قبله وشموليته النوعية والمكانية.

ومن مزايا هذا الكتاب، أن مؤلفه كان شاهِد عيان لبعض الأحداث التي سردها عن أخبار

بعض الشخصيات التي عاصرها، إضافة إلى أنه شغل مناصب هامة في الدولة المملوكية.

وهو من الرجال الذين لعبوا دوراً سياسياً وعلمياً وأدبياً في هذا العصر، إذ كثيراً ما يستقي معلوماته مباشرة ممن يترجم له. أو ممن كان يعرفه أو له صلة به، أو من معلومات شفهية من أصحاب خبرة واطلاع أو من مصادر ومظان رسمية حكومية بحكم المناصب التي تولاها وساعدته في الوصول إلى معلومات قد تكون سرية لا يطالها غيره من مؤرخي عصره، ولذلك فقد اعتُمِدتْ كتبه مصادر يستقي منها الأخبار الصحاح شيوخ المؤرخين في العصر المملوكي، كالمقريزي الذي كان يأخذ عن الصفدي ويقول: (قال شيخنا الصفدي...).

أما عندما يؤرخ العصور السالفة، فإنه يذكر في كثير من الأحيان المصدر الذي نقل عنه الخبر أو الحادث أو الترجمة.

وكان أحياناً يقتبس النص بكامله، وأخرى يختصره أو يزيد عليه، وكان اعتماد الصلاح الصفدي في كتابه هذا على شيوخ المؤرخين الثقاة الذين سبقوه، واستقى من مؤلفاتهم أخباره، وكان في طليعتهم:

- أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) وكتابه «**الأغاني**».
- ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) وكتابه «**الأنموذج**».
- ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) وبخاصة كتابه «**الاستيعاب**».
- العماد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) وكتابه «**خريدة القصر**».
- ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) وكتابه «**ذيل على تاريخ بغداد**» للخطيب البغدادي.
- شهاب الدين القوصي (ت ٦٥٣ هـ) وكتابه «**معجم الشيوخ**».
- أثر الدين أبو حيان النحوي (ت ٦٥٤ هـ) وكتابه «**مجاني العصر في أعيان العصر**».
- ابن الأبّار (ت ٦٥٨ هـ) وكتابه «**تحفة القادم**».
- ابن أبي أصبيعة (ت ٦٦٨ هـ) وكتابه «**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**».
- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) وبخاصة كتابه «**وفيات الأعيان**».
- الأدفوي (ت ٧٤٨ هـ) وكتابه «**الطالع السعيد**».
- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وخاصة كتابه «**تاريخ الإسلام**»[1] الذي لم ينتفع من كتاب كما انتفع منه، كما قال في مقدمة هذا الكتاب.

ناهيك عن المؤرخين القدامى الذين سبقوا عصره بعصور وقرون، فقد أخذ عن الطبري وابن هشام في السيرة النبوية، وابن عساكر والواقدي والبلاذري وغيرهم وهم كثرٌ، ومصادره التي أخذ

(١) انظر مقدمة «**الوافي بالوفيات**».

منها أكثر من أن تحصى[١].

وقد غلب عليه الأسلوب الأدبي في السرد والإسهاب في الخبر، ورواية الحوادث، وتراجم الرجال، وتميز أيضاً باعتماده على الجناس والإكثار من استعماله.

ويلاحظ أيضاً، أنه يطيل الترجمة أو يقصرها حسب أهمية صاحب الترجمة، فأحياناً نجد ترجمة قد شغلت عشر صفحات بل أكثر، وتارة أخرى، لا تتجاوز الترجمة ثلاثة أسطر أو أقل. يذكر غالباً، تاريخ وفاة كل من ترجم له، أما الولادة فلا يذكرها إلا نادراً.

رابعاً: عملنا في الكتاب:

كان عملنا في الكتاب الرجوع إلى المطبوع منه بتحقيق ثلّة من الأساتذة الأفاضل، فوجدنا فيه أخطاء وتصحيفات مع جهودهم الكبيرة المشكورة جزاهم الله خيراً، فقمنا بتصحيح تلك الأخطاء، وبيان التصحيفات، واستحضرنا كتاب «**تاريخ الإسلام**» للإما الذهبي بتحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري الذي كان أهم مصادر الصفدي في كتابه هذا، وهو ما لم يعتمد عليه محققو هذا السِّفر الكبير، ونظراً لكثرة مصادر ومراجع التحقيق وتشابه أسماء الكتب اضطررنا لوضع اسم مؤلف كل كتاب أمامه حتى لا يختلط الأمر على المطالع.

مثاله: كتاب «الكامل» فهناك ثلاثة كتب بهذا العنوان:

«الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و«الكامل في اللغة والأدب» للمبرد، و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي.

و«العلل»، وهناك: «علل» ابن المديني، و«علل» الرازي، و«علل» الدارقطني.

و«التاج»، وهناك ثلاثة «التاج المكلل» للقنوجي، و«تاج العروس» للزبيدي، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا وهكذا. . .

- قمنا بتخريج الأيات القرآنية من المصحف الشريف.
- قمنا بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب ما أمكننا.
- عزونا الأبيات الشعرية إلى مظانها من الدواوين.
- ضبطنا غريب الألفاظ والأعلام والأنساب والأماكن والبلدان وذلك بالرجوع للمصادر المختصّة.
- وضعنا في نهاية كلِّ مجلدٍ فهرساً مساعداً.

ويطيب لي أن أتقدم إلى شكر العديدين من الأساتذة والأصدقاء ممن أدين لهم بالشكر والعرفان لما قدّموه لي من وجوه المساعدة في إنجاز هذا الكتاب وهم لا يبتغون إلا وجه الله.

---

(١) وقد قام بتحقيق هذا الكتاب فضيلة الدكتور عمر عبد السلام تدمري وصدر عن دار الكتاب العربي ببيروت (١ ـ ٤٧) مجلداً.

وقد ساهموا في متابعة هذا العمل في خطواته جميعها من بدايته حتى طباعته، وكانوا حاضرين دائماً للإجابة على ما لدي من استفسارات، جزاهم الله خيراً.

كذلك أود أن أشكر الأستاذ المحامي عبد الكريم جميل العيسى الذي حبّب إلي هذا الفن، وغرس فيَّ حبّ تراث الأمة، فكان عوناً لي في تجاوز الصعاب فإليه خالص شكري وصافي عرفاني.

وأوجه شكري إلى أستاذي الكبير رامز مصطفى دندي الذي غمرني بألطافه، ووقف بجانبي في ساعات العسر، لذا فأنا مدين له بعملية إنجاز هذا الكتاب، فإليه تحية التقدير والعرفان.

والشكر نفسه أوجهه إلى الأساتذة الدكتور علي أحمد والأستاذ عبد الله محمد علي، ونجدت نجيب، وخليل حنوش، ومحمد أيمن حمادة، وأحمد حمادة، ومحمد راشد المحيميد، ونجلاء اسكيف الذين قرأوا معي التجارب الطباعية الأولى لهذا الكتاب.

وأخيراً أوجه جزيل الامتنان والشكر إلى مدير دار إحياء التراث العربي الأستاذ الحاج مصطفى فولادكار وابنه محمد اللذان كانا عوناً دائماً لي في هذا العمل، فإليهما مني تحية التقدير والعرفان.

والحمد لله وحده، وبه قوتي وثقتي، إليه الرغباء وبيده النعماء.

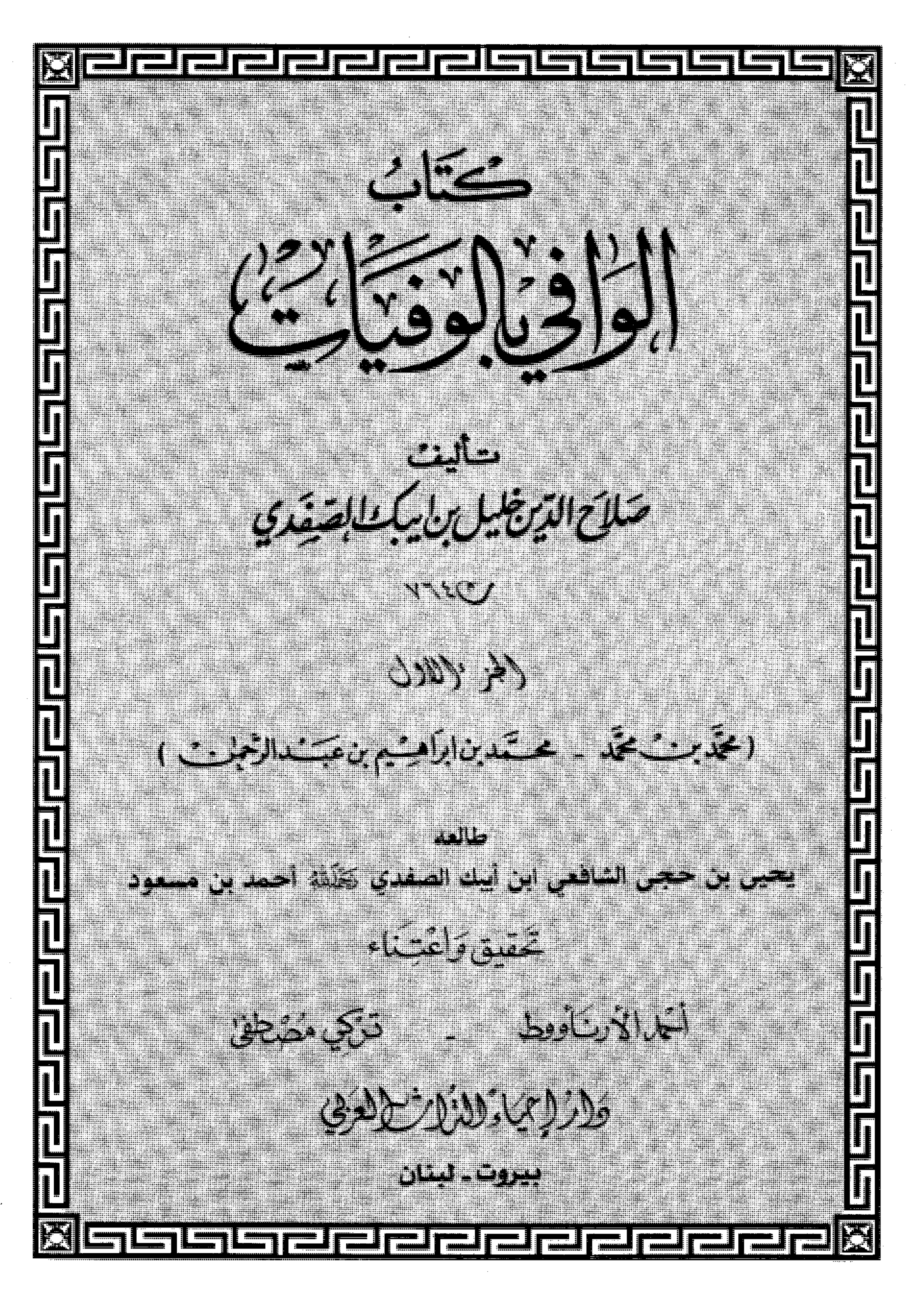
وكتبه تركي فرحان المصطفى

حلب ـ طلافح

٢٧ رمضان المبارك ١٤١٩ هـ

الموافق ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩ م





كتاب
الوافي بالوفيات

تأليف

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

ت ٧٦٤

الجزء الأول

(محمد بن محمد - محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن)

طالعه

يحيى بن حجي الشافعي ابن أيبك الصفدي رحمه الله أحمد بن مسعود

تحقيق واعتناء

أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الصفدي

عونك اللهم وعفوك

الحمد لله الذي قهر العباد بالموت، ونادى بالفَناء في فِنائهم فانهلّ في كل بقعة صوبُ ذلك الصوت، وأسمع كل حيّ نسخة وجوده فلم يخل أحدهم من فوت، نحمده على نعمه التي جعلت بصائرنا تجول في مرآة العبر، وتقف بمشاهدة الآثار على أحوال مَنْ غبر، وتعلم بمن تقدّم أن من تأخّر يشاركه في العدم كما اشترك في الرفع المبتدأ والخبر، ونشكره على مننه التي جَلَت لما جلّت الضرّاء بمواقعها، وحَلَّت عن وجوه حسانها بإحسانها معاقد براقعها، وحلّت غمائم جودها على رياض عقولنا فأضحت:

كـأن صـغـرى وكـبـرى مـن فـواقـعـهـا[1]

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً تُقرّ له بالبقاء السرمد، وتُجرّدُ من التوحيد سيوفاً لم تزل في مفارق أهل الشرك تغمد، وتبعث لنا في ظلمات اللحود أنواراً لا تخبو أشعتها ولا تخمد، ونشهد أن محمداً سيدنا عبده ورسوله الذي أنذر به القوم اللُدّ، ونصره بالرعب فقام له مقام المثقَّفة المُلْد، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خفقَتْ بهم عَذَبات الإسلام، ونُشِرَتْ أعلامُ عِلمهم حتى استبانت للهدى أعلامُ، واتّضحت بهم غُرَر الزمن حتى انقضت مُدَدُهم فكأنّها وكأنّهم أحلام، صلاةً لا تغيب من سماء روضها مجرّة نهر، ولا تسقط من أنامل غصونها خواتم زهر، ما راح طائرُ كل حيّ وهو على حياض المنون حائم، وأشبهت الحياةُ وإن طال أمدها حلم نائم، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين.

وبعد فلما كانت هذه الأمّة المرحومة، والملّة التي أمسَتْ أخبارها بمسك الظلام على كافور الصباح مرقومة، خير أمّة أُخرجت للناس، وأشرف ملّة أبطل فضلُها المنصوص من غيرها قواعدَ القياس، علماؤها كأنبياء بني إسرائيل[2]، وأمراؤها كملوك فارس في التنويه والتنويل، وفضلاؤها آربوا على حكماء الهند واليونان في التعليم والتعليل، كم فيهم من فرد جَمَع المفاخر، وكاثرت مناقبه البحور الزواخر، وغدا في الأوائل وهو إمام فات سوابق الأواخر:

---

(١) مصراع بيت، وهو لأبي نواس (الحسن بن هانىء) في ديوانه (ص ١٣٢)؛ و«شرح لامية العجم» للصفدي (١/ ٢٨٤). ولهذا البيت حكاية أدبية مذكورة في «حلية الكميت» (ص ٤٣).

(٢) واشتهر حديث بلفظ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل». انظر: «كشف الخفا» للعجلوني رقم (١٧٤٤) (٢/ ٨٣). قال السيوطي في «الدرر»: لا أصل له.

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتئمات لا يرى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلا[١]

وكم أتى فيهم من كحلت مراود رماحه عيون النجوم، وتوقّل حصوناً لم يكن للكواكب فيها ولوج ولا لِطَيْفِ العدى هجوم، وضمّ عسكره المجرور كل فتح أصبح العدوّ به وهو مجزوم:

من كل مَن ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوَى فَحَواه لحدٌ ضيّقُ

إلى غير ذلك ممن شارك الأوائل في العلوم الدقيقة، واتخذ إليها مجازاً أدّاه فيها إلى الحقيقة، واستنتج من مقدّماتهم بناتِ فكر لم يَرضَ جواهرهم لها عقيقة.

جمع المؤرخون رحمهم الله تعالى أخبار تلك الأحبار ونظموا سلوك تلك الملوك وأحرزوا عقود تلك العقول، وصانوا فصوص تلك الفصول، فوقفت على تواريخ ماتت أخبارها في جلدها، ودخلتُ بتسطيرها الذي لا يبلىٰ جنّةَ خلدها [الكامل]:

ورأيتُ كلاً ما يعلّل نفسَهْ بتَعِلّةٍ وإلى الممات يصير[٢]

ووجدت النفس تستروح إلى مطالعة أخبار مَنْ تقدّم، ومراجعة آثار من خرب رَبْعُ عمره وتهدّم، ومنازعة أحوال مَنْ غبرَ في الزمان وما ترك للشعراء من متردَّم، إذ هو فنّ لا يُمَلّ من إثارة دفائن دفاتره، ولا تُبَلّ جوانح من ألفه إلا بمواطن مواطره، كم من ناظر اجتنى زهراً ناضراً من أوراقه، وكم من ماهر اقتنى قمراً سافراً بين أزواقه، لأن المطّلع على أخبار مَنْ درج، ووقائع من غابَ في غابِ الموت وما خرج، ومآثر من رقا إلى سماء السيادة وعرج، ومناقب من ضاق عليه خِناق الشدّة إلى أن فُتح له باب الفرج، يعود كأنّه عاصر أولئك، وجلس معهم على نمارق الأسرّة واتّكأ بينهم على وسائد الأرائك، واستجلى أقمار وجوههم إمّا في هالات الطيالس أو في دارات الترائك، وشاهد من أشرارهم شرر الشياطين وفُضّ له فضل أخيارهم في ملأ الملائك، وعاطاهم سُلافة عصرهم في عصرهم السالف، ورآهم في معاركهم ينتشقون رياحين السيوف ويستظلّون القنا الراعف، فكأنّما أولئك القوم لِداته وأترابه، ومن ساءه منهم أعداؤه ومن سرّه أحبابه، لكنهم درجوا في الطليعة من قبله، وأتى هو في الساقة على مَهله [الطويل]:

وما نحن إلاّ مثلهم غير أنهم مَضَوْا قبلنا قِدْماً ونحن على الأثر

والتاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة [البسيط]:

لولا أحاديث أبقاها أوائلنا من النَدَى والرَدَى لم يُعرف السمرُ

---

(١) البيتان لحسان بن ثابت يمدح بهما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يرثي بها محمد بن إسحاق التنوخي، وأولها:

إني لأعلم واللبيب خبير أنّ الحياة وإن حرصت غرور

وما أحسن قول الأرّجاني[(١)] [البسيط]:

إذا عرفَ الإنسانُ أخبارَ مَنْ مضىٰ ... توهَّمْتَهُ قد عاشَ في أوّلِ الدَّهرِ
وتحسَبُهُ قد عاشَ آخِرَ دهره ... إلى الحشر إنْ أبقىٰ الجميلَ من الذِكْرِ
فقد عاشَ كلَّ الدهر مَنْ كان عالماً ... كريماً حليماً فاغتنِمْ أطولَ العُمْرِ

وربما أفاد التاريخ حزماً وعزماً، وموعظة وعلماً، وهمّة تُذهب همّاً، وبياناً يزيل وهناً ووَهماً، وحِيَلا تثار للأعادي من مكامن المكائد، وسُبُلاً لا تعرج بالأماني إلى أن تقع من المصائب في مصائد، وصبراً يبعثه التأسّي بمن مضى، واحتساباً يوجب الرضا بما مرّ وحلا من القضا، **﴿وكلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك﴾** [هود: ١٢٠]، فكم تشبّت من وقف على التواريخ بأذيال مَعالٍ تنوّعت أجناسها، وتشبّه بمن أخلده خموله إلى الأرض وأصعده سعده إلى السُهَى، لأنّه أخذ التجارب مجّاناً ممن أنفق فيها عُمُره، وتجلّت له العبر في مرآة عقله فلم تطفح لها من قلبه جمرة، ولم تسفح لها في خدّه عَبْرة، **﴿لقد كان في قصصهم عِبْرة لأولي الألباب﴾** [يوسف: ١١١].

فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمّة الوَسَط، وكَمَلَةِ هذه الملة التي مدّ الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسطَ، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كلّ علم وأوتاده، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب، وفرسان كل معرك لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب، ممن وقع عليه اختيار تتّبعي واختباري، ولزّني إليه اضطرام تطلّبي واضطراري، ما يكون متّسقاً في هذا التأليف دُرُّهُ، منتشقاً من روض هذا التصنيف زَهْرُهُ، فلا أغادر أحداً من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعمّال والوزراء، والقرّاء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة والأدباء والكتّاب والشعراء، والأطبّاء والحكماء والألبّاء والعقلاء، وأصحاب النِحَل والبِدَع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد، ولبيب مفيد [الطويل]:

طواه الرَدَى طيّ الرداء وغيّبت ... فواضله عن قومه وفضائله

فقد دعوتُ الجَفَلَى[(٢)] إلى هذا التأليف، وفتحت أبوابه لمن دخلها بلا تسويغ تسويف ولا تكليم تكليف، وذكرت لمن يجب فتحاً يسّره، أو خيراً قرّره، أو جوداً أرسله، أو رأياً أعمله، أو حسنةً أسداها، أو سيئة أبداها، أو بدعة سنّها وزخرفها، أو مقالة حرّر فنّها وعرّفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شعراً نظمه، أو نثراً أحكمه [البسيط]:

---

(١) نسبة إلى أرجان: بلد في كور الأهواز من بلاد خوزستان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١/ ١٢٠).

(٢) الجَفَلى ـ دعاهُمُ الجفلى، أي: لجماعتهم وعامّتهم. ويقابلها النَّقرى، وهي الدعوة الخاصّة ببعض النَّاس، وقال طرفة بن العبد:

نحنُ في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدِبَ فينا ينتقرْ

ذِكْر الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش أشغال[١]

ولم أُخِلَّ بذكر وفاة أحد منهم إلا فيما ندر وشذّ، وانخرط في سلك أقرانه وهو فذّ، لأني لم أتحقق وفاته، وكم من حاول أمراً فما بلغه وَفَاتَهُ، على أنه قد يجيء في خلال ذلك من لا يُضطرّ إلى ذكره، ويبدو هجر شَوكه بين وصال زهره.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى: «لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه إلا بعد معرفة ما لا يحتاج إليه». قلت فقد صار ما لا يحتاج إليه محتاجاً إليه لأن المتوقّف وجوده على وجود شيء آخر متوقّف على وجود ذلك الشيء وهكذا كل علم لا يبلغ الإنسان إتقانه إلا بعد تحصيل ما لم يفتقر إليه. فقد أذكر في كتابي هذا من لا له مزيّة، وجُعلت أصبع القلم من ذكره تحت رزّة رزيّة، غير أن له مجرّد رواية، عن المعارف متفرّدة، ولم تكن له دراية حمائمها على غصون النقل مغرّدة [البسيط]:

والأيك مشتبهات في منابتها ... وإنما يقع التفضيل في الثمر[٢]

ولكن أردت النفع به للمحدّث والأديب، والرغبة فيه للبيب والأريب وجعلت ترتيبه على الحروف وتبويبه، وتذهيب وضعه بذلك وتهذيبه، على أنني ابتدأت بذكر سيدنا محمد رسول الله ﷺ إذ هو الذي أتى بهذا الدين القيّم وسراجه وهّاج، وصاحب التنبيه على هذه الشرعة والمنهاج، فأذكر ترجمته مختصراً، وأسرد أمره مقتصراً، لأن الناس قد صنّفوا المغازي والسير، وأطالوا الخُبر فيها كما أطابوا الخَبَر، ومُلّيَتْ لما ملئت بشمائله مهارق[٣] التواليف، ورُفعت لما وُضعت تيجانها على مفارق التصانيف فأوّل من صنّف في المغازي: عروة بن الزبير رضي الله عنهما ثم موسى بن عُقبة ثم عبد الله بن وهب، ثم في السير ابن إسحق ورواها عنه جماعة منهم من زاد ومن نقص فمنهم: زياد بن عبد الله البَكّائي شيخ عبد الملك بن هشام مختصِر السيرة، وسلمة بن الفضل الأبرش ومحمد بن سلمة الحرّاني ويونس بن بكير الكوفي. وعمل أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كتاب الروض الأنف في شرح السيرة المشار إليها، ووضع عليه شيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي كتاباً سمّاه بلبل الروض، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد سيرة مطوّلة ثم دلائل النبوّة لأبي زرعة الرازي شيخ مسلم ثم دلائل السرقسطي ثم دلائل الحافظ أبي نعيم في سِفرين ثم دلائل النبوة للنقّاش صاحب التفسير ودلائل النبوة للطبراني ودلائل أبي ذرّ المالكي ثم دلائل الإمام البيهقي في ستة أسفار كبار فأجاد ما شاء وأعلام النبوة لأبي المطرِّف قاضي الجماعة وأعلام النبوة لابن قتيبة اللّغويّ ومن أصغر ما صنّف في ذلك جزء لطيف لابن فارس صاحب المجمل في اللغة وكتاب الشمائل للترمذي رحمه الله كتبته بخطّي[٤] وقرأته على

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة يمدحُ بها أبا شجاع فاتكاً الكبير:
ذِكْرُ الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش أشغال

(٢) البيت للمعري، هكذا نسبه في «لامية العجم» (٢/ ٣٠٢).

(٣) المهارق: الأوراق التي يُكتبِ فيها.

(٤) سيذكر المؤلف سنده برواية «الشمائل» إلى مؤلفه في ترجمة الإمام الترمذي (محمد بن عيسىٰ بن سورة).

شيخنا الحافظ جمال الدين المزّي والشمائل للحافظ المستغفري النسفي وكتاب صفة النبي ﷺ للقاضي أبي البَخْتري وكتاب الأخلاق للقاضي إسماعيل المالكي وكتاب الشفا للقاضي عياض والوفاء لابن الجوزي في مجلّدين والاقتفاء لابن مُنيِّر خطيب الإسكندرية ونظم الدرر لابن عبد البرّ وسيرة ابن حزم وحَجّة الوداع فأجاد فيها وسيرة الشيخ شرف الدين الدمياطي وسيرة الحافظ عبد الغني مختصرة وعيون الأثر في المغازي والشمائل والسير لشيخنا الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيّد الناس ورويتها عنه سماعاً لبعضها من لفظه وإجازة لعامّتها وله سيرة أخرى مختصرة سمعتها من لفظه ولشيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي في أول تاريخ الإسلام مجلّد في المغازي ومجلّد في السيرة قرأتهما عليه وفي تاريخ ابن جرير في الأيام النبوية جملة من ذلك ولابن عساكر في صدر تاريخه لدمشق جزء كبير، ولابن أبي شيبة في مُصنّفه فيما يتعلق بذلك نَفَس طويل هذا إلى ما في الكتب الصحاح الستة من ذكر شمائله ومغازيه وسيره [الوافر]:

ويبقى ضِعف ما قد قيل فيه   إذا لم يَتْرِكْ أحدٌ مقالاً

وقد أتيت في الترجمة النبوية بما لا غنى عن عرفانه، ولا يسع الفاضلَ غيرُ الاطلاع على بديع معانيه وبيانه، وسردت ذكر من جاء بعده من المحمدين إلى عصري، وأبناء زماني الذين أينع زهرهم في روض دهري، ثم أذكر الباقين من حرف الألف إلى الياء على توالي الحروف، وأتيت في كل حرف بمن جاء فيه من الآحاد والعشرات والمئين والألوف، بشرط أن لا أدعَ كُمَيْت(١) القلم يمرح في ميدان طِرْسه(٢) إذا أجررته رسنه(٣)، ولا أكون إلا من **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾** [الزمر: ١٨]، ولا أغدو إلاّ ممن يُلغي السيئة ويذكر الحسنة [مجزوء الكامل]:

لا خير في حشو الكلا   م إذا اهتديتَ إلى عيونه

اللهم إلاّ إن كان للقول مجال ومجاز، ولم يُرْخ دون الإطالة حجاب ولا حجاز، فقد رأيت كثيراً ممن تصدّى لذلك أتى في كتابه بفضول كثيرة، وفصول لا تضطجع المنافع منها على فرش وثيرة، ونقول ليست مثيبة للواقف ولا للفوائد مثيرة [الخفيف]:

إن بعض القريض منه هُذاءٌ   ليس شيئاً وبعضه أحكامُ

منه ما يَجْلِبُ البراعةَ والفضـ   ـلَ ومنه ما يجلب البِرسامُ

وقد قدّمت قبل ذلك مقدمة فيها فصول فوائدها مهمّة، وقواعدها يملك الفاضلُ بها من الإتقان أزمّة، تتنوّع الإفادة فيها كما تتنوّع الإعراب في «كَمْ عَمّةٍ»(٤)، وينال بها المتأدّب ما ناله أبو

---

(١) الكُميْت: من الخيل (للمذكر والمؤنث): ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) الرسن: الحَبْل تُقادُ به الدّابة، ويعني المؤلف بهذه العبارة أنّه لا يعطي لقلمه العنان ليكتب، فيسبح في بحر الخيال، لذا فهو يتحرى الحقائق في الواقعات كما حدثت.

(٤) إشارة إلى بيت الفرزدق في هجاء جرير وهو قوله [الكامل]:

كَمْ عَمّةٍ لكَ يا جريرُ وخالةٍ   فَدْعاءُ قد حلبت عليَّ عِشاري =

مسلم من الحزم وعلوّ الهمّة، ويَهيم بها فكرهُ كما هام بميّة ذُو الرمّة ويبدو له من محاسنها ما بدا من جمال رَيّا للصِمَّة، ثم إنّي أعقد لكل اسم باباً ينقسم إلى فصول بعدد حروف المعجم تتعلّق الحروف في الفصول بأوائل أسماء الآباء، ليتنزّل كلّ واحد في موضعه، ويُشرقَ كلّ نجم في هذا الأُفُق من مطلعه، فلا يعدو أحدُهم مكانَه، ولا يرفع هذا تَمَسُّكُ تَنَسُّكٍ ولا يخفِضُ ذاك جناية خيانة، ولا يتأخَّر هذا لمهابط مَهانة، ولا يتقدّم ذاك لمكارم مكانة، وقد سمّيته «الوافي بالوفيات» ومن الله تعالى أطلب الإغاثة بالإعانة، وأستمدّ منه التوفيق لطريق الإنابة والإبانة، وأستعينه على زمان غلبَتْ فيه الزَمانة[1]، لا ربَّ غيره يُنَوِّلُ العبدَ مُناه وأمانه، ولا إله إلا هو سبحانه، هو حسبي ونعم الوكيل.

● ● ●

= ويشتشهد به النحاة على جواز الابتداء بالنكرة إذا وقعت بعد «كم» الخبرية.

كم عمةٍ: كم: مبتدأ، عمة: تمييز لها (مضاف إليه). أو مجرورة بمن مقدرة، أي كم من عمة.

كم عمةً: كم استفهامية، (عمة) تمييز.

كم عمةٌ: خبرية في محل نصب على الظرفية أو المصدرية ومميزها محذوف مجرور، أي كم وقتٍ أو كم حلبةٍ أو استفهامية في محل نصب على الظرفية أو المصدرية ومميزها محذوف منصوب، أي كم وقتاً أو كم حلبةً والعامل في «كم» حلبت، سواءً كانت استفهامية أو خبرية.

عمةٌ: بالرفع مبتدأ. انظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ١٧٦) رقم الشاهد (٧٧).

(١) الزَّمانة: المرض يدوم، وتعطيل القوى.

المقدمة
وفيها فصول

الأول كانت العرب تؤرّخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤيّ فلما كان عام الفيل أرّخت منه وكانت المدّة بينهما مِائة وعشرين سنة. قال «صاحب الأغاني أبو الفرج» إنه لما مات الوليد[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو[٢] بن مخزوم أرّخت قريش بوفاته مُدّةً لإعظامها إياه حتى إذا كان عام الفيل جعلوه تاريخاً، هكذا ذكره ابن داب. وأما الزبير بن بكّار فذكر أنها تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التي بَنوا فيها الكعبة فأرّخوا بها، انتهى. وأرّخ بنو إسماعيل عليه السلام من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيتَ ومن بنائه البيتَ إلى تفرُّق معَدٍّ ومن تفرّق معدٍّ إلى موت كعب بن لؤيّ. ومن عادة الناس أن يؤرّخوا بالواقع المشهور والأمر العظيم فأرّخ بعض العرب بعام الختان لشهرته قال النابغة الجَعْدِي [الوافر]:

فـمـن يَـك سـائـلاً عـنّـي فـإنّـي ... مـن الـفـتـيـان أيام الـخـتـان[٣]
مَـضَـتْ مـائـةٌ لـعـام وُلِـدتْ فـيـه ... وعـامٌ[٤] بـعـد ذاك وحِـجَّـتـان
وقـد أبـقَـتْ صُرُوفُ الـدهـرِ مـنّـي ... كـمـا أبقت من السيف اليماني[٥]

وكانت العرب قديماً تؤرّخ بالنجوم وهو أصل قولك «نجّمتُ على فلانٍ كذا حتى يؤدّيه في نجوم». وقال بعضهم قالت اليهود إنّ الماضي من خلق آدم عليه السلام إلى تاريخ الإسكندر ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية وأربعون سنة. وقالت النصارى إنّها خمسة آلاف سنة ومائة

---

(١) الوليد بن المغيرة: هو والد الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهو أحد سادة بني مخزوم مات في الإسلام، وعام الفيل كان قبل البعثة بأربعين عاماً.

(٢) ونسب الوليد هو: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر (لا عمرو: انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٩).

(٣) قوله (الختان): بالتاء المثناة كما في النسخة التي بين أيدينا، ونصُّ «لسان العرب» (الخنان) بنون بعد الخاء المعجمة وهذه عبارته: الخنان في الإبل كالزكام في الناس وقال ابن دريد: هو زمن معروف عند العرب قد ذكروه في أشعارهم. قال النابغة الجعدي في الخنان للإبل، [الوافر]:

فـمـن يـحـرص عـلـى كِـبَـرِي فـإنـي ... مـن الـشـبّـان أيـام الـخـنـان

ومثله في تارخ «الأمم والملوك» لابن جرير الطبري حيث قاله قال نابغة بني جعدة:

فـمـن يـك سـائـلاً عـنـي فـإنـي ... مـن الـشُـبَّـان أزمـان الـخـنـان

فجعل النابغة تاريخه ما أرّخ بزمان علصة كانت فيهم عامّة انظر: «الأمم والملوك» للطبري. و«لسان العرب».

(٤) في «ديوان النابغة» (ص ١٦١): وعشرٌ.

(٥) الأبيات للنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص ١٦١)؛ و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٥/ ٦). والشاهد في البيت الثاني قوله: «لِعَامٍ وُلِدْتُ فيه» حيث أعاد الضمير من الجملة إلى اسم الزمان المضاف إليها. وهذا نادر.

وثمانون سنة. وأمّا المدّة المحرّرة من هبوط آدم عليه السلام من الجنّة إلى الأرض لتاريخ الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة الذي كان فيه الطوفان عند اليهود ألف سنة وستمائة وخمسون سنة وعند النصارى ألفا سنة ومائتان واثنان وأربعون سنة وعند السامِرَة ألف وثلاثمائة سنة وسبع سنين. وقال آخر المدة التي بين خلق آدم ويوم الطوفان ألفا سنة ومائتان وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً. وأما تاريخ الإسكندر المذكور في القرآن العظيم وتاريخ بُخت نَصَّر فمعلومان وتاريخ الطوفان مجهول فأردنا تصحيحَ ذلك وتحريره فصحّحناه بحركاتِ الكواكب وأوساطها من وقت كون الطوفان الذي وضع فيه بطلميوس أوساط الكواكب في «المجسطي» فبمعاونة هٰذين الأصلين صحّحنا تاريخ الطوفان بحركات الكواكب كما تصحح حركات الكواكب بالتاريخ طرداً فعكسنا ذلك إلى خَلف وجمعنا أزمنته وحرّرناه فوجدنا بين الطوفان وبخت نصّر من السنين الشمسية على أبلغ ما يمكن من التحرير ألفي سنة وأربعمائة سنة وثُلثي سنةٍ ورُبع سنة ومنه إلى تاريخ السريان أربعمائة سنة وستة وثلاثون سنة وجمعنا ذلك فكان ما بين الطوفان وذي القرنين بعد جبر الكسور ألفين وتسع مائة واثنين وثلاثين سنة ثم زدنا على ذلك ما بيننا وبين ذي القرنين إلى عامنا هذا وهو سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة فبلغ من آدم عليه السلام إلى الآن ستة آلاف سنة وسبعمائة وتسعاً وسبعين سنةً على أبلغ ما يمكن من التحرير. وقال وهب عاش آدم ألف سنة.

وفي التوراة[1] تسعمائة وثلاثين سنة وكان بين آدم وطوفان نوح ألفا سنة ومائتان وأربعون سنة وبين الطوفان وإبراهيم عليه السلام تسعمائة وسبعة وأربعون سنة وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام سبعمائة سنة وبين موسى وداود عليهما السلام خمسمائة سنة وبين داود وعيسى عليهما السلام ألف سنة ومائة سنة وبين عيسى ومحمد نبيّنا صلوات الله وسلامه عليهما ستمائة وعشرون سنة والله أعلم بالصواب.

أقدم التواريخ التي بأيدي الناس

زعم بعضهم أن أقدم التواريخ تاريخ القبط لأنه بعد انقضاء الطوفان وأقرب التواريخ المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهريار الملك الفارسي وهذا هو تاريخ أرّخه المسلمون عند افتتاحهم بلاد الأكاسرة وهي البلاد التي تسمّى بلاد إيران شهر وأما التاريخ المعتضدي فما أظنّه تجاوز بلاد العراق وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس وبني إسرائيل وتاريخ عام الفيل، وأرّخ الناس بعد ذلك من عام الهجرة. وأول من أرّخ الكتب من الهجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وكان سبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كَتَبَ إلى عُمَرَ رضي الله عنه أنه يأتينا من قِبَلِ أميرِ المؤمنين كُتُبٌ لا ندري على أيّها نعمل قد قرأنا صكّاً منها محلّه شعبان فما ندري أي الشعبانين الماضي أو الآتي فعمل عمر رضي الله عنه على كَتْبِ التاريخ فأراد أن يجعل أوله رمضان فرأى أن الأشهر الحُرُم تقع حينئذ في سنتين فجعله من المحرم وهو

(١) في الأصل (التورية) تحريف، والصوابُ ما أثبتناه.

آخرها فصيّره أولاً لتجتمع في سنة واحدة وكان قد هاجر ﷺ يوم الخميس لأيام من المحرم فمكث مهاجراً بين سَيْر ومُقام حتى دخل المدينةَ شهريْنِ وثمانية أيام[١].

وقال العسكريّ في كتاب الأوائل أول من أخّرَ النيروز المتوكِّلُ قال بينا المتوكل يطوف في متصيَّد له إذ رأى زرعاً أخضر قال قد استأذنني عُبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر فقيل له إنّ هذا قد أضرّ بالناس فهم يقترضون ويستسلفون فقال هذا شيءٌ حَدَث أم هو لم يزل كذا فقيل له حادث ثم عُرِّفَ أن الشمس تقطع الفلكَ في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وأن الروم تكبسُ في كل أربع سنين يوماً فيطرحونه من العدد فيجعلون شباط ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوماً وفي السنة الرابعة وهي التي تسمى الكبيس يَنْجَرُّ من ذلك الرُّبُعِ يوم تامّ فيصير شباط تسعة وعشرين يوماً فكانت الفرس تكبس الفضل الذي بين سنتها وبين سنة الشمس في كل مائة وستة عشر سنة شهراً وهذا الكبس على طوله أصحّ من كبس الروم لأنه أقرب إلى ما يحصّله الحسُاب من الفضل في سنة الشمس فلمّا جاء الإسلام عُطّل ذلك ولم يُعمل به فأضرّ بالناس ذلك وجاء زمن هشام فاجتمع الدَهاقنة إلى خالد بن عبد الله القسري فشرحوا له وسألوه أن يؤخّر النيروز شهراً فكتب إلى هشام بن عبد الملك وهو خليفة فقال هشام أخاف أن يكون هذا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَاالنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] فلما كان أيام الرشيد اجتمعوا إلى يحيى بن خالد البرمكي وسألوه أن يؤخّر النيروز نحو شهر فعزم على ذلك فتكلم أعداؤه فيه فقالوا هو يتعصّب للمجوسيّة فأضرب عنه فبقي على ذلك إلى اليوم فأحضر المتوكلُ إبراهيمَ بنَ العباسِ وأمره أن يكتب كتاباً في تأخير النيروز بعد أن يحسبوا الأيام فوقع العزم على تأخيره إلى سبعة وعشرين يوماً من حزيران فكتب الكتاب على ذلك وهو كتابٌ مشهورٌ في رسائل إبراهيم وإنما احتذى المعتضد ما فعله المتوكل إلا أنه قد قصّره في أحد عشر يوماً من حزيران فقال البحتري يمدح المتوكل [الخفيف]:

لـكَ فـي الـمـجـدِ أوّلٌ وأخـيـر ... ومَـسـاعٍ صـغـيـرُهـنّ كـبـيـرُ

إنّ يـومَ الـنـيـروزِ عـاد إلـى الـعـهـ ... ـدِ الـذي كـانَ سـنّـهُ أزدشُـيـر

أنـتَ حـوّلْـتَـه إلـى الـحـالـةِ الأو ... لـى وقـدْ كـانَ حـائـراً يـسـتـديـرُ[٢]

قال أحمد بن يحيى البلاذري: حضرت مجلس المتوكل وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النيروز والمتوكل يعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك فدخلتني نفاسة فقلت: يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ فأعادوا النظر فيه وقالوا: ما نراه وما هو، فقلت: أرّخ السنة الفارسيّة بالليالي والعجم تؤرّخ بالأيام واليوم عندهم أربع

---

(١) هذا خلاف المشهور إذ أنه مكث ثلاثة أيام في الغار وعشرة أيام بين مكة والمدينة ووصل (١٢) ربيع الأول إلى قباء قرب المدينة. انظر: «مروج الذهب» للمسعودي (٢/ ٢٧٩).

(٢) الأبيات للبحتري، والبيت الثاني نصه في «الديوان» كما يلي:

إنّ هـذا الـنـوروز عـاد إلـى الـعـهـد الـذي سـنّـه أردشـيـر

وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر والعرب تؤرّخ بالليالي لأن سنتهم وشهورهم قمريّة وابتداء رؤية الهلال بالليل قال: فشهدوا بصحّة ما قلت واعترف إبراهيم وقال ليس هذا من علمي، قال: فخفّ عني ما دخلني من النفاسة، ثم قُتِلَ المتوكل قبل دخول السنة الجديدة وولي المنتصر واحتيج إلى المال فطولب به الناس على الرسم الأول وانتقض ما رسمه المتوكل فلم يُعمل به حتى ولي المعتضد فقال ليحيى بن علي المنجم قد كثر ضجيج الناس في أمر الخراج فكيف جَعَلَتِ الفُرسُ مع حكمتها وحسن سيرتها افتتاحَ الخراج في وقت لا يتمكن الناس من أدائه فيه قال فشرحتُ له أمره وقلتُ ينبغي أن يُردّ إلى وقته ويلزم يوماً من أيام الروم فلا يقع فيه تغيير فقالَ ٱلْحَقْ عبدَ الله بن سليمان فوافِقْهُ على ذلك فصرتُ إليه ووافقته وحسبْنا حسابَهُ فوقع في اليوم الحادي عشر من حزيران وأحكم أمره على ذلك وأُثبت في الدواوين وكان النيروز الفارسي في وقت نقل المعتضد له يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين ومائتين ومن شهور الروم الحادي عشر من نيسان فأخّره حسبما أوجبه الكبسُ ستين يوماً حتى رجع إلى وقته الذي كانت الفرس تردّه إليه وكان قد مضى لذلك مائتان واثنتان وثلاثون سنة فارسية تكون من سِنِيِّ العرب مائتين وتسعةً وثلاثين سنة وبضعة عشر يوماً ووَقَعَ بعد التأخّر يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين ومائتين ومن شهور الروم الحادي عشر من حزيران انتهى ما حكاه العسكريُ.

قلت قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] الآية. في النسيء قولان الأول أنه التأخير قال أبو زيد نسأت الإبل عن الحوض إذا أخّرتها وكأن النسيء عبارة عن التأخير من شهر إلى شهر آخر والثاني هو الزيادة. قال قطرب: نسأ الله في الأجل إذا زاد فيه والصحيح الأول نسأتِ[١] المرأةُ إذا حملتْ لتأخير حيضها ونسأتُ اللبن إذا أخّرته حتى أكثر الماء فيه. كانت العرب تعتقد تعظيم الأشهر الحرم تمسكاً به من ملّة إبراهيم عليه السلام وكان يشقّ عليهم الكفّ عن معايشهم وترك الإغارة والقتال ثلاثة أشهر على التوالي فنسئوا أي أخّروا تحريم ذلك الشهر إلى غيره فأخّروا حرمة المحرم إلى صفر فيحلّون المحرم ويحرّمون صفر وإذا احتاجوا إلى تحريم صفر أخّروه إلى ربيع الأول هكذا كلّ شهر حتى يدور التحريم على شهور السنة كلها فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه وذلك بعد دهر طويل فخطب ﷺ في حجّة الوداع وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعةٌ حُرُمٌ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم وواحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان[٢] ووقف ﷺ بعرفة في حجّة الوداع يوم التاسع وخطب بمنى يوم العاشر وأعلمهم أن

---

(١) هذا على صيغة المجهول على ما صرّح في «اللسان» فيلزم أن يُكتب «نسئت».

(٢) رواه «مسلم» رقم الحديث (١٦٧٩) (ج ٣/ ١٣٠٥)، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما وُضع عليه حساب الأشهر يوم خلق الله السمواتِ والأرضَ وأمرَهُمْ بالمحافظة عليها لئلا تتبدّل فيما يأتي من الزمان.

وأول من نَسَأ النسيءَ بنو مالك بن كنانة أبو عبيد بنو فُقيم من كنانة، أو أوَّل مَنْ فعل ذلك نُعيم بن ثعلبة من كنانة وكان يكون الموسم فإذا همّ الناس بالصدر قام فخطب وقال: لا مردَّ لما قضيتُ فلا أُعابُ ولا أحابُ[١] فيقول له المشركون: لبّيك فيسألونه أن ينسئهم شهراً يُغيرون فيه فيقول فإنّ صفراً العامَ حرامٌ فيحلّون الأوتار وينزعون الأسِنَّة الأزجّة وإن قال حلالٌ عقدوا الأوتار وشدّوا الأزجّة وأغاروا. وكان من بعده جُنادة بن عوف وهو الذي أدركه النبي ﷺ وكان يقال له القملّس[٢]، أو أول من نسّى النسيء عمرو بن لحَي بن قمعة بن جُندُب[٣].

الفصل الثاني

تقول العرب أرّختُ وورّختُ فيقلبون الهمزة واواً لأن الهمزة نظير الواو في المخرج فالهمزة من أقصى الحلق والواو من آخر الفم فهي محاذيتها ولذلك قالوا في وَعَدَ أَعَدَ وفي وُجُوه أُجُوه، وفي أثْوُب أثؤُب وأحد ووحد فعلى ذلك يكون المصدر تأريخاً وتوريخاً بمعنىً. وقاعدة التأريخ عند أهل العربية أن يؤرّخوا بالليالي دون الأيام لأن الهلال إنما يُرَى ليلاً. ثم إنهم يؤنّثون الذكر ويذكّرون المؤنّث على قاعدة العدد لأنك تقول ثلاثة غلمان وأربع جوارٍ إذا عرفتَ ذلك فإنك تقول في الليالي ما بين الثلاث إلى العشر ثلاث ليالٍ إلى بابه، وتقول في الأيام ما بين الثلاثة إلى العشرة ثلاثة أيام وأربعة أيام وبابه. فإن قلت لأيّ شيء فعلوا ذلك والتأنيث فرع على التذكير كما تقرّر في باب ما لا ينصرف لما كان التأنيث علة من الصرف. قلت لأن الأصل في العدد التأنيث لكونه جماعةً والمذكر الأصلُ فأُنِثَ الأصل في هذا الباب وبقي المذكر بغير تأنيث لأنه فرع ولأن الفرق لا يحصل إلا بزيادةٍ والزيادةُ يحتملها المذكر لأنه أخفُّ من المؤنث. وقالوا يوم واحد ويومان وثلاثة أيام وما بعده إلى العشرة فلم يضيفوا واحد ولا اثنان إلى مميّز. فأمّا ما جاء من قول الشاعر [الرجز]:

كأنَّ خُصْيَيْهِ من التدلدلِ ظرفُ عجوزٍ فيه ثِنتا حَنظلِ[٤]

---

(١) في «تفسير الطبري» لا أُجابُ.

(٢) في «لسان العرب»: القلمس.

(٣) وفيه قال النبي ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجرُّ قصبة يعني أمعاءه في النار إنّه أوّل مَن غيَّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيَّب السَّائبة ووصلَ الوصيلة وحمى الحامي.

(٤) الرجزُ لخطام المجاشعي، أو لجندل بن المثنى أو لسلمى الهذلية، أو لشمَّاء الهذلية في «خزانة الأدب» (٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠٤)؛ وبلا نسبة في «الكتاب» لسيبويه (٣/٥٦٩ ـ ٦٢٤)؛ و«لسان العرب» (١١/ ٤٩) (دلل) (٦٩٢) (هدل)؛ (١٤/ ١١٧) (ثنى)، (٢٣٠) (خصى). والشاهد فيه: إضافة «ثنتا» إلى «الحنظل» وهو اسم يقع على جميع الجنس، وحقُّ العدد القليل أن يضاف إلى الجمع القليل. وإنما جاز على تقدير: «ثنتان من الحنظل»، كما يقال أربعة كلاب على تقدير أربعة من الكلاب. وكان الوجه، أيضاً، أن يقال: حنظلتان، ولكنه بناه على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة.

فبابه الشعرُ وضرورةُ الشعر لا تكون قاعدةً. فإن قلتَ لأيِّ شيءٍ فعلوا ذلك؟ قلتُ لأنه يعود إلى باب إضافة الشيء إلى نفسه لأنك إذا قلت اثنا يومين أو واحدَ رجلٍ فاليومان هما الاثنان والواحد هو الرجل، وإذا قلت: يومٌ، ورجلان فقد دللتَ على الكمية والجنس وليس كذلك في أيام ورجال فيما فوق الثلاثة لأن ذلك يقع على القليل والكثير فيضاف العدد إليه لِتُعلم الكمية. وأضافوا العدد من الثلاثة إلى العشرة إلى جموع القلة فقالوا ثلاثة أيام وأربعة أجمال وخمسة أشهر وستة أرغفة، ولا يورد ههنا قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأنه ميّز الثلاثة بجمع الكثرة لأن المعنى كل واحدة من المطّلقات تتربص للعدة ثلاثةَ أقراءٍ ثلاثةَ أقراءٍ فلما كان مجموعُ الأقراء من المطلّقات كثيراً ميّز الثلاثة بجمع الكثرة.

ولا يُنقَض هذا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] فأتى بجمع القلّة والنفوس المتوفّاة كثيرة إلى الغاية إشعاراً بتهوين هذا الفعل في مقدور الله تعالى وكأنّ توفّي هذه النفوسِ الكثيرةِ التي عُلم كثرتُها وتُحُقّقَ تزايُدُهَا في مقدور الله تعالى كأنّه توفّي أنفسٍ قليلةٍ دون العشرة، ولا يضاف عددٌ أقلُّ من ستة إلى مُميّزَين ذكر وأنثى لأنّ كلّ واحد من المميّزين جمع وأقلّ الجمع ثلاثة، وقالوا في العدد المركب من بعد العشرة إلى العشرين ـ وهو أحد عشر وبابه ـ إحدى عشرة ليلة واثنتا عشرة ساعة وثلاث عشرة ليلة وما بعده إلى العشرين بإثبات التأنيث في الجزءين من إحدى عشرة واثنتا عشرة وحذف التأنيث من الجزء الأول في الباقي للمؤنَّث، وأحد عشر يوماً واثنا عشر يوماً وثلاثة عشر يوماً وما بعده إلى العشرين بِخُلُوّ الجزءين الأولين[1] من التأنيث وإثباته في الجزء الأول لما بعده[2] في المذكّر، والحجازيون يسكنون الشين في عشرة وبنو تميم[3] يكسرونها، وميّزوا ما بعد العشرة إلى العشرين وما بعدها من العقود إلى التسعين بمنصوب فقالوا أحد عشر كوكباً وأربعين ليلةً. فإن قلت هلاّ أجرَوْا هذا المميَّزَ مجرى ما قبل ذلك من الواحد إلى العشرة قلت أما في أحد عشر وبابه فإنَّ حقَّ الجزءِ الأخيرِ التنوينُ إنما حُذف تنوينه لبنائه من كونه مركّباً فكأنَّ التنوينَ موجودٌ في اللفظ لأنه لم يقم مقامه شيء يُبطل حكمه فكان باقياً في الحكم فمنع مميّزه من الإضافة لأنها لا تجتمع مع التنوين، وأما في عشرين وبابه لأن النون قائمة مقام التنوين التي في المفرد ولهذا تسقط مع الإضافة كالتنوين فامتنع المميّز أيضاً من الإضافة فانتصب. وأتوا بواو العطف بعد العشرين ومنعوها بعد العشرة إلى العشرين فقالوا أحد وعشرون وأحد عشر.

فإن قلتَ: ما العلة في ذلك؟ قلتُ: حذفوها ما بعد العشرة حملاً على العشرة وما قبلها من الآحاد لقربها منها على لفظ الأعداد المفردة فلما بعدت بعد العشرين عنها أتوا بالواو. فإن قلتَ: فهلاّ اشتقّوا في العشرات من لفظ الاثنين كما اشتقّوا من الثلاثة ثلاثين وهلمّ جرّاً إلى التسعين؟

---

(١) أي في أَحَدَ عشَر واثنا عشر.

(٢) أي في ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، والضمير في (لما بعده) راجع اثنا عشر.

(٣) أي أكثر بني تميم وإلاّ فبعضهم يبقيها على فتحها الأصلي. انظر: «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (٢/ ١٣٩).

قلتُ: لأن اثنين أُعرب بالألف في حالة الرفع وعشرون جَرَتْ مجرى الجمع السالم فأُعربت بالواو حالة الرفع فلو أنهم فعلوا ذلك احتاج المشتقّ في العشرات من الاثنين أن يكون له إعرابان فثنّوا عشرة فقالوا عشرون.

فإنْ قلتَ: كان يلزم على هذا أن يقولوا عَشَرون بفتح العين والشين والراء لأنها تثنية عشر؟ قلتُ: لأن الأصل ههنا كما أوردت أن يشتقّ من لفظ اثنين، وكان أول الاثنين مكسوراً فكسروا أول العشرين وسكنوا الشين طلباً للخفّة وكسروا الراء لمناسبة ما جمع بالواو والنون ألا تراهم ضمّوها في حالة الرفع؛ وأيضاً فإن العشرة تؤنّث وجمعها لا يؤنّث فكسروا أولها في الجمع لأن الكسر من جنس الياء. وقالوا مائة يوم ومائتا يوم، فجعلوا المميِّز من المائة إلى الألف وما بعده مضافاً ولم يُجروه مُجرى ما بعد العشرة إلى التسعين.

فإن قلتَ: ما العلّةُ في ذلك؟ قلتُ: لأنَّ المائةَ حُملت على العشرة لكونها عِقْداً مثلها وحملت على التسعين لأنها تليها فأُلْزم مميّزها الإضافةَ تشبيهاً بالعشرة ومُيّزت بالواحد دون الجمع تشبيهاً بالتسعين. وقالوا ثلاث مائة وأربعمائة وبابه فميّزوه بالمفرد ولم يميّزوا بالجمع فقالوا ثلاث مائين. فإن قلتَ: ما العلة في ذلك؟ قلتُ: اكتفاءً بلفظ الواحد عن الجمع قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أي أطفالاً وقال الشاعر [الكامل]:

كلوا في بعضِ بطنكمُ تَعِفُوا ... فإنَّ زمانَكُمْ زمنٌ خميصُ[1]

على أنه قد قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ﴾ [الكهف: ٢٥] بإضافة مائة إلى سنين وهذا إضافة المميَّز إلى جمع فعلى هذه القراءة أقلّ مدّة لبثهم على مذهب مَنْ يرى أن الجمع اثنان فما فوقهما تكون ستمائة سنة وتسع سنين لكونه أضيف المميَّز إلى جمع. وقالوا ألف ليلة فأَجْرَوْا ذلك في التمييز مجرى المائة. فإن قلتَ: ما العلةُ في ذلك؟ قلتُ: لأن الألف عقد كما أن المائة عقد. وقالوا ثلاثة آلاف ليلة فجمعوا الألف وقد دخل على الآحاد ولم يفرد مع الآحاد كالمائة. فإنْ قلتَ: هذا ينقض ما قررْتَهُ أوّلاً من التعليل؟ قلتُ إن الألْفَ طَرَفٌ كما أنَّ الواحِدَ طَرَفٌ لأن الواحد أول والألْفَ آخر ثم تتكرر الأعداد فلذلك أُجري مجرى الآحاد.

تنبيه لفظ ألف مذكّر والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقد تقرّر إن المعدود المذكّر يؤنَّث والمؤنّث يذكّر ولا يورد قولهم هذه أَلْفُ درهم فإن الإشارة إنما هي إلى الدراهم لا إلى الألف وتقديره هذه الدراهم أَلْفٌ وقالت العرب ألفُ صَنمٌ وألفٌ أقرع. وإذا أردت تعريف العدد المضاف أدخلتَ الأداة على الاسم الثاني فتعرّف به الأول نحو ثلاثة الرجال ومائة الدرهم كقولك غلام الرجل قال ذو الرمة [الطويل]:

---

(١) البيت بلا نسبة في «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢١٠)؛ و«الدرر» للشنقيطي (١/ ١٥٢)؛ و«شرح المفصَّل» لابن يعيش (٥/ ٨، ٦/ ٢١)، و«همع الهوامع» للسيوطي (١/ ٥٠). والشاهد فيه: استعمال «بَطْن» بمعنى الجمع، أي: بعض بطونكم.

وهل يُرجع التسليمَ أو يكشف العَمَى ثلاثُ الأثافي والرسوم البلاقع[١]

ولا يجوز الخمسة دراهم لأن الإضافة للتخصيص وتخصيص الأول باللام يُغنيه عن ذلك فأمّا ما لم يضف فأداة التعريف في الأول نحو الخمسة عشر درهماً إذ لا تخصيص بغير اللام وقد جاء شيءٌ على خلاف ذلك.

تنبيه الفصيح أن تقول عندي ثماني نسوة وثماني عشرة جارية وثماني مائة درهم لأن الياء هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالةِ الإضافةِ والنصبِ كياء قاضٍ، فإن قلت قول الأعشى[الكامل]:

ولقدْ شربتُ ثمانياً وثمانياً وثمانَ عشرةَ واثنتين وأربعاً[٢]

يخالف ذلك، قلتُ بابه الضرورة في الشعر كما قال الآخر [الوافر]:

وطِرْتُ بمنصلي في يعملات دوامي الأَيْدِ يخبطن السريحا[٣]

يريد الأيدي على أنه قد قرىء ﴿وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنشَئَاتِ﴾ [الرحمٰن: ٢٤] بضم الراء:

الفصل الثالث
في كيفية كتابة التاريخ

تقول للعشرة وما دونها: خلوْنَ لأن المميَّز جمعٌ والجمع مؤنّث، وقالوا لما فوق العشرة: خلتْ ومضتْ لأنهم يريدون أن مميَّزه واحد، وتقول من بعد العشرين لتسع إن بقين وثمان إن بقين تأتي بلفظ الشكّ لاحتمال أن يكون الشهر ناقصاً أو كاملاً، وقد منع أبو عليّ الفارسي رحمه الله تعالى أن يكتب لليلة خلتْ كما منع من صبيحتها أن يقال المستهَلّ لأن الاستهلال قد مضى، ونصَّ على أن يؤرّخ بأول الشهر في اليوم أو بليلة خلتْ منه. وقال الحريري في درة الغوّاص والعرب تختار أن تجعل النون للقليل والتاء للكثير لأربع خلون ولأربع عشرة ليلة خلت قال ولهم

---

(١) البيت في «ديوان ذي الرّمة» (ص ١٢٧٤)؛ و«الأشباه والنظائر» للسيوطي (٥/ ٢٢ ـ ٢٨٠)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٦/ ٧٦) (خمس)؛ وبلا نسبة في «شرح الأشموني» (١/ ٨٧) و«همع الهوامع» للسيوطي (٢/ ١٥٠). والشاهد فيه دخول «أل» على ثاني العدد المضاف دون أوّله، وذلك في قوله: «ثلاث الأثافي».

(٢) البيت في «لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ٨١) (ثمن)، ولم نقع عليه في ديوانه، وهو بلا نسبة في «شرح الأشموني» (٣/ ٦٢٧). والشاهد فيه قوله: «وثمانِ عشرة» حيث كسر نون «ثمانية» المركبة، بعد حذف يائها، ويجوز فتح الياء، وسكونها. وجاء المؤلف بهذا الشاهد لأن الياء هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالة الإضافة والنصب.

(٣) البيت لمضرس بن ربعي في «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١/ ٦٢)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ٨١) (ثمن) (١٥/ ٤٢٠) (يدي)؛ وله أو ليزيد بن الطثرية في «شرح شواهد المغني» للسيوطي (ص ٥٩٨)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٣٢٠) (جزز)؛ وبلا نسبة في «الخصائص» لابن جني (٢/ ٢٦٩)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٤/ ١٩٠، ٢٧١)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٢٨١) (خبط)؛ و«مغني اللبيب» لابن هشام (١/ ٢٢٥). والشاهد فيه قوله: «دوامي الأيد» حيث حذف الياء من «الأيد» للضرورة، واجتزأ عنها بالكسرة.

اختيار آخر وهو أن تجعل ضمير الجمع للكثير الهاء والألف وضمير الجمع القليل الهاء والنون المشددة كما نطق القرآن: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] فجعل ضمير الأشهر الحُرُم بالهاء والنون لقلّتهن وضمير شهور السنة الهاء والألف لكثرتها، وكذلك اختاروا أيضاً أن ألحقوا لصفة الجمع الكثير الهاءَ فقالوا: أعطيته دراهم كثيرة وأقمت أيّاماً معدودة وألحقوا لصفة الجمع القليل الألفَ والتاءَ فقالوا: أقمت أيّاماً معدوداتٍ وكسَوْته أثواباً رفيعاتٍ، وعلى هذا جاء في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وفي سورة آل عمران: ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] كأنّهم قالوا أولاً بطول المدة ثم إنهم رجعوا عنه فقصروا المدة انتهى. والواجب أن تقول في أول الشهر لليلةٍ خلتْ منه أو لغرّته أو لمستهلّه فإذا تحقّقتَ آخره قلت انسلاخه أو سلخه أو آخره. قال ابن عصفور والأحسن أن تؤرّخ بالأقلّ فيما مضى وما بقي فإذا استويا أرّخت بأيّهما شئت. قلت بل إن كان في خامس عشر قلت منتصف أو في خامس عشر وهو أكثر تحقيقاً لاحتمال أن يكون الشهر ناقصاً وإن كان في الرابع عشر ذكرته أو السادس عشر ذكرته.

فائدة: ورأيت الفضلاء قد كتبوا بعض الشهور بشهر كذا وبعضها لم يذكروا معه شهراً وطلبت الخاصّة في ذلك فلم أجدهم أتوا بشهر إلا مع شهر يكون أوله حرف راء مثل شهري ربيع وشهرَي رجب ورمضان ولم أدر العلة في ذلك ما هي ولا وجه المناسبة لأنه كان ينبغي أن يُحذف لفظ شهر من هذه المواضع لأنه يجتمع في ذلك راءان قد فرّوا من ذلك وكتبوا داود وناوس وطاوس بواو واحدة كراهية الجمع بين المثلين، وجَرَتِ العادة بأن يقولوا في شهر المحرّم شهر الله وفي شهر رجب شهر رجب الفرد أو الأصمّ أو الأصبّ وفي شعبان شعبان المكرّم وفي رمضان رمضان المعظّم وفي شوّال شوّال المبارك ويؤرّخوا أول شوّال بعيد الفطر وثامن ذي الحجّة بيوم التروية وتاسعه بيوم عرفة وعاشره بعيد النحر وتاسع المحرّم بيوم تاسوعاء وعاشره بيوم عاشوراء فلا يحتاجون أن يذكروا الشهر ولكن لا بدّ من ذكر السنة. قد يجيء في بعض المواضع نَيِّفٌ وبِضْعٌ مثل قولهم نيّف وعشرين وهو بتشديد الياء ومن قال نَيْف بسكونها فذلك لحن وهذا اللفظ مشتقّ من أناف على الشيء إذا أشرف عليه فكأنّه لما زاد على العشرين كان بمثابة المُشرِفِ عليها ومنه قول الشاعر [المتقارب]:

حـلـلـتُ بـرابـيـةٍ رأسـهـا ... عـلـى كـلّ رابـيـةٍ نـيّـفُ

واختُلف في مقداره فذكر أبو زيد أنه ما بين العقدين وقال غيره: هو الواحد إلى الثلاثة ولعلّ هذا الأقرب إلى الصحيح، وقولهم بضع عشرة سنة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر وقيل بل هو ما دون نصف العقد وقد آثروا القولَ الأولَ إلى النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٣ ـ ٤]. وذلك أن المسلمين كانوا يحبّون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهلُ كتاب وكان المشركون يميلون إلى أهلُ فارس لأنهم أهلُ أوثانٍ فلما بشّر الله تعالى المسلمين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين سُرّ المسلمون بذلك

ثم إنَّ أبا بكر بادر إلى مشركي قريش فأخبرهم بما نزل عليهم فيه فقال له أُبَيّن بن خلف: خاطِرْني على ذلك فخاطره على خمس قلايص وقدّر له مدّة الثلاث سنين ثم أتى النبيَّ ﷺ فسأله كم البضع؟ فقال ما بين الثلاثة إلى العشرة فأخبره بما خاطر به أُبَيّ بن خلف فقال ما حملك على تقريب المدة فقال الثقة بالله ورسوله فقال له النبي ﷺ عُدْ إليهم فزدهم في الخطر وَازْدَدْ في الأجل فزادهم قلوصين وازداد منهم في الأجل سنتين فأظفر الله تعالى الرومَ بفارسٍ قبل انقضاءِ الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه وكان أُبَيّ قد مات من جرح رسول الله ﷺ فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أُبَيّ فقال له النبي ﷺ (تصدَّقْ به)[1] وكانت المخاطرة بينهما قبل تحريم القمار، وقيل الذي خاطر أبا بكر إنما هو أبو سفيان، والأول أصحّ.

الفصل الرابع

النسب مما يضطرّ إليه المؤرِّخ

فأقول النسب هو الإضافة لأن النسب إضافة شيء إلى بلد أو قرية أو صناعة أو مذهب أو عقيدة أو عِلْم أو قبيلة أو والد كقولك مصريٌّ أو مِزّيٌّ أو منجنيقيٌّ أو شافعيٌّ أو معتزليٌّ أو نحويٌّ أو زُهْرِيٌّ أوْ خالديٌّ فهذا المعنى إنما هو إضافة. ولهذا كان النحاة الأقدمون يترجمونه بباب الإضافة وإنما سمّيته نسباً لأنك عرّفته بذلك كما تعرّف الإنسان بآبائه وإنما زيدُ عليه حرفٌ لنقله إلى المعنى الحادث عليه طرداً للقاعدة في التأنيث والتثنية والجمع.

فإن قلتَ: لأيّ شيءٍ اختصَّتِ الياءُ دون أُختيها الواو والألف والكلُّ من حروف المدّ واللين؟ قلتُ: لأن النسب قد تقرّر أنه إضافة شيء إلى شيء في المعنى وأثرُ الإضافة في الثاني الجرُّ، والكسرةُ من جنس الياء فناسب زيادة الياء دون الواو والألف فاعْرِفْهُ، فإنْ قلتَ فلأيِّ شيءٍ شدّدوا ياء النسب؟ قلتُ لأن النسب أبلغ في المعنى من الإضافة فشدّدوا للدلالة على المعنى لأنهم قالوا صَرْصَرَ البازي وصَرَّ الجندب، فإن قلتَ فلأيّ شيء كسروا ما قبلها؟ قلتُ توطيداً لها واعتناءً بأمرها لأن الياء لا يكون ما قبلها إلا من جنسها، إذا نسبت إلى الإسم الصحيح الثلاثي المفرد أقررته على بنائه فتقول بكريّ وعمريّ إلا أن يكون مكسورَ العين فتقل نَمَرِيٌّ ومَعَدِيٌّ وإِبَلِيٌّ ودُؤَلِيٌّ نسبةً إلى نَمِر ومَعِدة وإِبِل ودُؤِل فتفتح الميم والعين والباء والواو وإنما فعلوا ذلك فراراً من توالي الكسرات.

وإذا نسبتَ إلى رباعي أو خماسي أَقررْتَهُ على بنائه وزدته ياءَ النسب فتقول أحمديّ وسفرجليّ نسبةً إلى أحمد وسفرجل، فإن كانت عينُ الرباعي مكسورةً مثل تغلِب ويثرِب ومغرِب ومشرِق قلت: تغلَبيّ ويثرَبيّ ومغربيّ ومشِرقيّ بكسر ثالثه، وعند المبرّد الفتحُ مطّرد، وعند سيبويه مقصورٌ على السماع، وإذا نسبت إلى معتلّ الطرف محذوفه لزمك في النسب ردّ ما حُذف منه فتقول أَخَويّ وأَبويّ وذَوَويّ وعَمَويّ وغَدَويّ وعِضَويّ نسبة إلى أخ وأب وذو بمعنى صاحب وعمٍ

(١) هي قراءة الحسن البصري، وهي قراءة شاذّة وقرأ (الجواري) يعقوب وقفاً، و(الجوارِ) الباقون ولا خلاف في حذفها وصلاً.

وغَدٍ وعِضة لأنهم قالوا في التثنية أخوان وأبوان وعميان، فإن كان المنسوب إليه لم يردّ إليه ما حُذف منه بالتثنية فأنت بالخيار إن شئت رددته وإن شئت حذفته فتقول يديّ ودميّ ويدويّ ودمويّ نسبةً إلى يد ودم لأنهم قالوا يدان ودمان. فإن كان في الاسم تاء إلحاق في آخره أو همزة وصل في أوله فإنك تحذفهما فتقول أَخَويّ وَبَنَويّ نسبةً إلى أخت وبنت وابن كما قلت في مذكَّرَيْهما[١]، وهمزة الوصل إن لم تحذفها لم تردّ المحذوف وإن حذفتها لزمك ردُّها فتقول ابنيّ وَبَنَويّ وسمَويّ واسميّ. فإذا كان المنسوب إليه حرفين لا ثالثَ لهما ولم يكن الثاني حرفَ لينٍ جاز لك التضعيف وعدمه فتقول كميّ وكمّيّ بتخفيف الميم وتشديدها نسبةً إلى «كم» فإن كان الثاني حرفَ لين وجب تضعيفه فتقول فيويّ ولَوَويّ نسبةً إلى: «في ولو»، فإن كان حرفُ اللين ألفاً ضوعف وأُبدلت الثانية همزةً ثم أوليت ياء النسبة فتقول لائيّ نسبةً إلى «لا» ويجوز قلب الهمزة واواً فتقول لاويّ. وإذا نسبتَ إلى محذوفِ الأولِ سليمِ الآخِرِ لم تردَّ إليه المحذوفَ فتقول صِفيّ وعِديّ نسبة إلى صِفَةٍ وعِدَة، ولك الخيار في الصحيح فتقول ثبيّ وقليّ وثُبَويّ وقُلَويّ كما قلت في دم. فإن كان معتلّ الآخر وجب الردّ فتقول وِشَويّ وحِرَحيّ بكسر الواو وفتح الشين نسبةً إلى شية وحر وفي لغة لُغِيّ ولُغَويّ. فإذا نسبتُ إلى مضاعف الثاني لم تفكّه فتقول ربّيّ ولا تقول رَبَبيّ، نصّ عليه سيبويه. فإذا نسبت إلى المقصور حذفت ألفه خامسة فصاعداً؛ ورابعة إذا تحرّك ثاني ما هي فيه فتقول حُبارِيّ وجَمَزيّ نسبة إلى حباري وجمزي، وإن كانت الألف رابعةً وسكن ثاني ما هي فيه جاز لك حذفها وقلبها واواً مباشرةً للياء أو مفصولة بألف فتقول حُبْلَيّ وحُبْلَويّ وحُبلاويّ نسبةً إلى حُبْلي ودُنْيَويّ ودنياويّ نسبةً إلى دنيا والمختار الأول. وإذا نسبتَ إلى المقصور الثلاثي قلبت الألف واواً فتقول قَفَويّ ورَحَويّ وعَصَويّ نسبةً إلى قفاً ورحىً وعصا. وإذا نسبت إلى المنقوص حذفتَ ياءه إن كانت خامسةً فصاعداً كقولك مُعْتَدِيّ نسبةً إلى معتدٍ فإن كانت رابعةً جاز حذفها وقلبها واواً كقولك قاضيّ وقاضَويّ نسبةً إلى قاضٍ والحذف هو المختار قال الشاعر في لغة القلب [الطويل]:

وكيفَ لنا بالشُّرْبِ إن لم يكن لنا ... دراهمُ عندَ الحانَويّ ولا نقد[٢]

وقولُ الناس قَضَويّ ليس من هذا الباب وإنما هذا نسبة إلى قضا بالقصر. وإذا نسبتَ إلى المنقوص الثلاثي فليس فيه إلاّ فتح عينه وقلب الياء واواً تقول شَجَويّ ونَدَويّ نسبةً إلى شجي وندي[٣]. وإذا نسبتَ إلى ممدود فإن كانت الهمزة أصلية كقَرّاء سلمت فقلت قرّائيّ نسبةً إلى قرّاء

---

(١) يستفاد من «ألفية ابن مالك» البيت رقم (٨٧٥) (أنَّ هذا مذهب الخليل وسيبويه، وعند يونس يقال: أُخْتِيٌّ وَبِنْتِيٌّ. انظر «شرح ابن عقيل على الألفية» (٢/ ٥٢٠) (دار الفكر) (النّسَب).

(٢) البيت لتميم بن مقبل في ملحق ديوانه (ص ٣٦٢)؛ و«أساس البلاغة» للزمخشري (ص ٣١٩) (عين)؛ ولذي الرِّمة في ملحق «ديوانه» (ص ١٨٦٢)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٢٩٨) (عون)؛ وبلا نسبة في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٤١)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٢٥) (حنا) والشاهد فيه قوله: «الحانويّ» ونسبته إلى «الحانة» على غير قياس، والقياسُ: حانيّ. ونصُّ البيت في المصادر السابقة:

وكيف لنا بالشُّرب إن لم تكن لنا ... دوانيقُ عند الحانويّ ولا نقدُ

(٣) قوله (إلى شجى وندى): يلزم أن يكون (إلى شَجٍ ونَدٍ) أو أن يكون (إلى الشَّجِي والنَّدِي).

لأن التثنية قَرَّاءان وإن كانت بدلاً من ألف التأنيث قُلبت واواً فتقول: صحراويّ نسبةً إلى صحراء لأن التثنية صحراوان وإن كانت منقلبة عن أصل أو زائدة للإلحاق جاز فيها أن تسلم وأن تقلب واواً فتقول كسائيّ وكساويّ نسبةً إلى كساء لأن التثنية كساءان وكساوان. وإذا نسبت إلى مثل «ماء وشاء» قلبت الهمزة واواً فقلت ماويّ وشاويّ[١] والقصيدة ياوية وقال الراجز[الرجز]:

لا ينفع الشاويَّ فيها شاتُهُ ولا حمارُه ولا أداتُهُ[٢]

وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوه مما آخره واو سالمة بعد ألف[٣] وكذا سقاية وحَوْلايا[٤] مما الياء فيه غيرُ ثالثة قلت شَقاوي وسِقاءي وحَوْلاويّ. وإذا نسبت إلى وزن فُعَيلة فتحت ياءه وحذفت عينه فتقول جُهَنيّ ومُزَنيّ نسبةً إلى جُهَيْنَة ومُزَيْنَة وشذّ من هذا رُدَيْني وعُمَيري نسبة إلى رُدَينة وعُمَيرة.

وإذا نسبت إلى المؤنّث ولم يكن على هذا الوزن حذفت التاء أين وقعت فتقول طلحيّ ومكّيّ وبصريّ وعجوزيّ وسفرجِليّ نسبةً إلى طلحة ومكّة والبصرة وعجوزة وسفرجلة اللهم إلا ما كان على وزن فَعيلة بفتح الفاء فتقول درهم خليفتيّ نسبةً إلى الخليفة.

وإذا نسبت إلى فَعيل وفُعيل بفتح الفاء وكسر العين في الأول وضم الفاء وفتح العين في الثاني فإن كانا صحيحَيْ اللام فالمُطَّردُ في النسبة إليهما عَقيلي وعُقَيلي نسبةً إلى عَقيل وعُقَيل وقد يقال فيهما فُعَلي وفَعَلي بضم الفاء وفتحها تقول: ثَقَفي وهُذلِيّ.

وإذا نسبت إلى وزن أُميّة وطُهيّة قلت أُمَويّ وأَمَويّ بضم الهمزة وفتحها وطُهويّ وطَهَويّ بضم الطاء وفتحها والفتح على غير قياس فيهما.

وإذا نسبت إلى ما هو مضاعف إلى مثل جليلة وطويلة[٥] لم تحذف الياء لأنك لو حذفت قلت جَلَليّ وطَوَلِيّ وكان مستثقلاً فكُّ التضعيف والصواب أن تقول جَليليّ وطَويليّ. وكذلك النسبة إلى سَلول وعدوّ تقول سَلوليّ وعَدُوّيّ. وإذا نسبت إلى مركّب فإن كان المركّب جملة فعلية نسبت إلى صدر الجملة وقلت تأبّطيّ وبَرَقيّ وكُنْتيّ وكُونيّ نسبةً إلى تأبّط شراً وبَرَق نَحْرُهُ وكنتُ[٦] وإن

---

(١) يظهر من كلام سيبويه أنّه يجوز مائي وماوي وشائي وشاوي. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٨٤).

(٢) الرجز لمبشر بن هذيل الشمخي في «لسان العرب» (٤/ ٤٤٨) (شوا)؛ وبلا نسبة في «شرح المفصّل» لابن يعيش (٥/ ٥٦) والشاهد فيه قوله: «الشاوي» في النسبة إلى «الشاء» ونصُّ الرجز في «لسان العرب» (١٤/ ٤٤٨):

وربّ خرق نازح فلاته لا ينفع الشاوي فيها شاته
ولا حماراه ولا علاته إذا علاها اقتربت وفاته

(٣) قوله (وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوه مما آخره واو سالمة بعد ألف): غير واضح. كان حقُّ العبارة أن يقال: (وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوها مما آخره واو سالمة بعد ألف قلت شقاوي) بإبقاء الواو على حالها.

(٤) حوالايا: بفتح الحاء وسكون الواو وبعد الياء ألف، قرية كانت بنواحي النهروان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ١٩٧).

(٥) طويلة ليس بمضاعف.

(٦) قال أبو حيّان في «الارتشاف» فمركب الإسناد والشبيه به يحذف له الجزء الثاني فنقول في تأبّط شرّاً تأبطي، وفي كنت: كوني، وقالوا: شذوذاً: كنتي، فنسبوا إلى الجملة وكنتني فزادوا نوناً.

كان المركّب مضافاً ومضافاً إليه والأول يتعرّف بالثاني: نسبتَ إلىٰ الثاني وحذفتَ الأول كقولك بكريّ وزبيريّ وكراعيّ نسبةً إلى أبي بكر وابن الزبير وابن كراع. وإن كانا قد جُعلا بمنزلة زيد ولم يقصد تعريف الأول بالثاني نسبتَ إليهما بصيغة رباعية منحوتة منهما أي مركّبة وذلك مسموعٌ غيرُ مَقيسٍ كقولك عبدريّ وعبقسيّ وتيمليّ وعبشميّ وحضرميّ نسبةً إلى عبدالدار وعبد قيس وتيم اللات وعبد شمس وحضرموت إلا أن خِفْت التباساً في مثل امرىء القيس وعبد مناف فإنك تقول امرءيّ ومنافيّ وأجاز الجَرْمِيُّ النسبةَ إلى كلٍّ من الجزءين فتقول حضري أو موتي. وإن كان المركّب تركيب مزج فعلت به كالقسم الأول فتقول بَعْليّ ومَعْديّ وخمسيّ نسبةً إلى بعلبكّ ومعدي كرب وخمسة عشر وقاليّ نسبة إلى «قالي قلا» ومنهم من ينسب إليهما قال الشاعر[الطويل]:

تـــزوّجــتُـــهـــا رامـــيّـــةً هـــرمـــزيّـــةً بفضِل الذي أعطى الأمير من الرزقِ[1]

فنسبها إلى «رَامَ هُرْمُزْ».

وإذا نسبت إلى ما آخِرُهُ ياء كياء النسب فإن كانت رابعةً فصاعداً فحذفت وجُعل موضعها ياء النسب فتقول شافعيّ في النسبة إلى الشافعي وكذا تفعل في نحو مرميّ في الأصحّ مع كون ثاني يائيه غيرَ زايدة. ومن العرب من يحذف أول يائيه ويقلب الثانية واواً بعد فتح العين فيقول مَرْمَويّ وشَفْعَويّ.

وإذا نسبتَ إلى مجموع فإن كان جمعَ تكسير ولم يكن له واحد من لفظه مثل عباديد وشماطيط قلت عباديديّ وشماطيطيّ فإن كان للجمع واحد من لفظه ولم يكن باقياً على جمعيّته قلت أنماريّ وأنصاريّ ومدائنيّ وهوازنيّ نسبةً إلى الأنمار والأنصار والمدائن وهوازن وإن كان باقياً على جمعيته نسبت إلى واحده فقلت فَرَضيّ ورَجُليّ نسبةً إلى الفرائض والرجال وقد جاء في الشعر شاذاً قول القائل [الرجز]:

مشوَّهُ الخَلْقِ كِلابيُّ الخُلُقْ

القياس كلبيّ نسبة إلى كلاب. وزعم الخليل أن نحو ذلك مِسْمَعيّ في المَسامعة ومُهلّبيّ في المهالبة. فإن كان لا واحدَ له نسبت إليه كقولك نَفَريّ ورَهْطيّ نسبةً إلى نفرَ ورهْط فإن جمعت الجمع رددته إلى ما كان عليه فتقول في أنفار نَفَريّ وفي أقوام قوميّ وفي نسوة ونساء نِسْويّ وتقول في محاسن وأعراب محاسنيّ وأعرابيّ لأنك لو قلت عربي لتغيّر المعنى لأن الأعرابي لا يقع إلا على البدوي والعربي ليس كذلك.

وإذا نسبت إلى أبناء فارس قلت: بَنَويّ فأَجْرَوْهُ على الأصل. وإن كان الجمع جمعَ سلامة فإن كان جمعاً غير عَلَمَ حذفت الزيادتين وقلت زيديّ نسبة إلى زيدين فإن كان عَلَماً قلت زيدينيّ. وكذا في المثنّى إن كان تثنية قلت زيديّ وإن كان عَلَماً قلت زيدانِيّ وإن كان الجمع قد جُعِلَتِ

---

(١) قوله (من الرزق): في «المقرب» لابن عصفور بدلاً من هذه الكلمة من الورق بضم الواو وسكون الراء المهملة.

النونُ فيه حرفَ إعراب قلت نصيبينيّ ويبرنيّ وقنسرينيّ نسبةً إلى نصيبين ويبرين وقنسرين وكذلك حكم سنين إن جعلتها جمعاً كمسلمين قلت سَنَهيّ وسَنَويّ وسِنيّ وإن كان النون فيه حرف الإعراب قلت سِنينيّ، وإن كان الجمع سالماً بالألف والتاء فإن سمّيت رجلاً بتمرات[١] قلت في النسبة إليه تمرَي بفتح الميم وإن كان جمعاً قلت تمْزي بسكون الميم[٢] وقالوا في النسبة إلى أذرعات أذرعي وفي عانات عاني.

وأما المنسوب على غير قياس فهو ثلاثة أنواع «الأول ما كان حقُّه التغييرَ فلم يغيّروه» كقولهم في النسبة إلى سليقة سليقيّ وإلى عَميرةِ كلبٍ[٣]: عميريّ، وسَليمة: سليميّ وإلى حمراء: حمرائيّ بالهمزة وإلى بعلبكّ بعلبكّي حكاهما الكوفيون وإلى كنتُ: كنتُنيّ قال الشاعر[الطويل]:

ولستُ بكنتيٍّ ولستُ بعاجزٍ وشرُّ الرجال الكنتنيُّ وعاجزُ

«والثاني ما كان حقّه أن لا يتغيّر فغيّرُوهُ» كقولهم في النسبة إلى هُذَيل وسُلَيم: هُذَلي وسُلَمِيّ وإلى فُقَيم وقُرَيش ومُليح خُزاعة: فُقَميّ وقُرَشيّ ومُلَحيّ وفي فُقَيم دارم ومُلَيح خزيمة فُقَيْميّ ومُلَيحيّ وإلى أمْسِ والبصرة: إمْسيّ وبِصْريّ بكسر الهمزة والباء وإلى السَهل والدَهر: سُهْلي ودُهْريّ بضم السين والدال وإلى البحرين والنهرين والحصنين: بحرانيّ ونهرانيّ وحصنانيّ فرقاً بين النسبة إلى البحر والنهر والحصن وبين ما تقدم. وقالوا في النسبة إلى ما في الجسد من الأعضاء: الرُؤاسيّ والشُفاهيّ والأُياري والجُمّاني والرقَبانيّ واللحيانيّ والشعرانيّ إذا كان عظيماً في هذه الأعضاء مخالفةً للنسب إلى البلد والأب. وقالوا في الأُفق: أَفَقيّ بفتح الهمزة والفاء وفي الطَلح طُلاحيّ وفي خراسان خُراسيّ وخُرَسيّ وفي حمْض حمَضي بفتح الميم وفي حرم مكة حِرْمِيّ بكسر الحاء وسكون الراء، وفي الربيع والخريف: رِبْعيّ وخِرْفيّ بسكون الرائين والباء والخاء وفي قفا: قفيّ وفي الشأم واليمين وتهامة: شآمٍ ويمانٍ وتهامٍ ومنهم من يقول يمانيّ وشاميّ وتهاميّ كأنّ هذا نسب إلى المنسوب، وفي الروح: رُوحانيّ وإلى مرو والريّ: مروزيّ ورازيّ، قال ابن عصفور[٤]: ولا يقال في غير الإنسان إلا مرويّ.

«الثالث: ما كان حقّه أن يتغيّر ضرباً من التغيير فغيّروه تغييراً آخر» كقولهم في النسب إلى زبينة زبانيّ والي الحيرة وطيّء حاريّ وطائيّ، قال سيبويه: ما أظنّهم قالوا في طيّء طائيّ إلا فراراً من اجتماع الياءات وإلى العالية: عُلْويّ وإلى البادية: بَدَويّ وإلى الشتاء: شَتَويّ وإلى بني عبيدة:

(١) قوله (بتمرات): هكذا بالتاء المثناة في «الكتاب» لسيبويه، و«الايضاح» لأبي علي الفارسي، و«المقرب» لابن عصفور.

(٢) دليل على أنّ الكلمة بالتاء المثناة.

(٣) في «الإيضاح» لأبي علي الفارسي تحت باء الكلب كسرتان فيفهم من هذا أنه تركيب إضافي، ويُستفادُ من «القاموس» أنّ الكلب اسم قبيلة، و«العميرة» اسم بطن فتصحُّ الإضافة.

(٤) في كتابه «المقرب».

عُبُديّ بضم العين والباء[١] وإلى جذيمة: جُذُميّ بضم الجيم والذال وإلى بني الحُبْلَى من الأنصار: حُبُلِيٌّ بضم الحاء والباء وإلى دستواء وروحاء وصنعاء وبهراء: دستوانيّ وروحانيّ وصنعانيّ وبهرانيّ وروحائي أكثر وإلى حروراء وجلولاء حروريّ وجلوليّ وإلى أُمَيّة وطُهَيّة: أَمَويّ وطَهَويّ بفتح الهمزة والطاء وسكون الهاء وإلى درابجرد[٢] وامرء القيس الشاعر: دَراورديّ ومرقسيّ، وإلى سوق مازن: سُقْزَنِيٌّ وإلى سوق الليل: سُقليّ وإلى سوق العَطَش: سُقْشِيّ وإلى سوق يحيى: سُقْحِيّ وإلى دار البِطِّيخ: دَرْبَخِيٌّ[٣].

تنبيه: قد ألحقوا للمبالغة ياءً كياء النسب فقالوا أحمريّ ودوّاريّ قال الشاعر [الرجز]:

والدهر بالإنسان دَوّارِيٌّ[٤]

كما أنهم قالوا علاّمة ونسّابة وكما أشركوا بين تاء المبالغة وياء النسب للمبالغة فقد أشركوا بينهما في تمييز الجمع من الواحد فحبَشَيّ وحَبَش وزنج وزنجيّ وتركيّ وترك بمنزلةِ تمرةٍ وتمر ونَخْلة ونَخْل وبُسْرة وبُسْر وقد زادوها أيضاً لغير معنى زائد زيادةً لازمةً كحواريّ وبَرْديّ وبُخْتيّ وكُرْسيّ، وزيادةً عارضةً كقول الشاعر [الرجز]:

مثلُ الفراتيّ إذا ما طَلَما[٥]

تتمة: وقد استغنوا ببناء فعّال عن إلحاق ياء النسب كقولهم بزّاز وعطّار وحمّال وخيّاط وكلاّب وسقّاء، وقد يجيء هذا الوزن بمعنى صاحب كذا ومنه قول امرء القيس [الطويل]:

وليس بذي رمحٍ فيطعنَني به ... وليس بذي سيفٍ وليس بنبّالِ[٦]

معناه وليس بصاحب سيف وليس بصاحب نبل وعلى هذا حمل المحققون قوله تعالى:

---

(١) الصواب: بضم العين وفتح الباء. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٦٨).

(٢) درابجرد: كورة بفارس نفيسة عمرّها دراب بن فارس. انظر «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «المقرب» لابن عصفور، و«معجم البلدان» لياقوت: دربخي.

(٤) الرجز للعجاج في «ديوانه» (١/ ٤٨٠)؛ و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١/ ١٥٢)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٣٣٨)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٩٣) (قسر) و(١١٧) (قسر)؛ و«مغني اللبيب» لابن هشام (١/ ١٨) وفيه شاهدان: أولهما مجيء الاستفهام التوبيخي للمخاطب، وثانيهما قوله: (دوّاريّ) بتشديد الياء للمبالغة لا للنسب ورواية البيت في المصادر السابقة:

بكيت والمحتزن البكى ... وإنما يأتي الصبا الصبي

اطربا وأنت قنسري ... والدهر بالإنسان دوّاري

(٥) وتمام الرجز: «يقذف بالبوصي والماهر»؛ وهو للأعشى في «الصحاح» للجوهري، و«تاج العروس»، و«لسان العرب» لابن منظور أوردوه في مادة (بوص). قال في «تاج العروس»: البوصي بالضم ضرب من السفن وقال أبو عمرو: البوصي: الزورق، وليس بالملاح وهو بالفارسية: بوزي.

(٦) البيت في «ديوان امرىءِ القيس» (ص ٣٣)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٣٨٣)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٦٤٢) (نبل)؛ وبلا نسبة في «مغنى اللبيب» (١/ ١١١). والشاهد فيه قوله: «نبّال» حيث بناه على «فعّال»، والقياس: «نابل» أي: ذو نبل، ولكنه أجراه مجرى صاحب الصفة، كما قيل: بغّال وسيّاف.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] أي بذي ظلم هذا كلام الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى. قلت: معناه ليس بذي ظلم، ولا يُفهم صيغة المبالغة منه كقولنا ضرّاب وشرّاب وقتّال لأنه إذا نفيت المبالغة في الظلم فلا يلزم من نفيها نفي مطلق الظلم تعالى الله عن ذلك بل هو الحَكَمُ العَدْلَ. وكذا استَغْنَوْا ببناء فاعل بمعنى صاحب كذا عن ياء النسب فقالوا لابِنٌ وتامرٌ وطاعم وكاسٍ ورامح بمعنى ذي لبن وذي تمر وذي طعم وذي كسوة وذي رمح. وقد يستغنون بفَعِل عن ياء النسب فقالوا رجلٌ طَعِمٌ ولَبِسٌ وعَمِلٌ بمعنى ذي طعم وذي لبس وذي عمل ومنه قول الراجز أنشده سيبويه [الرجز]:

لستُ بليليّ ولكنّي نَهِرْ لا أُدلجُ الليلَ ولكن أَبتكِرْ[1]

أراد: ولكني نهاريّ أعمل في النهار وكل صانع عند العرب فهو إسكاف قال الشاعر[الرجز]:

وشُعبتَا مَيْسٍ بَراها إسكاف[2]

أي نجّار والناصح الخيّاط والنصاح الخيط والهاجريّ البنّاء والهالكي الحدّاد لأن أول من عمل الحديد الهالك والسفسير[3] السمسار والعصّاب الغزّال والقَساميّ الذي يطوي الثياب أوّل طيّها حتى تنكسر على طيها والماسخي بالخاء والحاء القوّاس.

الفصل الخامس

في بيان العَلَم والكنية واللقب وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة على اختلافها المتنوّع.

اعلم أن الدالّ على معيَّن مطلقاً إما أن يكون مصدَّراً بأبٍ أو أُمّ كأبي بكر وأبي الحسن أو كأُمّ كلثوم وأُمّ سلمة وإما أن يشعر برفعة المسمّى كأنف الناقة ومُلاعب الأسنّة وعروة الصعاليك وزيد الخيل والرشيد والمأمون والواثق والمكتفي والظاهر والناصر وسيف الدولة وعضد الدولة وجمال الدين وعز الدين وإمام الحرمين وحُجّة الإسلام وملك النحاة وأما أن يشعر بِضَعَةِ المسمّى كجُحى وشيطان الطاق وأبي العبر وجَحْظة والعَكَوَّك وقد لا يُشعر بواحد منهما بل أُجري عليه ذلك لواقعة جرت مثل غسل[4] الملائكة وحميّ الدَّبْر ومطيّن وصالح جَزَرة والمبرِّد وثابت قُطْنة وذي

---

(١) الرجز بلا نسبة في «أوضح المسالك» لابن هشام (٤/ ٣٤١)؛ و«شرح ابن عقيل» (ج ٢/ص ٥٢٦)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٤)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٢٣٨) (نهر) و(١١/ ٦٠٨) (ليل). والشاهد فيه قوله: (نَهِر)، حيث بناه على «فَعِلَ»، وهو يريد النسب لا المبالغة.

(٢) في «لسان العرب».

(٣) السفسير: على وزن فِعليل بكسر الفاء كما في «القاموس المحيط» و«لسان العرب».

(٤) الصواب: غسيل الملائكة كما في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي في الباب الثالث، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ٧٥ ـ ١٢٣).

الرِّمّة والصَعِق وصُرّدُرّ وحَيْصَ بَيْص فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب وإلا فهو الاسم الخاصّ كزيد وعمرو وهذا هو العَلَم، وقد يكون العلم مفرداً كما تقدم وقد يكون مركّباً إما من فعل وفاعل كتأبط شرّاً وبَرَقَ نحرُهُ[1] وإما من مضاف ومضاف إليه كعبد الله وإما من اسمين قد رُكّبا وجُعِلا بمنزلة اسمٍ واحد كسيبويه، والمفرد قد يكون مرتجلاً وهو الذي ما استُعمل في غير العَلَمية كمَذْحِج وأُدَد وقد يكون منقولاً إما من مصدر كسعد وفضل أو من اسم فاعل كعامر وصالح أو من اسم مفعول كمحمد ومسعود أو من أفعل تفضيل كأحمد وأسعد أو من صفة كثقيف وهو الدرب بالأمور الظافر بالمطلوب وسلول وهو الكثير السلّ وقد يكون منقولاً من اسم عين كأسد وصقر وقد يكون منقولاً من فعل ماضٍ كأبان وشمّر أو من فعل مضارع كيزيد ويشكر.

ثمرة هذا المطلوب: إذ قد عرفتَ العلم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب تُقدّم اللقب على الكنية والكنية على العَلَم ثم النسبة إلى البلد ثم إلى الأصل ثم إلى المذهب في الفروع ثم إلى المذهب في الاعتقاد ثم إلى العِلْم أو الصناعة أو الخلافة أو السلطنة أو الوزارة أو القضاء أو الإمرة أو المشيخة أو الحجّ أو الحرفة كلها مقدّم على الجميع فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامريّ إن كان وُلد بسرّ من رأى البغدادي فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الشافعي الأشعري إن كان يتمذهب في الفروع بفقه الشافعي ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري ثم تقول القرشي الهاشمي العباسي، وتقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي نسبةً إلى أستاذه الملك الصالح التركي الحنفي البندقدار أو السلاح دار، وتقول في الوزراء: الوزير فلان الدين أبو كذا فلان وتسرد الجميع كما تقدّم ثم تقول وزير فلان، وتقول في القضاة كذلك: القاضي فلان الدين وتسرد الباقي كما تقدم، وتقول في الأمراء كذلك الأمير فلان الدين وتسرد الباقي إلى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يُعْرَفُ بها قبل اللمرة مثل الجاشنكير أو الساقي أو غيرهما، وتقول في أشياخ العلم العلاّمة أو الحافظ أو المُسنِد في من عُمِّرَ وأكثر الرواية، أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه وتسرد الباقي إلى أن تختم الجميع بالأصوليّ أو النحوي أو المنطقي، وتقول في أصحاب الحِرَف: فلان الدين وتسرد الجميع إلى أن تقول الحرفة إما البزّاز أو العطّار أو الخيّاط. فإن كان النسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قلت القرشي التيمي البكري لأن قريشاً أعمّ من أن يكون تيمياً والتيمي أعمّ من أن يكون من ولد أبي بكر رضي الله عنه، وإن كان النسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت القرشي العَدَوِيّ العُمَريّ، وإن كان النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت القرشي الأموي العثماني، وإن كان النسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت القرشي الهاشمي العلوي، وإن كان النسب إلى طلحة رضي الله عنه قلت القرشي التيميّ الطلحي، وإن كان النسب إلى الزبير رضي الله [عنه] قلتَ: القرشي الأسدي الزبيري، وإن كان النسب إلى سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قلت: القرشي الزُّهري السَعْدِيّ، وإن كان النسب

(١) نقص في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

إلى سعيد[1] رضي الله عنه: قلت القرشي العدوي السعيدي إلا أنه ما نُسِبَ إليه فيما عُلِمَ، وإن كان النسب إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قلت القرشي الزهري العوفي من ولد عبد الرحمن بن عوف، وإن كان النسب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح قلت القرشي من ولد أبي عبيدة، على أنه ما أعقب.

هذا الذي ذكرته ههنا هو القاعدة المعروفة والجادّة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم وإن جاء في هذا الكتاب في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير فإنما هو سبق من القلم وذهول من الفكر وإنما قرّرت هذه القاعدة ليُرَدّ ما خالف الأصل إليها وبالله التوفيق.

تنبيه: كلما رفعتَ في أسماء الآباء والنسب وزِدْتَ انتفعتَ بذلك وحصل لك الفرق، فقد حكى أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني قال: حججتُ في سنة وكنت بمنىً أيامَ التشريق فسمعت منادياً ينادي يا أبا الفرج فقلت: لعله يريدني ثم قلت في الناس كثير ممن يكنى أبا الفرج فلم أجبه ثم نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت بإجابته ثم قلت قد يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج فلم أجبه فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء فلم أجبه فنادَى يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني فقلت لم يبق شكٌ في مناداته إياي إذ ذكر كنيتي واسمي واسم أبي وبلدي فقلت هأنذا فما تريد فقال: لعلك من نهروان الشرق فقلت: نعم، فقال: نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق ذلك» انتهى.

وكذلك الحسن بن عبد الله العسكري أبو أحمد اللغوي صاحب كتاب التصحيف والحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال صاحب كتاب الأوائل كلاهما الحسن بن عبد الله العسكري، والأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة والثاني كان موجوداً في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعِلْم وتقاربا في الزمان ولم يفرق بينهما إلا بالكُنية لأن الأول أبو أحمد والثاني أبو هلال والأول ابن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد ولهذا كثيرٌ من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بينهما ويظنّون أنهما واحد وستقف إن شاء الله تعالى على ترجمتهما في مكانهما.

وكذلك أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي هذه الكنية والاسم واسم الأب والنسبة إلى البلد وإلى المذهب الجميع مشترك بين الإمامين المشهورين أحدهما الفقيه المحدِّث الأصولي اللغوي الشاعر المعروف بالقفّال الكبير والآخر الفقيه صاحب الطريقة المشهورة والأول وفاته سنة خمس وستين وثلاثمائة والثاني وفاته سنة خمس وثمانين وأربعمائة والأول محمد بن علي بن إسماعيل والثاني محمد بن علي بن حامد، وكذلك محمد بن علي كلاهما شرح المقامات الحريرية أحدهما محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله يعرف بابن حميدة الحِلّي توفي سنة خمسين

---

(١) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل زوج فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر رضي الله عنه وأبوه زيد بن عمرو أحد الموّحدين الحنفاء في الجاهلية، لم يدرك الإسلام، وزيد ابن عم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ هو عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزّى.

وخمس مائة والآخر محمد بن علي بن عبد الله أبو سعيد الجاواني الحلّوي وتوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة وسوف يمرّ بك في تراجم هذا الكتاب من الأسماء والكُنى والنَّسَبِ والمذاهب والصناعات وغيرها ما تشاهد منه العجب.

الفصل السادس
في الهجاء

وهو معرفة وضع الخط ورسمه وحذف ما حُذف وزيادة ما زِيدَ وإبدال ما أُبدل واصطلاح ما تواضع عليه العلماء من أهل العربية والمحدّثين والكُتَّاب وهذا الباب جليل في نفسه قلّ من أتقنه، والمحدِّثُ والمؤرِّخُ شديدُ الحاجةِ إليه فأذكر هٰهنا مُهِمَّ هذا الباب فأقول: أكثر ما تجري أوضاعُ الكتابة التي تحتاج إلى البيان في الهمزة والألف والواو والياء.

الهمزة همزتان: همزة قطع وهمزة وصل فهمزة القطع إن كانت مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ووقعت اولاً في اسم أو فعل أو حرف كتبت ألفاً نحو أحمد وأُبلُم وإثمد أو أخذ وأكرم واستخرج أو إنّ وأنّ وزاد بعضهم أن جعل علامةَ الهمزةِ وحركتها في الضمّ والفتح من فوق الألف وفي الجرّ من تحت الألف، فإن وقعت الهمزة حشواً[1] فإن كانت ساكنة في نفس الكلمة كتبت حرفاً من جنس الحركة التي قبلها نحو سؤر ورأس وبئر، وإن كانت متحركة فإن كان ما قبلها ساكناً كتبت على نحو حركة نفسها نحو أرؤس وأرأف وأسئر، وإن كان ما قبلها متحركاً فإن كان مضموماً أو مفتوحاً أو مكسوراً فالمضموم تكتب همزته المفتوحة والمضمومة واواً نحو جُؤَن وذُؤوب والمفتوح تكتب همزته على جنس حركة نفسها نحو لَؤُم وسَألَ وسَئِم والمكسور تكتب همزته ياء نحو سُئِل[2]، وإن وقعت الهمزة طرفاً فإن كان ما قبلها ساكناً لم تثبت لها صورة نحو الخبء والدفء والجزء وبعضهم كتبها إن وقعت طرفاً في المضاف على جنس حركة ما قبلها نحو هذا امرؤ القيس ورأيت امرأ القيس ومررت بامرئ القيس وكذا إذا اتصلت الهمزة المتطرفة بضمير مثل هذا جزؤه ورأيت جزأه ومررت بجزئه وبعضهم حذفها واستغنى بالضبط. فإن كانت فاء الفعل همزة واتصلت بكلام قبلها كتبت بعدها على الصورة التي يبتدأ فيها بالهمزة نحو قلتُ له ائتِ زيداً والذي اؤتُمِن. وإن وقعت الهمزة بعد مُدَّةٍ فإن كانت في مُنْصَرِفٍ كُتبت في المنصوب ألفاً فتقول لبست قباأً وشريت كساأً بألفين وكُتبت في المرفوع والمجرور وغير المنصرف بألفٍ واحدةٍ نحو هذا رداءٌ وسوداءُ ومررت بكساءٍ وحمراءَ، فإن كان الممدود مثنّى كُتب على ما تلفظ به تقول هذان كساآن وابتعت كساأين، وإن أضيف الممدود إلى مضمر رفعْتَهُ بواو ونصبته بألف وجررته بياء

---

(١) حشواً: أي في وسط الكلمة.

(٢) قوله (والمكسور تكتب همزته ياءً نحو: سئل): أي سواء كانت الكسرة حركة الهمزة أو حركة ما قبلها نحو: وِئام ـ يُبطئون ـ بِئر وقوله (ياءً): هو ما يعبَّر عنه بالنبرة.

فتقول هذا عطاؤك وكمّلْت عطاأك والأحسن حذفها في حالة النصب فتقول: كمّلت عَطَاءك وفي الجرّ تقول وصلت إلى عطائك.

وأما **همزة الوصل** فقد حذفت في مواضع منها إذا اتصلت باسم الله تعالى خاصّةً نحو بسم الله لكثرة دورها في الكلام ولم يفعلوا ذلك في باقي أسماء الله الحسنى في مثل باسم ربك وباسم الرحمن وأجاز الكسائي الحذفَ في هذا، فإن اتصلت بغير الباء لم تحذف كاسم الله ولاسم الله. ومنها همزة (ابن) إذا ما وقعت بين عَلَمين فتكتب أحمد بن محمد فإن كانت بين غير علمين كعلم وكنية وبالعكس أو غير الكنية فتكتب محمد ابن أبي بكر ومحمد ابن جمال الدين ومحمد ابن الأمير وغيره وبعضهم أجراها على الحذف في هذه المواطن ولا أرضاه، فإن وقع (ابن) أولَ السطر وهو بين علمين أثبتت ألفه وبعضهم أجراه في (ابنة) فقال فاطمة بنة محمد ولا أراه لقلّته ولإلباسِهِ.

الألف حُذفت في (يا) حرف النداء نحو (يٰرسول الله) لكثرة دوره في الكلام ولم تحذف في يا محمد يا جبال يا رحمان، وحذفوا ألف المنادى العَلَم من أوله نحو يابراهيم ياسمعيل ياسرائيل، وحذفوها في الأعلام مثل الحرث وخلد وابرهيم واسمعيل وإسحق وهرون ومَرْوَان وسليمن وعثمن، وحذفوها في السموات ومن ثلثة وثلثين وثمنية وثمنين وحذفوا ألف الاستفهام في نحو عمّ وفيم وحتّام، وألف هؤلاء وأولئك وهذا وهذاك وهكذا والسلٰم ومسئلة والقيمة والملئكة وسبحنه وههنا وحينئذ وليلتئذ وساعتئذ، وزيدت في الأفعال الماضية والمضارعة المتصلة بالضمائر في مثل قاموا ولم يقوموا فرقاً بين فعل الجماعة والمفرد في مثل هو يغزو ويدعو ويحدو ورأيت جماعةً لم يزيدوا هذه الألف وكتبوا (قالوا ولم يقولو) بغير ألف فيهما اتكالاً على بيان القرائن من سياق الكلام ولم يثبتها المحققون ولكنها في رسم المصحف الكريم، وقالوا مائة ومائتان فرقا بين مئة[1] ومئين جمع مائة وبين ما ذكر.

الواو حذفت في مثل داود وطاوس وناوس ويؤده ويسؤه وينؤه والمؤدة[2] وهي ثلاث واوات، وزيدت في مثل عمرو رفعاً وجرّاً فأما في النصب فلا فرق بينه وبين عمر لأنه في النصب يكتب ألفاً بدلاً من التنوين ولا تنوينَ في عمر، وبعضهم يكتب علي بن أبو طالب رضي الله عنه ويلفظ به أبي بالياء. وزادوها في أولئك فرقاً بينها وبين إليك كما كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو نظراً إلى الأصل فإن أُضيفت إلى الضمير به إلى اللفظ فكتب صلاتك وزكاتك وحياتك وبعضهم أقرّ الواو في هذه الحالة أيضاً. وأما رسم المصحف ففيه واوات لم يكتبها العلماء إلاّ في

---

(١) صوابه: (منه) كما هو منصوص في «أدب الكاتب» وهذا نصه: «ومائة زادوا فيها الألف ليفصلوا بينها وبين منه». وكذا في «صبح الأعشى» (٣/ ١٧٩) وهذا نصه: «الألف تزاد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقاً بينها وبين (منه).

(٢) الصواب: تكتب بثلاث واوات (الموؤودة).

المصحف فقط مثل: ﴿الْمَلَؤُا﴾[١] و﴿أَلَمْ يَأْتِكُم نَبَؤُا﴾ [إبراهيم: ٩] و﴿الرِبَوْا﴾[٢] ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ﴾ [يونس: ٢٧] وكتبوا يَاوُخَيّ[٣] بالواو حالة التصغير لئلا يبهم بيا أخي مكبّرا.

الياء أثبتت في المنقوص إذا كان معرَّفاً بالألف واللام نحو الداعي والقاضي فإن كان نكرة أو غيرَ منصرف حذفت الياء في الرفع والجرّ نحو هذا قاضٍ وجوارٍ وتثبتها في النصب نحو رأيت قاضياً وجواريَ، ومذهبُ يونس كتابة الجميع بالياء لأنَّ الخط جارٍ مجرى الوقف والأحسن الأول، وكل ياء وقعت طرفاً في القافية فالأولى حذفها كقوله: [الطويل]:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ[٤]

وقوله [الوافر]:

وأنت على زمانكِ غيرُ زارِ

وإن كانت للإضافة فالأولى إثباتها كقوله: [الطويل]:

على النحر حتى بلّ دمعِيَ محملي

وقول الشاعر [الرمل]:

أَبلِغِ النعمانَ عنّي مألكاً أنه قد طال حَبْسِي وانتظارِي[٥]

فمنهم مَنْ أثبتَ الياء ومنهم مَنْ حذفها، وكتبوا إحديهما بالياء نظراً إلى حالة تجرّدها عن الضمير.

وقد يُحتاج إلى معرفة ما ومن ولا واللام إذا كانت أول كلمة ودخلت آلة التعريف عليها: أما «ما» إذا اتصلت بكلام قبلها فمنه ما يحسن أن يوصل به ومنه ما يحسن أن يفصل عنه ومنه ما يلزم وصله ومنه ما لا يحسن، فإن كانت حرفاً كتبت موصولة نحو إنما زيد قائم وأينما تكن أكن وكأنّما زيد أسد وكلما وأما، فإن كانت اسماً موصولاً بمعنى الذي كتبت مفصولة نحو إنّ ما فعلت

---

(١) لفظ «الملأ» ورد في «القرآن الكريم» في اثنين وعشرين موضعاً بدون إضافة إلى الضمير.

(٢) لفظ «الربا» ورد في تسعة مواضع في «القرآن الكريم».

(٣) لعله (ياؤخي) كما في «أدب الكاتب» لابن قتيبة و«صبح الأعشى» (٣/ ١٨٣): «يأوخي».

(٤) صدرُ بيتٍ وعَجُزُهُ:

.... بسقط اللِّوَى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

وهو لامرىء القيس في ديوانه (ص ٨)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٤/ ٢٠٥)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٢٠٩) (قوا)؛ و«همع الهوامع» للسيوطي (٢/ ١٢٩). والشاهد النحوي فيه قوله: «فحومل» حيث الفاء بمعنى الواو غير مفيدة الترتيب. وقيل: هي على أصلها، والمعنى: بين أماكن الدخول، فأماكن حومل، فالبيت يؤوَّل على حذف المضاف.

(٥) البيت لعدي بن زيد العِبَاديّ في «ديوانه» (ص ٩٣)؛ و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢/ ٩٤) و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٣٥). والشاهد فيه قوله: «مألكاً» في جمع «مألكة» بمعنى رسالة، وقيل: أراد مألكة، فرخّم ضرورة.

حسنُ وأين ما وعدتني به، فأما إذا اتصلت بحروف الجرّ فلا تكتب إلا موصولة نحو بما ولما وفيما وممّا وعمّا.

وأما «مَنْ» فكذلك نحو بمن وفيمن وعمن وممن ولمن. وأما «لا» فقد كتبوها مع «كي» موصولة ومفصولة نحو «كي لا» و«كيلا»، وإن اتصلت بأن الناصبة للفعل حذفت النون وأدغمت في لام «لا» نحو أريد ألاّ تفعل كذا، فإن كانت الخفيفة من أنّ الثقيلة فصلت في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيهِمْ قَوْلاً﴾ [طه: ٨٩] فأما إذا دخلت «لا» على «إنْ» الشرطية فالأولى فصلها كقوله تعالى: ﴿إلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾[الأنفال: ٧٣]، وقد كتبوا لئلاَ جملةً واحدةً وهي ثلاثة ألفاظ «لام كي» و«أن الناصبة» و«لا» النافية، لأن اللام لا تقوم بنفسها فوُصلت بأن ووصلت أنْ بلا لأنها ناصبة وكتبت همزتها ياءً للكسرة قبلها وادغموا النون في اللام.

وأما «اللام» فكل كلمة أولها لام ودخلت آلة التعريف ادغمت فيها لفظاً وأُظهرت خطّاً نحو الليل واللحم واللجام وقد كتبت المغاربة اليل على رسم المصحف ولم يستعمله أهل المشرق.

وأما «الذي» فإنهم كتبوها بلام واحدة طلباً للإختصار لكثرة دورها بخلاف اللَّذَيْنِ مثنى الذي واللتَيْن مثنّى التي لأنهما أقلُّ وقوعاً من الذي والَّذِينَ جمعاً والتي.

تنبيه لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ويبتدأ بالمضاف إليه في السطر الثاني كعبد الله وأبي بكر والمغاربة يفعلون ذلك وليس بحسنٍ، وأبلغُ من هذا أن يكتبوا الكلمة الواحدة مفصولة الحروف في السطرين كالزاي والياء والدال والواو في السطر الأول آخراً والنون من تتمة زيدون في أول السطر الثاني وهو أقبح من الأول.

قاعدة: لا تنقط القاف ولا النون ولا الياء إذا وقعن أواخر الكلم، برهانه أن الإعجام إنما أُتِيَ به للفارق فإن صورة الباء والتاء والثاء والحاء والخاء والدال والذال متشابهة والقاف والنون والياء آخر الكلمة لا تشبهها صورة أخرى أما إذا وقعن في بعض الكلمات وجب نقطهن لأن الفارق بطل.

«تذنيب» رأيتُ أشياخَ الكتابة لا يشكّلون الكاف إذا وقعت آخراً ولا يكتبونها مُجلَّسَةً أما إذا وقعت أولاً في بعض الكلمة حشواً فإنهم يجلّسونها ويشكّلونها بردّة الكاف، ورأيتهم لا يجوّزون في السطر الواحد أكثرَ من ثلاث مدّات فأما الكلمة نفسها فلا يمدّون فيها إلا بعد حرفين ويعدّون ذلك كُلَّهُ من لحن الوضع في الكتابة.

«تتمة» جرت العادة من قديم الزمان وهَلُمَّ جرّاً إلى هذا الزمان باقتصار المحدّثين على الرمز في حدَّثنا وأخبرنا واستمرّ الاصطلاح عليه لكثرة دوره في الكلام وهو حسن فيكتبون من حدثنا الثاء والنون والألف فيكون صورة ما بلا نقط ويكتبون من أخبرنا الألف والنون والألف فيكون صورة أبا بلا نقط هكذا في الاثنين بالعطف من الألف ولا تكون إلا مائلة بتدوير غير منتصبة على الاستواء. ولم يكفِهم هذا حتى حذفوا «قال» جملةً كافيةً إذا وقعت بين فلان وبين أخبرنا وبعضهم حذفها خطّاً ولفظاً والأحسن حذفها خطّاً وإثباتها لفظاً.

وإذا كان للحديث إسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى آخر صورة ح وهي حاء مهملة والمختار أنها مأخوذة من التحويل وأن يقول القارىء إذا انتهى إليها ح وقيل إنها من حَالَ بين الشيئين ويقال إن أهل المغرب إذا وصلوا إليها قالوا الحديث، وقد كتب جماعة من الحفّاظ موضعها «صح» يُشعر بأنها رمز، هكذا ذكره الشيخ مُحيي الدين النووي رحمه الله تعالى، وهي كثيرة في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وجرت عادة المحدّثين والمؤرّخين والأدباء إذا جاء ذكر آية من القرآن الكريم أو حديث مشهور أو بيت شعر اشتهر أو تقدّم ذكره آنفاً أن يذكر أول الآية ثم يقول: «الآيةَ» بالنصب على إضمار أريدُ أو أعني وكذا يذكر لفظاً من الحديث ويقول الحديثَ وأول البيت ويقول البيتَ وبعضهم يقرأ الآية ويكمل الحديث إن كان يحفظه وهو الأحسن وبعضهم يقتصر على لفظه كما هو مكتوب لكنه يحسن أن يقف عليه قليلاً.

ولما اشتهر بين المحدّثين هذه الكتب الصحاح البخاري ومسلم والموطّأ والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه جعلوا رمزاً لكل اسم منهم فجعلوا للبخاري «خ» ولمسلم «م» وللموطأ «ط» وللترمذي «ت» وللنسائي «ن» ولأبي داود «د» ولابن ماجه «ق»[1] وإنما رمزوا القاف وإن لم يكن في شيء من اسمه لأنهم لو رمزوا له بالجيم لاشتبه حينئذ بالخاء للبخاري في الصورة فجعلوا القاف رمزاً لأنه من قزوين.

الفصل السابع

جرت عادة المؤرّخين أنهم يرتّبون مصنّفاتهم إما على السنين وهو الأليق بالتاريخ لأن الحوادث والوقائع تجيء فيه مرتّبة متتالية ومنهم من يرتّبها على الحروف وهو الأليق بالتراجم فإن الرجل المذكور في الحرف يُذكر ما وقع له في السنين المتعددة في موضعه دفعةً واحدةٍ إما بإجمال وهو الأكثر وإما بتفصيل وهو قليل، وأحسن ترتيب في الحروف ما رُتّب على حروف أهل المشرق هي ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء ثم تسرد متماثلين متماثلين إلى كاف لام ميم نون هاء واو لام ألف ياء، وبعضهم قدّم الواو على الهاء ومنهم الجوهري في صَحاحه، فأما حروف المغاربة فإنهم وافقوا المشارقة من أولها إلى الزاي ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء وترتيب المشارقة أحسن وأنسب لأنهم أثبتوا الألف أوّلاً وأتوا بالباء والتاء والثاء ثلاثة وبعدها جيم حاء خاء ثلاثة متشابهة في الصور أيضاً ثم إنهم سردوها كل اثنين اثنين متشابهين إلى القاف وأتوا بعد ذلك بما لم يتشابه فكان ذلك أنسبَ، وبعضهم رتّب ذلك على حروف أبجد وليس بحسن، وبعضهم رتّب ذلك على مخارج الحروف وَهُمْ بعض أهل اللغة كصاحب المحكم والأزهري، والتحقيق أن تقول همزه ألف باء تاء ثاء فإن الهمزة غير الألف وهذه النكتة تنفع من يرتّب الشعر على القوافي فيذكر الهمزة أولاً والألف ثانياً ويجيء فيها المقصور كلّه.

---

(١) قوله لابن ماجه (ق): أخذوها من نسبته (القزويني) وبعضهم يرمز له (٥) أو (جه).

«كيفية ضبط حروف المعجم» قالوا الباء الموحّدة وبعضهم يقول: الباء ثاني الحروف والتاء المثناة من فوق لئلاّ يحصل الشبه بالياء فإنها مثناة ولكنها من تحت وبعضهم قال ثالث الحروف والثاء المثلّثة والجيم والحاء المهملة والخاء المعجمة والدال المهملة والذال المعجمة والراء والزاي وبعضهم يقول الراء المهملة والزاي المعجمة والسين المهملة والشين المعجمة والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة والفاء والقاف والكاف واللام والهاء والواو والياء المثناة من تحت وبعضهم يقول آخر الحروف.

«تتمة» إذا أرادوا ضبط كلمة قيّدوها بهذه الأحرف على هذه الصورة فإن أرادوا لها زيادةَ بيانٍ قالوا على وزن كذا فيذكرون كلمة توازنها وهي أشهر منها كما إذا قيّدوا فَلُوّاً وهو المهر قالوا فيه بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو على وزن عدوّ فحينئذ يكون الحال قد اتّضح والإشكال قد زال.

الفصل الثامن

الوفاة يُحتاج إلى معرفة أصلها فأقول أصل وفاة وَفَيَة بتحريك الواو والفاء والياء على وزن بقرة ولما كانت الياء حرف علة سكّنوها فصارت وَفْيَةٌ فلما سكنت الياء وانفتح ما قبلها قُلبت ألفاً فقالوا وفاةٌ ولهذا لما جمعوه رجعوا به إلى أصله فقالوا وَفَياتٌ بفتح الواو والفاء والياء كما قالوا شجرة وشجرات، وقالوا في الفعل منه تُوُفِّيَ زيدٌ بضم التاء والواو وكسر الفاء وفتح الياء فبنوه على ما لم يسمّ فاعله لأن الإنسان لا يَتَوفّىٰ نفسَه فعلى هذا الله المتوفِّيّ بكسر الفاء أو أحدُ الملائكة وزيدٌ المتوفَّىٰ بفتح الفاء وقد حُكِيَ أن بعضهم حضر جنازة فسأل بعضَ الفضلاء وقال من المتوفِّي بكسر الفاء فقال له الله تعالى فأنكر ذلك إلى أن بيّن له الغلط وقال قُل مَنْ المتوفَّى بفتح الفاء.

«منهمٌ يتعيّن ههنا ذكره» الأجل أجل واحد ليس إلاّ فإنّ بعض الناس من حكماء المسلمين كأبي الهذيل العلاّف المعتزلي ومَنْ تابعه وقال بقوله وافقوا غيرهم على القول بالأجل الطبيعي والأجل الاخترامي أما الطبيعي فهو نفاد الحارّ الغريزيّ وذهاب الرطوبة والاخترامي فهو ما يحصل من الغرق والحرق والتردّي وتفرّق الاتصال بالسيف وغيره أو دخول المنافي للحياة كالسموم أو فساد المزاج من غلبة بعض الأخلاط أو عدم التنفس من خنق أو غيره واحتجّ بقوله تعالى: **﴿ثُمّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾** [الأنعام: ٢].

والصحيح ما ذهب إليه أهل السنّة من أن الأجل واحد لا يزيد ولا ينقص كما قال تعالى **﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّر﴾** [نوح: ٤] **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾** [المنافقون: ١١] والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة، والجواب عن الآية على ما تمسّك به الخصم أن الأجل الأول إما المراد به آجال الماضين والأجل الثاني آجال الباقين الذين لم يموتوا أو الأجل الأول الموت والأجل الثاني أجل البعث يوم النشور للقيامة أو الأول ما بين خلقه إلى موته والثاني مدةُ لبثه في البرزخ أو الأول النوم والثاني الموت أو الأول مقدار ما مضى من عُمُرِ كلِّ أحدٍ والثاني مقدارُ ما بقي له من الحياة.

الفصل التاسع
في فوائد التاريخ

منها واقعة رئيس الرؤساء[١] مع اليهودي الذي أظهر كتاباً فيه أن رسول الله ﷺ أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ووقع الناس به في حيرة فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد فتأمّله وقال إن هذا مُزَوَّر فقيل له من أين لك ذلك فقال فيه شهادة معاوية رضي الله عنه وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد رضي الله عنه يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين ففرّج ذلك عن المسلمين غمّاً[٢].

وروي عن إسماعيل بن عيّاش أنه قال كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا هٰهنا رجل يحدّث عن خالد بن معدان فأتيته فقلت: أيّ سنة كتبت عن خالد بن معدان فقال سنة ثلاث عشرة يعني ومائة فقلتُ إنكَ تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين لأن خالداً مات سنة ست ومائة[٣].

وروي عن الحاكم أبي عبد الله أنه قال لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي بالشين والسين معاً وحدّث عن عبد بن حُميد سألته عن مولده فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين فقلت لأصحابنا هذا سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة. وذكر قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله قال: وجدت في كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين وذكر طائفةً من الثقات الأثبات أن هؤلاء الثلاثة تواصوا على قلب الدول والتعرّض لإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها وارتاد كلُّ واحدٍ منهم قُطْراً أما الجنابي[٤] فأكناف الإحساء وابن المقفّع[٥] توغّل في أطراف بلاد الترك وارتاد الحلاج[٦] بغداد فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن درك الامنية لبعد أهل العراق عن الانخداع، هذا آخر كلام إمام الحرمين ثم قال

---

(١) هو علي بن الحسين بن أحمد وزير القائم بأمر الله انظر هذه الواقعة في «المنتظم» لابن الجوزي (٨/ ٢٦٥)، و«المنتخل من تاريخ بغداد» لابن قاضي شهبة (١٣٩).

(٢) لقد احتلَّ التاريخ عند أهل الحديث مكانة هامّة جداً لمعرفة اتصال الأسانيد وانقطاعها، وفي الكشف عن أحوال الرواة وفضح الكذابين. قال سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ». وقال حفص بن غياث: «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين» انظر: «منهج النقد في علوم الحديث» لفضيلة أستاذنا الدكتور نور الدين عتر (ص ١٤٣).

(٣) انظر: «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص ١١٩)، ورواه أيضاً عن عفير بن معدان الكلاعي.

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن بهرام أحد زعماء القرامطة توفي سنة (٣٠١هـ) مقتولاً.

(٥) هو عبد الله بن المقفع رائد حركة إحياء التراث الفارسي توفي سنة (١٤٥هـ) انظر: «الفهرست» لابن النديم (١/ ١١٨) له الأدب الصغير والكبير.

(٦) هو الحسين بن منصور شيخ الصوفية في عصره توفي سنة (٣٠٩هـ). انظر: «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٤١ ـ ٦٩).

شمس الدين ابن خلكان وهذا لا يستقيم عند أرباب التواريخ لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد وأما الحلاّج والجنّابي فيمكن اجتماعهما ولكن لا أعلم هل اجتمعا أو لا، وذكر وفاة الحلاّج في سنة تسع وثلاثمائة وذكر وفاة الجنّابي في سنة إحدى وثلاثمائة وذكر ابن المقفع فقال كان مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفّاح والمنصور وكتب له واختصّ به وذكر أنه قتل في سنة خمس وأربعين ومائة ثم إن ابن خلكان قال: لعل إمام الحرمين أراد المقنّع الخراساني وإنما الناسخ حرّف عليه ثم فكرت في أن ذلك أيضاً لا يصحّ لأن المقنّع الخراساني قتل نفسه بالسمّ في سنة ثلاث وستين ومائة ثم قال: وإذا أردنا تصحيح ما ذهب إليه إمام الحرمين فلا يكون إلا ابن الشلمغاني لأنه أحدث مذهباً غالياً في التشيّع والتناسخ وأُحرق بالنار في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

الفصل العاشر
في أدب المؤرّخ

نقلتُ من خطّ الإمام العلامّة الحجّة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي ما صورته قال: يشترط في المؤرّخ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك وأن يسمّي المنقولُ عنه فهذه شروط أربعة فيما ينقله، ويشترط فيه أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطول في التراجم من النقول ويقصر أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جدّاً وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ وأن يكون حسن التصوّر حتى يتصوّر حال ترجمته جميعَ حال ذلك الشخص ويعبّر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه وأن لا يغلبه الهوى فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبّه والتقصير في غيره بل إما أن يكون مجرّداً عن الهوى وهو عزيز وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك طريقَ الإنصاف فهذه أربعة شروط أخرى ولك أن تجعلها خمسة لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف فيجعل حضور التصوّر زائداً على حسن التصوّر والعلم فهي تسعة شروط في المؤرّخ وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه حتى يعرف مرتبته.

وما ذكرت هذا الكلام إلا بالنسبة إلى تواريخ المتأخّرين فإنه قلّ فيها اجتماع هذه الشروط وأما المتقدّمون فإني أتأدّب معهم لكني رأيت حالَ كتابتي هذه شيئاً لا بأسَ بذكره هنا وهو أن أبا الوليد الباجيّ المالكيّ حكيي في كتابه المسمّى تاريخ الفقهاء عن غيره أن يحيى بن مَعين ضعّف الشافعيَّ فبلغ ذلك أحمدَ بن حنبل فقال هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول انتهى. قلت هذه الشروط تلزم الذي يعمل تاريخاً على التراجم، أما من يعمل تاريخاً على الحوادث فلا يشترط فيه ذلك لأنه ناقل الوقائع التي يتفق حدوثها فيشترط فيه أن يكون مثبتاً عارفاً بمدلولات الألفاظ حسن التصوّر جيّد العبارة.

الفصل الحادي عشر

في ذكر شيءٍ من أسماء كتب التواريخ المؤلّفة لمن تقدم من أرباب هذا الفن

تاريخ المشرق وبلاده:

تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر، الذيل عليه للسمعاني، الذيل عليه لابن الدُبَيْثي وفيه ما لم يذكره السمعاني وذكر من أغفله أو كان بعده، والذيل عليه لابن القطيعي، والذيل لمحبّ الدين ابن النجّار، والذيل لأبي بكر ابن المارستاني، والذيل لابن الساعي، تاريخ البصرة لابن دَهجان، تاريخ الكوفة لابن مجالد، تاريخ واسط للدُبيثي، تاريخها أيضاً لبحشل، الذيل عليه لابن الجُلاّبي، تاريخ العراق لابن القاطولي، تاريخها أيضاً لابن اسفنديار الواعظ، تاريخها لأحمد بن أبي طاهر وهو أول من وضع لبغداد تاريخاً، أخبار الموصل للخالديَّين، تاريخ حرّان لمحاسن بن خليفة الحرّاني، المُشرق في أخبار المَشرق لابن سعيد المغربي، تاريخ مَيّافارِقين لابن الأزرق، تاريخ اربل[١] لابن المستوفى، تاريخ دُنَيسر[٢] لعمر بن اللُمش، التاريخ الخاص لتكريب[٣] تاريخ الأنبار لابن الأنباري، تاريخ الموصل لابن باطِيش، تاريخ سامَرّا لابن أبي البركات، تاريخ سمرقند للإدريسي، والذيل عليه لأبي حفص النسفي، تاريخ خوارزم لمطهّر الدين الكاشي، تاريخ خراسان للأبيوردي، تاريخها أيضاً للحاكم، تاريخ مرو لابن سيّار، تاريخها أيضاً للسمعاني، تاريخ بيهق لعلي بن زيد، تاريخ جرجان للسهمي، تاريخ لعلي بن محمد الجرجاني، تاريخ ابيورد لأبي الفتيان الشاعر، تاريخ مازندران لابن أبي مسلم، تاريخ استراباد لأبي سعد، تاريخها لحمزه السهمي، تاريخ الريّ لأبي منصور الآبي، تاريخ أذربيجان لابن أبي الهيجاء الروّادي، تاريخ أصبهان لحمزة، الطبقات الأصفهانية لأبي الشيخ ابن حيّان، تاريخها أيضاً لأبي نعيم، تاريخها أيضاً لابن مَردويه، تاريخها أيضاً ليحيى بن منده، تاريخ قزوين لإمام الدين الرافعي، تاريخ همذان لشيرويه، تاريخها لصالح بن أحمد الحافظ، طبقات همذان لعبد الرحمن بن أحمد الأنماطي، تاريخ مراغة لابن المثنى، تاريخ نسف للحافظ المستغفري النسفي، تاريخ أرّان للبرذعي، تاريخ هراة لأبي إسحق البزاز، تاريخها أيضاً لأبي النضر الفامي، تاريخ بخارى للحافظ غنجار، تاريخ شيراز لأبي عبد الله القصّار، تاريخها أيضاً لهبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم ابن عساكر وهو ثماني مائة جزء يدخل في ثمانين مجلدة وهو

(١) قال في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢١٧): «تاريخ إربل» لأبي البركات مبارك بن أحمد بن المستوفي الإربلي المتوفي سنة (٦٣٧هـ) وهو كبير في أربع مجلدات سماه «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل».

(٢) دُنَيسر: بضم أوله. بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٣١٨).

(٣) لعلّ الصواب: تكريت.

تاريخ عظيم، وذيّل عليه ولده القاسم ولم يكمل، وذيّل عليه صدر الدين البكري، وذيّل عليه أيضاً عمر بن الحاجب، وتاريخ أبي شامة الدمشقي، وذيّل عليه عَلَم الدين البرزالي، تاريخ حلب للصاحب كمال الدين ابن العديم، تاريخ حمص لابن عيسى، تاريخها لعبد الصمد بن سعيد، معادن الذهب في تاريخ حلب لابن أبي طيّ.

تاريخ مصر:

تاريخ مصر لابن يونس، تاريخ مصر للأمير المسبّحي، الذيل عليه لابن مُيسّر، تاريخ مصر لأبي عمر الكندي، أخبار مصر الكبير للموفّق عبد اللطيف البغدادي الإفادة له في أخبار مصر، تاريخ مصر لقطب الدين عبد الكريم، تاريخ القاهرة لأبي الحسن الكاتب، تاريخ أسوان لابن الزبير، تاريخ مصر لابن أبي طيّ، تاريخ الصعيد لعلي بن عبد العزيز الكاتب، تاريخها لمحمد بن عبد العزيز الإدريسي.

تاريخ المغرب وبلاده:

المقتبس لابن حيّان يدخل في عشرة أسفار، المتين في تاريخ الأندلس أيضاً للمذكور وهو يدخل في ستين مجلداً، تاريخ الأندلس للحافظ الحُميدي، تاريخ ابن الفَرَضي، كتاب الصلة عليه لابن بشكوال، الذيل على ابن بشكوال لابن فرتون، والذيل أيضاً لابن الأبّار، والذيل أيضاً لأبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ولابن بشكوال تاريخ صغير في أحوال الأندلس، تاريخ قرطبة للزهراوي، تاريخ صقلية لأبي زيد الغَمري، تاريخ الأندلس لأبي عبد الله الخُشَني القيرواني، وله تاريخ القيروانيين، تاريخ المصامدة ولمتونه وصنهاجه، تاريخ القيروان لابن رشيق، تاريخ القيروان لأبي العرب الصنهاجي، تاريخها لإبراهيم الرقيق، تاريخ أفريقية لأبي محمد المالكي، تاريخ بلَنسِيَه لمحمد بن الخلف الصدفي، المغرب في أخبار أهل المَغرب لابن سعيد المغربي، المُعجب في أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المرّاكشي.

تاريخ اليمن والحجاز:

تاريخ اليمن للحميري، تاريخ الرشيد له أيضاً، تاريخ عُمارة اليمنيّ، تاريخ تاج الدين عبد الباقي اليمني، أخبار تهامة والحجاز لأبي غالب.

التواريخ الجامعة:

تاريخ ابن جرير الطبري، الذيل عليه لأبي محمد الفرغاني، تاريخ المسعودي، تجارب الأمم لابن مسكويه، الذيل عليه لمحمد بن عبد الملك الهمذاني، وللوزير أبي شجاع، الكامل لابن الأثير، الذيل عليه لابن أنجب، المنتظم لابن الجوزي، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، الذيل عليه لقطب الدين اليونيني، الجامع لابن الساعي، ترجمان الزمن لجمال الدين ابن المهنّى العلَوي، الدول لعلي بن فضّال المجاشعي النحوي، جمل تاريخ الإسلام للحافظ الحُميدي، جامع التاريخ للقاضي عياض، التعريف بصحيح التاريخ لأحمد بن الجزّار القيرواني الطبيب، درّة

الإكليل لابن الجوزي، المعارف لابن قتيبة، تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي على نمط المعارف، تاريخ ابن هلال الصابىء، الدول المنقطعة لابن ظافر، عيون السير في محاسن البدو والحضر لابن عبد الملك الهمذاني، تاريخ العميد ابن القلانسي، تاريخ ابن العميد الكاتب، شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ولغيره، المظفري وهو تاريخ كبير للمظفر ابن الأفطس، المبدأ والمآل لياقوت الحموي، الدول له أيضاً، تاريخ إبراهيم ابن أبي الدم الحموي، تاريخ إسماعيل بن علي الخطبي، تاريخ ابن زولاق، تاريخ ابن قانع المرتّب على السنين، تاريخ الأشراف الكبير والصغير للهيثم بن عدي، تاريخ البلاذري، الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني يقال إنه جمعه في خمسين سنة وقد اختاره جماعة منهم الوزير المغربي والقاضي جمال الدين بن واصل الحموي وابن الزبير وابن ناقيا الكاتب في مجلد وابن المُكرَّم ورتّبه على الحروف، ووفيات الأعيان للقاضي شمس الدين ابن خلكان، وتاريخ الإسلام لشيخنا شمس الدين الذهبي وهو كتاب علم نافع جداً قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي ﷺ وإلى آخر أيام الحسن رضي الله عنه وحوادثه إلى آخر سنة سبعمائة ولم انتفع بشيء مثله وعليه العمدة في هذا الكتاب وهو القطب لهذه الدائرة واللبّ لهذه الجملة السائرة، وله أيضاً تاريخ النبلاء، ودول الإسلام مجلّدة، وله غير ذلك، وتاريخ الشيخ عَلَم الدين البرزالي، وقد هذّبه الشيخ شمس الدين الذهبي وزاده أشياءَ من عنده، تاريخ الدوادار وهو في خمس وعشرين مجلدة، تاريخ شمس الدين الجزري.

تواريخ الخلفاء:

للشيخ شمس الدين الذهبي في أخبار الخلفاء الراشدين الأربعة كل واحد منهم رضي الله عنه مجلّدة تخصّه، سيرة العمرين، تاريخ العجم وبني أمية للهيثم بن عدي، أخبار الأُمويين لعلي بن مجاهد، أخبار الأمويين لأبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي، الإيناس في تواريخ بني العباس، الأوراق للصولي في أخبار بني العباس وأشعارهم، الدولة العباسية لمحمد بن صالح بن النطّاح، أخبار العباسيين لأحمد بن يعقوب المصري، مناقب بني العباس لليزيدي النحوي، سيرة الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكرياء الطبيب الرازي، سيرة المأمون، سيرة المعتصم، سيرة القاهر، سيرة المستضيء لابن الجوزي، سيرة الناصر، سيرة المستنصر، تواريخ الخلفاء للقضاعي، من احتكم من الخلفاء إلى القضاة لأبي هلال العسكري، تاريخ الخلفاء لابن الكردَبُوس، أخبار الخلفاء للدولابي، تاريخ الخلفاء لابن أبي الدنيا.

تواريخ الملوك:

سيرة الملوك للثعالبي، أخبار الديلم، نُصرة الفِطرة وعُصرة القَطرة في أخبار السلجوقية للعماد الكاتب، كتاب اليميني للعُتبي، سيرة السلطان جلال الدين خوارزم شاه، سيرة السلطان صلاح الدين بن أيوب للقاضي بهاء الدين بن شدّاد، الفتح القدسي للعماد الكاتب، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة لأبي شامة، مفرّج الكروب في دولة بني أيوب للقاضي جمال الدين بن واصل الحموي، المُعْلَم الأتابكي لابن أنجب، تاريخ الموحِّدين أولاد

عبد المؤمن بن علي لأبي الحجّاج يوسف بن عمر الإشبيلي، تاريخهم أيضاً لابن صاحب الصَلاة، سيرة أحمد بن طولون لابن الداية، وسيرة ابنه خُمارَوَيْه وابنه له أيضاً، سيرة الملك الظاهر طغرلبك السلجوقي لعلي بن أبي الفرج البصري، سيرة الملك الظاهر ركن الدين بَيبرس الصالحي، صاحب مصر والشام للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، سيرة الظاهر بيبرس لابن شدّاد عزّ الدين، سيرة الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي لمحيي الدين، سيرة ولده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل له أيضاً.

تواريخ الوزراء والعُمّال:

الوزراء للصُولي، الوزراء للصابىء، الوزراء للجهشياري، الوزراء لإبراهيم بن موسى الواسطي، الوزراء للصاحب ابن عَبّاد، الوزراء لعليّ بن أنجَب، الوزراء لأبي الحسن علي ابن الماشطة، الوزراء لابن الهمذاني، أخبار البرامكة لابن الجوزي، سيرة آل الفُرات، الوزراء للمطوّق عليّ بن أبي الفتح، تاريخ عُمّال الشُرَط لأمراء العراق للهيثم بن عدي.

تواريخ القُضاة:

أخبار القضاة لابن المَنداني، أخبار قضاة مصر لابن زُولاق ذيلاً على كتاب محمد بن يعقوب الكِندي، أخبار قضاة قرطُبة لابن بشكوال، تاريخ ابن ميّسر المصري، أخبار القضاة ببغداد وعدولها لعلي بن أنجب، أخبار قضاة دمشق للشيخ شمس الدين الذهبي.

تواريخ القُراء:

أفواج القرّاء لأبي الحسين ابن المُنادي، طبقات القرّاء لأبي عمرو الداني، طبقات القرّاء لأبي العلاء الهمذاني في عشرين مجلّداً، طبقات القرّاء للشيخ شمس الدين الذهبي.

تواريخ العلماء:

الطبقات لابن سَعْد، طبقات الفقهاء والمحدّثين للهيثم بن عدي، أخبار العلماء لابن عَبدُوس، أخبار علماء خراسان لأبي نصر المروزي، طبقات أصحاب الشافعي لابن باطيش، طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحق، طبقات الفقهاء لعبد الملك بن حبيب القرطُبي المالكي، طبقات الفقهاء لأبي عاصم محمد العبادي الشافعي، تاريخ علماء نيسابور للحاكم، جُذْوة المقتبس في علماء الأندلس» للحافظ الحُميدي، الخُطَب والخُطَباء لأبي عبد الله الحذّاء القُرطبي، أخبار الفقهاء الثلاثة[١] لابن عبد البرّ، طبقات الفقهاء الشافعية للشيخ محيي الدين النَوَوي، طبقات الفقهاء المالكية للقاضي عياض، طبقات الفقهاء الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى الفرّاء، طبقات الفقهاء الحنفية لصلاح الدين عبد الله بن المهندس، تاريخ العلماء لابن أبي طيّ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري النحوي المشهور توفي سنة (٥٧٧هـ). له: «أسرار العربية» و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» وغيرهما كثير. انظر: «معجم الأدباء» لياقوت (١/ ٤٨).

تواريخ الشعراء:

البارع في أخبار الشعراء لهارون بن المنجّم، أخبار الشعراء مرتّب على المعجم للصُولي، شعراء الجزيرة لابن القَطّاع، طبقات الشعراء لصاحب حَماة، طبقات الشعراء لابن المَرْزُبان، الشعر والشعراء لابن السَرّاج النحوي، شعراء الأندلس لابن الفَرضي، طبقات الشعراء لمحمد بن سلاّم البصري، طبقات الشعراء لابن قُتيبَة، النساء الشواعر لأبي الفرج الشلحي العُكْبَري الكاتب، الإماء الشواعر لأبي الفرج الأصفهاني، معجم الشعراء لياقوت الحموي، الإشارة في أخبار الشعراء لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، طبقات الشعراء لابن المُعتزّ، يتيمة الدهر للثعالبي، دمية القصر للباخَرْزي، زينة الدهر للحَظيري، الخريدة للعماد الكاتب، الذيل عليها له، قلائد العقيان، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بَسّام، أنموذج الشعراء لابن رشيق، تحفة القادم لابن الأبّار، روضة الأزهار لابن قلاقِس، الحديقة لابن أبي الصَلْت، شعراء الزمان لابن الساعي، عقود الجُمان لابن الشَعّار، جنى الجنان لابن الزُبير، شعراء المائة السابعة لابن عبد الظاهر، الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة لابن الفُوطي، أخبار شعراء الشيعة لابن أبي طيّ.

تواريخ مختلفة:

حلية الأولياء لأبي نُعيم الحافظ، ولخّصه ابن الجوزي وسمّاه صفوة الصفوة، طبقات النُسّاك لأبي سعيد بن الأعرابي، طبقات الصوفية لأبي سعيد النقّاش، طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السُلَمي، أخبار صلحاء الأندلس لابن الطيلسان القُرطبي، تاريخ الوُعّاظ لناصح الدين الحنبلي الواعظ، عُبّاد إفريقية لمحمد بن أحمد بن تميم الأفريقي، طبقات أهلها له، تاريخ الأطبّاء لابن أبي أُصَيْبعة، طبقات الحكماء لأبي القاسم بن صاعد القرطبي، أخبار الأطبّاء لابن الداية، أخبار المنجّمين له أيضاً، تواريخ الخوارج للهيثم بن عدي، الأوائل للعسكري، أخبار النحاة لابن درستويه، أخبار النُحاة للمَرْزُباني، أخبار النحاة لابن الأنباري، أخبار النحاة للصابىء، أخبار النحاة واللغويين بالشرق والغرب لأبي بكر الزبيدي، أخبار المتكلمين للمَرزُباني، طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبّار فيما أظنُّ، الفهرست في أخبار الأدباء لمحمد بن إسحاق النديم، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحفة الألبّاء في أخبار الأدباء لياقوت، الفهرست في تواريخ الأدباء لمحمد بن إسحاق النديم.

وأمّا كتب المحدّثين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم مثل الاستيعاب لابن عبد البرّ، وأُسد الغاب لابن الأثير، وغيرهما وكتب الجرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدّثين ومشيخات الحفّاظ والرواة فإنها شيء لا يحصره حدّ ولا يقصره عدّ ولا يستقصيه ضبط ولا يستدنيه ربط لأنها كاثرت الأمواجَ أفواجاً وكابرت الأدراجَ اندراجاً فلهذا لم أذكر منها هاهنا شيئاً وإذا جاء ذكر شيء منها في ترجمة من يأتي ذكره ذكرته هناك إن شاء الله تعالى. وقد آن الشروع فيما بنيت عليه هذا الكتاب من ذِكر التراجم بعون الله ومنّه لا قوة إلاّ به ولا استعانة إلا بحوله.

الترجمة الشريفة النبوية

باب محمّد

المُسمَّون بمحمّد في الجاهليّة جماعةٌ، كان النصارى وبعضُ العرب يُخْبَرُون بظهور نبيّ اسمه محمّد من العرب وكانوا يُسمّون أبناءهم محمداً رجاءً أن تكون النبوّة فيه، فمنهم محمّد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارِم التميميّ، ومحمّد بن وَبْر أخو بني عتوارة من بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة، ومحمّد بن أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوسيّ أخو بني جحْجَبا، ومحمد بن خُزاعي السامي، ومحمد بن حُمران بن مالك الجُعْفي، ومحمد بن مَسْلَمة الأنصاري أخو بني حارثة.

وأوّل من سُمّي محمّداً من أبناء المهاجرين محمد بن جعفر بن أبي طالب وُلد بالحَبَشة في الهجرة الأولى، ثم محمد بن أبي حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم محمد بن عُبَيْد الله التيمي، ثم محمد بن أبي بكر الصديق، ثم محمد بن علي بن أبي طالب، ووُلد من الأنصار محمّد بن الحُرّ بن قيس من الخزرج، ثم محمد بن ثابت بن قَيْس بن شماس من الخزرج، ثم محمد بن عمرو بن حَزم من بني النجّار، ثم محمد بن أنس بن فَضالة ولد عام حجّة الوداع.

محمّد رسول الله ﷺ
سيّدنا ومولانا وحبيبنا نبيّ الرحمة وهادي الأمّة

قال أهل العلم بسيره وأخباره هو أبو القاسم وهو المشهور وأبو إبراهيم محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النَضر بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان [البسيط]:

وكم أبٍ قد عَلا بابن ذُرَى شرفٍ　　　كما عَلا برسول الله عَدْنانُ[1]

هذا هو المتّفق على صحّته، وقال الحافظ عبد الغنيّ وغيره عدنان بن أُدَد بن المُقوَّم بن ناحُور بن تَيْرَح بن يشحب بن يَعرُب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام بن تارَح وهو آزَر بن ناحُور بن سارُوح بن راعُو بن فالَخ بن عَيْبَر بن شالَخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نُوح بن لامَك بن مَتُوشلَخ بن خَنُوخ وهو إدريس عليه السلام فيما يزعمون ـ

---

(١) البيت لابن الرومي في مدح إسماعيل بن بلبل في ديوانه (٦/ ١٧٩)؛ «خزانة الأدب» للبغدادي (١١/ ٣٨)؛ و«مغني اللبيب» لابن هشام (١/ ١١٨). والتمثيل (النحوي) به في قوله: «كما علت برسول الله عدنان» حيث أنّث الفعل «علتْ» لأنّه قصد بـ «عدنان» القبيلة لا الجدّ.

وهو أوّل بني آدم أُعطي النبوّة وخَطّ بالقلم ـ بن يَرْد بن مهْلَيل بن قَيْنَين[١] بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهذا النسب ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدنيّ في إحدى الروايات وإلى عدنان متّفق على صحّته من غير اختلاف، وما بعده مختلف فيه، وقريش فيه أقوال أشهرها هو فهر بن مالك وقيل النضر، وأمّه عليه السلام آمِنة بنت وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة، ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل قيل ثانيه وقيل ثالثه وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين وقيل بعده بأربعين يوماً. وروى ابن مَعين بإسنادٍ حسنٍ أنه ولد يوم الفيل والصحيح أنه عامَ الفيل[٢] [الكامل]. :

يـومٌ أضـاءَ بـهِ الـزمـانُ وفـتّـحـتْ   فـيـه الـهـدايـةُ زهـرةَ الآمـالِ

ومات أبوه عبد الله ورسول الله ﷺ قد أتى له ثمانية وعشرون شهراً وقيل وهو حَمْلٌ وقيل وله شهران وقيل سبعة وقال بعضهم مات أبوه في دار النابغة وقيل بالأبواء بين مكة والمدينة وقال أبو عبد الله الزُبَيْر بن بكّار الزُبَيريّ: تُوفّي عبد الله بن عبد المطّلب بالمدينة ورسولُ الله ﷺ ابنُ شهرين، وماتت أمّه وهو ابن أربع سنين وقيل ستّ، ومات جدّه عبد المطّلب ـ وكان قد كفله بعد وفاة أبيه ـ ورسولُ الله ﷺ له ثماني سنين وشهران وعشرة أيام فوَلِيَ كفالَتَهُ عمُه أبو طالب، وأرضعته حَليمة بنتُ أبي ذُؤَيْبٍ السَعْدِيَّةُ وعندها شُقَّ صدره ومُلِىءَ حكمةً وإيماناً بعد أنِ استُخْرِجَ حظُّ الشيطان منه وروى البخاريُّ شقَّ صَدْرِه ليلة المعراج واستشكله ابن حَزْم، وأرضعته أيضاً ثُوَيْبَةُ الأَسْلميّةُ جارية أبي لَهَب وأرضعت معه حمزةَ بن عبد المطّلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أرضعَتْهم بلبن ابنها مَسْرُوح، وحضَنَتْهُ أمّ أيمن بَركةُ الحبشيّة وكان ورثها من أبيه فلمّا كبر أعتقها وزوّجها زيد بن حارثة، ولما بلغ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشأم فلما بلغ بُصْرى رآه بحيرا[٣] الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده وقال هذا رسول ربّ العالمين يبعثه الله رحمةً للعالمين إنكم حين أقبلتم من العَقَبة لم يبق حجر ولا شجر إلاّ خرّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبيّ وإنّا نجده في كتبنا وقال لأبي طالب لأن قدمت به إلى الشأم

---

(١) المشهور: مهلائيلي بن قينان.

(٢) اختلف في مولده ﷺ، فذكر أنّه كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق. ويذكرون أنَّ الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً. وكانت ولادته ﷺ بالشعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت. انظر: «الروض الأنف» للسهيلي، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«الأمم والملوك» للطبري.

(٣) واسم بحيرى بحيرى بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راءٌ مقصوراً وقيل ممدوداً: هو جرجيس «بكسر الجيمين» ويقال: سرجس، كما يقال: جرجس، وكان حبراً من أحبار يهود تيماء: كما قيل إنه نصرانياً من عبد القيس، وهو ما ذهب إليه ابن إسحاق، ويقال: إنه سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتفٌ يهتف: ألا أن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، ورباب الشنى، والثالث المنتظر، فكان الثالثُ رسولَ الله ﷺ. انظر: «المعارف» لابن قتيبة، و«مروج الذهب» للمسعودي، و«الإصابة» لابن حجر العسقلاني، و«الروض الأنف» للسهيلي، و«شرح المواهب» للزرقاني.

لتقتلنه اليهود فردّه خوفاً عليه منهم، ثم خرج مرّة ثانية إلى الشأم مع مَيسرةَ غلامِ خديجة بنت خويلد في تجارة لها قبل أن يتزوّجها فلما قدم الشأم نزل تحت ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب[١] فقال الراهب ما نزل تحت ظلّ هذه الشجرة قطّ إلا نبيٌّ[٢]، وكان ميسرة يقول إذا كان الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يُظلاّنه، ولما رجع من سفره تزوّج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام وقيل غير ذلك، ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة شَهِد بنيان الكعبة[٣] ووضع الحجر الأسود بيده، ونشأ رسول الله ﷺ في قومه وقد طهّره الله تعالى من دنس الجاهليّة ومن كلّ عيب ومنحه كل خُلُقٍ جميلٍ حتى لم يكن يُعرف مِنْ بينهم إلاّ بالأمين لما رأوه من أمانته وصدق لسانه وطهارته، ولما بلغ أربعين سنة ويوماً ابتعثه الله تعالى بشيراً ونذيراً وأتاه جبرئيل عليه السلام بغار حِراء فقال: اقرأ فقال ما أنا بقارىء قال رسول الله ﷺ فأخذني فغطّني حتّى بلغ منيّ الجَهْدَ ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فقال في الثالثة ﴿**إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: ١] إلى قوله تعالى: ﴿**عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٥]، وقالت عائشة رضي الله عنها أوّل ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم وكان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحُبّبَ إليه الخلاءُ وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبُّدُ الليالِيَ ذواتِ العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّدُ لمثلها حتى جاء الحقّ رواه البخاري ومسلم[٤]، وكان مبدأ النبوّة فيما ذُكِرَ: يومَ الاثنين ثامن شهر ربيع الأول، ثم حاصره أهل مكّة في الشِّعْبِ فأقام محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته وخرج من

---

(١) وكان اسم هذا الراهب نسطورا، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره.

(٢) يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلاّ نبي، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلاّ نبي، لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإنْ كان في لفظ الخبر «قط» فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفي، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل، حتى يدري أنه لم ينزل تحتها إلاّ عيسى أو غيره من الأنبياء عليهم السلام. ويبعد في العادة أنْ تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي، إلاّ أن تصح رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية انظر: «الروض الأنف» للسهيلي.

(٣) بُنيت الكعبة خمس مرات الأولى حين بناها شيت بن آدم. والثانية حين بناها إبراهيم عليه السلام، والثالثة حين بنتها قريش هذه المرة، وكان ذلك قبل الإسلام لخمس سنين. والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير في بنائها، وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ـ وأمّا المسجد الحرام فأوّل من بناه عمر بن الخطاب ثم زاد فيه عثمان ثم زاد ابن الزبير في إتقانه لا في سعته ثم زاد عبد الملك في ارتفاع المسجد. انظر: «تاريخ مكة» للأزرقي، و«الروض الأنف» للسهيلي. وراجع «بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب» ليوسف البنوري (ص ١٥٨ ـ ١٦٠) فإنه حقق نقلاً عن العلماء كابن كثير في «التفسير»، و«التاريخ»، وجمال الدين القرشي في كتابه «الجامع اللطيف» وإبراهيم رفعت باشا في «مرآة الحرمين» حيث قال والحق أن الكعبة بنيت ثلاث مرات.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٤/٢٩٥)، و«مسلم» (١٤٢) رقم (١٦٠)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (ج ١/ ص ١٣٩ ـ ١٤٢). والحديث في «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً مات عمّه أبو طالب، وماتت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، وكانت أوّل مَنْ آمنَ بما جاء به، ثم آمن أبو بكر رضي الله عنه ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة وبلال ثم أسلم بعد هؤلاء عمرُو بن عَبَسَة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقّاص، وعثمان بن عفّان، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان ثم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمام الأربعين إسلاماً ذكر ذلك ابن حزم في مختصر السيرة، ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر قَدِم عليه جنُّ نصيبين فأسلموا، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أُسْرِيَ به من بين زمزم والمقام إلى البيت المقدّس روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك أن نبيَّ الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحِجْر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ قال فسمعته يقول فشقّ ما بين هذه إلى هذه فقيل للجارود ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أُتيتُ بِطَسْتٍ من ذهب مملوءة إيماناً فغُسل قلبي ثم حُشي ثم دُعِيَ بدابّة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة فقال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طَرْفِه فحُمِلْتُ عليه فانطلق بي جبرئيل عليه السلام حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتح فقيلَ مَنْ هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً فنعم المجيء جاء[1] الحديث بطوله ورأى الأنبياء صلوات الله عليهم ورأى من آيات ربّه الكبرى ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى وأوحي إليه ما أوحي وفُرضت الصلاةُ تلك الليلة ولما أصبح قصّ على قريش ما رأى، وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جابر أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «لمّا كذّبني قريش قمت إلى الحجر الأسود فجلا الله لي بيت المقدِس فطفقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[2]، وقد اختلف الناس في كيفية الإسراء فالأكثرون من طوائف المسلمين متفقون على أنه بجسده ﷺ والأقلّون قالوا بروحه، حكى الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كلّ ذلك رؤيا وحَكَى هذا القولَ أيضاً عن عائشة وعن معاوية رضي الله عنهما ومنهم من قال بجسده إلى البيت المقدّس ومن هناك إلى السمٰوات السبع بروحه، قلت والصحيح الأول لأنه قد صحّ أن قريشاً كذّبته ولو قال رسول الله ﷺ رأيت رؤيا لما كُذّب ولا أُنكر ذلك على غيره فضلاً عنه لأنّ آحاد الناس يرون في منامهم أنهم ارتقوا إلى السمٰوات وما ذلك ببدع، أنشدني لنفسه الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» رقم «٣٢٠٧»، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام، و(٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ومسلم في «صحيحه» رقم (٦٤) كتاب الإيمان، باب الإسراء، والترمذي في «سننه» رقم (٣١٣١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (الإسراء)، والنسائي في «سننه» (١/ ٢١٧) كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٤٣٣) كتاب تفسير سورة الإسراء، باب قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده...**﴾ (ج ٣ /ص ١٦٣٦ ـ ١٦٣٧)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٧٢) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (ج ١ /ص ١٥٦ ـ ١٥٧).

محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب رحمه الله قراءةً منّي عليه من جملة قصيدةٍ طويلةٍ من جملة مجلّدَةٍ فيها مدحُ النبي ﷺ [الكامل]:

أَسْرَىٰ إلى الأقصى بجسمك يقظةً لا في المنام فيقبل التأويلا

إذ أنكرتهُ قريشُ قبلُ ولم تكن لِترى المَهُول من المنام مَهُولا

ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنةً هاجر إلى المدينة ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومولى أبي بكر عامرُ بن فُهَيْرة ودليلهم عبد الله بن الأُرَيقط الليثي، قال الحافظ عبد الغني وغيره وهو كافر ولم نعرف له إسلاماً، فأقام بالمدينة عشر سنين وكان يصلّي إلى بيت المقدس مدة إقامته بمكّة ولا يستدبر الكعبة يجعلها بين يديه وصلّى إلى بيت المقدس بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً. ولما أكمل في المدينة عشر سنين سواءً توفّي وقد بلغ ثلاثاً وستين وقيل غير ذلك وفيما تقدم من التواريخ خلاف، وكانت وفاته يوم الاثنين حين اشتدّ الضحاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ومرض أربعة عشر يوماً ودفن ليلة الأربعاء، ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يُدخِلُ يَده فيه ويمسَحُ وَجْهَهُ ويقول (اللهمّ أعنّي على سكرات الموت)[١]، وسُجّيَ ببُرد حِبَرة وقيل إن الملائكة سَجَّتْهُ، وكذّب بعض أصحابه بموته دهشةً تَحْكَىٰ عن عمر رضي الله عنه وأُخْرِس عثمان رضي الله عنه وأُقعد علي رضي الله عنه ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر، ثم إن الناس سمعوا من باب الحجرة لا تغسلوه فإنه طاهر مطهّرٍ ثم سمعوا بعد ذلك اغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخَضِر وعزّاهم فقال أنّ في الله عزاءً من كلّ مصيبة وخلفاً من كلّ هالك ودَرَكاً من كلّ فائت فبالله فثقوا وإيّاه فارجوا فإنّ المصاب من حُرِم الثواب[٢])، واختلفوا في غسله هل يكون في ثيابه أو يجرُّدُ عنها فوضع الله عليهم النوم فقال قائل لا يُدرَى مَنْ هو (اغسلوه في ثيابه) فانتبهوا وفعلوا ذلك، والذين ولوا غسله عليّ والعباس وولداه الفضل وقُثَم وأسامة وشُقْران مَوْلَياه وحضرهم أوس بن خَوْلي من الأنصار ونفضه عليّ فلم يخرج منه شيء فقال صلى الله عليك لقد طبتَ حيّاً ومَيّتاً، وكُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحُوليّة ليس فيها قميص ولا عمامة بل لفائف من غير خياطة، وصلّى المسلمون عليه أفْذاذاً لم يؤمّهم أحد، وفُرِش تحته في القبر قطيفة حمراء كان يتغطّى بها، نزل شُقران، وحُفِرَ له وأُلحِدَ وأُطْبِقَ عليه تسعُ لَبِناتٍ،

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم (٩٧٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٩٣) كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول عند الموت، وابن ماجه في «سننه» رقم (١٦٢٣) كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١)، وابن سعد في «طبقاته» (٢/ ٢/ ٤٧)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (رقم ٤٥١٠، ٤٦٨٨)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٤٦٥)، (٣/ ٥٦ ـ ٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٠٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، والشافعي في «المسند» رقم (٣٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٠)، وفي أسانيده ضعف. وانظر «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٣٤)، و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

واختلفوا أيُلْحَدُ له أم يُضْرَح وكان بالمدينة حفّاران أحدهما يُلْحِدُ وهو أبو طلحة والآخر يُضْرِحُ وهو أبو عبيدة فاتّفقوا أنَّ مَنْ جاء منهما أوّلاً عمل عليه فجاء الذي يلحد فلحد له ونُحّي فراشه وحُفِر له مكانَه في بيت عائشة، وقال الحافظ عبد الغنيّ حول فراشه، وكان ابتداء وجعه في بيت عائشة واشتدّ أمره في بيت ميمونة فطلب من نسائه أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذِنَّ له في ذلك وكان ما ابتدأ به من الوجع صداع وتمادى به وكان يَنْفُثُ في علّته شيئاً يُشْبِه أكل الزبيب ومات بعد أن خيّره الله تعالى بين البقاء في الدنيا ولقاء ربه فاختار لقاء الله تعالى.

اصطفاؤه: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنتُ من خير قرن كنت منه»[١]، وروى مسلم والترمذيّ عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[٢]، أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيّد الناس رحمه الله تعالى [السريع]:

مـحـمّـدٌ خـيـر بـنـي هـاشـم   فـمَـنْ تَـمِـيـمٌ وبـنـو دارمِ
وهـاشـمٌ خـيـرُ قـريـشٍ ومـا   مِـثـلُ قـريـشٍ فـي بـنـي آدمِ

فضله: روى الترمذي عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمِعَهم يتذاكرون فسمع حديثَهم فقال بعضهم عجباً إن الله تبارك وتعالى اتّخذ من خلقه خليلاً اتّخذ إبراهيم خليلاً وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه تكليماً وقال آخر ماذا بأعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم - زاد رَزينٌ وخَلَقَهُ بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته - ثم اتّفقا: فسلّم رسولُ الله ﷺ على أصحابه وقال: «قد سمعتُ كلامَكم وعَجَبَكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وإن موسى نجيّ الله وهو كذلك وإن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وإن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مُشَفّع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرّك حِلَقَ الجنّة فيفتح الله لي فيُدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر»[٣].

أسماؤه: روى البخاري والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنّي شَتْمَ قريش ولَعْنَهُمْ يشتمون مُذَمَّماً ويلعنون مذمّماً وأنا محمّدٌ»[٤]،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٥٥٧) كتاب «المناقب»، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٢٧٦) كتاب «الفضائل»، باب فضل نسب النبي ﷺ، والترمذي في «سننه» رقم (٣٦٠٥) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم (٣٦١٦) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٣٣) كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، والنسائي =

قال السخاوي في سفر السعادة قيل لعبد المطلب بم أسميت ابنك فقال بمحمد فقالوا له ما هذا من أسماء آبآئك فقال أردت أن يُحْمَدَ في السماء والأرض، وأحمد أبلغ من محمد كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفّر، وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جبير بن مُطْعِم قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بيَ الكفرَ وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»(١)، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ وقد سمّاه الله رؤوفاً رحيماً.

أنشدني لنفسه قراءةً مني عليه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري فيما وافق من أسماء الله الحسنى لأسماء رسول الله ﷺ من قصيدة له في مدحه [الطويل]:

وحلاّه من حسنى أساميه جملةً ... أتى ذكرها في الذكر ليس يَبيدُ
وفي كُتُبِ اللّهِ المقدّسِ ذكرُها ... وفي سنّةٍ تأتي بها وتفيدُ
رؤوفٌ رحيمٌ فاتحٌ ومقدّسٌ ... أمينٌ قويٌّ عالمٌ وشهيدُ
وليٌّ شكورٌ صادقٌ في مقاله ... عفوٌّ كريمٌ بالنوال يعودُ
ونورٌ وجبّارٌ وهادي مَنِ اهتدَىٰ ... ومولًى عزيزٌ ليس عنه مَحيدُ
بشيرٌ نذيرٌ مؤمنٌ ومهيمنٌ ... خبيرٌ عظيمٌ بالعظيم يجودُ
وحقٌّ مبينٌ آخرٌ أوّلٌ سمَا ... إلى ذروة العلياء وهو وَليدُ
فآخرٌ أَغني آخرَ الرُسْلِ بعثةً ... وأوّل من ينشقّ عنه صعيدُ
أَسامٍ تلذّ السمعَ إن هي عُدّدَتْ ... نعوتُ ثناءٍ والثناءُ عديدُ

وقد قال حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه [الطويل]:

فَشَقَّ له من اسمه لِيُجِلَّهُ ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ

ومن أسمائه المُقَفّي ونبيّ التوبة ونبيّ المرحمة، وفي صحيح مسلم ونبيّ الملحمة(٢)، ومن أسمائه طه ويس والمزّمّل والمدّثّر وعبدٌ في قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: ١] وعبد الله في

= في «سننه» (٦/ ١٥٩) كتاب الطلاق، باب الإبانة والإفصاح بالكلمة الملفوظ بها. قوله (مذمما) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٢٥٠): كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم بالنبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمّم.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٣٢)، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل، باب أسمائه ﷺ، والترمذي في «سننه» رقم (٢٨٤٠) كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، وفي «الشمائل» رقم (٣٦٧)، والنسائي في «التفسير من الكبرى» رقم (٦١٠).

(٢) لم نجده في «صحيح مسلم» بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: . . . نبي الرحمة، والحديث برقم (٢٣٥٥)، وبلفظ المصنّف موجود عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٩٩ ـ ١٠٠)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٦٠٤)، وصححه وأقرّه الحافظ الذهبي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] ومذكِّرٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] وقد ذكر غير ذلك.

صفته: كان ﷺ رَبْعَةً[١] بعيد ما بين المنكبين أبيض اللون مُشْرباً حُمرةً يبلغ شعره شحمة أذنيه[٢] وقالت عائشة رضي الله عنها: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ وكان له شعر فوق الجُمَّة[٣] ودون الوَفْرة[٤] رواه أبو داود والترمذي[٥]، وقالت أمّ هانىء رضي الله عنها قدم رسول الله ﷺ مكة وله أربع غدائر رَوَياه أيضاً، وكان سبط الشعر في لحيته كثافة ومات ﷺ ولم يبلغ الشيب في رأسِه ولحيتِه عشرين شعرة، ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، روي عن عائشة أنها وصفته فقالت: كان والله كما قال شاعره حسّان بن ثابت الأنصاري [الطويل]:

مَتى يَبْدُ في الداجي البهيم جَبينُه … يَلُحْ مثل مصباح الدُجَى المتوقّد
فمن كان أو من قد يكون كأحمدٍ … فطامٍ لحقّ أو نكالٍ لِمُعْتَدِ

وروي عن أنس بن مالك قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا رأى النبي ﷺ يقول [الوافر]:

أمينٌ مصطفىً بالخير يدعو … كضوء البدر زايَلَهُ الظَلامُ

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه ينشد قولَ زُهيرٍ في هَرِمِ بن سنان [الكامل]:

لو كنتَ من شيء سوى بشرٍ … كنتَ المُضِيءَ لليلةِ البدرِ

أزهر[٦] اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، أقنى العِرْنِينِ[٧] سهل الخدّيْنِ أزجّ[٨] الحاجبين أقرن أدعج[٩] العين في بياض عينيه عروق حمر رقاق، حسن الخَلْق، معتدله، أطول من المربوع وأقصر من المشذّب دقيق المسربة[١٠] كأن عنقه إبريق فضّة، من لبّته إلى سرّته شعرٌ

---

(١) قوله (ربعة): ما بين الطويل والقصير.
(٢) قوله (شحمة أذنيه): شحمة الأذن الجزء اللين من أسفلها وهو مكان تعليق القرط للنساء.
(٣) قوله (فوق الجمة): الجمة من شعر الرأس ما طال حتى يسقط على الكتفين.
(٤) قوله (دون الوفرة): الوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.
(٥) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم (٤١٨٧) كتاب الترجل، باب ما جاء في الشَّعر، والترمذي في «سننه» رقم (١٧٥٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في الجمَّة واتخاذ الشَّعر، وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٦٣٥) كتاب اللباس، باب اتخاذ الجُمَّة والذوائب، وكلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد ـ به.
(٦) أزهر: أبيض بياضاً نيراً مشرقاً.
(٧) أقنى العرنين: أقنى من القنى وهو طول الأنف مع تقوس في وسطه إلى أعلى. والعرنين الأنف.
(٨) أزج: دقيق شعر الحاجبين طويلهما إلى مؤخر العين مع تقوس.
(٩) أدعج: شديد سواد الحدقة.
(١٠) المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرّة.

مجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، ششن[١] الكفّ والقدم ضليع الفم أشنب مفلّج[٢] الأسنان بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر ضخم الكراديس[٣] أنور المتجرّد[٤] أشعر الذراعين والمنكبين[٥] عريض الصدر طويل الزندين رَحْبَ الراحة[٦]، سائل الأطراف[٧]، سبط القضيب خمصان، بين كتفيه خاتم النبوة قال جابر بن سمرة مثل بيضة الحمام يشبه جسده إذا مشى كأنّما يتحدّر من صبب[٨] وإذا مشى كأنّما يتقلّع من صخر إذا التفت التفت جميعاً، كأنّما عَرَقُهُ اللؤلؤ ولريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر وقَالَ عند أمّ سليم فعرق فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العَرَق فيها فاستيقظ النبي ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنَعينَ؟ قالت هذا عَرَقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب، (وفي وصف أم معبد له وفي صوته صهل وفي عنقه سطع إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب حلو المنطق)، وفي وصف هند بن أبي هالة (خافض الطرف نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام)[٩]، وفي وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجود الناس كفّاً وأرحب الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذمّة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة[١٠] هابه ومن خالطه أحبّه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[١١].

شرح الغريب ممّا في صفته ﷺ

الوضاءة الحسن والجمال، والأزهر الأبيض، والأمهق الشديد البياض ليس بنيّر ولا تخالطه حمرة، والآدم من الناس الأسمر، والقنا احديدابٌ في الأنف، والزجج دِقَّةٌ في الحاجبين وَطُولٌ؛ الرَّجُلُ أزجّ، والدَّعَجُ: شِدّة سواد العين، المشذّب الطويل، والمسرُبة بضم الراء الشعر الذي يأخذ من الصدر إلى السرّة وهو مستدقّ، واللبّة المنحر، الششن بتحريك الثاء مصدر ششنت كفّه إذا خشنت وغلظت، وضليع الفم قال أبو عبيد أراد أنه كان واسع الفم وقال القتيبي ضليع الفم

(١) الششن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.

(٢) مفلج الأسنان: أي منفرجها، وهو خلاف متراص الأسنان.

(٣) ضخم الكراديس: الكراديس رؤوس العظام، واحدها كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس، فكان ـ ﷺ ـ ضخم المفاصل كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنّه ضخم الأعضاء.

(٤) أنور المنجرد: أي نيّر العضو العاري عن الشعَر.

(٥) أشعر الذراعين والمنكبين: أي غزيرة في هذه المواضع.

(٦) رَحْبُ الراحة: أي واسع الكف.

(٧) سائل الأطراف: أي طويلها وممتدها.

(٨) يتحدر من صبب: أي كأنما ينزل من منحدر، لشدّة سرعته.

(٩) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» برقم (٨ ـ ٢٢٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٥٢)، وإسناده ضعيف جداً.

(١٠) بديهة: مفاجأة من غير رؤية أي أوّل وهلة.

(١١) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم (٣٦٣٨) باب ما جاء في صفة النبي ﷺ.

عظيمه، والشنب حدّة في الأسنان، والبادن السمين، المتماسك المستمسك اللحم، الكراديس جمع كردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل، سواء البطن والصدر يريد أن بطنه غير مستفيض فهو مساوٍ لصدره، أنور المتجرّد يعني شديد بياض ما جرّد عنه الثوب، رحب الراحة واسع الكفّ، والخمصان الأخمص ما ارتفع عن الأرض من باطن القدم، الصهل - والصحل في رواية - شبه البحّة وهو غلظ في الصوت لأنه مأخوذ من صهيل الفرس، والسطع طول العنق.

أخلاقه ﷺ:

سئلت عائشة[١] رضي الله عنها عنه فقالت: كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله فيغضب لله وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودَهم ما سئل شيئاً فقال لا ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفَجَأهُ الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ ممّا آتاه الله إلاّ قوتَ أهله عاماً فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام انتهى، وكان من أحلم الناس «وأشدُّ حياءً من العذراء في خدرها»[٢] خافض الطرف نظرةُ الملاحظة، وكان أكثر الناس تواضعاً يجيب من دعاه من غنيٍّ أو فقير أو حرّ أو عبد، وكان أرحمَ الناس يصغي الإناء للهرّة وما يرفعه حتى تروى رحمةً لها، وكان أعفَّ الناس وأشدّهم إكراماً لأصحابه لا يمدّ رجليه[٣] بينهم ويوسع عليهم إذا ضاق المكان ولم تكن ركبتاه تتقدّمان ركبة جليسه، له رفقاء يحفّون به إن قال أنصتوا له وإن أمر تبادروا لأمره، ويتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم فمَنْ مرضَ عاده ومن غاب دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ومن تخوّفَ أن يكون وجد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيَهُ في منزله، ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ويتألّف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل ولا يطوي بِشْرَهُ عن أحد ولا يجفو عليه ويقبل معذرة المعتذر إليه، والضعيف والقويّ عنده في الحقّ سواء ولا يدع أحداً يمشي خلفه ويقول «خلُّوا ظهري للملائكة» ولا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله فإن أبى قال «تقدّمني إلى المكان الفلاني»، يخدم من خدمه وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم في مأكل وملبس، قال أنس بن مالك رضي الله: عنه «خدمته نحواً من عشر سنين فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر لأخدمه إلاّ كانت خدمته إليّ أكثرَ من خدمتي له وما قال لي أفٍّ قطُّ ولا قال لشيء فعلتهُ لم فعلتَ كذا ولا لشيء لم أفعله ألا فعلتَ كذا[٤]» وكان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاةٍ فقال رجل يا رسول الله عليّ ذبحها وقال آخر عليّ سلخها وقال آخر عليّ طبخها فقال رسول الله ﷺ

(١) وقد سألها سعيد بن هشام، وهذا الحديث رواه بتمامه البيهقي في «دلائل النبوة».

(٢) رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري.

(٣) كما رواه الدارقطني في غريب مالك وضعفه.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٣٣٠/ ٨١) كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسّه والتبرك بمسحه. والترمذي في «سننه» رقم (٢٠١٥) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

«وعليّ جمع الحطب» فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال «قد علمتُ أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميّز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه»[١] وقام فجمع الحطب، وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثمّ كرّ راجعاً فقيل يا رسول الله أين تريد فقال «أعقل ناقتي» فقالوا نحن نعقلها قال «لا يستعِنْ أحدكم بالناس ولو في قُضْمة من سواكٍ» وكان لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كلَّ جلسائه نصيبَهُ لا يحسب جليسه أن أحداً أكرمُ عليه منه وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذي جلس إليه إلاّ أنْ يستعجله أمرٌ فيستأذنه ولا يقابل أحداً بما يكره ولا يجزي السيّئة بمثلها بل يعفو ويصفح، وكان يعود المرضى ويحبّ المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ولا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب مَلِكاً لِمُلْكِهِ يُعَظِّمُ النعمةَ وإن قلّت لا يذمّ منها شيئاً ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلاّ تركه، وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثرَ الناس تبسّماً وأحسنهم بِشْراً، لا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بُدَّ منه وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويركب الفرس والبغل والحمار ويُردف خلفه عبده أو غيرَهُ ويمسح وجه فرسه بطرف كمّه أو بطرف ردائه، وكان يحبّ الفأل ويكره الطِّيَرَة[٢] وإذا جاءه ما يحبّ قال «الحمد لله رب العالمين» وإذا جاءه ما يكره قال: «الحمد لله على كلّ حال» وإذا رُفع الطعام من بين يديه قال «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين» وأكثرُ جلوسه مستقبلُ القبلة يُكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرّة وكان يُسْمَعُ لصدره وهو في الصلاة أزيز كأزيز المِرْجَلْ من البكاء وكان يقوم حتى ترم قدماه وكان يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلّما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثرُ صيامه في شعبان، وفي الصحيحين[٣] رواية أنس كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحي وإذا نام نفخ ولا يغطّ وإذا رأى في منامه ما يكره قال: «هو الله لا شريك له»[٤] وإذا أخذ مضجعه قال: «ربّ قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٥] وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي

---

(١) قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: ذكر المحبُّ الطبري (هذه القصة) وقال ـ أي القسطلاني ـ: ولم أرَ هذا بغير الطبري بعد التتبع وأيدّه الزرقاني بقوله: وقد أنكره شيخه السخاوي وقال لا أعرفه انظر: «شرح العلامة الزرقاني على المواهب» (٤٨/٦).

(٢) الطِّيَرَةُ: ما يُتشاءَم به من الفأل الرديء.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٩٧٢) كتاب الصوم، باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، ومسلم في «صحيحه» رقم (١١٥٨) كتاب الصيام، باب صيام النبي في غير رمضان.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١١٠٣) كتاب التهجد، باب فضل مَنْ تعارَّ من الليل فصلّى.

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٥٠٤٥) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، وهو حديث صحيح. وأخرجه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه رقم (٣٣٩٥) كتاب الدعوات، باب رقم (١٨).

أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[1]، وكان لا يأكل الصدقة ويأكل الهديّة ويكافىء عليها ولا يتأنق في مأكل ويعصّب على بطنه الحجر من الجوع، وآتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها واختار الآخرة، وأكل الخبز بالخلّ وقال «نعم الإدام الخلّ»[1] وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ما وجد ولا يردّ ما حضر ولا يتكلف ما لم يحضر ولا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمراً دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجدَ خبزْ بُرّ أو شعير أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وكان أحبَّ الشراب إليه الحلوُ الباردُ وقال للهيثم بن التيِّهان: «كأنك علمت حُبَّنا للحم» لا يأكل متكئاً ولا على خَوَانٍ، لم يشبع من خبز بُرّ ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله عز وجل إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً، يجيب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحرّ ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب، وكان يحبّ الدُبّاء والذراع من الشاة وقال: «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، منديلُه باطن قدميه، وأكل خبزَ الشعير بالتمر والبطّيخَ بالرطب والقثّاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحبّ الحلوى والعسل ويشرب قاعداً وربما شرب قائماً ويتنفس ثلاثاً مُبيناً للإناء ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه وشرب لبناً، وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»[1] وقال: «ليس شيءٌ يجزىء مكان الطعام والشراب غيرَ اللبن»[1] قال ابن حزم وشرب النبيذ الحلو قلت تفسيره الماء الذي ينبذ فيه التمرات اليسيرة ليحلو.

وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنق في ملبس وأحبُّ اللباس إليه الحِبَرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض وأحبُّ الثياب إليه القميصُ ويقول إذا لبس ثوباً استجدّه «اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسْألُكَ خيره وخير ما صُنِعَ له وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صُنِعَ له» وتُعْجِبُهُ الثيابُ الخضر وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفه بين كتفيه، ويلبس يوم الجمعة بُرده الأحمر ويعتمّ ويلبس خاتماً من فضة نقشه «محمد رسول الله» في خنصره الأيمن وربما في الأيسر ويحبّ الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويقول: «إن الله جعل لذّتي في النساء والطيب وجعلَ قُرَّةَ عيني في الصلاة» وكان يتطيب بالغالية والمسك أو المسك وحده ويتبخّر بالعود والكافور ويكتحل بالإثمد وربما اكتحل وهو صائم ويُكثر دهن رأسه ولحيته ويدّهن غِبّاً ويكتحل وِتْراً ويحبّ التيمّن في ترجّله وتنعّله وفي طهوره وفي شأنه كله وينظر في المرآة ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط، ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده وعند القيام لورده وعند الخروج لصلاة الصبح وكان يحتجم.

وكان يمزح ولا يقول إلاّ حقاً؛ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال: «أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال لا أحملك إلا على ولد الناقة» قالت لا يطيقني فقال لها الناس وهل الجمل إلاّ ولدُ الناقة، وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض وهو

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٩٥٣) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام.

يدعوك فقال: «لعلّ زوجك الذي في عينيه بياض» فرجعت وفتحت عين زوجها فقال ما لكِ قالت أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً فقال وهل أحد إلاّ في عينيه بياض، وقالت له أخرى: يا رسول الله ادعُ اللَّهَ لي أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز» فولّت المرأة وهي تبكي فقال ﷺ: أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز إن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]. قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال وحسبك ما أثنى عليه به في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وآتاه الله علمَ الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز وهو أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ ولا معلِّمَ له من البشر نشأ في بلاد الجهل والصحارى وآتاه ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين واختاره على الأولين والآخرين.

بعوثه:

نحواً من خمسين، بَعَثَ عبيدةَ بن الحارث بن المطلب أسفل ثنيّة المَرَةَ، وبعث حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص وهذان البعثان متقاربان جدّاً فاختلف[١] في أيهما كان أول وهما أول بعوثه وأول راية عقدها، وبعث سعد بن أبي وقاص إلى الخَرّار[٢]، وبعث عبد الله بن جحش إلى نخلة[٣]، وبعث زيد بن حارثة مولاه إلى القردة[٤]، وبعث محمد بن مسلمة الأنصاري إلى قتل كعب بن الأشرف[٥]، وبعث مرثد بن أبي مرثد الغَنَوي إلى الرجيع، وبعث المنذر بن عمرو الأنصاري إلى بئر معونة، وبعث عبدالله بن عتيك إلى قتل سلام ابن أبي الحقيق[٦] بخيبر، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القَصّة من طريق العراق، وبعث عمر بن الخطاب إلى تُرَبَة من أرض بني عامر، وبعث علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الكديد إلى بني الملوّح من كنانة، وبَعَثَ علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فَدَك، وبعث ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سُليم، وبعث عُكّاشة بن مِحْصَن الأسدي إلى الغمر وبعث أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قَطَنٍ ماءٍ لبني أسد بناحية نجد،

---

(١) انظر «الطبقات» لابن سعد (٢/٦)؛ و«المغازي» للواقدي (١/٩) و«الأمم والملوك» للطبري (٢/٢٥٩)؛ و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/٨).

(٢) في «الكامل» لابن الأثير (١/٥٢٢): الأبواء.

(٣) نخلة: موضع بين مكة والطائف فيه نخل وكروم. انظر «معجم البلدان» لياقوت (٤/٣٨١).

(٤) القردة: ماءٌ أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة لبني نعامة، ولعله ذو القردة بنجد أيضاً وانظر «الطبقات» لابن سعد، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً وانظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/٣٠).

(٥) كعب بن الأشرف: هو أحد بني نبهان من طيء، وأمه من بني النضير، وكان كبر عليه قتلُ مَن قُتل ببدر من قريش، وسار إلى مكة وحرض على رسول الله ﷺ وبكى أصحاب بدر، وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ مَن لي من ابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري أنا لك به، أنا أقتله (ونُفِّذَت عملية الاغتيال كما أرادها رسول الله ﷺ). انظر «سيرة ابن هشام»، و«الأمم والملوك» للطبري، و«مغازي الواقدي»، و«الكامل» لابن الأثير (١/٥٤٣ ـ ٥٤٥).

(٦) «الكامل» لابن الأثير (٥/٥٤٦).

وبعث محمد بن مسلمة الأنصاري إلى القُرَطاء من هوازن، وبعث بشير بن سعد الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج إلى ناحية خيبر، وبعث زيد بن حارثة إلى الجَمُوم من أرض بني سُليم، وبعث زيداً أيضاً إلى جُذام بأرض حِسْمَىٰ وبعث زيداً أيضاً إلى الطرف من ناحية نخل من طريق العراق، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى فزارة، وبعث أبا عامر الأشعري عم أبي موسى إلى أوطاس، وبعث زيد بن حارثة إلى وادي القرى فلقي هنالك قوماً من فزارة فقاتلهم فارتُثَّ زيد من بين القتلى، وبعث زيداً أيضاً إلى فزارة فقتل أم قِرْفَةَ وغيرها، وبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، وبعثه إليها مرة أخرى، وبعث عبد الله بن أُنيس الجهني لقتل خالد بن سفيان الهذلي فقتله عبد الله بعثه عليه السلام لذلك وحده، وبعث الأُمراءَ عليهم زيد بن حارثة فإن قُتل فعليهم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فعليهم عبد الله بن رواحة فقتلوا كلّهم رضوان الله عليهم بمؤته في أول الشام لقوا هنالك عساكر النصارى من الروم والعرب وأخذ الرايةَ خالدُ بن الوليد فانحاز بالمسلمين، وبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشام، وبعثَ عُيَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى بني العنبر من بني تميم، وبعث غالبَ بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مرّة فأصابوا في الحرقات من جهينة، وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من بني كنانة، وبعث خالداً أيضاً إلى اليمن، وبعث عمرَو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة وأمدَّهُ بجيش عظيم عليهم أبو عبيدة، وبعث عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي إلى بطن أضم، وبعثه أيضاً إلى الغابة، وبعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى قتل أبي سفيان فلم يمكنه ذلك، وبعث زيد بن حارثة إلى مدين، وبعث سالم بن عمير إلى أبي عَفَك من بني عمرو بن عوف فقتله، وبعث عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد فقتلها، وبعث بعثاً أُسِر فيه ثمامة بن أثال الحنفي، وبعث علقمة بن مُجزّز المدلجي، وبعث كرز بن جابر خلف الذين قتلوا الرعاء وسملوا عيونهم، وبعث أُسامة بن زيد إلى الشأم وهو آخر بعوثه مات ﷺ ولم يُنفذه فأنفذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

حِجَجُهُ وَعُمَرُهُ:

قال الحافظ عبدالغني روى همام بن يحيى عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك كم حجّ النبي ﷺ من حجّة قال: «حجّة واحدة واعتمر أربع عُمَر عمرةُ النبي ﷺ حيث صدّه المشركون عن البيتِ والعمرةُ الثانية حيث صالحوه من العام المقبل وعمرته من الجعرانة حيث قسم غنيمة حنين في ذي القعدة وعمرته مع حَجَّته»[1] صحيح متفق عليه، هذا بعد قدومه المدينةَ، وأما ما

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٦٨٧ ـ ١٦٨٨) كتاب العمرة، باب كم اعتمر النبي ﷺ (ج ١/ ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣) ومسلم في «صحيحه» رقم (١٢٥٣) كتاب الحج، باب عدد عُمَر النبي ﷺ (ج ٢ ص ٩١٦).
الحديبية: هي قرية كبيرة على مرحلة من مكة مما يلي المدينة، سميت ببئرٍ هناك.
الجعرانة: مكان بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب.

حجّ بمكة واعتمر فلم يحفظ[(١)] والتي حجّ حجّة الوداع[(٢)] ودّع الناس فيها وقال: «عسى أن لا تَرَوْني بعد عامي هذا» انتهى. قلت: ولابن حزم في حجة الوداع مصنّف عظيم، وخرج في حجة الوداع نهاراً بعد أن ترجّل وادّهن وتطيّب فبات بذي الحليفة وقال: «أتاني الليلة آت من ربّي فقال صلّ في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة» فأحرمَ بهما قارناً» ودخل مكة يوم الأحد بكرة من كداء من الثنية العُليا وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً ثم أمر من لم يسق الهَدْيَ بفسخ الحجّ إلى العمرة ونزل بأعلى الحَجُون فلما كان يوم التروية توجّه إلى مِنًى فصلّى بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ وبات بها وصلّى بها الصبحَ فلمّا طلعت الشمس ساروا إلى عرفة وضُربت قبّته بنمرة فأقام بها حتى زالت الشمس فخطب الناسَ وصلّى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلّل ويكبّر حتى زاغت الشمس ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلّى الصبح ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر ثم دفع قبل طلوع الشمس إلى مِنىً فرمى جمرة العقبة بسبع حَصَياتٍ، وثلاثةَ أيام التشريق كان يرمي في كل يوم منها الجمرات الثلاثَ ماشياً بسبعٍ سبعٍ يبدأ بالتي تلي الخَيْفَ ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحَر يومَ نزوله منىً، وأفاض إلى البيت فطاف به سبعاً ثم أتى إلى السقاية فاستسقى ثم رجع إلى منىً ونفر في اليوم الثالث فنزل المحصَّبَ وأعمرَ عائشةَ من التنعيم ثم أمر بالرحيل ثم طاف للوداع وتوجَّهَ إلى المدينةِ.

زوجاته[(٣)]:

تزوّج خديجة بنت خويلد قبل البعثة وقد مرّ ذكرها، ثم تزوّج سودةَ بنتَ زمعة بن قيس بن

(١) قال جابر: حَجَّ النبي ﷺ (حَجَّتَين)، حَجَّة قبل أَنْ يُهاجرَ وحُجَّة بعدما هاجر معها عُمْرَة، وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، وقالت عائشة: أربع عمر، وروي مثل ذلك عن ابن عمر. وفي «الطبري» بروايته عن جابر: أن النبي ﷺ حجَّ ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة. وهو قول مجاهد. قال ابن جريج: هذا هو المحفوظ مرسلاً. علّق البيهقي على قول جابر قال: وقد بلغني عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال: هذا حديث خطأ وإنما روي عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن النبي ﷺ مرسلاً. قال البخاري: وكان زيد بن الحباب إذا روى حفظاً ربما غلط الشيء. وقال البيهقي: وأما قوله: وحجة معها عمرة، فإنما يقول ذلك أنس بن مالك، ومن ذهب من الصحابة إلى أن النبي ﷺ قرن، فأما من ذهب إلى أنه فرد فإنه لا تكاد تصح عنده هذه اللفظة لما في إسناده من الاختلاف وغيره والله أعلم. انظر «الكامل» لابن الأثير (١/ ٦٥٣) و«الأمم والملوك» للطبري.

(٢) انظر في حجة الوداع «الطبقات» لابن سعد (٢/ ١٧٢) و«صحيح مسلم بشرح النووي» (٨/ ١٧٠) و«الأمم والملوك» للطبري (٣/ ١٦٧) و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٤٨) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ١٩)، و«المغازي» للواقدي (٣/ ١٠٨٨).

(٣) انظر في عدد أزواجه ﷺ وأسمائهن: «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٥٢) وما بعدها، و«الأمم والملوك» للطبري (٣/ ١٧٥) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٧/ ٢٨٢)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٣٩٦) و«عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٧٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٢٩٣)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ص ٤٤) وما بعدها، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢/ ٣٤١).

عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ وكبرت عنده فأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وقالت: لا حاجة لي في الرجال وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك وانفردت به ﷺ ما بين وفاة خديجة إلى أن دخل بعائشة رضي الله عنها، ثم تزوّج عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوّجها بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهي بنت ست أو سبع وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ولم يتزوج بِكْراً غيرها، ثم تزوّج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما روي أنه طلّقها فنزل جبريل فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وفي خبر قال رحمةً لعمر، وتزوّج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان أخت معاوية رضي الله عنهما وهي بالحبشة فأصدقها النجاشيُّ أربعمائة دينار وولي نكاحَها عثمانُ بن عفان ولم يصحّ وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت سنة أربع وأربعين، وتزوّج أمَّ سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وماتت سنة اثنتين وستين وهي آخرهن موتاً وقيل ميمونة، وتزوّج زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وهي ابنة عمته أميمة توفيت بالمدينة سنة عشرين وهي أولهن وفاةً وأول من حُمل على نعش وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة فطلّقها فزوجها الله إياه من السماء ولم يعقد عليها قال الحافظ عبد الغنيّ وصحّ أنها كانت تقول لأزواجه زوّجكن آباؤكن وزوّجني الله من فوق سبع سماوات[1]، وتزوّج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق، سُبيت في غزوة بني المصطلق فوقعت لثابت بن قيس بن شمّاس فكاتبها فأتتْ رسولَ الله ﷺ تستعينه في كتابتها وكانتْ امرأةً مُلاّحة فقال لها رسول الله ﷺ: «أوَ خيرٌ من ذلك أؤدّي عنك كتابتك وأتزوّجك»[2] فقبلت فقضى عنها وتزوّجها وأُطلق من أجلها جميعُ أُسراء بني المصطلق وتوفيت سنة ست وخمسين، وتزوّج صفية بنت حييّ بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضرية من ولد هارون عليه السلام سُبيت من خيبر فأعتقها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين[3]، وتزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزَم بن رويبة بن عبد مناف بن هلال بن عامر خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وهي آخر من تزوّج وتوفّيت سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ست وستين فإن ثبت ذلك فهي آخرهن موتاً، وتزوّج زينب بنت خزيمة أمّ المساكين سنة ثلاث من الهجرة ولم تلبث عنده إلاّ يسيراً شهرين أو ثلاثة وماتت، وتزوّج فاطمة بنت الضحّاك وخيّرها حين نزلتْ آية التخييرِ[4] فاختارتِ الدنيا فطلّقها ثم كانت بعد ذلك تلقط

---

(١) حيث أنزل الله تعالى أمر زواجها من السماء بقوله عزّ وجل: **﴿فلمّا قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها﴾** [الأحزاب: ٣٧]. انظر في قصة زواجها من رسول الله ﷺ «أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ١٢٥)، و«الطبقات» لابن سعد (٨/ ٨٤)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ٥٧).

(٢) في «الكامل» لابن الأثير (١/ ٦٥٦): توفيت سنة ست وثلاثين.

(٣) وقيل سنة: ست وثلاثين. انظر في ترجمتها: «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٨٥)، و«المعارف» لابن قتيبة (١٣٨)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) ونصُّ الآية قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي قُلْ لأزواجك إن كُنتُنَّ تُردنَ الحياة الدُّنيا وزينتها فتعالين أُمتِعكنَّ**=

البعر وتقول: أنا الشقيّة اخترت الدنيا[١]، وتزوّج شراف[٢] أخت دحية الكلبي، وخولة بنت الهذيل وقيل بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها له وقيل تلك أم شريك، وأسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد وطلّقها قبل الدخول، وامرأة من غفار فرأى بها بياضاً فألحقها بأهلها، وامرأة تميميّة فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال: «منع الله عَائِذَهُ الحقي بأهلك» وغالية[٣] بنت ظبيان طلّقها حين أُدخلت عليه، كذا أخبرني به الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، وقال ابن حزم: ولم يصح أنه عليه السلام طلق امرأة قط إلا حفصة بنت عمر ثم راجعها وقد طلق عمرة بنت يزيد المذكورة آنفاً وبنتَ الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها، ومُلَيْكَةَ الليثية فلما دخل عليها قال: «هبي لي نفسَكِ» فقالتْ وهل تَهَبُ المَلِكَةُ نفسَها للسُّوقَةِ فسرَّحها، وخطب امرأة من أبيها فوصفها له وقال أَزيدُكَ أنها لم تمرض قط فقال: «ما لهذه عند الله من خير»، وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة هذا أصحّ ما قيل إلاّ صفيّة فإنه أعتقها وتزوجها وأم حبيبة، وَأَوْلَمَ على زينب بنت جحش بشاة واحدة فكفتِ الناسَ قال أنس ولم نره أولم على امرأةٍ من نسائه بأكثر من ذلك وأولم على صفيّة وليمة ليس فيها شحم ولا لحم إنما كان السويقُ والتمرَ والسمنَ وأولم على بعض نسائه ـ ولم تُسَمَّ ـ بِمُدَّيْنِ من شعير فكفَى ذلك كُلَّ مَنْ حضر، وكان ينفق على نسائه في كل سنة عشرين وَسْقاً من شعير وثمانيُ وسقاً من تمر، قال ابن حزم: «هكذا رويناه من طريقٍ في غاية الصحة وروينا من طريق فيها ضعف أن هذا العدد لكل واحدة في العام والله أعلم، فقد كانت كل واحدة لها الإماء والعبيد والعتقاء في حياته ﷺ» انتهى كلام ابن حزم، قلت الوَسْق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد والمدّ رطل وثلث بالبغدادي والرطل مائة وثلاثون درهماً والدرهم عشرة أمثاله سبعة مثاقيل والفَرَقُ ـ بتحريك الراء ـ زنبيل يسع خمسة عشر صاعاً.

أولاده ﷺ:

القاسم وبه كان يكنى وعبد الله ويسمّى الطيب والطاهر وقيل الطيب غير الطاهر، وابراهيم وُلِدَ له بالمدينة من ماريةَ وعاش عامَيْنِ غيرَ شهرين ومات قبل مَوْتِ أبيه ﷺ بثلاثة أشهر يوم كَسَفَتِ الشمس[٤]، والقاسم أكبر أولاده وُلِدَ له قبل النبوة وعاش أياماً يسيرة، وقال ابن حزم: روينا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أنه كان له ولد اسمه عبد العزّى قبل النبوة وهذا بعيد والخبر مرسل

= وأُسَرحكُنَّ سَرَاحاً جميلاً وإن كُنتُنَّ تردن الله ورسُولَهُ والدَّارَ الآخرة فإنَّ اللّه أعدَّ للمحسناتِ مِنكنَّ أجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

(١) قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/٢٢٨): هذا باطل لأن الحديث الصحيح عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ حين خيَّر أزواجه بدأ بها، فاختارتْ اللّه ورسوله، وتتابع أزواج النبي ﷺ كلهنَّ على ذلك. والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٧٦ ـ ٢٧٧) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإسراء، الآيتين [٢٨ ـ ٢٩].

(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/١٦١).

(٣) في «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/١٨٨): العالية.

(٤) حيث قال الناس كُسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال ﷺ: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات اللّه لا ينكسفان لِموت أحدٍ ولا لحياته» أخرجه البخاري ومسلم، ومالك في «الموطأ» (١/١٨٦ ـ ١٨٧).

ولا حجة في مرسل انتهى، قلت: قال ابن الجوزي في كتاب «تلقيح فهوم أهل الأثر» قال الهيثم بن عدي حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: ولدت له خديجة عبدَ ألعزّى وعبدَ مناف والقاسم قلت لهشام فأين الطيب والطاهر قال هذا ما وضعتم أنتم يا أهل العراق فأمّا أشياخنا فقالوا عبد العزى وعبد مناف والقاسم، قال ابن الجوزي: الهيثم كذّاب لا يلتفت إلى قوله، قال لنا شيخنا ابن ناصر لم يُسمّ رسول الله ﷺ عبدَ مناف ولا عبدَ العزّى قط.

بناته:

أكبرهن زينب[١] تزوجها أبو العاص واسمه القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت أمها خديجة خالة أبي العاص ولم يكن لزينب زوج غيره وماتت سنة ثمان من الهجرة وأولدها عليا فمات مراهقاً وأولدها أيضاً أمامة التي حملها النبي ﷺ في الصلاة تزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة فلم تلد ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده ولم تلد له قاله ابن حزم، وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: فولدت له يحيى ومات أبو العاص في خلافة عمر بن الخطاب، ورقية[٢] تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يكن لها زوج غيره فولدت له عبدَ الله، وفاطمة[٣] تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له الحسن والحسين ومحسّناً مات صغيراً، وأمُّ كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له زيداً، وزينبَ تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له علياً وأعقب عليٌّ بن عبدالله بن جعفر ولم يَعْقِبْ زيدُ بن عمر بن الخطاب ولم يكن لفاطمة زوجٌ غيرُ علي، وأمُّ كلثوم بنت رسول ﷺ وهي أصغرهن كانت مملكة بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وَطَلَّقَهَا فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فماتت عنده في حياة النبي ﷺ ولم تلد له، قال ابن حزم: قاله[٤] ابن خياط، قال الحافظ عبد الغني البنات أربع بلا خلاف والصحيح في البنين أنهم ثلاثة وأول من وُلِدَ القاسمُ ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم في الإسلام عبد الله ثم إبراهيم بالمدينة وأولاده كلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر[٥].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٦٥٨ ـ ٦٥٩)، و«الطبقات» لابن سعد (٨/٣٣)، وأبو داود في «سننه» رقم (٢٣٢٤٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٠٠٩).

(٢) انظر: «الطبقات» لابن سعد (٨/٣٦).

(٣) فاطمة رضي الله عنها هي آخر بنات النبي ﷺ.

(٤) وهذا ما أجمع عليه أصحاب هذا الشأن في أولاد رسول الله ﷺ، بينما ذهب بعض المغالين إلى أن النبي ﷺ لم يلدْ له سوى فاطمة رضي الله عنها، وهذا تزويرٌ لحقائق التاريخ، ومخالفة للسنة النبوية الشريفة التي جاءت في الصحاح مؤكِّدة لعدد أولاد الرسول ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٦٢٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٤٥٠)، وأبو داود في «سننه» رقم (٥٢١٧).

أعمامه:

كان له من العمومة أحد عشر، منهم الحارث[1] وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى، ومن ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة، وقُثَم هلك صغيراً وهم أخو الحارث لأمّه، والزبير بن عبد المطلب وكان من أشراف قريش وابنه عبد الله بن الزبير شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين وروي أنه وُجد إلى جانب سبعة قتلهم وقتلوه، وضُباعة بنت الزبير لها صحبة وأم الحكم بنت الزبير لها رواية، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وقُتِلَ يومَ أحد شهيداً ولم يكن له إلا ابنة، وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وكان أكبرَ من النبي ﷺ بثلاث سنين وكان له عشرة من الذكور، ولم يسلم من أعمامه إلاّ حمزة والعباس لا غير، «ومن عماته صفية على الصحيح[2]»، وأبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي رسول الله ﷺ وله من الولد طالب مات كافراً وعقيل وجعفر وعليّ وأم هانىء لهم صحبة واسم أم هانىء فاختة وقيل هند، وجُمانة، وأبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب كناه أبوه بذلك لحسن وجهه ومن ولده عتبة ومعتب ثبتا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ودُرَّةُ لهم صحبةٌ، وعتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام على كفره بدعوة النبي ﷺ، وعبد الكعبة، وحجل واسمه المغيرة، وضرار أخو العباس لأمه، والغيداق وإنما سمّي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاماً.

وعمّاته:

ست: صفية، وعاتكة، وأروى، وأُميمة، وبرّة، وأم حكيم البيضاء، أما صفية فأسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام وهي أخت حمزة لأمه، وأما عاتكة قيل إنها أسلمت وهي صاحبة الرؤيا في بدر[3] وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة وزهيراً وقُرَيْبة الكبرى، وأما أرْوَى فإنها كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصيّ فولدت له طليب بن عمير وكان من المهاجرين الأولين شهد بدراً وقُتل بأجنادين شهيداً ولا عقب له، وأما أميمة فكانت عند جحش بن رئاب فولدت له عبد الله المقتول بأُحد شهيداً وأبا حمزة الأعمى الشاعر واسمه عبد وزينب زوج النبي ﷺ وحبيبة[4] وحمنة وكلهم له صحبة وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصّر ومات بالحبشة كافراً، وأما برة فإنها كانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له أبا سلمة واسمه عبد الله وكان زوج أم

---

(١) انظر «جمهرة النسب» للكلبي (ص ٢٨).

(٢) انظر «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر: رؤيا عاتكة في «عيون الأثر» لابن سيد الناس (١/ ٣٧٩).

(٤) وفي «الشجرة النبوية» لابن المبرِّد (٧١): أم حبيبة، وهي المستحاضة، أي كانت تستخاض، وحديثها في «صحيح مسلم» رقم (٣٣٤) كتاب الحيض، باب المستحاضة، عن عائشة رضي الله عنها.

سلمة قبل النبي ﷺ وتزوجها بعد عبد الأسد أبو رُهْم بن عبد العزى بن أبي قيس فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم، وأما أم حكيم البيضاء فإنها كانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أمراؤه:

باذان بن ساسان بن يلابش بن الملك جاماسب بن الملك فيروز بن الملك يزدجرد بن بهرام جُور الفارسي على اليمن كلها فلما مات باذان ولّي رسولُ اللهِ ﷺ ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها فقط، وولّى المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة كندة والصَدف، وولّى زياد بن لبيد البياضي الأنصاري حضرموت، وولّى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن ورمع والساحل، وولّى معاذ بن جبل الجَنَد، وعتابَ بن أبي أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس مكةَ وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وهو دون العشرين سنة في سنّه، وولّى أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس نجران، وولّى يزيد بن أبي سفيان بن حرب على تيماء، وولّى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس على صنعاء بعد قتل شهر بن باذان قَتَل شهراً رحمه الله الأسودُ العنسيُّ الكذّابُ، وولّى أخاه عمرو بن سعيد على وادي القرى، وولّى أخاهما الحكم بن سعيد على قرى عرينة وهي فدك وغيرها، وولّى أخاهم أبان بن سعيد على مدينة الخط بالبحرين وهي الّتي تنسب إليها الرماح، وولّى العلاء بن الحضرمي حليف بني سعيد بن العاص على القطيف بالبحرين، وولّى عمرو بن العاص على عُمان وأعمالها، وولّى عثمان بن أبي العاص الثقفي على الطائف، وولّى محمئة بن جزء بن عبد يغوث بن عَرفج بن عمر بن زبيد الزنيدي على الأخماس التي بحضرته قيل وهو حليف بني جُمَح، وولّى علي بن أبي طالب على الأخماس باليمن والقضاء بها، وولّى معيقب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني أمية بن عبد شمس على خاتمه، وولّى عدي بن حاتم على صدقات بني أسد وطيِّء، وولّى مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني حنظلة، وولّى قيس بن عاصم المنقري على صدقات مَنقر، والزبرقان بن بدر السعدي على صدقات بني سعد بن تميم، وولّى عمر بن الخطاب على بعض الصدقات أيضاً، وولّى ابن اللُّتْبِيَّةِ الأزدي على بعض الصدقات أيضاً، وولّى جماعة كثيرة على الصدقات أيضاً لأنه كان على كل قبيلة والٍ يقبض صدقاتها، وولّى أبا بكر الصديق أيضاً رضي الله عنه على موسم سنة تسع وخليفَتهُ عَلَىٰ ولايةِ الأمور كلّها.

رسله إلى الملوك:

أرسل عَمْرَو بن أميّة الضمري إلى النجاشي[1] واسمه أصحمة ومعناه عطيّة فأخذ كتابَ رسول الله ﷺ ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض وأسلم وحسُنَ إسلامه إلا

---

(١) انظر: «الأمم والملوك» للطبري (٣/ ٨٩).

أن إسلامه كان عند حضور جعفر بن أبي طالب وأصحابه ورُوي أنه كان لا يزال النور يُرى على قبره، وأرسلَ دحيةَ بن خليفة الكلبي إلى قيصر[١] ملك الروم واسمه هرقل فسأل عن النبي ﷺ وثبت عنده صحة نبوته فهَمّ بالإسلام فلم توافقه الروم وخافهم على ملكه فأمسك، وأرسل عبدَ الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس فمزّق كتاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «مزَّق الله مُلْكَهُ»[٢] فمزّق الله ملكه ومُلْكَ قومِهِ، وأرسلَ حاطبَ بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس[٣] ملك الإسكندرية ومصر فقال خيراً وقارَبَ الأمرَ ولم يسلم وأهدى إلى النبي ﷺ مارية القبطية وأختها شيرين فوهبها لحسّان بن ثابت الأنصاري فولدت له عبد الرحمن بن حسان، وأرسل عمرَو بن العاص إلى مَلِكَيْ عُمَان جيفر وعبد ابني الجُلَندي وهما من الأزد والملِك جيفر فأسلما وصدّقا وخليا بين عمروٍ والصدقةِ والحكمِ فيما بينهم فلم يزل عندهم حتى توفى رسول الله ﷺ، وأرسل سليطَ بن عمروٍ العامري إلى اليمامة إلى هَوْذَة بن علي[٤] الحنفي فأكرمه وأنزله وكتب إلى النبي ﷺ ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومي وشاعرهم فاجعلْ لي بعضَ الأمر فأبى النبي ﷺ ولم يسلم ومات زمن الفتح، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني[٥] ملك البلقاء من أرض الشام قال شجاع فانتهيتُ إليه وهو بغوطة دمشق فقرأ كتاب النبي ﷺ ورمى به وقال أنا سائر إليه وعزم على ذلك فمنعه قيصر، وأرسل المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث الحميري[٦] أحد مقاولة اليمن، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي[٧] ملك البحرين وكتب له كتاباً يدعوه إلى الإسلام فآمن وصدّق، وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذَ بنَ جبل الأنصاري[٨] رضي الله عنهما إلى جملة اليمن داعِيَيْنِ إلىٰ الإسلام فأسلمَ عامَّةُ أهل اليمن وملكوهم طوعاً.

نبذة من معجزاته وآياتهِ ﷺ:

منها القرآن العظيم وهو أكبرها الذي دعا به بلغاء قريش وهم ما هم قالَةُ البلاغة ولسن الفصاحةِ لهم:

من آفاق ذلك قمراها والنجوم والطوالع

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٤١٦٢) كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، و«الكامل» لابن الأثير (٢/ ٨١).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني «شرح الزرقاني» (٣/ ٣٩٣).

(٣) «حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٤٣)، و«الخطط» للمقريزي (١/ ٢٩).

(٤) انظر «السيرة الحلبية» لابن برهان (٢/ ٣٧٤).

(٥) انظر: السيرة الحلبية» لابن برهان (٢/ ٣٧٦)، و«المواهب اللدنية» «شرح الزرقاني» (٣/ ٤٠٧).

(٦) انظر: «الأمم والملوك» للطبري (٣/ ٨٨)، والسيرة الحلبية» لابن برهان (٢/ ٣٧٦)،

(٧) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٨٠)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (٧٧ ـ ٧٨).

(٨) انظر: «كتاب الخراج» لأبي يوسف (٥٦)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (٨٨).

ودعا غيرَهم مذ بعثه الله تعالى قرناً فقرنا وجيلاً بعد جيلٍ إلى يومنا هذا وإلى يوم البعثِ والنشور على أن يأتوا بعشر سُوَرٍ مثله مفترياتٍ وتنازَلَ معهم إلى الإتيان بسورة من مثله وفي السور ما هو ثلاث آيات وتحدّى به الإنسَ والجنّ فلم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ونكصوا على أعقابهم خائبين، وذهب كلُّ نبيٍّ بمعجزاته ولم يبقَ لها أثر ظاهر خلا الروايات عنها والأخبار وأبقى لنا ﷺ معجزاً خالداً بين ظهرانينا إلى يوم القيامة بعد ذهابه لا تنكسف شموسه ولا تذوي زهراته، وانشقاق القمر روى مسلم والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبلُ فلقةً وكانت فلقةٌ فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ «اللهُمَّ اشْهَد» وروى الترمذي عن جبير بن مطعم قال انشقّ القمر على عهد رسول الله فصار فرقتين فقالت قريش: سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم - وزاد رَزِينَ -: فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذّبونهم، وما أحقّه ﷺ بقول أبي الطيب [الطويل]:

متى ما يُشِرْ نحوَ السماءِ بطرْفه　　　تَخِرُّ له الشِّعْرَى وينكسِفُ البَدْرُ

وإن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال: «شاهت الوجوه» وحصبهم فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصباء إلا قُتل يوم بدر، ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى، ونسج العنكبوت في الغار وما كان من أمر سُراقة بن مالك إذ بُعِث خلفه في الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلدَ[1]، ومَسَحَ على ظهر عَنَاقٍ لم يَنْزُ عليها الفحل فدرَّتْ، وشاة أم معبد[2]، ودعوته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعزّ الله به الإسلام[3] ودعوته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يذهب عنه الحرّ والبرد[4]، وتفله في عينيه وهو أرمد فعوفي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك[5]، وردّه عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خدّه فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[6]، ودعاؤه لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين[7] وكان يسمّى الحبر

---

(١) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذري (٧٨).
(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ١٧٩ - ١٨١).
(٣) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٢٣٨)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣).
(٤) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٦٤٤).
(٥) انظر: «تحفة الأحوذي» للمباركفوري رقم الحديث (٣٨٠٨) أبواب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٠ج/ ص ٢٢٨ - ٢٢٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢/ ٢٦)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٧٤ - ١٢٧٥) رقم الترجمة (٢١٠٧).
(٧) انظر: «تحفة الأحوذي» للمباركفوري، كتاب المناقب (ج ١٠/ ص ٣٢٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
(٨) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٣٠٧).

والبحر لعلمه، ودعاؤه لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً[١]، ودعاؤه لأنس بن مالك بطولِ العُمُرِ وكثرة المال والولد فعاش مائة سنة أو نحوها وُولِدَ له مائةٌ وعشرون ولداً ذكراً لصلبه وكان نخله يحمل في السنة مرتين[٢]، وفي تمر جابر بالبركة فأوفىٰ غرماءَهُ وفضل ثلاثة عشر وَسْقاً، واستسقاؤه عليه السلام فمُطروا أسبوعاً ثم استصحاؤه فانجابتِ السحاب [الكامل]:

وإذا النوائب أظلمت أحداثها لبست بوجهك أحسنَ الإشراق

ودعاؤه على عتبة بن أبي لهب فأكله الأسد[٣] بالزرقاء من الشام، وشهادة الشجرة له بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهدٍ على ما تقول فقال: «نعم هذه الشجرة»[٤] ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها، وأمره شجرتين فاجتمعتا ثم افترقتا[٥]، وأَمْرُهُ أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقول لهن أمركنّ رسول الله ﷺ أن تجتمعن فاجتمعْنَ فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعَوْدِ إلى أماكنهن فعُدْنَ ونام فجاءت شجرة تشقّ الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذُكِرَتْ له فقال: «هي شجرة استأذنت ربّها في أن تسلّم عليّ فأذِنَ لها»[٦]، وسلام الحجر والشجر عليه ليالي بُعِثَ السلام عليك يا رسول الله، وقوله: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث»[٧]، وحنين الجذع[٨] إليه وتسبيح الحصى في كفّه وكذلك الطعام، وإعلامه الشاةُ بسمّها[٩]، وشكوى البعير إليه كثرةَ العمل وقلةَ العلف، وسؤال الظبية له أن يخلّصها من الحبل لترضع ولديها وتعود فخلّصها فتلفظّت بالشهادتين[١٠]، وإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يَعْدُ أحدٌ منهم مصرعه، وإخباره أنَّ طائفةً من أمّته يغزون في البحر وإن أمّ حرام بنت ملحان منهم فكان كذلك[١١]، وقوله لعثمان رضي الله عنه «تصيبه بلوى شديدة»[١٢] فكانت وقُتل، وقوله للأنصار:

---

(١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١).

(٢) عُتبة بن أبي لهب أسلم هو وأخوه مُعَتِّب يوم الفتح، وكانا قد هربا من النبي ﷺ، فبعث النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب عمهما إليهما، فأتى بهما، فأسلما، فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامهما، وشهدا مع رسول الله ﷺ حنيناً، وكانا ممن ثبت ولم ينهزما، وشهدا الطائف ولم يخرجا عن مكة، ولم يأتيا المدينة، ولهما عقب. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٤٦٥)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٣١).

(٣) انظر: «دلائل النبوة»، لأبي نعيم الأصبهاني (٣٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٣٣).

(٥) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٣٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٤٠).

(٧) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٤٤).

(٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢١٦٥) كتاب المغازي، باب الشاة التي سُمّتْ للنبي ﷺ.

(٩) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (٣٢٠).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٦/ ٤٢٣).

(١١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٨٤) كتاب الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان رقم (٣٤٩٢) و(٣٤٩٦). ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٤٠٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٩٣ ـ ٤٠٦).

(١٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٨٤٥) كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم.

«إنكم ستلقون بعدي أثره»[١] فكانت زمن معاوية وقوله في الحسن: «أن ابني هذا سيّد وأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٢]، وإخباره بقتل العنسي الكذّاب وهو بصنعاء ليلة قتله وبمن قتله، وقوله لثابت بن قيس: «تعيش حميداً وتُقتلُ شهيداً[٣]» فقُتِلَ يوم اليمامة، ولما ارتدّ رجل من المسلمين ولحق بالمشركين بلغه أنه مات فقال: «إن الأرض لا تقبله» فكان كذلك، وقوله لرجل يأكل بشماله: «كل بيمينك» فقال لا أستطيع فقال له: «لا استطعتَ» فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعدُ، ودخوله مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلّقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها به ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»[٤] وهي تتساقط، وقصّة مازن بن الغضوبة الطائي[٥] وسواد بن قارب[٦] وأمثالهما، وشهادة الضبّ بنبوّته، وإطعام ألف من صاع شعير بالخندق[٧] فشبعوا والطعامُ أكثرُ مما كان وأطعمهم من تمر يسير وجمع فضل الأزواد على النطع ودعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر فقامت بهم وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفّهن في يده: وقال ادعُ لي فيهن بالبركة قال أبو هريرة فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وَسْقاً في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان، ودعاؤه أَهْلَ الصفة لقصعة ثريد قال أبو هريرة فجعلتُ أتطاول ليدعوني حتى قام القومُ وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعها رسول الله ﷺ فصار لقمة ووضعها على أصابعه وقال: «كل باسم الله» فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت، وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوّد أربع مائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير فزوّدهم كلَّهم منه وبقي بحسبه كما كان، ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضّؤوا وهم ألف وأربع مائة، وأُتي بقدح فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يَسَعْ فوضع أربعةً منها وقال: «هلمّوا فتوضؤوا أجمعين» وهم من السبعين إلى الثمانين، وورد في غزوة تبوك على ماء لا يروي واحداً والقوم عطاشٍ فشكوا إليه فأخذ سهماً من كنانته فغرسه فيها ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً، وشكا إليه قوم ملوحة في مائهم فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المَعين، وأتته امرأة بصبيّ لها أقرعَ فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه فسمع أهل اليمامة بذلك فأتت امرأة إلى مُسَيْلِمَةَ بصبيّ فمسح رأسه فتصلّع وبقي الصَّلَع في نسله، وانكسر سيف عكّاشة يوم بدر فأعطاه جذلاً من حطب فصار في يده سيفاً ولم يزل بعد ذلك عنده، وعزّت كُدْيَةٌ بالخندق عن أن يأخذها المِعول فضربها فصارت كثيباً

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٩٢) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إنَّ ابني هذا لسيدٌ، ولعلّ اللّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٠٣٦) كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٧٨٠) كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة.

(٤) انظر قصته في: «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ١٣٠ ـ ٤٤) رقم (٢٣٣٣).

(٥) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٨٧٦) «كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

أَهْيَلَ، ومسح على رِجْلِ أبي رافع وقد انكسرت فكأنّه لم يشكها قط، وقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها» وصدّق الله قوله بأنّ مُلْكَ أمّتِهِ بلغ أقصى المشرق والمغرب ولم ينتشر في الجنوب ولا في الشمال، وأخبر عن الشيماء بنت بقيلة الأزدية أنها رُفِعَتْ له في خمار أسود على بغلةٍ شهباء فأخذت في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جيش خالد بن الوليد بهذه الصفة، وقال لرجل ممن يدّعي الإسلام وهو معه في القتال «أنه من أهل النار» فصدّق الله قوله بأن ذلك الرجل نحر نفسه وهذا لا يُعْرَفُ البتةَ بشيءٍ من النجوم ولا بخطّ ولا بزجر ولا بالنظر في الكف ولا بتصويت الوزغ وأبطلَ الله تعالى ببعثته الكهانة فانقطعت وكانت ظاهرة موجودة، ودعا اليهود الى تمنّي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك، وأخبر بأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية فكان مع علي بن أبي طالب وقتله جماعة معاوية، وأنذر بموت النجاشي وخرج هو وأصحابه الى البقيع فصلّوا عليه فورد الخبر بموته بعد ذلك في ذلك اليوم، وخرج على نفر من أصحابه مجتمعين فقال: «أحدكم في النار ضرسه مثل أُحُد» فماتوا كلّهم على الإسلام وارتدّ منهم واحد وهو الدجّال الحنفي فقتل مرتدّاً مع مسليمة وقال لآخرين منهم (آخركم موتاً في النار) فَسقط آخرهم موتاً في نارٍ وهو سَمُرَةُ بن جندب، وأخبر بأنه يقتل أمية بن خلف الجُمَحِيّ فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيّته منه وأخبر فاطمةِ ابنته رضي الله عنها أنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك، وأخبر نساءه أن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به وكانت زينبَ بنتَ جحش الأسدية لأنها كانتْ كثيرةَ الصدقةِ، وحكىَ الحكمُ ابن أبي العاص مشيته مستهزئاً فقال: «كذلك فكن» فلم يزل يرتعش الى أن مات، وخطب أمامة بنت الحارث بن أبي عوف وكان أبوها أعرابياً حافياً فقال إن بها بياضاً فقال «لتكن كذلك» فبرصت من وقتها فتزّوجها ابنُ عمها يزيدُ بن حمزة فولدت له الشاعرَ شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصاء، وليلة ميلاده اضطرب إيوان كسرى حتى سُمِعَ صوته وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة، ومن علائم نبوّته حراسة السماء بالشهب التي تقذف الشياطين فلا تسترق السمع، وبشرى الكهان به والهواتف، وإخبار الأحبار بظهوره، وفراسة بحيرا الراهب فيه ومعرفته آيات النبوة وأمارات البعثة [الكامل]:

ورأوك وضّاح الجبين كما يُرَى ... قَمَرُ السماءِ السعدِ ليلةَ يكمل

وولادته مختوناً مسروراً، وسجع شقّ وسطيح، ورؤيا الموبذان إلى غير ذلك من الآيات الظاهرةِ والامارات الباهرة والدلالات الزاهرة والمعجزَات القاهرة والسيرة التي:

شُهِرَت شُهْرَةَ النجوم وسارَ الذكر منها في الناس سير القوافي

غزواته:

غزا رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين غزوةً بنفسه هذا هو المشهور قاله محمد بن إسحاق وأبو معشر وموسى بن عقبة وغيرهم وقيل سبعاً وعشرين غزوة، غزوة الأبواء وهي أول غزاة غزاها بنفسه، غزوة بواط وهي من ناحية رضوى، غزوة العَشيرة من بطن ينبع، غزوة بدر الأولى يطلب

كرز بن جابر، بدر الثانية وهي أكرم المشاهد، غزوة بني سُليم حتى بلغ ماء الكدر، غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب غزوة ذي أمر، غزوة بُحْران، غزوة بني قينقاع [غزوة أحد]، غزوة حمراء الأسد، غزوة بني النضير، غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الثالثة، غزوة دومة الجندل، غزوة الخندق، غزوة بني لِحْيَانَ، غزوة ذي قرد، غزوة بني المصطَلق، غزوة الحديبية، غزوة خيبير، غزوة مؤتة، غزوة فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف، غزوة تبوك، قاتل ﷺ من هذه الغزوات في سبع بدر وأحد والخندق وبني قريظة وبني المصطلق وخيبر والطائف وقيل قاتل أيضاً بوادي القرى والغابة وبني النضير ولم يكن في غير ما قاتل فيه قتال.

مواليه:

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وابنه أُسامة بن زيد وكان يقال له الحِبُّ بن الحِبّ، وثوبان بن بُجدُد وكان له نسب في اليمن، وأبو كبشة من مولّدي أرض دَوْس شهد بدراً وأعتقه واسمه سُلَيْم[١] وتوفى يوم استخلف عمر، وأنيسة من مولّدي السراة وأعتقه، وصالح[٢] شقران ورثه من أبيه وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه، ورباح أسود[٣]، ويسار نوبيّ، وأبو رافع[٤] واسمه أسلم وقيل إبراهيم وهبه له العباس فأعتقه حين بشّره بإسلام العباس وزوّجه سلمى مولاةً له فولدت له عبيد الله كَتَبَ لعليّ، وأبو مويهبة[٥] من مولّدي مزينة وأعتقه، وفضالة[٦] مات بالشام، ورافع كان مولى لسعيد بن العاص فورثه ولده فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم فجاء رافع إلى النبي ﷺ يستعينه فوُهِبَ له وكان يقول أنا مولى رسول الله ﷺ، ومِدعَم أسود وهبه له رفاعة الجذامي قتل بوادي القرى، وكِركِرة[٧] نوبيّ أهداه له هوذة بن عليّ وأعتقه وكان على ثقل النبي ﷺ، وزيد جدّ هلال بن يسار بن زيد، وعبيد، وطهمان أو كيسان أو مهران أو ذكوان أو

(١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ٢٦١).
(٢) واسمه صالح بن عدي، انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور.
(٣) كان يأذن على رسول الله ﷺ انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢/ ٣٠١).
(٤) ويقال: رافع.
(٥) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٣١٦).
(٦) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ٣٦٣) وفيه: أنه كان من أهل اليمن.
(٧) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(٨) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢/ ٣٠٥)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٩٩).
(٩) وكان خصيّاً.
(١٠) روى عن رسول اللّهِ ﷺ حديثاً هو: «مَنْ أطاع اللّه فقد ذكر الله، وإنْ قلّتْ صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومَن عصى الله فلم يذكره، وإن كثرت، صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن». انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ٤٣٣).
(١١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ١٧٧) وفيه: أن رسول الله ﷺ كتب له كتاباً، ولأهل بيته كتاباً، أوصى المسلمين بهم خيراً. وانظر الكتاب في: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢/ ٣١٤).

مروان[١]، ومابور القبطي أهداه له المقوقس[٢]، وواقد[٣] وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة[٤] من الفيء وأعتقه، وحنين، وأبو عسيب[٥] واسمه أحمر، وأبو عبيد[٦]، وسفينة كان لامّ سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم النبي ﷺ حياته فقال لو لم تشترطي عليّ ما فارقته وكان اسمه رباحاً وقيل مهران، وأبو هند وأعتقه، وأنجشة الحادي، وأبو لبابة وأعتقه، هؤلاء هم المشهورون وقد عُدّوا أكثر من ذلك.

وإماؤه:

سلمى أمّ رافع[٧]، وبركة أم أيمن[٨] حاضنته ورثها من أبيه، ومارية[٩]، وريحانة سبيّة من قريظة، وميمونة[١٠] بنت سعد، وخُضرة[١١] ورضوى[١٢].

خدمه:

أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، وهند وأسماء ابنا حارثة[١٣]، وربيعة بن كعب[١٤] الأسلميّون، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه كان إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وكان بلال بن رباح المؤذّن، وكذلك عمرو بن قيس الأعمى المدعوّ ابن أم مكتوم، وأبو محذورة أقرّه مؤذّناً بمكة، وسعد القرظ مؤذن بالمدينة، ومن خدمه سعد[١٥] مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ابن أخي النجاشي ويقال ابن أخته ويقال ذو مخبر، وبكير[١٦] بن شدّاخ الليثي، وأبو ذرّ الغفاري، وخطيبه ثابت بن قيس بن الشماس، وفارسه أبو قتادة الأنصاري، وكانت أم أيمن دايته، وبلال بن رباح على نفقاته، وقيس بن سعد بن عبادة بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، وذؤيب بن حلحلة والد الفقيه قبيصة صاحب بُدنه التي أهداها والناظر عليها، وحجمه أبو طيبة.

---

(١) له صحبة ورواية.

(٢) روى حديثه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٥) وأوله: «ناولني ذراعها». وانظره في «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢/ ٣١٤).

(٣) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/ ١٤٧)، وفيه: وكانت قابلة بني فاطمة، وقابلة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ.

(٤) وهي بركة بنت ثعلبة. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/ ٣٦).

(٥) تقدّمت ترجمتها في أزواج النبي ﷺ.

(٦) ذكرها الإمام أحمد، وأخرج لها أبو نعيم وابن مندة.

(٧) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/ ٨٦).

(٨) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/ ١١٠).

(٩) انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٤٠٧).

(١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) ويقال: بكر. انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٤٠٧).

حرسه:

سعد بن معاذ يوم بدر[١]، وذكوان بن عبد قيس ومحمد بن مسلمة بأحد، والزبير يوم الخندق، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص وأبو أيوب[٢] بخيبر، وبلال بوادي القرى فلما نزلت: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك الحرس، ووقف المغيرة بن شعبة الثقفي على رأسه بالسيف يوم الحديبية، وكان الضحاك بن سفيان الكلابي سيّافه، وكان عمرو بن عَبسة السلمي صديقَ رسول الله ﷺ في الجاهلية، وكان عياض بن حمار بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم حرميَّ رسول الله ﷺ في الجاهلية ومعنى ذلك أن قريشاً كانت من الحُمْس وكانت بنو مجاشع من الحلة وهما دينان من أديان العرب في الجاهلية وكان الحليّ لا يطوف بالبيت إلا عريان إلا أنْ يعيره رجل من الحمس ثياباً يطوف فيها وكان عياض يطوف في ثياب رسول الله ﷺ وعِيَاض هذا ابن عم الأقرع بن حابس بن عقال لحّاً.

كتّابه:

كتب له عليه السلام أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس بن الشماس، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار، ومعاوية ويزيد أخوه ابن أبي سفيان، وشرحبيل بن حَسَنة[٣]، وكان معاوية وزيد بن ثابت دون هؤلاء يلازمون الكتابة بين يديه في الوحي وغيره لا عمل لهما سواه.

وكان علي والزبير ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والمقداد يضربون الأعناق بين يديه ﷺ.

النجباء من أصحابه:

أبو بكر وعمر وعلي وحمزة وجعفر وأبو ذرّ والمقداد وسلمان وحذيفة وابن مسعود وعمّار وبلال.

العشرة المشهود لهم بالجنة:

هم الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عُبَيْد الله، والزُبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنهم.

الذين أشبهوه:

الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمه جعفر بن أبي طالب، وقثم بن العباس بن عبد

---

(١) في العريش، انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٤١٤).

(٢) وذلك عندنا تزّوج صفية، انظر: المصدر السابق.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير، ولم يذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه.

المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والسائب بن عبيد جد الشافعي، وقد جمعهم الشيخ الإمام فتح الدين بن سيد الناس اليعمري أنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

لخمسةٍ شَبَهُ المختار من مضر ... يا حُسنَ ما خُوِّلوا من شِبْهِهِ الحَسَنِ

لجعفر وابن عم المصطفى قُثَمٍ ... وسائبٍ وأبي سفيان والحَسَنِ

وشبهُه ﷺ مقتسم بين الحسن والحسين فالأعلى للحسن والأسفل للحسين، وممن أشبهه مسلم بن مُعتب، وكابس بن ربيعة السامي.

دوابّه:

من الخيل[1] عشرة على خلافٍ في ذلك بزيادة ونقص، وهي السَّكتب[2] وكان عليه يوم أحد وكان أغرّ محجّلاً طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشر أواق، والمُرْتجز[3] وهو الذي شهد به له خزيمة بن ثابت، ولِزاز[4] وهو الذي أهداه إليه المقوقس، واللُحَيف[5] وهو الذي أهداه له ربيعة بن أبي البراء، والظَّربُ[6] وهو الذي أهداه فروة الجذامي، والورد[7] وهو الذي أهداه له تميم الداري، والضرس وملاوح[8] وسبحة[9] اشتراه من تجار من اليمن فسبق عليه ثلاث مرّات فمسح عليه السلام وجهه وقال (ما أنت إلا بحر) وقد جمع من أسماء خيله ﷺ في أبيات من قصيدة يمدحه بها الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري أنشدني لنفسه قراءةً مني عليه [مجزوء الكامل]:

لم يزل في حربه ذا ... وثَباتٍ وَثَبَات

كَلِفاً بالطعن والضر ... ب وحُبّ الصافنات

من لزاز ولُحَيف ... ومن السكب المُؤاتي

ومن المرتجز السا ... بق سبق الذاريات

ومن الورد ومن سب ... حة قيد العاديات

---

(١) انظر: خيله عليه الصلاة والسلام في «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) شبه في سرعته بفيض الماء وانسكابه.

(٣) المرتَجز: سمي بذلك لحسن صهيله. وهو الذي شهد به فيه خزيمة بن ثابت، فجعل شهادته رجلين، كما في «صحيح البخاري» (٤٧٨٤)، وأبي داود (٣٦٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨).

(٤) لِزَاز: من قولهم: لا زِزته، أي لاصقته، كأنّه يلتصق بالمطلوب لسرعته.

(٥) اللحيف: فُعَيل بمعنى فاعل، كأنه يلحف الأرض بذنبه.

(٦) الظَّرِبُ: واحد، الظِّراب، وهي الروابي الصغار، سمي به لكبره وسِمنِه، وقيل: لقوته وصلابته.

(٧) الوَرْد: لونٌ بين الكُمَيْت والأشقر.

(٨) ملاوح: الضامر الذي لا يسمن.

(٩) سبحة: من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مدّ اليدين.

ومن البغال ثلاثة وهي الدلدل[١] التي أهداها له المقوقس وهي أول بغلة رُكِبَتْ في الإسلام وعاشت بعده إلى أن زالت أسنانها وكان يُجشّ لها الشعير، وفضة أتّهبها من أبي بكر، والأيليّة أهداها له ملك أيلة، وكان له حمار يقال له عُفَير[٢] وقيل يعفور وهو الأشهر، وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئاً، وكان له بالغابة عشرون لقحة[٣] يُراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن وكان فيها لقاحُ غُزْرٌ الحنّاء والسمراء والعُريس والسعديّة والبَغوم[٤] واليَسوم والزبّاء وكانت له لقحة تسمّى بردة أهداها له الضحاك بن سفيان كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان وكانت له مهرة أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، والشقراء والعضباء ابتاعها أبو بكر من نعم بني الحريش والقصواء[٥] وهي التي هاجر عليها إلى المدينة وكانت إذ ذاك رباعية وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرُها، والجدعاء وهي التي سُبِقت فشقّ على المسلمين فقال ﷺ: «إن حقّاً على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلاّ وضعه» وقيل المسبوق غيرها، وكان له من الغنم مائة وكان له منائح سبع من غنم عُجرة وزمزم وسُقيا وبَركة ووَرسة والطِلال وأطراف وكان له شاة يختصّ بشرب لبنها تُدعى غيثة، وكان له ديك أبيض.

سلاحه:

تسعة أسياف ذو الفقار تنفَّلَهُ يوم بدر من بني الحجاج السهميَّيْنِ ورأى في النوم في ذبابه ثُلْمَةً فأوّلها هزيمة وكانت يوم أحد، وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف سيفٌ قلَعي بفتح اللام وسيف يدعى بتّاراً وسيف يدعى الحتف[٦] وكان له المخذم[٧] والرَسوب أصابهما من الفُلُس وهو صنم لطيّ، وآخر ورثه من أبيه والعضب أعطاه إياه سعد بن عبادة والقضيب وهو أول سيف تقلّد به ﷺ، وقال أنس بن مالك كان نعل سيف رسول الله ﷺ فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق فضة، وأربعة رماح المتثني وثلاثة من بني قينقاع وعَنَزَة تحمل بين يديه في العيدين ومحجن قدر الذراع ومخصرة تسمّى العرجون وقضيب يسمّى الممشوق، وأربعة قسِيٍّ قويس اسمها الروحاء وقوس شَوْحَط وقوس صفراء يدعى الصفراء وجعبة وترس كان فيه تمثال عقاب أهدي له فوضع يده على العقاب فذهب وقيل تمثال رأس كبش فكره مكانه فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل، ودرعان من سلاح بني قينقاع درع يقال له السُعدية[٨] ودرع يقال لها فضة ودرع تسمى ذات

---

(١) ويقال لها: الشهباء.

(٢) كان أشهب، ونفق في حجة الوداع، والعُفرة: الغُبرة. انظر: «السيرة الحلبية» لابن برهان (٣/ ٤٣٢).

(٣) هي الناقة الحلوب، وهي التي أغار عليها القوم بالغابة. انظر: «الطبقات» لابن سعد (١/ ٤٩٤).

(٤) وقيل: البغوم.

(٥) وروي عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه قال: إنما كان له ناقة واحدة موصوفة بهذه الصفات الثلاث. قال ابن كثير: وهذا غريب جدّاً، حكاه النووي. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٣٦ ـ ٣٧).

(٦) في «السيرة الحلبية» لابن برهان (٣/ ٤٢٧): الحيف، بفتح الحاء وسكون الياء، وهو الموت.

(٧) المِخْذَم: القاطع.

(٨) ويقال: السُغدية.

الفضول[١] لبسها يوم حنين ولبس يوم خيبر ذات الفضول وفضة، ومغفر يقال له السبوغ ولواء أبيض، ومنطقة من أديم مبشور فيها ثلاث حلق فضة والإبزيم فضة والطرف فضة، ومن القصيدة التائية التي للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس المذكورة آنفاً أبيات فيها أيضاً ذكر شيء من أسماء سلاحه وهي [مجزوء الكامل]:

وإذا هــزّ حــســامــاً ... هــزّه حــتــف الــكُــمــاةْ
مــن قــضــيــب ورســوب ... راســب فــي الــضــربــاتْ
وانــتــضــى الــبــتّــار فــيــهــم ... فــلّ حــدّ الــبــاتــراتْ
خِــلــت لــمــعَ الــبــرق يَــبــدو ... مــن سَــنــا ذي الــفــقــراتْ
ولــنــار الــمــخــذم الــمــا ... ضــي لــهــيــب الــجــمــراتْ
وبــمــاء الــحــتــف والــعــضــ ... ب طــهــور الــفــجــراتْ
ولــه بــالأســمــر الــذا ... بــل حــرّ الــفــعــلاتْ
يــتــثــنــى الــمــتــثــنّــي ... مــثــل رقــص الــراقــصــاتْ
نــاظــمــاً مــنــهــم رؤوســاً ... مــثــل نــظــم الــخــرزاتْ
وعــن الــروحــاء يــرمــي ... بــســهــام مُــصــمــيــاتْ

واتخذ ﷺ خاتم ذهب ثم رماه وتبرأ منه[٢] واتخذ خاتم فضة فَصُّهُ منه نقشه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر قيل إنه كان حديداً ملويّاً بفضة كان يحبسه في خنصره في يساره وربما في يمينه يجعل فصّه إلى باطن كفّه[٣] ونهى أن ينقش أحد على نقشه كما نهى أن يكتني أحد بكنيته ولم يزل الخاتم في يده إلى أن مات ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان فلما كان في السنة السادسة من خلافته سقط في بئر أريس فنزحت البئر وأُخرج منها أكوام طين فلم يوجد الخاتم.

أثوابه وأثاثه:

ترك ﷺ يوم مات ثوبي حبرة وإزاراً وعمامة وثوبين صُحارِيَّيْن وقميصاً صُحارِيّاً وآخر سَحُولِيّاً وجبّة يمنيّةً وخميصةً وكساء أبيض وقلانسَ صغاراً لاطية ثلاثاً أو أربعاً وملحفة مُوَرَّسة وكانت له ربعة فيها مرآة ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك، وكان له فراش من أدم حشوه

---

(١) سميت بذلك لطولها.

(٢) انظر: «الشمائل» للترمذي رقم (٩٨).

(٣) كان ﷺ يتختم به في يمينه. انظر: «الشمائل» للترمذي رقم (٩٠ ـ ٩٤) ورقم (٩٥) وفيه: أنَّ النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه (محمد رسول الله).. وهو الذي سقط من معيقيب في بئر أريس كما سيذكر الصفدي.

ليف، وقدح مضبَّبٌ بفضة في ثلاثة مواضع وقدح آخر وتَورٌ من حجارة ومخضب من شبَهٍ تعمل فيه الحناء والكتم ويوضع على رأسه إذا وَجد فيه حرارةً وقدح زجاج ومغتسل من صفر وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر ومُدّ وسرير وقطيفة، وأهدى له النجاشيُّ خفَّيْن ساذجين فلبسهما وكان له كساء أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها علياً فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهي عليه (أتاكم عليٌّ في السحاب) وله ثوبان للجمعة غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء.

ومدحه بالشعر جماعة من رجال الصحابة ونسائهم جمعهم الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس اليعمري في قصيدة ميمية ثم شرحها في مجلدة «سمّاها مِنَح المدح» ورتبهم على حروف المعجم فأربى في هذا الجمع على الحافظ ابن عبد البر لأنه ذكر منهم ما يقارب المائة والعشرين أو ما يزيد على ذلك والشيخ فتح الدين قارب بهم المائتين ولا أعلم أحداً حصّل من الصحابة الذين مدحوا النبي ﷺ هذا القَدْرَ وقد كتبت هذا المصنَّفَ بخطّي وسمعت من لفظه ما يقارب نصفَهُ وأجازني البقية، وأما شعراؤه الذين كانوا بصدد المناضلة عنه والهجاء لكفّار قريش فإنهم ثلاثة حسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري وكعب بن مالك الأنصاري، وكان حسان يُقبل بالهجو على أنسابهم وعبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر وكعب بن مالك يخوّفهم الحرب فكانوا لا يبالون قبل الإسلام بأهاجي ابن رواحة ويألمون من أهاجي حسّان فلما دخل مَنْ دخل منهم الإسلامَ وجد ألم أهاجي ابن رواحة أشدَّ وأشقَّ، ومن أشهر الصحابة بالمدح له كعب بن زهير بن أبي سلمى السعدي وقصيدته (بانت سعاد)[1] مشهورة وما من شاعر في الغالب جاء بعده ومدح رسول الله ﷺ إلاّ وقد نظم في وزنها ورَوِيِّها، وَ القاضي محيي الدين عبد الله بن [عبد]الظاهر حيث يقول [الطويل]:

لقد قال كعب في النبي قصيدة | وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فإنْ شملتنا بالجوائز رحمةٌ | كرحمة كعبٍ فهو كعبٌ مبارك

وقلت أنا أمدحه بقصيدة متيمِّناً بوجهه الأغرّ وكعبه المبارك راجياً أن أُحشر في زمرةِ مَنْ مدحه فأولاه بِرَّهُ يوم القيامة ومَنَحَهُ وهي [البسيط]:

سَلوا الدموع فإنّ الصبّ مشغول | ولا تملّوا ففي إملائها طول
واستخبروا صادحات الأيك عن شجني | هل في الغرام الذي تُبديه تبديل
وهل لِمَا ضمّت الأحشاءُ بعدكم | من الجوى عندما تحويه تحويل
أحبّتي لا وعيشٍ مرّ لي بكمُ | وربعُ لهويَ باللذّات مأهول
ما كان لي مذ عرفت الوجد قطُّ ولا | يكون في غيركم قصدٌ ولا سُول

(١) شرحها ابن هشام (جمال الدين عبد الله) بعنوان «قصيدة بانت سعاد في مدح خير العباد ﷺ» و«حاشية الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري.

هيهات ما راق طرفي غيرُ حسنِكمُ لأنه بسويدا القلب مجبول

وحقِّكم إنّ عذري في محبّتكم عند العواذل بعد اليوم مقبول

ما لي أنينٌ لتقضوا أنّ لي رمقاً هذا دليلٌ على أن ليس مدلول

فليت جسمِيَ إذ أبلاه حبُّكمُ لم تبق من سَقَمي عندي عقابيل

عقدتمُ هُدْبَ أجفاني بحاجبها فلم أنم ونطاق الدمع محلول

هَبُوا من الغمض ما ألقى الخيال به إذا سرى فلقاء الطيف تخييل

وخفّفوا إن أردتم من ضنى جسدي أو لا فما أحد عن ذاك مسؤول

إن تحكموا لي بأن أبكي على أرقي فإنّ هذا على عينيّ محمول

يا برق لا تتشبّه لي بمبسمهم فما ابتسمتَ بثغر يُخجل اللولو

وليت ثغرك فيه منهُم شنب وليت قطرك مثل الريق معسول

ويا نسيم الصبا برّد لظى كبدي فإنّ ذيلك بالأنداء مبلول

واحمل رسائل أشواقي لطيبةَ لا زالت تحثّ لها النجب المراسيل

سلّم على ربعها المحروس إنّ لها مجداً له برسول الله تأثيل

محمّدٍ خير مبعوث لأمّته في الحشر والنشر تقديمٌ وتفضيل

سادت قريشٌ به الأعرابَ قاطبةً فكم لها منه تنويهٌ وتنويل

أضحوا وفرع معاليهم إذا فخروا به على هامة الجوزاء مهدول

وكان يُدعى نبيّاً حيث آدم لم يكن له قبل خلق الطين تشكيل

والبيت صار حمىً إذ كان مظهره فكلّ مَنْ رامه بالسوء مخذول

فصان ساحته من كيد أبرهةٍ لما أتاه وفي أصحابه الفيل

بادوا بأحجار سجّيلٍ وما رجعوا لمّا رمتهم بها الطير الأبابيل

وما شكتْ أمُّهُ من حمله ألماً وكيف وهو بلطف الله محمول

وانشقّ إيوان كسرى عند مولده وارتجّ من جانبيه العرض والطول

ورؤية الموبذان الخيلَ في حُلُم منه وسجع سطيح فيه تطويل

ونار فارس من بعد اللهيب خبَتْ فراح كلٌّ بهذا وهو مشغول

وكم به بَشَّرَ الأحبارُ من بِشرٍ بحيث لم يبق في الأخبار تأويل

وكم له آيةٌ في الناس قد ظهرت لسردها جملٌ فينا وتفصيلُ

وشَقَّ في آل سَعدٍ صَدرَهُ مَلَكٌ من السماء وهذا القول منقول

حتّى رمى مغمز الشيطان منه فلم يكن له فيه بعد اليوم مأمول

وقد رآه «بحيرا» حين واجهَهُ ... عليه ظلُّ السحابِ الغُرّ إكليل
فقال يا عمَّهُ احفَظ ما خُصِصتَ به ... هذا به حَدُّ أهل الكفر مَفلول
فعاد حتى أراد الله بِغتَتَهُ ... وكل ما قدّر الرحمن مفعول
كم قد تحنَّثَ يوماً في حِرىً فأتى ... إليه من عند ربّ العرش جبريل
وقال قم فأتِ هذا الخلقَ تُنذرهم ... فعقلهم عن سراج الحقّ معقول
فجاءهم بكتاب ليس يدخله ... شكّ على أنه لم يبق تضليل
وحيٌ إليه من الله العظيم له ... عليه في كل حينٍ منه تنزيل
حبلٌ من الله قد أضحت هدايته ... بظلّها من توخّي الحقّ مشمول
باقٍ على الدهر غَضٌّ في تلاوته ... وما سواه على التكرار مملول
به تحدّى الورى طُرّاً فأعجزهم ... وصدّهم عنه تنكيبٌ وتنكيل
بلاغةٌ قصرت عنها الأنام ولم ... يُعهَد لها قبلُ ترتيبٌ وترتيل
أعيى قريشاً وهم في الحفل إن نطقوا ... كما علمنا هم اللسنُ المقاويل
إذا تلا آيةً في جمعهم زهقَتْ ... على فصاحتهم تلك الأباطيل
وجاء أصنامَ أهل الشرك فاضطربت ... ونكست في الثرى تلك التماثيل
فكان منه لدين الله حين دعا ... سيفٌ على عنق الكفّار مسلول
ولم يزل في جهاد المشركين إلى ... أنْ فُلَّ جمعهمُ منه وما ديلوا
وقام في الله أقوام إذا ذُكِرُوا ... يوم الوَغَى فهُم الغرُّ البهاليل
وافَوا يلبّونه طوعاً فقابلَهم ... مع الهُدَى منه ترحيبٌ وتأهيل
لا يألمون إذا أنكَتْ جراحهمُ ... فكلّ صعب إذا راضوه تسهيل
حتى لقد ظهر الدين الحنيف وفي ... عِرْنينه شمَمٌ والكفر مهزول
وصار أشهر من نارٍ على عَلَمٍ ... من بعد ما كان قِدْماً وهو مجهول
فيا لها أمّةً بالمصطفى رُحمت ... إذ جوده لجميع الناس مبذول
وفضل أمّته لم تخفَ رتبته ... إذ مَن يُعَدُّ سواهم فهو مفضول
كلٌّ يجيء وآثار الوضوء له ... في حشره غُرَّةٌ زانت وتحجيل
أعمالهم تشبه التيجان فوقهم ... لها الهدى والتقى والعلم إكليل
يا خاتَم الرسْل هل لي وقفةٌ بِمنى ... تُقضى المُنَى عندها والقصد والسول
وهل أزور ضريحاً أنت ساكنه ... تَسري إليك بِيَ العيس المراقيل
في عُصبةٍ يقطعون البيد في ظُلَمٍ ... وجوههم في دياجيها قناديل

حتّى أروّي بلثم التُّرْبِ فيك حشاً هيهات يشفي الظما من حرّها النيل
وَأُكْحِلُ العينَ من ذاك التراب على قربٍ ولا فرسخٌ دوني ولا ميل
قد أثقلتني على ضعفي الذنوب وما لي في سوى جاهك المقبول تأْميل
فكن شفيعي فإنْ تشفع فإنّيَ من لحدي إلى جنّة الفردوس منقول
مالي سوى حبّك المرجوّ من عمل أنفقتُ عمري وهذا فيه محصول
عليك صلّى إلٰه الخلق ما نفحت ريح الشمال وروض الحزن مطلول
وما حكى فيك ربُّ النظم ممتدحاً بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

تمت القصيدة وبتمامها تمت الترجمة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

• • •

محمد بن محمد

كما بدأتُ بالمحمّدين في هذا الكتاب تبركاً باسم النبي ﷺ كذلك بدأت بمن اسم أبيه محمد أيضاً لأن البركة تضاعفت والهمّة تساعفت ولأن صاحب هذه الترجمة تقمّص حلّةً بطرازين، ودخل إلى حقيقة هذا الترتيب من مجازين، واتّسم بحمل عَلَم علامته لها زين، ثم من بعد ذلك ارتّبُ أسماءَ الآباء على الحروف، وأسرد منها نقوداً يكون لها عند المتأمّل أو الكاشف صروف، وبالله الإعانة إنّه البرّ الرؤوف.

١ ـ **«الحافظ ابن الباغندي» محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث. الحافظ أبو بكر بن الباغَندي**، قال أبو بكر الإسماعيليّ لا أتّهمه بالكذب لكنه خبيث التدليس ويصحّف أيضاً، وقال الخطيب: كافّة شيوخنا يحتجّون به، وقال الدارقطني: كثير التدليس[1]، توفي في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

٢ ـ **«أبو الحسن النفاح محدث» محمد بن محمد بن عبد الله. النفّاح بالحاء المهملة هو أبو الحسنَ الباهليّ البغدادي** نزيل مصر، قال ابن يونس: كان ثبتاً ثقةً صاحبَ حديثٍ متقلّلاً من الدنيا، توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة.

٣ ـ **«أبو جعفر الشيباني الكوفي» محمد بن محمد بن عُقْبَة. أبو جعفر الشيباني** شيخ الكوفة، كان السلطان يختاره والقضاة وما قال فهو القول وكان ثقةً كثيرَ النفع ومكث الناس ينتابون قبره نحو السنة وخُتِمَ عنده ختماتٌ كثيرة، وتوفي سنة تسع وثلاثمائة.

٤ ـ **«النسوي الشافعي» محمد بن محمد بن إبراهيم أبو الفضل النسوي الفقيه الشافعي**، سكن بغداد ودرّس بها وكانت له حلقة للمناظرة وكان مقدَّماً على أقرانه، حدّث عن أبي محمد عبد الله بن محمد الدامغاني والقاضي أبي الفرج المعافَى النهرواني والصاحب بن عبّاد وغيرهم، وروى عنه القاضي أبو القاسم المحسّن التنوخي وأبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين العكبري وأبو نصر عبد الكريم بن محمد بن أحمد بن هارون الشيرازي، قال الشيخ أبو إسحاق في «طبقات الفقهاء»: النسوي من أصحاب أبي الحسين القطّان، وكان نظّاراً فصيحاً سكن بغداد، وتوفي بأرّجان.

٥ ـ **«أبو الحسين الخزاعي النحوي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان أبو الحسين**

---

١ ـ «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٩٠)، و«المغني في الضعفاء» للذهبي (رقم ٥٩٤٥) (ص ٦٢٩).

(١) وقال فيه ابن عدي: «أرجو أنه كان لا يتعهد الكذب».

٢ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/ ٢٦٩).

٥ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢١٨).

صح

الخزاعي النحوي، حدّث عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري وأبي بكر أحمد بن العباس بن عبد الله بن عثمان صاحب ثعلب وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الحسَني العلَويّ، رَوى عنه خَتَنُه إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن موسى السكُوني المَوْصلي وأبو بكر مكرّم بن أحمد بن محمد بن مكرّم، كتبَ أحمد بن علي بن أحمد البتّي عن أبي الحسين الخزاعي إملاءً في صفر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

٦ ـ **«الوزير بن بقية» محمد بن محمد بن بقيّة**. بالباء الموحّدة والقاف على وزن هَدِيَّة، **الوزير أبو الطاهر نصير الدولة** وزير عزّ الدولة بختيار بن مُعزّ الدولة بن بُويَه كان من جلّة الوزراء وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء يقال إن راتبه في الشمع كان في كل شهر ألف مَنًا[1]، وكان من أهل أوانا من عمل بغداد، وفي أول أمره توصّل إلى أن صار صاحبَ مطبخ معزّ الدولة، ثم تنقّل في غير ذلك من الخدم، ولما مات معز الدولة حسنت حاله عند ولده عزّ الدولة ورعى له خدمته لأبيه فاستوزره في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة، وستر عيوبَه كرمُه خلَعَ في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة، وقال أبو إسحاق الصابىء: رأيته في ليلة يشرب كلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائة فقالت له مغنّية: في هذه الخلع زنانير ما تَدَعُك تلبَسُها فضحك وأمر لها بحُقّة حليّ، ثم إنه قُبِضَ عليه لسببٍ يطول ذكره حاصله أنه حمله على محاربة ابن عمّه عضد الدولة فالتقيا على الأهْواز وكُسِر عزّ الدولة وفي ذلك يقول أبو عنان الطبيب بالبصرة [الطويل]:

أقام على الأهْواز خمسين ليلةً ... يدبّر أمْرَ المُلك حتى تدمَّرا

فدبّر أمراً كان أوّله عمىً ... وأوسطه بلوى وآخِرُه خِرَى

ولما قبض عليه بمدينة واسِط سَمَلَ عينيه، ولزم بيته إلى أن مات عزّ الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبَه لما كان يبلُغه عنه من الأمور القبيحة منها أنه كان يسمّيه أبا بكر الغُدَدي تشبيهاً له برجل أشقر أنمش يبيع الغُدَد للسنانير والظاهر أن أعداءه كانوا يفعلون به ذلك ويفتعلونه فلما حضر ألقاه تحت أرجل الفيلة فلمّا قتلته صلبه بحضرة البيمارستان العضديّ ببغداد وذلك يوم الجمعة لستٍّ خَلَوْنَ من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عمره قد نيّف على الخمسين، ورثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بقصيدة لم أرَ في مصلوبٍ أحسنَ منها وأوّلها [الوافر]:

عُلُوٌّ في الحياة وفي المماتِ ... بحقٍ أنت إحدى المعجزاتِ

كأنّ الناسَ حَوْلَك حين قامُوا ... وُفُودُ نَداكَ أيّام الصِلاتِ

كأنّك قائمٌ فيهم خطيباً ... وكلّهمُ قيامٌ للصلاة

---

٦ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٩١).

(١) المَنَا: مكيال.

مـددت يـديـك نـحـوَهـم احـتـفـاءً ... كَـمـدِّكَـهـمـا[1] إلـيـهـم بـالـهِـبـات

ولـمّـا ضـاق بـطـنُ الأرض عـن أن ... يـضُـمّ عُـلاكَ مـن بـعـد الـمـمـاتِ

أَصـاروا الـجـوَّ قـبـرك واسـتَـنـابُـوا ... عـن الأكـفـان ثـوبَ الـسـافـيـات

لِعظْمك في النفوس تَبيتُ تُرْعى ... بِـحُـفّـاظٍ وحُـرّاسٍ ثـقـات

وتُـشْـعَـلُ عـنـدك الـنـيـرانُ لـيـلاً ... كـذلـك كـنـتَ أيّـام الـحـيـاة

ركـبـتَ مـطـيّـةً مِـن قَـبْـلُ زيـدٌ ... علاها في السنين الماضيات[2]

ولـم أر قـبـل جِـذْعِـكَ قَـطّ جـذعـاً ... تـمـكّـنَ مـن عِـنـاق الـمَـكـرُمـات

أَسَـأْتَ إلـى الـنَـوائـبِ فـاسـتَـثـارتْ ... فـأنـت قـتـيـل ثـار الـنـائـبـات

وكنتَ تُجيرُ من صَرْف الليالي ... فـعـاد مُـطـالـبـاً لـك بـالـتِـراتِ

وصـيّـر دهـرك الإحـسـان فـيـه ... إلـيـنـا مـن عـظـيـم الـسـيّـئـات

وكـنـتَ لـمـعـشـر سـعـداً فـلـمّـا ... مضَيْتَ تفرّقوا بالمنحَسات

غـلـيـلٌ بـاطـنٌ لـك فـي فـؤادي ... يُـخـفّـفُ بـالـدمـوع الـجـاريـات

ولـو أنّـي قـدرتُ عـلـى قـيـامٍ ... بـفـرضـك والـحـقـوق الـواجـبـات

مـلأتُ الأرضَ مـن نـظـم الـقـوافـي ... ونُـحْـتُ بـهـا خـلافَ الـنـائـحـات

ومـا لـكَ تـربـةٌ فـأقـولُ تُـسْـقـى ... لأنـك نـصـبُ هَـطْـلِ الـهـاطـلات

عـلـيـك تـحـيّـة الـرحـمـن تَـتْـرى ... بـرحَـمـاتٍ غَـوادٍ رائـحـات

وكتبها الشاعر المذكور ورمى بها نسخاً في شوارع بغداد فتداولها الأدباء إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة وأُنشدَتْ بين يديه فتمنّى أن يكون هو المصلوبَ دونه وقال عَلَيَّ بهذا الرجل فطُلِبَ سنةً كاملةً واتّصل الخبر بالصاحب بن عبّاد فكتب له إلى عضد الدولة بالأمان فحضر إليه فقال له الصاحب أنشدنيها فلما بلغ [الوافر]:

ولـم أر قـبـل جـذعـك قـطّ جـذعـاً ... تـمـكّـن مـن عـنـاق الـمـكـرمـات

قام إليه وقبّل فاه وأنفذه إلى عضد الدولة فقال له ما حملك على رثاء عدوّي قال حقوق وجبَتْ وأيادٍ سَلَفَتْ فجاش الحزن في قلبي فرثيت وكان بين يديه شموع تزهَرُ فقال هل يَحضُرك شيء في الشموع فأنشد [المتقارب]:

---

(١) في الأصل «كمدهم» تحريف، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٩١)، و«أسرار البلاغة» (٢٨٠).

(٢) في «وفيات الأعيان» و«أسرار البلاغة» بعد هذا البيت بيت وهو

وتِـلْـكَ فَـضِـيـلَـةٌ فـيـهـا تَـأسٍ ... تُـبَـاعِـدُ عَـنـكَ تَـعْـيـيـرَ الـعِـدَاةِ

وقوله: (ركبت مطية من قَبْل زيد): يقصدُ زيد بن الدّثنة الأنصاري المصلوب في مكة عندما أسلمه أهل ماء الرجيع لأهل مكة.

كـأنّ الـشـمـوعَ وقـد أظـهـرَتْ ... مـن الـنـار فـي كـلّ رأس سـنـانـا
أصـابـعُ أعـدائـك الـخـائـفـين ... تَـضَـرّعُ تـطـلـبُ مـنـك الأمـانـا

فخلع عليه وأعطاه فرساً وبَدْرةً ولم يزل ابن بقيّة مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة فأُنزل ودُفن، فقال ابن الأنباري المذكور يرثيه أيضاً [البسيط]:

لم يُلْحِقوا بك عاراً إذ صُلِبْتَ بَلى ... باؤا بإثـمك ثـم استرجَـعـوا نَـدَما
وأيقـنوا أنهم فـي فعـلهـم غَـلِطُوا ... وأنـهـم نَـصَـبُـوا مـن سُـؤْدَدٍ عَـلَـما
فاسترجعوك ووارَوْا منك طودَ عُلًى ... بـدفـنـه دفـنـوا الإفـضـال والـكـرما
لـئـن بـلـيـتَ فـمـا يَـبـلـى نـداكَ ولا ... يُنْسى وكـم هالكٍ يُنْسى إذا عُدِما
تقاسمَ الناسُ حُسْنَ الذكر فيك كما ... ما زال مَالُكَ بيـن الـناس مقـتسما

وما أحسن قول ابن حَمديس في مصلوب [الطويل]:

ومـرتـفـع فـي الـجـذع إذ حُـطّ قَـدْرُهُ ... أسـاءَ إلـيـه ظـالـمٌ وهـو مُـحْـسِـنُ
كُـذِي غَـرَقٍ مَـدَّ الـذراعَـيْنِ سـابـحـاً ... من الـجَوّ بحراً عَوْمُهُ لـيس يمكِنُ
وتـحـسـبُـه مـن جـنّـة الـخـلـد دائِـبـاً ... يُـعـانِـقُ حُـوراً مـا تَـراهُـنّ أَعْـيُـنُ

وقول الآخر [البسيط]:

كـأنّـه عـاشـق قـد مَـدَّ صـفـحـتَـه ... يـوم الـفـراق إلـى تـوديـع مـرتـحـل
أو قـائِـمٌ مـن نُـعـاسٍ فـيـه لُـوثَـتُـهُ ... مُـواصِـلٌ لـتَـمَـطّـيـه مـن الـكَـسَـل

وقول عمر الخرّاط [الكامل]:

أنـظُـرْ إلـيـه كـأنـه مُـتَـظَـلّـمٌ ... فـي جـذعـه لَـحَـظَ الـسـمـاءَ بِـطَـرْفِـه
بَـسَـطَ الـيـديـن كـأنّـه يـدعـو عـلـى ... مـن قـد أشـار عـلـى الـعـدوّ بـحـتـفـه

وقول الآخر [الكامل]:

أنـظُـر إلـيـهـم فـي الـجـذوع كـأنّهـم ... قـد فـوَّقُـوا يـرمُـونَ بـالـنُـشّـابِ
أو عُـصْـبَـةٌ عـزَمُـوا الـفـراق فـنكّـسـوا ... أعـنـاقَـهـم أَسَـفـاً عـلـى الأحـبـابِ

وقول أبي تمّام الطائيّ [الكامل]:

سُـودُ الـلـبـاسِ كـأنّـمـا نُـسِـجَـتْ لـهـم ... أيـدي الـسَـمُـومِ مَـدارِعـاً مـن قـارِ
بـكـروا وأسـرَوْا فـي مُـتـون ضَـوامـرٍ ... قـيـدَتْ لـهـم مـن مَـرْبـط الـنَـجّـارِ
لا يـبـرحـون ومـن رآهـم خـالَـهُـمْ ... أبـداً عـلـى سَـفَـرٍ مـن الأسـفـارِ

وقوله أيضاً [الكامل]:

أهـدى لـمـتـن الـجـذع مـتـنَـيـه كـذا ... مَـنْ عـافَ مـتـنَ الأسـمـرِ الـعَـسّـالِ

لا كعبَ أسفلُ في العُلَى من كعبه ... مع أنه عن كلّ كعبٍ عالِ
سامٍ كأنّ الجذع يجذب ضَبْعَهُ ... وسُمُوُّهُ من ذِلّةٍ وسِفالِ

وقول البحتريّ [الكامل]:

مُستَشرِفاً للشمس مُنْتَصِباً لها ... في أُخْرَياتِ الجذع كالحِرباء
فَتَراه مُطّرِداً على أعْوادِهِ ... مثل اطّراد كواكب الجوزاء

وقوله أيضاً [الخفيف]:

تحسدُ الطيرَ منه ضَبْعُ البوادي ... وهو في غير حالة المحسود
وكأنّ امتداد كفّيه فوق الجِـ ... ـذع من محفل الرَّدَى المشهود
طائرٌ مدَّ مستريحاً جناحَـ ... ـه استراحاتِ مُتْعَبٍ مكدودِ

٧ ـ **«الملطي النحوي» محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم. أبو بكر الحميري مولاهم المصري النحوي المعروف بالمَلَطي** إمام جامع عمرو بن العاص، كان يعلّم أولاد الملوك النحو، توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة.

٨ ـ **«القاضي الجذوعي» محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد. أبو عبد الله الأنصاري الجُذُوعي** كان صالحاً ورِعاً ديّناً ثقةً، حدّث عن علي بن المديني وغيره، وروى عنه المَحَامليّ وغيره وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ومائتين، دخل مع الشهود على المعتمد في دَيْنٍ كان اقترضه عند الإضافة وأنفقه على صاحب الزنج وقرأ عليه إسماعيل بن بُلبُل الكتابَ وقال يشهد الجماعةُ على أمير المؤمنين قال نعم فشهدوا واحداً بعد واحدٍ حتى انتهى الأمر إلى الجذوعي فأخذ الكتاب بيده وقال أشهد عليك قال نعم قال لا يصحّ حتى تقول أشهدْ فقال أشهدْ فلمّا خرجوا سأل عنه فأُخبر فقال أعمّال أم بطّال قيل بطّال فقلّده القضاء على واسط وكان بها الموفّق فاستدعاه يوماً فجاء وعلى رأسه دَنّيّةٌ طويلةٌ وكان قصيرَ الرقبة فدخل فوجده غلامٌ مخمورٌ وهو مكينٌ عند الموفّق فكبس الدَنّيّة فغاص رأسُه فيها ففتقها غلامُه وأخرج رأسه منها فثنى رداءه على رأسه وعاد إلى داره وسلّم قِمَطْر القضاء إلى الشهود وصرفهم وأغلق بابه فلما علم الموفق بالقضية قال لوالي الشُرطة جَرِّد الغلام واحمِله إلى باب القاضي واضرِبه ألف سوط وكان والد الغلام من جلّة القوّاد فمشوا مع والده وتضرّعوا للقاضي فقال للوالي لا تضربه فقال ما أقدر أخالف الموفّق فركب إلى الموفّق وسأله فقال لا بدّ من ضربه فقال الحقّ لي وقد تركته له فسكت الموفّق وعاد الجذوعي إلى بغداد.

٩ ـ **«أبو الحسن بن الورد الزاهد» محمد بن محمد بن عيسى. أبو الحسن البغدادي** المعروف بابن أبي الوَرْد جدّه عيسى مولى سعيد بن العاص مولى عتاقة صحب محمد هذا بشرَ الحافي وسريَّ السَقطي والحارثَ المحاسبي وأسند الحديث عن الهيثم بن القاسم وغيره، وروى عنه عبد الله بن محمد البغوي ولم يزل مشهوراً بالزهد والورع والخلوة، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين.

١٠ ـ **«الطويري وإلي مظالم القيروان» محمد بن محمد بن خالد. هو أبو القاسم القَيسي الطويري** ولي بلد القيرَوان على المظالم فامتحنه الله تعالى على يد محمد بن عمر المروزي قاضي الشيعة فضربه في الجامع وحبسه، توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

١١ ـ **«أبو نصر الفارابي» محمد بن محمد بن طرخان بن أوزَلَغ.** بالألف والواو الساكنة والزاي المفتوحة واللام المفتوحة والغين المعجمة، **أبو نصر التركي الفارابي** الحكيم فيلسوف الإسلام، هكذا رأيت الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي قد أثبته أعني محمد بن محمد ومن خطه نقلت، ورأيت ابن خلكان قد قال محمد بن طرخان قدم بغداد وأدرك بها متّى بن يونس الفيلسوف فأخذ عنه وسار إلى حَرّان فلزم يُوحنّا بن حبلان النصراني وأخذ عنه وأتقن ببغداد اللغة وقيل إنه ما أخذ الفلسفة إلا من اللغة اليونانية لأنه كان بها وبغيرها من اللغات عارفاً، وكان قد برع في الحكمة ومهر في الموسيقى ويقال إنه أول من وضع الآلة المعروفة بالقانون وركّبها هذا التركيب، وذكر القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان حكايته التي جرت له مع سيف الدولة ابن حمدان وأنه دخل عليه بزيّ الأتراك وكان لا يفارقه فقال له اقعد فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطّى الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزَحَمَهُ فيه حتى أخرجَهُ عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك له معهم لسانٌ خاصٌ يُسارُهم به فقال لهم بذلك اللسان هذا الشيخ أساء الأدب فأخْرِقُوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان إنّ الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة وقال أتُحسِن هذا اللسان فقال أُحسن أكثر من سبعين لساناً، وأنه ناظرَ مَن كان في المجلس من أئمة كل فن فلم يزل كلامه يعلو وهم يستفِلون إلى أن صمت الجميع فعرِض عليه سيف الدولة بعد انصراف الفضلاء الأكل والشرب فامتنع فقال له ولا تسمع قال نعم فأُحضِر القيانُ فلم يحرّك أحدٌ آلته إلاّ وعابَه أبو نصر ثم أخرج من وسطه خريطةً وأخرج منها عيداناً ركّبها ولعب بها فأضحكَ كلَّ مَنْ في المجلس ثم فكّها وركّبها غير ذلك التركيب الأول وحرّكها فأبكى كل من في المجلس ثم فكّها وركّبها غير ذلك التركيب ولعب بها وحرّكها فأنامَهُم حتى البوّاب وخرج، قلتُ وهذه الواقعة ممكنة من مثل أبي نصر لأنه إذا غنّى السامعين مثلاً بما لابن حجاج من ذلك المجون الحلو في نغم فإن السامع يضحك وإذا غنّى بأشعار متيَّمِي العرب والرقيق من فراقياتهم وحزنياتهم في نغم النوَى وما أشبه ذلك فان السامع يبكي، وكذا حاله إذا أراد أن يشجّع أو أن يسمّح أو غير ذلك، وكان كثيرَ الانفراد بنفسه. ولما قدم دمشق كان يلازم غياض السفرجل وربما صنّف هناك وقد ينام فتحمل الريح تلك الأوراق وتنقلها من مكان إلى مكان، وقيل إن السبب في وجود بعض مصنفاته

---

١١ ـ «الفهرست» لابن النديم (١/ ٢٦٣) و«الكامل» لابن الأثير (٥/ ٢٩٦)، و«عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة (٢/ ٣٤ ـ ١٤٠)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٠ ـ ١٠٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٢٢٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤) و«مرآة الجنان» لسبط ابن الجوزي (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٥٢ ـ ١١/ ـ ١٢٦٥ ـ ٤٨)، و«روضات الجنات» للخوانساري (١٧١ ـ ١٧٣) و«مفتاح السعادة» لطاش كبري (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١) و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٣٩ ـ ٤٠) و«الفارابيان» لعمرو فروخ (ص ٣ ـ ١٨) و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

فيها نقص هو ذلك لأن الريح ربما أطارت تلك الأوراق بعضها من بعض، وكان لا يصنّف إلا في الرقاع لا في الكراريس، وكان أزهد الناس في الدنيا، وأجرى عليه سيفُ الدولة في كل يوم أربعة دراهم، وتوجّه من دمشق إلى مصر ثم عاد إليها وقيل إنه لما عاد من حرّان أقام ببغداد وأكبّ على مصنفات أرسطو حتى مهر وأتقن الحكمة، يقال إن نسخةً وُجدت لكتاب النفس لأرسطو وعليها بخط أبي نصر الفارابي: قرأتُ هذا الكتابَ مائتي مرّة، وكان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطو أربعين مرة وأنا محتاج إلى معاودته وسئل أأنت أعلمُ بهذا اللسان أم أرسطو فقال لو أدركته لكنت أكبرَ تلامذته وقال ابن صاعد القرطبي: بذَّ جميعَ الإسلام وأربى عليهم في تحقيق الفلسفة وشرح غامضها وكشف سرّها وقرّب تناولها وهو صحيح العبارة لطيف الإشارة نَبَّهَ على ما أعيى على الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح موادّ المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرّف طرق استعمالها وكيف تصرُّف صور القياس في كل مادّة فجاءت كتبه في ذلك الغايةَ الكافيةَ والنهايةَ الفاضلةَ انتهى، وألّف ببغداد معظم كتبه، وتوفي بدمشق في سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة وصلّى عليه سيفُ الدولة في أربعة من خواصّه وقد ناهز الثمانين ودفن في مقابر باب الصغير، وفاراب بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعدها باء موحَّدةٌ وهي من بلاد الترك وتسمّى الآن أُطْرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الرائين ألف ساكنة، وكان أبوه قائد جيش.

وقال ابن سينا: سافرتُ في طلب الشيخ أبي نصر وما وجدتُه وليتني وجدته فكانت حصلَتْ إفادة، وقال: قرأتُ كتابَ ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس عليَّ غرضُ واضعِهِ حتى قرأته أربعين مرّةً وصار محفوظاً وأَيِسْتُ من فهمه وقلتُ لا سبيلَ إلى فهمه فبينا أنا يوماً بعد صلاة العصر في الورّاقين وإذا بدلاّل ينادي على مجلّد فعرضه عليّ فرددته ردّ متبرمٍ به معتقدٍ أن هذا العلم لا فائدةَ فيه فقال اشترِه فإنّي أبيعك إياه بثلاثة دراهم فاشتريته فإذا هو من تصانيف أبي نصر في أغراض ذلك الكتاب فرجعتُ إلى بيتي وأسرعتُ قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب وفهمته وفرحت فرحاً شديداً وتصدّقت ثاني يوم على الفقراء بشيءٍ كثيرٍ» انتهى.

ومن تصانيفه آراء المدينة الفاضلة[1] وهو كتاب مليح، شرح كتاب المجسطي لبطليموس، شرح كتاب البرهان لأرسطو، شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لأرسطو، شرح كتاب المغالطة لأرسطو، شرح كتاب القياس لأرسطو وهو الشرح الكبير، شرح كتاب باريميناياس لأرسطو على جهة التعليق، كتاب المختصر الكبير في المنطق، كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقة المتكلمين، كتاب المختصر الأوسط في القياس، كتاب التوطئة في المنطق، شرح كتاب إيساغوجي لفرفوريوس إملاءً في معاني إيساغوجي، كتاب القياس الصغير ووُجد كتابه

(١) إنَّ المدينة الفاضلة الفارابية ليست على غرار مدينة أفلاطون، بل كما قرأها الفارابي من خلال المجتمع الإسلامي وتطلعات قوى التغيير فيه، مما جعل منها مدينة تعكس الهموم السياسية في المجتمع العربي الإسلامي أكثر من أي شيء آخر.

هذا مترجماً بخطّه، إحصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم في جميع الصنائع القياسية، كتاب شروط القياس، كتاب البرهان، كتاب الجدل، كتاب المواضع المنتزعة من المقالة الثامنة في الجدل، كتاب المواضع المغلطة، كتاب اكتساب المقدّمات، كلام في المقدّمات المختلطة من وجوديّ وضروريّ، كلام في الخلاء، صدرٌ لكتاب الخطابة، شرحٌ لكتاب السماع الطبيعي لأرسطو على جهة التعليق، شرح كتاب السماء والعالَم لأرسطو، شرح كتاب الآثار العلوية لأرسطو، شرح مقالة الإسكندر الأفرُوديسي في النفس، شرح كتاب الأخلاق لأرسطو، كتاب في النواميس، كتاب إحصاء العلوم وترتيبها، كتاب الفلسفَتين لأفلاطون وأرسطو مخروم الآخر، المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المتدينة والمدينة الضالّة، كتاب الألفاظ والحروف[١]، كتاب الموسيقى الكبير ألّفه للوزير أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي، كتاب في إحصاء الإيقاع، كلام له في النقلة مضافات إلى الإيقاع، كلام في الموسيقى مختصر، فصول فلسفية منتزعة من كتب الفلاسفة، كتاب المبادىء الإنسانية، كتاب الردّ على جالينوس فيما تأوّله من كلام أرسطو، الردّ على ابن الراونديّ في أدب الجدل، الردّ على يحيى النحوي فيما ردّه على أرسطو، الردّ على الرازي في العلم الإلهي، كتاب الواحد والوحدة، كلام في الحيّز والمقدار، كتاب في العقل صغير، آخر في العقل كبير، كلام في معنى اسم الفلسفة، الموجودات المتغيّرة الموسوم بالكلام الطبيعي، شرائط البرهان، شرح المستغلَق من مصادرة المقالة الأولى والخامسة من إقليدس، اتفاق آراء أبقراط وأفلاطون، التنبيه على أسباب السعادة، كلام في الجزء وما يتجزّأ، كلام في اسم الفلسفة وسبب ظهورها وأسماء المبرّزين فيها وعلى من قرأ منهم، كلام في الجنّ، كلام في الجوهر، الفحص المدني، كتاب السياسات المدنية، كلام في الملّة والفقه مدني، كلام جمعه من أقاويل النبي ﷺ يشير فيه إلى صناعة المنطق، كتاب في الخطابة كبيرٌ عشرون مجلدة، رسالة في قود الجيوش، كلام في المعايش والحروب، كتاب في التأثيرات العلوية، مقالة في الجهة التي يصحّ عليها القول بأحكام النجوم، كتاب في الفصول المنتزعة للاجتماعات، كتاب في الحيل والنواميس، كلام له في الرؤيا، كتاب في صناعة الكتابة، شرح كتاب البرهان[٢] لأرسطو أملاهُ على ابراهيم بن عديّ تلميذه بحلب، كلام في العلم الإلهي، شرح المستغلَق من قاطيغورياس لأرسطو ويُعرَف بتعليقات الحواشي، كلام في أعضاء الحيوان، كتاب مختصر جمع الكتب المنطقية، المدخل إلى المنطق،

---

(١) إنَّ كتاب «الحروف» للفارابي هو كتاب في الفلسفة الأولى على غرار كتاب أرسطو (ما بعد الطبيعة)، شرح فيه المصطلحات الفلسفية التي حللها أرسطو مع مراعاة الفروق بين اللغة العربية واللغة اليونانية. هذا بالإضافة إلى المقالة التي تناول فيها نشأة العلوم وتطورها والتي يصدر فيها عن إشكالية خاصة هي إشكالية تأسيس الفلسفة في الثقافة العربية.

(٢) صحيح أنَّ الفارابي تبنّى «البرهان» الأرسطي منهجاً ورؤيةً، في الثقافة العربية الإسلامية، لكنه وظفّه ككل وكأجزاء في خدمة أهداف لم تكن بالضرورة منحصرة في المعرفة من أجل المعرفة، كما كان الشأن عند أرسطو، بل لقد وظفّه لخدمة اهتماماته الدينية والإيديولوجية.

التوسط بين أرسطو وجالينوس، غرض المقولات، كلام في الشعر والقوافي، شرح كتاب العبارة لأرسطو على جهة التعليق، تعاليق على كتاب القياس، كتاب في القوة المتناهية وغير المتناهية، تعليق له في النجوم، الأشياء التي يحتاج أن تعلم قبل الفلسفة، فصول جمعها من كلام الأقدمين، أغراض أرسطو في كل واحد من كتبه، كتاب المقاييس، مختصر كتاب الهُدى، كتاب في اللغات، كتاب في الاجتماعات المدنية، كلام في أن حركات الفلك دائمة، كلام فيما يصلح أي يذم المؤدّب، كلام في لوازم الفلسفة، مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والردّ على مُبطليها، مقالة في اعتراض أرسطو طاليس في كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف وهو تحقيق غرضه في كتاب ما بعد الطبيعة، الدعاوى المنسوبة إلى أرسطو في الفلسفة مجرّدة على بياناتها وحججها، تعاليق في الحكمة، كلام أملاه في معنى ذات ومعنى جوهر ومعنى طبيعة، جوامع السياسة، المدخل إلى الهندسة الوهمية مختصر، عيون المسائل على رأي أرسطو وهي مائة وستون مسألة، جوابات لمسائل سئل عنها وهي ثلاث وعشرون مسألة، أصناف الأشياء البسيطة التي تنقسم إليها القضايا في جميع الصنائع القياسيّة، جوامع كتاب النواميس لأفلاطون، كلام من إملآئه وقد سئل عما قال أرسطو في الحارّ، تعليقات أنالُوطيقا الأولى لأرسطو، شرائط اليقين، ماهية النفس، السماع الطبيعي.

ومن دعآئه أورده ابن أبي أُصيبعة في «تاريخ الأطبّاء»: اللهم إني أسألك يا واجب الوجود ويا علّة العِلَل يا قديماً لم يَزَلْ: أن تعصمني من الزلل، وأن تجعلَ لي من الأمل، ما تَرضاه لي من عمل، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب، وارزقني في أموري حُسن العواقب، نجّح مقاصدي والمطالب، يا إلهَ المشارق والمغاربْ [الكامل]:

رَبَّ الجواري الكُنَّسِ السَبْعِ التي انْبَجستْ عن الكون انبجاس الأَنْهُرِ

هُنَّ الفواعِلُ عن مشيّته التي عمّت فضائلُها جميعَ الجوهر

أصبحتُ أرجو الخيرَ منك وامتَري زُحلاً ونفس عطارد والمشتري

اللهم أَلبسْني حُلَلَ البهاء، وكرامات الأنبياء، وسعادةَ الأغنياء، وعلومَ الحكماء، وخشوعَ الأتقياء، اللهم أنقذْني من عالم الشقاء والفناء، واجعلني من لخوان الصفاء، وأصحاب الوفاء، وسكّان السماء، مع الصديقين والشهداء، أنت الله الذي لا إله إلا أنت علّة الأشياء، ونور الأرض والسماء، امنحني فَيضاً من العقل الفعّال، يا ذا الجلال والإفضال، هذّبْ نفسي بأنوار الحكمة، وأوزغني شكر ما أوليتني من نعمة، أرني الحق حقاً وألْهِمْني اتّباعه والباطلَ باطلاً واحرِمْني اعتقاده هذّبْ نفسي من طينة الهيولى[1]، إنّك أنت العلة الأولى [الكامل]:

يا علّةَ الأشياء جمعاً والذي كانَتْ به عن فيضه المتغنجرِ

---

(١) الهيولى: المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكل في شتى الصور.

ربّ السموات الطباق ومركز في وسطهنّ من الثَرَى والأَبحُرِ
إنّي دعوتك مُستجيراً مُذنِباً فاغفرْ خطيئة مُذنبٍ ومُقصّرِ
هَذّب بفيضٍ منك ربّ الكلّ مِنْ كَدَرِ الطبيعة والعناصرِ عنصري

اللهم ربَّ الأشخاص العُلوية، والأجرام الفلكية، والأرواح السماوية، غلَبت على عبدك الشهوةُ البشرية، وحبُّ الشهوات والدنيا الدنيّة، فاجعل عصمتك مِجَنّي من التخليط، وتقواك حِصْني من التفريط، إنك بكلّ شيء محيط، اللهم أَنقذْني من أسر الطبائع الأربع، وانقُلني إلى جنابك الأوسع، وجوارك الأرفع، اللهم اجعل الكفاية سبباً لقطع مذموم العلائق التي بيني وبين الأجسام الترابية، والهموم الكونية، واجعل الحكمة سبباً لاتّحاد نفسي بالعوالم الإلٰهية، والأرواح السماوية، اللهم طهّرْ بروح القدس الشريفة نفسي، وآثرْ بالحكمة البالغة عقلي وحِسّي، واجعل الملائكةَ بدلاً من عالم الطبيعة أُنسي، اللهم أَلهِمْني الهُدَىٰ، وثبّتْ إيماني بالتقوى، وبغّضْ إلىٰ نفسي حُبَّ الدنيا، اللهم قوِّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية، وأَلحِقْ نفسي بمنازل النفوس الباقية، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة العالية في جنّةٍ عالية، سبحانك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بألسنة الحال والمقال إنك معطي كلّ شيء منها ما هو مستحقّه بالحكمة، وجاعل الوجود لها بالقياس إلى عدمها نعمة ورحمة، فالذوات منها والأعراض مستحقّة بآلائك، شاكرة فضائل نعمائك، **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** [الإسراء: ٤٤]، سبحانك اللهم وتعاليت، إنك الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، اللهم إنك قد سجنتَ نفسي في سجن من العناصر الأربعة ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات، اللهم جُدْ لها بالعصمة وتعطّفْ عليها بالرحمة التي هي بك أَليق، وبالكرم الفائض الذي هو منك أجدر وأَخلَق، وامنُنْ عليها بالتوبة العائدة بها إلى عالمها السماوي، وعجّل لها بالأوبة إلى مقامها القدسي، وأَطلع على ظلمائها شمساً من العقل الفعّال، وأَمِطْ عنها ظلماتِ الجهل والضلال، واجعلْ ما في قواها بالقوة كائناً بالفعل، وأخرجْها من ظلمات الجهل إلى نور الحكمة وضياء العقل، **﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾** [البقرة: ٢٥٧]، اللهم أَرِ نفسي صُوَرَ الغيوب الصالحة في منامها، وبَدّلها من الأضغاث برؤيا الخيرات والبشرى الصالحة الصادقة في أحلامها، وطهّرها من الأوساخ التي تأثّرت بها عن محسوساتها وأوهامها، وأَمِطْ عنها كدرَ الطبيعة، وأَنزِلْها في عالم النفوس المنزلةَ الرفيعةَ، الله الذي هداني وكفاني وأواني»، وأورد له أيضاً من شعره [مخلع البسيط]:

لما رأيت الزمان نكساً وليس في الصحبة انتفاعُ
كلّ رئيس به ملالٌ وكلّ رأسٍ به صُداعُ
لَزِمتُ بيتي وصنتُ عِرضاً به من العزّةِ امتناعُ
أشرَبُ ممّا اقتنَيتُ راحاً لها على راحتي شعاعُ
لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماعُ

وأجتني من حديث قومٍ قد أقفرتْ منهمُ البِقاعُ

ومن شعر أبي نصر الفارابي [المتقارب]:

أخي خَلِّ حيّز ذي باطل وكن بالحقائق في حيّزِ
فما الدار دار مُقامٍ لنا ولا المرء في الأرض بالمعجز
يُنافِسُ هذَا لهذا على أقلَّ من الكَلِم المُوجز
وهل نحنُ إلاّ خُطوطٌ وَقَعْـ ـنَ على نقطةٍ وقْعَ مُستَوفِز
محيطُ العوالم أولى بنا فماذا التزاحُم في المركَزِ

ومن نظمه أيضاً [الرجز]:

مَلَّتْ وأيمُ اللّهِ نفسي نفسي يا حبّذا يومُ حُلول رَمسي
أوّل سَعدي وزوالُ نحسي إذ كلّ جنس لاحقٌ بالجنسِ

١٢ ـ **«أبو عثمان ابن الإمام الشافعي» محمد بن محمد بن إدريس. أبو عثمان الشافعي**، وَلِيَ قضاءَ الجزيرة وحدّث هناك واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل فقال: أبوك من الستة الذين أدعو لهم وقت السحر، سمع أباه وأحمد بن حنبل وغيرَهما وكان ثقةً، وللشافعي رحمه الله تعالى ولدٌ آخرُ اسمه محمّد أيضاً توفي صغيراً بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وتوفي صاحب هذه الترجمة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

١٣ ـ **«ابن القاهر أمير المؤمنين» محمد بن محمد. هو ابن القاهر**، كان محبوساً في دار الخليفة فأُخرج إلى داره بالحريم الظاهري، وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وعمره ثمان وخمسون أو اثنان، ودفن إلى جانب قبر أبيه، وقال ابن النجّار حكايةً عن خط هلال بن المحسِّن الصابىء: توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة عن نيفٍ وسبعين سنة.

١٤ ـ **«أبو جعفر الحمال المحدث» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حمزة بن جميل. أبو جعفر الحمال البغدادي المحدّث**، قال الحاكم هو محدّث عصره بخراسان وأكثر مشايخنا رحلةً وأثبتهم أصولاً، توفي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

١٥ ـ **«الحاكم الكبير المحدث» محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق. الحافظ الحاكم الكبير النيسابوري الكرابيسي أبو أحمد**، صاحب التصانيف، سمع بنيسابور وبغداد والكوفة وطبرية ودمشق ومكة والبصرة وحلب والثغور وروى عنه الجماعة، قال أبو عبد الله: الحاكم أبو أحمد الحافظ إمام عصره في الصنعة وكان من الصالحين الثابتين على الطريق السلفية ومن المُنصفين فيما يعتقده

---

١٥ ـ «المنتظم» لابن الجوزي (٧/ ٤٦)، و«الكامل» لابن الأثير (٩/ ٢٠ ـ ٢١) و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٦)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٤/ ١٥٤) و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٢/ ١٣٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٤٠٨)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٣/ ٩٣)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٣٧٨ ـ ١٣٩١)؛ و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٥٠ ـ ٥١)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ١٨٠).

في أهل البيت والصحابة تقلّد القضاءَ في مُدُنٍ كثيرةٍ وصنَّفَ على كتابي البخاري ومسلم وعلى جامع الترمذي، وله كتاب «الأسماء والكنى» و«كتاب العِلل» و«المخرَّج على كتابي المزني» و«كتاب الشروط» وكان بها عارفاً، وصنّف «الشيوخ والأبواب»، وقلّد قضاء الشاش وحكم بها أربع سنين ثم قضاء طُوس وكان يحكم بين الخصوم وإذا فرغ أقبل على التصنيف بين يديه ثم قدم نيسابور سنة خمس وأربعين وأقبل على العبادة والتأليف وكُفّ بصره سنة سبعين وكان حافظ عصره وتغيّر حفظه لما كُفّ ولم يختلط قط، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وله ثلاث وتسعون سنة.

١٦ ـ «أبو منصور الأزهري الشافعي» محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين. القاضي أبو منصور الأزدي الهروي، أحد الأعلام محدّث فقيه، رحل وسمع وحدّث وكان إمام الشافعية في عمره واسع الرواية، توفي فجأةً بهراة في المحرم سنة عشر وأربعمائة.

١٧ ـ «الشيخ المفيد الشيعي» محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم. المعروف بالشيخ المفيد كان رأس الرافضة صنّف لهم كتباً في الضلالات والطعن على السلف إلا أنه كان أوحدَ عصره في فنونه، توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وعليه قرأ المرتضى وأخوه الرضي وغيرهما وكانت وفاته بالكرخ دُفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش ولما مات رثاه الشريف الرضي فقال [الخفيف]:

مَن لفضلٍ أخرجتَ منه خِبْئاً ومعانٍ فَضضْت عنها ختاما
مَن يُثيرُ العقولَ من بعد ما تكُنّ هموداً ويفتح الأبهاما
مَن يُعير الصديقَ رأياً إذا ما سَلّهُ في الخطوب كان حُساما

١٨ ـ «ابن الدقاق الشافعي الأصولي» محمد بن محمد بن جعفر. القاضي أبو بكر الشافعي ويعرف بابن الدقّاق صاحب الأصول، ولد سنة ست وثلاثمائة وتفقّه وقرأ القرآن وسمع الحديث، وتوفي ببغداد في رمضان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

١٩ ـ «أبو الفرج الشلحي الكاتب» محمد بن محمد بن سهل. أبو الفرج الشلحي العكبري الكاتب أحد الفضلاء الكبار، له «كتاب الخراج» و«النساء الشواعر» و«المجالسات» و«أخبار ابن قريعة» و«الرياضة» و«الإنشاء» و«تحف المجالس»، و«بدائع ما نجَم من متخلّفي كُتّاب العجم»، توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

٢٠ ـ «ابن المأمون» محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن الحسين. ابن المأمون أبو تمام بن أبي الفضائل يعرف بابن الزوال أخو أبي العباس أحمد، سمع الشريف أبا نصر محمد الزينبي وأبا الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور وحدّث باليسير روى عنه أبو المعمر الأنصاري في معجم شيوخه وكان فقيهاً فاضلاً وعلق الخلاف وتوفّي سنة ثمان وخمسين

١٨ ـ «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٥٥٢).

١٩ ـ «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٤٥)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ٢٢٢).

وأربعمائة.

٢١ ـ **«الخيشي النحوي» محمد بن محمد بن عيسى. ابن إسحاق بن جابر، أبو الحسن الخِيشي البصري النحوي**، قرأ النحو بالبصرة على أبي عبد الله النمري صاحب أبي رياش وسمع جماعة وبرع في النحو، قال ابن النجّار: كان من أئمة النحو المشهورين بالفضل والنبل وله شعرٌ، وقال ابن ماكولا: كان إماماً في حلّ المترجم، وهو من شيوخ ابن ماكولا، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.

٢٢ ـ **«أبو الحارث نقيب الأشراف بالكوفة» محمد بن محمد بن عمر العلوي. أبو الحارث** نقيب العلويين بالكوفة، كان شجاعاً جواداً ديّناً رئيساً وكانت إليه النقابة مع تسيير الحاجّ فحجّ بالناس عشر سنين ينفق عليهم من ماله ويحمل المنقطعين ويؤدّي الخفارة للعرب عن الركب من ماله، وتوفي بالكوفة في جمادى الأولى في سنة ثلاث وأربعمائة.

٢٣ ـ **«أبو الحسن البغدادي الحنفي» محمد بن محمد بن إبراهيم. ابن مخلد أبو الحسن البغدادي الفقيه الحنفي**، ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وسمع الحديث الكثير ورواه ولم يكن في زمانه أعلى إسناداً منه مع صدق وصلاح وثقة وفضيلة، وكان يتجر وله مال عظيم خرج إلى مصر وأقام بها ثم عاد إلى بغداد فاتفقت المصادرات بسبب الأتراك والتقسيط فأُخذ جميع ماله وافتقر إلى أن توفي سنة تسع عشرة وأربعمائة فلم يكن له كفن حتى بعث له الخليفة إهاباً من عنده.

٢٤ ـ **«شيخ الشرف العبيدلي» محمد بن محمد بن علي. ابن عبد الله بن الحسين الأصغر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أبو الحسن العلوي الحسيني النسّابة البغدادي شيخ الشرف**، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وكان فريداً في علم الأنساب ولهذا لقّب شيخ الشرف، وله تصانيف كثيرة وشعر، انتقل من بغداد إلى الموصل ثم رجع إليها، يقال إنه توفي بدمشق سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وروى عن صاحب الأغاني «كتاب الديارات» له، من شعره وقد زوّج ابنته بمن موّه عليه نسبه [المتقارب]:

آآل أبـــي طـــالـــبِ داركـــوا ... ضـلالـةَ شـيـخـكُـم بـالـرشـاد

فـإنـي كـبـرتُ وضـاع الـمُـنَـى ... وشـاب كـمـا شـاب فَـودي فُـؤادي

وزوّجـتُ آل أبـي طـالـبِ ... بـداهـيـةٍ مـن عـلـوج الـسـواد

رجـوتُ لأُصـلـح حـالـي بـه ... فـلا زال يُـصـلـحُـه مـن فـسـاد

فـلا تـعـذلـوه فـأنـسـابُـه ... بـطـول الـذوائـب لا بـالـتـلاد

---

٢١ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٣٢).

٢٢ ـ «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٦٠٠).

٢٣ ـ «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٣)، و«الشقائق النعمانية» لطاش كبرى زاده (١/ ٦٠٨ ـ ٦١٠).

وأقـــســـم أنّ فَـــعـــالـــي بـــه فـــعـــالُ مـــعـــاويـــةٍ فـــي زيـــاد

٢٥ ـ **«الناصحي الشافعي» محمد بن محمد. العلامة أبو سعيد الناصحي** النيسابوري أحد الأعلام الكبار من كبار الشافعية، تفقه على أبي محمد الجويني، وتوفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

٢٦ ـ **«الشاماتي الأديب» محمد بن محمد بن أحمد. أبو جعفر الشاماتي** النيسابوري الأديب، تخرّج به جماعة من المتأدّبين وله الخطّ المشهور المنسوب، روى وحدّث، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

٢٧ ـ **«أبو طالب ابن غيلان البزاز» محمد بن محمد بن إبراهيم. ابن غيلان أبو طالب البزّاز**، ولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة وسمع الكثيرَ وعُمِّرَ حتى بلغ مائةً وخمس سنين، وتوفي في شوال سنة أربعين وأربعمائة[١] ودُفن بداره بدرب عبده في قطيعة الربيع وأخرج له الدارقطني أحاديث مشهورة وسمّاها «الغيلانيات» وسمعها عليه خلق كثير، وكان ثقة صالحاً صدوقاً، قال أبو عبد الله محمد بن محمود الرشيدي: أردت الحجّ فقلت لأبي منصور بن حيدر: أريدُ أن أسمع من ابن غيلان فقال إنه مريض مبطون قلت ومَنْ لي أن يعيشَ حتى أعودَ وهو ابن مائة وخمس سنين فقال اذهبْ فأنا ضامنٌ لك حياته فقلت وكيف فقال له ألف دينار حمر جعفرية كل يوم يقلبها ويتقوّى بها فحججتُ وعُدْتُ وهو في الحياة وسمعتُ عليه.

٢٨ ـ **«أبو الحسن البصروي الشاعر» محمد بن محمد بن أحمد. أبو الحسن البصروي** وبُصرى قرية بدجيل دون عُكْبَرَا، كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً، له نوادر: منها أنه قال له رجل لقد شربتُ البارحة كثيراً فاحتجت للقيام للبول كلّ ساعة كأنّي جُدَيٌّ فقال له لِمَ تُصغّر نفسك يا سيّدنا، وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، ومن شعره [الوافر]:

نـرى الـدنـيـا وزهـرتهـا فـنـصـبـو وما يـخـلـو من الـشـبـهـات قـلـبُ

فـضـول الـعـيـش أكـثـرهـا هـمـومٌ وأكـثـر مـا يـضـرّك مـا تُـحـبُّ

فـلا يَـغـرُرْك زخـرفُ مـا تَـراهُ وعـيـشٌ لـيّـنُ الأطـراف رطـبُ

إذا مـا بُـلْـغَـةٌ جـاءتـكَ عـفـواً فـخـذهـا فـالـغِـنـى مـرعىً وشـربُ

إذا حَـصَـلَ الـقـلـيـلُ وفـيـه سِـلْـمٌ فـلا تُـرِدِ الـكـثـيـرَ وفـيـه حـربُ

٢٩ ـ **«أبو الفتح الكاتب البغدادي ابن الأديب» محمد بن محمد. أبو الفتح الكاتب البغدادي**

---

(١) إذا ولد سنة ست وأربعين ومات سنة أربعين وأربعمائة يكون له من العمر (٩٤) سنة فكيف عمِّر (١٠٥) سنين؟ (والظاهر والله أعلم أن كلمة (ست) بدل أن يضعها التاريخ في تاريخ سنة الوفاة وضعها في تاريخ الولادة فإذا وضعناها نحن على هذا الوصف تكون ولادته سنة (٣٤٠) هـ ووفاته سنة (٤٤٦) هـ فيصبح كون عمره (١٠٥) سنين.

٢٨ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢١٧).

الفاضل، ولد سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ومن شعره [البسيط]:

ما لي وللبرقِ مُجتازاً على إضَمِ ... يُبدي تألُّقَهُ عن ثغرِ مُبتسِمِ

سهرتُ والليلُ مكحولُ الجفون به ... كأنّه ضَرَمٌ قد دبَّ في فَحَمِ

أَمُخبري أنت عن وادي العقيق وهل ... حلَّتْ مجاورةً سلمى بذي سَلَمِ

حمّلْتُكَ العِبْءَ من شوقي لتحملَهُ ... رسالةً لم تكن فيها بِمُتَّهَمِ

٣٠ ـ **«النقيب أبو تمام الزينبي» محمد بن محمد بن علي. ابن الحسن، النقيب الأفضل أبو تمّام الهاشمي الزينبي** أخو طراد وأبي نصر وابن منصور والحسين، ولي نقابة الهاشميين بعد أبيه وروى عن المخلّص وغيره، توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

٣١ ـ **«أبو الحسن البيضاوي الشافعي ختن الطبري» محمد بن محمد بن عبد الله. ابن أحمد القاضي أبو الحسن البيضاوي** البغدادي الفقيه، قاضي الكرخ، ختن القاضي أبي الطيّب الطبري وعليه تفقه حتى صار من كبار الأئمة وكان خيّراً صالحاً، قال الخطيبُ: كتبت عنه وكان صدوقاً، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

٣٢ ـ **«مسند العراق أبو نصر العباسي» محمد بن محمد بن علي. ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سلمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو نصر الهاشمي العباسي الزينبي**، مُسند العراق في زمانه وآخر من حدّث عن المخلِّص، توفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

٣٣ ـ **«ابن سندة المطرز» محمد بن محمد بن أحمد. ابن سندةَ الأصبهاني المطرّز أبو سعد** خازن الرئيس أبي عبد الله، سمع جماعة وروى عنه السِّلفيُّ، وتوفي سنة ثلاث وخمسمائة.

٣٤ ـ **«الوزير فخر الدولة ابن جهير» محمد بن محمد بن جهير. الوزير فخر الدولة، أبو نصر الثعلبي مؤيّد الدين**، ناظر ديوان حلب ووزير ميّافارِقين من رجالات العالَم حزماً ودهاءً ورأياً، سَعَىٰ إلى أن قدم بغداد، وولي وزارة القائم بأمر الله ودامت دولته مدّةً، ولما بويع المقتدي أقرَّهُ على الوزارة واستدعاه السلطان ملكشاه فعقد له على ديار بكر وسارَ ومعه الأمير أرتُق بن أكسب صاحب حُلوان في جماعة مع الأمراء والتركمان والأكراد، ففتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد وفتح أبوه المذكور ميّافارِقين وكان أخذها من ناصر الدولة واستولى على الأموال، وكان مما بعث من الأموال لولده عميد الدولة وهو عند السلطان مائدة بلّور دَورُها خمسة أشبار وقوائمها

---

٣٠ ـ «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٤٥٤)، (٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٧٠).

٣١ ـ «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٧٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ١١٣).

٣٢ ـ «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٣٠٨)؛ و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٣٠٨).

٣٤ ـ «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٣٢١).

منها وزبادي وأقداح بلور وبعث إليه حُقّاً من ذهب فيه سُبحةٌ كانت لنصر الدولة مائة وأربعون حبّة لؤلؤ وزن كل حبّة مثقال وفي وسطها الحبل الياقوت وقِطَع بلخش بما قيمته ثلاثمائة ألف دينار، واستولى على أموال ديار بكر جميعها، ومن عجيب الاتفاق أن منجّماً حضر إلى ناصر الدولة بن مَروان وحكمَ له بأشياء وقال له يخرج على دولتك رجلٌ أحسنتَ إليه فيأخذ الملك من أولادك فرفع رأسه إلى فخر الدولة وقال إن كان هذا صحيحاً فهو هذا الشيخ ثم أقبل عليه وأوصاه بأولاده فكان الأمر كما قال، وكان رئيساً جليلاً خرج من بيته جماعةٌ من الرؤساء، ومدحهم أعيان الشعراء، منهم أبو منصور المعروف بصرّدرّ كتب إليه من واسط لما تقلد الوزارة قصيدتُهُ المشهورة، أوّلها [الطويل]:

لـجاجة قـلـبٍ مـا يـفـيـق غـرورهـا ... وحـاجةُ نفسٍ لـيس يُقْضَىٰ يسيرُها

وقـفـنـا صـفـوفـاً فـي الـديـار كـأنّهـا ... صـحـائفُ مـلـقـاةٌ ونـحـن سـطـورُهـا

منها:

ووالـلّـهِ مـا أدري غـداةَ نـظـرنَـنَـا ... أتـلـك سـهـامٌ أم كـؤوسٌ تُـديـرُهـا

فـإن كُـنَّ مِـن نـبـلٍ فـأيـنَ حَـفـيـفُـهـا ... وإن كُـنَّ مـن خـمـر فـأيـن سـرورهـا

منها [الطويل]:

أراكَ الـحِـمَـىٰ قُـلْ لـي بـأيِّ وسيلةٍ ... تـوسَّـلـتَ حـتّـى قـبّـلَـتْـكَ ثـغُـورُهـا

منها في مديحه [الطويل]:

أعَـدْتَ إلـى جـسـمِ الـوزارة رِوحَـهُ ... ومـا كـان يُـرجـى بـعـثُـهـا ونُـشـورهـا

أقـامـتْ زمـانـاً عـنـد غـيـرِكَ طـامِـثـاً ... وهـذا الـزمـانُ قـرؤُهـا وطـهـورُهـا

قلت القُرْءُ[١] من الأضداد يصدق على الحيضة والطهر ولهذا وقع الخلاف فيه بين الأئمة وهو هنا محمول على الطهر ولا يجوز حمله على الحيض لفساد المعنى، وجاز العطف لتغاير اللفظين. رجع [الطويل]:

إذا مـلـكَ الـحـسـنـاء مَـنْ لـيـسَ أهـلُـهـا ... أشـارَ عـلـيـه بـالـطـلاقِ مُـشـيـرهـا

ولما عزله الخليفة من الوزارة وأعاده إليها نظم فيه ابن صُرَّدرّ القصيدة المشهورة وأوّلها [الرجز]:

---

(١) القرءُ: فيه لغتان:

١ ـ الفتح، وجمعه: (قروء) و(أقرؤ) مثل فلس وفلوس وأفلس.

٢ـ الضم، ويجمع على (أقراء) مثل قفل وأقفال.

ويطلق على الطهر والحيض والقرءُ على الحيض، وهو الجديد الأظهر عند الشافعية. انظر «الروضة» للنووي (٨/ ٤٢٥)، و«المصباح المنير» (٥٠١).

قد رجع الحق إلى نصابه وأنت من دون الورى أولى بِه
ما كنت إلا السيفَ سَلَّتْهُ يدٌ ثم أعادته إلى قرابه

منها [الرجز]:

تيقنوا لما رأوها ضيعةً أن ليس للجوّ سوى عُقابه
إن الهلال يُرتجى طلوعُه بعد السَرارِ ليلةَ احتجابِه
والشمسُ لا يُؤيَسُ من طلوعها وإن طَواها الليلُ في جَنابِه

كتب أبو إسحاق الصابىء لما أعيد الوزير بهاء الدولة سابور عن الوزارة وأعيد إليها [الكامل]:

قد كنتَ طلّقت الوزارةَ بعد ما زَلّتْ بها قدمٌ وساءَ صنيعُها
فغدت بغيرك تستحلّ ضرورةً كيما يحلّ إلى ثراك رجوعُها
فالآن قد عادت وآلت حلفةً أن لا تبيت سواك وهو ضجيعها

ولما أعيد عميد الدولة ولد فخر الدولة بن جهير إلى الوزارة بعد عزله وكان قد تزوّج أوّلاً بينت الوزير نظام الملك وهي زبيدة ابنة الحسَن نظم ابن الهبّاريّة فيه قوله [البسيط]:

قل للوزير ولا تُفزِعك هيبتُهُ وإن تعاظم واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استُوزِرتَ ثانيةً فاشكر حِراً صِرت مولانا الوزير بِه

وفي الوزير فخر الدولة ابن جهير نظم ابن صرّدرّ الأبيات المشهورة وهي [المنسرح]:

يا قالةَ الشعر قد نصحتكمُ وليس أُدهى إلاّ من النُصْحِ
قد ذهب الدهر بالكرام وفي ذاك أمورٌ طويلة الشرحِ
وأنتم تُمدَحُون بالحُسْن والظـ ـزف وجوهاً في غاية القبحِ
وتطلبون السماحَ من رجلٍ قد طُبعت نفسُه على الشحّ
من أجلِ ذا تُحْرَمُون كَدَّكُمُ لأنّكم تكذبون في المدحِ
صونوا القوافي فما أرى أحداً يعثر فيه الرجاء بالنجحِ
وإن شككتم فيما أقول لكم فكذّبوني بواحدٍ سمحِ
سوى الوزير الذي رئاسته تعرك أذن الزمان بالملحِ

قلت هذه الأبيات مع عذوبتها ورقّتها وانسجام تراكيبها قد أتى فيها باستعارتين مليحتين إلى الغاية وهي عثور الرجاء بالنجح وعرك الرئاسة أذن الزمان بالملح كأنها تؤدّبه وتهذّبُهُ، وأما قوله (فكذّبوني بواحد سمح) فمأخوذ من النادرة المشهورة، وتوفي بالموصل في شهر رجب وقيل في المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، ودفن في تلّ توبة وهو تَلٌّ قبالة الموصل، وولد بها سنة

ثمان وتسعين وثلاثمائة.

٣٥ ـ «أبو نصر الرامشي» محمد بن محمد بن أحمد. ابن هَميماه أبو نصر الرامُشيُّ النيسابوري المُقرىء ابن بنت الرئيس منصور بن رامُش، قال الحافظ ابن عساكر: كان عارفاً بالنحو وعلوم القرآن، توفي سنة تسعين وأربعمائة طلب القراءات والحديث وارتحل واجتمع بجماعةٍ وتخرّج به جماعةٌ، قال أبو سعد السمعاني: أنشدنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي إجازةً أنشدني أبو نصر محمد بن محمد بن أحمد لنفسه [السريع]:

إن تُلقِكَ الغربة في مَعشرٍ   قد أجمعوا فيك على بُغضِهم
فدارِهم ما دُمتَ في دارهم   وأَرضِهم ما دُمتَ في أرضهم

قلت: يشبهُ قولَ محمد بن شرف القيرواني [مجزوء الرجز]:

يا خائفاً من معشرٍ   قد اصطلى بنارهم
إن تخشَ من شَرارهم   على يَدَي شِرارهم
أو تُرْمَ من أحجارهم   وأنت في أحجارهم
فَما بقيتَ جارَهم   ففي هواهم جارِهم
وأرضِهم في أرضهم   ودارِهم في دارهم

وقال السمعاني: وأنشدنا سعيد بن محمد الملقاباذي قال: أنشدنا محمد بن محمد بن أحمد النحوي إملاءً لنفسه [الطويل]:

وكنتُ صَحيحاً والشبابُ مُنادِمي   وأنهلَني صَفْوُ الشباب وعَلَّني
وزادت على خمسٍ ثمانين حَجَّةً   فجاء مَشيبي بالضَنا وأعلّني
سَئِمتُ تكاليف الحياة وعَيْلتي   وما في ضميري من عسى ولعلّني

ولقي في طوافه أبا العلاء المعرّي وروى عنه في شعره.

٣٦ ـ «ابن عيشون المنجم الشاعر» محمد بن محمد بن الحسن. ابن عيشون موفق المُلك أبو الفضل المنجّم، كان رأساً في صناعته في النجامة بالعراق وله شعرٌ، توفي سنة ست وخمسمائة، قال [الكامل]:

القارىء التشريحَ أجدَرُ بالتقى   من راهبٍ في قُوسه مُتقوّسِ
ومُراقِبُ الأفلاك كانت نفسُه   بعبادة الرحمن أحرى الأنفُسِ
والماسِحُ الأَرَضين وهْيَ رَحيبَةٌ   مَسْحَ الأنامل في أكُفّ اللُمَّسِ
أولى بخيفة ربّه من جاهلٍ   بمثلّثٍ ومربّع ومخمّسِ

---

٣٥ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢١٨).

٣٧ ـ **«الفلنقي المقرىء» محمد بن محمد بن عبدالله. ابن مُعاذ أبو بكر اللخميّ الإشبيلي المعروف بالفلنقي**، كان إماماً في صناعة الإقراء مجوِّداً مُسْنِداً مشارِكاً في العربية مليحَ الخطِّ، له تأليف سمّاه «الإيماء إلى مذاهب السبعة القرّاء»، توفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

٣٨ ـ **«قُرْطُفْ ابن الأديب الشاعر» محمد بن محمد بن عمر. ابن قُرطف بالقاف والراء والطاء المهملة والفاء على وزن قُطْرُبْ، أبو الفتح النعمان الشاعر المشهور ويعرف بابن الأديب**، وكان من ظرفاء بغداد وله كتابة حسنة، روى عنه من شعره ابن السمعاني، توفي سنة ستين وخمسمائة، ومما أورد له ابن النجار من قصيدة [البسيط]:

كِلاَ السَوادَين من قلبي ومن بَصري ... فداءُ ما بَيَّضَ الفَوْدَيْنِ من شَعري

صِبْغٌ على الرأس موقوفٌ قضيتُ به ... ما شِئتُ من لذّةٍ تُلْهي ومن وَطَرِ

مَرَّ الجديدُ به حِيناً فأخلقَهُ ... وإنما ذلك الإخلاق للعُمُرِ

ما ساعةٌ تنقضي إلاّ وقد أخذَتْ ... شطراً من السمع أو شطراً من البَصَر

لو فكّرَ المَرْءُ في أطوار خِلقته ... ما كان في غيرها يوماً بمعتبِرِ

٣٩ ـ **«محمد بن محمد الشاعر الأديب الأندلسي» محمد بن محمد بن عبد الحميد. ابن الحارث أبو عبد الله وأبو بكر اليَعمُري الأندلسي الأديب الشاعر**، روى عن ابن أبي الخصال، توفي في سنة تسع وثمانين وخمس مائة.

٤٠ ـ **«الواعظ الحريمي» محمد بن محمد بن علي. أبو الفتح الحريميّ الواعظ**، كان مليحَ الإيراد، قدم بغداد سنة تسع وخمسمائة، حدّث على المنبر عن القشيري قال: تزوّج النبيّ ﷺ امرأة فرأى بكشحها بياضاً فردّها وقال: «الحقي بأهلك» وزاد في الحديث: فنزل جبريل فقال «العليُّ الأعلىٰ يقرئك السلام ويقول لك بنقطةٍ واحدةٍ من العيب رددتَ عُقدة النكاح ونحن بعيوب كثيرة لا نَفْسِخُ عُقَد الإيمان مع أمّتك لك نسوةٌ تمسكهنّ لأجلك أمسِك هذه لأجلي»، وهذا كذبٌ فاحش، مرض بالريّ مرضة موته فاشتدّ جزعه عند الموت فقيل له في ذلك فقال القدوم على الله شديد، قلت لا سيّما قادِمٌ يكذب على الله تعالى وعلى جبريل، وتوفي في سنة أربع عشرة وخمسمائة ودُفن إلى جانب إبراهيم الخوّاص، قلت من العجب دفنه إلى جانب هذا، سمِعتُ الشيخ الحافظ جمال الدين المِزّي يقول وقد ذكر في حديث جاء في طريقة والله لقد كذب إبراهيم الخوّاص وروى الحريميّ عن القشيري ونظرائه.

٤١ ـ **«أبو الحسن الحجّاجي المحدث» محمد بن محمد بن يعقوب. أبو الحسن النيسابوري من ولد الحجّاج بن الجرّاح**، قرأ القرآن وسمع الكثير وكان صالحاً حافظاً ثقة صدوقاً، صنّف «العلل»

---

٣٧ ـ «تكملة الصلة» لابن الأبّار (٢٠٦ ـ ٢٠٧)، و«طبقات القرّاء» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢١٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٩٣).

و«الشيوخ» و«الأبواب» وكان نسيب الحاكم أبي عبد الله أثنى عليه وقال في حقِّهِ: العبد الصالح الثبت الصدوق كان من الصالحين المجتهدين في العبادة صحبته نيفاً وعشرين سنة ليلاً ونهاراً ما علمتُ الملائكةَ كتبتْ عليه خطيئةً، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

٤٢ ـ «ابن عروس الكاتب» محمد بن محمد بن عَرُوس. الشيرازي الكاتب الشاعر نزيل سامرّا، له نظم، وتوفي في عشر الثمانين ومائتين، من شعره قوله: [مرفل الكامل]:

ولـقـد تـأمّـلـت الـحـيـا ... ةَ بُـعَـيـد فـقـدانِ الـتـصـابـي

فـإذا الـمـصـيـبـة بـالـحـيـا ... ةِ هـي الـمـصـيـبـةُ بـالـشـبـابِ

وله في أبي العيناء: [السريع]:

طـرفُ أبـي الـعـيناء مَـغْـسُـولُ[1] ... وديـنُـه لا شـكّ مَـدخـولُ

ولـيـس ذا عـلـم بـشـيءٍ ولا ... لـه إذا حـصـلـتَ مـحـصـولُ

مـا هـو إلا جـمـلـةٌ غَـثَّـةٌ ... ولـيـس لـلـجـمـلـة تـفـصـيـلُ

قال محمد بن محمد بن عروس: اجتمعتُ أنا وعليّ بن الجهَم في سفينة ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدت له مذاكرةً حلوةً وكان في بعض ما قاله أنا أشعر الناس فقلت: بماذا؟ فقال بقولي [الطويل]:

سقى الله ليلاً ضمّنا بعد هَجْعَةٍ ... وأدنى فؤاداً من فؤاد معذَّبِ

فَبِتْنَا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّبِ

فقلت له: والله لقد أحسنتَ ولكنني أشعر منك، قال: بأيّ شيء؟ قلت بقولي [البسيط]:

لا والمنازل من نجدٍ وليلتنا ... بفيدَ إذ جسدانا بيننا جسَدُ

كم رام فينا الكَرَى من لطف مَسلكه ... نوماً فما انفكّ لا خدٌّ ولا عضدُ

فقال: أحسنتَ ولكن بم صِرْتَ أشعرَ مني؟ قلتُ: لأنك منعتَ دخولَ جسدٍ بين جسدين وأنا منعتُ دخولَ عرَضٍ بين جسدين، فقال: مَنْ أنت؟ فقلتُ: بل تقول أنت أوّلاً، قال: عليّ بن الجهم، قلت: وأنا ابنُ عروس.

٤٣ ـ «المفجع النحوي الشيعي الشاعر» محمد بن محمد بن عبدالله. البصري النحوي من كبار النحاة، كان شاعراً مُفلقاً وشيعياً متحرّقاً وبينه وبين ابن دريد مهاجاة، وصنّف «كتاب الترجمان»

---

٤١ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٣/ ٦٧)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٩٢١)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ٦١٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٩)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٣١٠).

(١) في «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٥٥): معلولُ.

و«عرائس المجالس» و«المتقدمين في الإيمان»، توفي سنة عشرين وثلاثمائة وقال ياقوت: محمد بن أحمد ومن شعره [الخفيف]:

لِـيَ أَيْـرٌ أراحـنـي الله مـنـه ... صـار حُزنـي بـه عـريـضـاً طـويـلاً

نـام إذ زارنـي الـحـبـيـبُ عـنـاداً ... ولـعـهـدي بـه يـنـيـكُ الـرسـولا

حُـسِـبَـتْ زورةً عـلـيَّ لـحـيـني ... وافـتـرقـنـا ومـا شـفـيـتُ الـغـلـيـلا

ومنه أيضاً قوله [السريع]:

لـنـا سـراجٌ نـوره ظـلـمـةٌ ... لـيـس لـه ظـلٌّ عـلـى الأرضِ

كـأنّـه شـخـص الإمـام الـذي ... يَـبـغـي الـهُـدَى مـنـه أولـو الـفـرضِ

وقال اللحام يهجوه [الكامل]:

إن الـمُـفَـجَّـعَ فـالـعـنـوه بـزيّـتِ ... يَـغْـلـي يـديـنُ بـبـغْـض أهـل الـبـيـت

يـهـوى الـعـلـوق وإنـمـا يـهـواهُـم ... بـمـؤخَّـرِ حـيّ وقُـبـلِ مَـيـتِ

وله من التصانيف «كتاب الترجمان» و«الشعر ومعانيه» و«كتاب المنقذ من الأَيمان» يشبه «كتاب الملاحن» لابن دريد وهو أجود منه «كتاب أشعار الجواري» «غرائب المجالس «شعر زيد الخيل الطائي» «قصيدته في أهل البيت»، وشعره كثير أورد له ياقوت جملةً منه.

٤٤ ـ **«أبو بكر اللباد المالكي» محمد بن محمد بن وشاح. أبو بكر اللبّاد اللخمي مولاهم الفقيه المالكي الإفريقي**، صنّف «فضائل مكة» و«عصمة النبيين» و«كتاب الطهارة» وعليه نَفَقَّهَ ابنُ أبي زيد، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

٤٥ ـ **«ابن الهبارية الشاعر» محمد بن محمد**. وقيل ابن صالح وقيل محمد بن علي بن صالح، **أبو يعلى الشريف العبّاسي ابن الهبّاريّة البغدادي الشاعر**، قدم أصبهان وبها ملكشاه ووزيره نظام الملك فدخل على الوزير ومعه رقعتان إحداهما فيها هجو الوزير والأخرى فيها مدحه فأعطاه التي فيها هجوه وهو [مجزوء الكامل]:

---

٤٣ ـ «الفهرست» لابن النديم (١/ ٨٣)، «معجم الشعراء» للمرزباني (٤٦٤ ـ ٤٦٥)، و«الفهرست» للطوسي (ص ١٥٠)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (ص ١٣)، و«معجم الأدباء» لياقوت (١٧/ ١٩٠ ـ ٢٠٥)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٠٤ ـ ٣٩٧ ـ ١١٣١ ـ ١٨٦٩)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ٣٣٩)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٣١)، و«أعيان الشيعة» للعاملي (٤٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، و«فوائد الرضوية» لعباس قمي (ص ٣٨٨)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (٨/ ٢٧٩).

٤٤ ـ «الديباج» لابن فرحون (ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٤٢)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٣٠٩).

٤٥ ـ «سير أعلام النبلاء» للذهبي. و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١٠/ ٨٢).

لا غَـزْوَ إن مَـلَـك ابْـنُ إسـ ـحـاقٍ وسـاعَـدَهُ الـقَـدَرْ
وصَـفَـا لـدولـتـه وخـصّ أبـا الـمـحـاسـن بـالـكَـدَرْ
فـالـدهـر كـالـدولاب لـيـ ـس يـدورُ إلا بـالـبَـقَـرْ

يعني بقَر طُوس، فكتب على رأسها يطلَق لذا القوّاد رسمه مضاعفاً، وأبو المحاسن هذا هو صهر نظام الملك وكانت بينهما منافرة وهو الذي حمله على هجوه وله مع نظام الملك وقعاتٌ من الغضب والرضى عليه ومن شعره فيه [الكامل]:

وإذا سخِطتُ على القوافي صُغْتُها في غيره لاذِلَّها وأُهينها
وإذا رَضيتُ نظمتها لجلاله كيما أُشرّفها به وأزينها

ومن شعره [مرفل الكامل]:

قد قلتُ للشيخ الرئيـ ـس أخي السماح أبي المظفّر
ذَكّرِ معين الدين لي قال المؤنّث لا يُذَكّره

ومن شعره [البسيط]:

رأيت في النوم عِرْسي وَهْي ممسكةٌ أُذني وفي كفها شيء من الأَدَمِ
معوّج الرأس مُسوَدٌّ به نُقطٌ لكنّ أسفله في هيئة القَدَمِ
ولم يزل بيَديها وَهْي تَنْطُلُني به وتلتذّ بالإيقاع والنَغمِ
حتّى تنبّهت مُحمرَّ القذال ولو طال المنام على الشيخ الأديب عَمي

ومن شعره [البسيط]:

كم ليلةٍ بتُّ مَطويّاً على حُرَقٍ أشكو إلى النجم حتى كاد يَشكُوني
والصبحُ قد مَطَل الشرقُ العيونَ به كأنّه حاجةٌ في نفسِ مسكينِ

ومن شعره [السريع]:

لُذ بنظام الملك فهو الرِضَى إذا بَنُو الدهر تَحاشَوكْ
واجلُ به عن ناظريك القَذَى إذا لئامُ القوم أغْشَوكْ
واصبر على وحشة غلمانه لا بُدَّ للورد من الشَوكْ

وهي قافية صعبة لأنه التزم الشين، ومن شعره أيضاً [الكامل]:

المجلسُ التاجيُّ دام جمالُهُ وجلاله وكماله بُستانُ
والعبدُ فيه حمامةٌ تغريدُها فيه المديحُ وطوقُها الإحسانُ

ومنه [الكامل]:

خُذ جُملة البلوى ودع تفصيلها ... ما في البريّة كلّها إنسانُ
وإذا البيادِقُ في الدُسُوت تَفَرْزَنَتْ ... فالرأيُ أن يتبيذقَ الفِرزانُ

ومنه أيضاً [الكامل]:

هل لأَيري مما عراه طبيب ... أم له في هَوَى الملاح نصيبُ
يا فِقاح المِلاح ما لقضيبي ... كلّ يوم يأتي عليه عَصيبُ
إنّ جَلْدي عُميرةٌ قد براني ... فأنا مغرمٌ سقيمٌ كئيبُ
وبأيري لا أيرِ غيري غزالٌ ... آنِسٌ نافِرٌ بعيدٌ قريبُ
تَحْسُدُ الشمسُ وجهه وينادي آل ... أمن من قدّه القضيبُ الرطيبُ

وشعره ثلاث مجلّدات غالبه سخف ومجون أراد يحكي طريقة ابن حجاج ولكن فاته الشنَبُ، وله «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وله: «كتاب الصادح والباغم» ألفا بيت ادعى في آخره أنه نظمه في عشر سنين عمله لسيف الدولة صدفة، وله «كتاب فلك المعاني»، وتوفي قبل سنة أربع وقيل سنة تسع وخمسمائة وهو الصحيح.

٤٦ ـ «العماد الكاتب» محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آلُه. بفتح الهمزة وضمّ اللام وهو العقاب بالعجمي **عماد الدين أبو عبد الله بن صفي الدين أبي الفرج بن نفيس الدين أبي الرجاء الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخي العزيز،** ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وقدم بغداد وهو ابن عشرين سنة أو نحوها ونزل النظامية وبرع في الفقه على أبي منصور سعيد بن الرزاز وأتقن الخلاف والنحو والأدب وسمع الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرُون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن علي الأشقر وغيرهم، وروى وسمع من السَّلَفِيّ بالإسكندرية، وكان شافعيَّ المذهب، ولما مهر تعلَّقَ بالوزير عون الدين بن هُبيرة فولاَّه نظر البصرة ثم نظر واسط، فلما مات الوزير ضعف أمره فقدم دمشق سنة اثنتين وستين وتعرّف بمدبّر الدولة القاضي كمال الدين الشهرزوري واتصل بطريقه بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين وكان يعرف عمَّه العزيز من تكريت فاستخدمه كمال الدين عند السلطان نور الدين الشهيد في الإنشاء فَجَبُن أوّلاً وكان ينشىء بالعجمية وترقّت منزلته عند نور الدين وجهّزه رسولاً إلى بغداد أيام المستنجد وفوّض إليه تدريس المدرسة المعروفة بالعمادية بدمشق ورتّبه في إشراف الديوان، فلما مات نور الدين وقام ولده ضُويقَ من الذين حَولَهُ فسافر إلى العراق، ولما بلغه وصول صلاح الدين إلى دمشق وأخذها عاد إلى الشام وصلاح الدين على حلب فمدحه ولزم ركابه إلى أن استكتبه ومال إليه وأطلعه على سرّه وكان يضاهي الوزراء، وإذا انقطع الفاضل بمصر لمصالح صلاح الدين

---

٤٦ ـ «البستان» لابن مريم (ص ١٦٤ ـ ١٨٤)، و«نيل الابتهاج» للتنبكتي (ص ٢٥٥ ـ ٢٦٤)، و«الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٢٤)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (٦/ ٢٢٤).

قام مقامه ولم يزل كذلك إلى أن توفي صلاح الدين فاختلّت أحواله ولم يجد في وجهه باباً فلزم بيته وأقبل على التصنيف إلى أن توفي مستهل شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ودُفن بمقابر الصوفية بدمشق، وكان بينه وبين القاضي الفاضل سَنَةٌ في الوفاة، ولعمري لقد كان ذا قدرة على النظم والنثر أكثر منه وأرى أن شعره ألطف من نثره لأنه أكثر من الجناس فيه وبالغ حتى يعود كلامه كأنّه ضرب من الرقي والعزائم وإنما لطف نظمه بالنسبة إلى نثره لأن الوزن كان يضايقه فلا يدعه يتمكن من الجناس، وقد عاب الناسُ ممن له ذوقٌ وفطرةٌ سليمة كثرةَ التجنيس لأنه دليل التكلف وقالوا كلما قلّ كان أحسن ورُؤي كالطراز في الثوب والخال الواحد في الوجنة [الكامل]:

والخدّ بهجته بخال واحدٍ وتقلُّ فيه بكثرة الخيلان

وأين مرماه من مرمى القاضي الفاضل، ويا بُعدما بين المنزعين، ويا فرقَ ما بين الطريقين [الكامل]:

إنّي رأيت البدرَ ثم رأيتُها ماذا عليّ إذا عَشِقتُ الأحسنا

وانظر إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والسلف هل تجد الجناس في ذلك كله إلا أقلّ من غيبة الرقيب، ووصل الحبيب، ولم أقل هذا غَضّاً من قدره، ولا فَضّاً لختم سرّه، إذ هو البحر العجّاج وفارس الكتابة الذي يفرّج بأنابيب أقلامه مضايق العجاج؛ ولكنْ لما زاد في استعمال الجناس، ضاقت بتردّده الأنفاس، وأصبح الكلام من القلوب وحشياً، ومن الأسماع حُوشِياً، ألا ترى قوله: «فلما أراد الله الساعة التي جلاّها لوقتها، والآيةَ التي لا أُخت لها فتقول هي أكبر من أختها، أفضَتِ الليلة الماطلة إلى فجرها، ووصلتِ الدنيا الحامل إلى تمام شهرها، وجاءت بواحدها الذي تُضافُ إليه الأعداد، ومالكها الذي له الأرض بساط، والسماء خيمة والحُبُكُ أطناب والجبال أوتاد، والشمس دينار والقطر دراهم والأفلاك خدم والنجوم أولاد»، لما كان هذا خالياً من الجناس عذب في السمع وقعه، واتسع في الإحسان صُقعه، ورَشَفَهُ اللبُّ مُدامة، وكان عند من له ذوق أطرب من تغريد حمامة، وقوله: «ورد الكتاب الكريم الأشرف الذي كرّم وشرّف، وأسعد وأسعف، وأجنى العزّ وأقطف، وأوضح الجدّ وعرّف، وقوّى العزم وصرّف، وألهج بالحمد وأشغف، وجمع شمل الحُبى وألّف، فوقف الخادم عليه وأفاض في شكر فيض فضله المستفيض، وتبلّج وجه وجاهته وتأرّج نَبا نباهته، ما عرفه من عوارفه البيض، وأمِنَت بمكارمه المكاره، وزاد في قدر التائه قَدره النابه، وافترّت مباسم مراسمه عن ثنايا مناجحه، ورفد طلائع صنائعه، فسرّ بمِنَنِ منائحه»، واستمرّ على هذا النهج إلى آخره فانظر إلى قلق هذا الترتيب وكل كلامه من هذا النمط وغالب ما يُنشئه إذا تحامل السمع له سقط، ولم يكفه هذا [بل] إنه يكثر من ردّ العجز على الصدر كقوله: «وسرّ أولياءه وأولى مسرّته، وأقدر يده وأيّد قدرته، وآزر دولته وأدال مؤازرته، وبسط مكنته ومكّن بسطته، وأسعد جدّه وأجدّ سعادته، وأراد نجحه وأنجح إرادته، وأجلّ جيله وسرّ أُسرته، وحاط حماه وحمى حوطته، ولا زال معروفه موالياً ومواليه معروفاً، ووصفه حسناً وإحسانه موصوفاً، وإلفه بارّاً وبارّه مألوفاً، وعطفه كريماً

وكرمه معطوفاً» وقد اقتصرت على هذا القدر وقلما يخلو كلامه من هذا النوع الغثّ، والضرب الرثّ، وله رسائل التزم في واحدة الدال في كل كلمة والضاد في الأخرى والميم في الأخرى والشين في أخرى وأشياء من هذا النمط الذي يقذفه السمع ويمجّه، ويقطعه الإنكار ويحجّه، وديوانه يدخل في أربع مجلدات كبار ومن نظمه [الرمل]:

وهضيم الكشح في حُبّي له ... لم يزدني كاشحي إلا اهتضاما
كَرُمَ العاشِق فيه مثل ما ... لؤم العاذل فيه حين لاما
بقوامٍ علّم الهزَّ القنَا ... ولحاظٍ تُودعُ السُكْرَ المُداما
أتُراه إذ تثنّى ورنا ... سمهريّاً هزَّ أم سَلَّ حُساما
خدّه يجرحه لحظُ الوَرَى ... فلذا عارِضُه يلبس لاما
ويُريك الخطّ منه دائراً ... هالةَ البدر إذا حطَّ اللثاما
وكثيب الرمل قد أخجله ... وقضيب البان ردفاً وقواما

ويعجبني قوله في أترجّه [الطويل]:

وأتْرُجَّةٍ صفراءَ لم أدْرِ لونَها ... أمِن فَرَق السكّين أم فُرْقة السَكَنْ
بحَقٍ عَرتْها صفرةٌ بعد خضرةٍ ... فمن شَجَرٍ بانت وصارت إلى شَجَنْ

ومثله قول الآخر [البسيط]:

أمسيتُ أرحَمُ اترجاً وأحسِبُه ... في صفرة اللون من بعض المساكين
عجبتُ منه فما أدري أصُفْرتُهُ ... من فُرقَةِ الغُصْن أو خوف السكاكين

ومن هذه المادّة قول الغزّي [البسيط]:

كالشمع يبكي ولا يُدرَى أعبرتُهُ ... من صحبة النار أو من فُرقَةِ العَسَلِ

ويعجبني قوله أيضاً أعني العماد [الخفيف]:

هي كُتْبي فليس تصلح من بَعْـ ... ـدِي لغير العطّار والإسكافي
هي إمّا مَزاودٌ للعقاقيـ ... ـر وإمّا بطائنٌ للخِفافِ

قال ابن ظافر في «بدائع البداية»: أخبرني الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن محمد العباسي الحلبي قال: أخبرني القاضي الأجلّ عماد الدين أبو حامد محمد الأصفهاني كاتب الملك الناصر نوّر الله ضريحه قال: كنت أعشق بالموصل صبيّاً سرّاجاً وكان يواصلني فكلما استويتُ على عرشه قال لي: اكتم عليَّ ولا تنطقْ بحرف، ويزيد في ذلك فصنعت في بعض الأيام بديهاً [السريع]:

فَديتُ سرّاجاً إذا لم يَرُج ... للوصل عندي أحدٌ راجَ هُو
يقول لي أركبني ولا تُفْشِهِ ... يريد إلجامي وإسراجه

وكتب إليه النشؤ أحمد بن نُفاذة يستدعيه أيام المشمش [الطويل]:

دعا الناسَ للّذات مِشْمِشُ جِلّقِ فقد أسرعوا من كلّ غرب ومشرقِ
فقم يا عماد الدين تحظَ بأكله ولا تَثنِ عنه عزمة السير تُسبَقِ
وقل حين يبدو أحمرَ اللون مشرقاً ويا حسنَه من أحمر اللون مُشرقِ
لأكلك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللتوتِ ما لم يبقَ منّي وما بقي

فأجاب العماد عن ذلك [الطويل]:

تغنّم زمان الجود في اللهو واسبقِ وفُز باجتماع الشمل قبل التفرّقِ
هلمّوا إلينا نحو مشمش جِلّقِ وثمّ لِمَا نهوىٰ على الأكل نلتقي
تصفَّر شوقاً لانتظار قدومنا ومن يتشوَّق ذا الفضائل يَشتقِ
وما رمقتْ للشوق رُمد عيونه فإن تَترمَّقْ منه تَنظُرْ وترمُقِ
نواظر أحداقٍ لها في حدائق نواضر إن يحدق بها المرء يَحْذَقِ
إذا حضرتْ أطباقه غاب رشدنا لما نتلاقى من مشوقٍ وشَيِقِ
لأنّ مذاب الشهد فيه مجسَّدٌ أجدّ له عهد الرحيق المعتّقِ
وما اصفرّ إلاّ خوفَ أيدي جُناته فليس له أَمْنٌ من المتطرّقِ
حكى جمراتٍ بالأضى قد تعلّقت فيا عجباً من جمره المتعلّقِ
كأنّ نجوم الأرض فوق غصونه فيا حيرتا من نجمه المتألّقِ
وحبّاتها محمرّة وَجَناتُها فمن يَرَها مثلي يحبّ ويَعشَقِ
بَدَتْ بين أوراق الغصون كأنّها كُراتُ نُضارٍ في لُجَينٍ مطرَّقِ

فلمّا أُنشِدتْ للسلطان صلاح الدين قال تشبيه الورق باللجين غير موافق فإن الورق أخضر فقال العماد «بالزمرُّد محدق» [الطويل]:

تساقطها أشجارها فكأنّها دنانير في أيدي الصيارف ترتقي

وكتب العماد إليه أيضاً جواباً من أبيات [المنسرح]:

مصوّرٌ بل مدوّرٌ عجبٌ ترى به وهو جامدٌ شُعَلا
ففي قلوب الأشجار منه جُذَى وفي ظهور الغصون منه حُلَى
طَلَوا بماء النُضار ظاهرَهُ لباطنٍ في حشاه نارُ طلا
حُلِيُّ تبرٍ على عرائس أغصـ انِ تشكّتْ من قبلِها عَطَلا
حُمْرٌ حِسانُ الوجوه قد لبست من خُضر أوراقها لها حُلَلا
عرائسٌ من خُدُورها بَرزَتْ تحسبُ أشجارَها لها كِلَلا

وَهْي كشهب السماء راجمةٌ جِنَّ جُناةٍ بقطفها كفلا
عيونُها الرُمْدُ في ترقبنا جاحظةٌ أبرزتْ لنا مُقَلا

ومن شعر العماد الكاتب [الكامل]:

متلوِّنٌ كمدامعي متعفِّفٌ كضمائري متعذِّرٌ كوسائلي
أنا في الضَنَى كالخَصْر منه أشتكِي من جائرٍ ما يشتكي من جائلِ

ومن شعره يمدح المستنجد بالله [الطويل]:

وما كلُّ شِعْرٍ مثلَ شِعْرِيَ فيكُمُ ومن ذا يقيس البازل العَود بالنَقْضِ
وما عزَّ حتى هانَ شِعْرُ ابن هانىءٍ ولِلسُنّة الغرّاء عزٌّ على الرَفْضِ

ومن شعره أيضاً [البسيط]:

أفدي الذي خَلَبَتْ قلبي لواحظُهُ وخلّدت لدغاتِ الحبّ في كَبِدي
صفاتُ ناظره سَقْمٌ بلا أَلَمٍ سُكْرٌ بلا قَدَحٍ جُرْحٌ بلا قَوَدِ
مُعشَّقُ الدَلّ من تيهٍ ومن صَلَفٍ مُرنّح العِطْف من لينٍ ومن مَيَدِ
على مُحيّاه من نار الصِبَى شُعَلٌ ووَرْدُ خَدَّيْهِ من ماءِ الحياةِ نَدِي

ويحكى عنه أنه قال يوماً للفاضل «سِر فلا كَبا بك الفرس» فأجابه القاضي «دام علاء العماد»، وهذا الجواب أول مصراع للقاضي ناصح الدين الأرّجاني فإن كان الفاضل استحضره فحسنٌ وإن كان اخترعه فأحسن وكلا الكلامين مما يقرأ مقلوباً، واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان بما سَدَّ الفضاء فأنشده العماد في الحال [مرفل الكامل]:

أما الغبار فإنّه مما أثارته السنابِكْ
والجوّ منه مظلمٌ لكن أنار به السنابِكْ
يا دهرُ لي عبدالرحيـ ـم فلستُ أخشى مسّ نابِكْ

قلت: ليس بين الثالث وما قبله علاقة وإنما الجناس اضطرّه إلى ذلك، ولما مات الوزير عون الدين اعتُقِل العمادُ في جملة من اعتُقِل لأنه كان ينوب عنه في نظر واسط فكتب إلى عماد الدين ابن رئيس الرؤساء أستاذ دار «المستنجد بالله أمير المؤمنين» [الكامل]:

قل للإمام عَلامَ حَبْسُ وليِّكُمْ أَوْلُوا جميلَكُمُ جميلَ ولائه
أَوَليس إذ حبس الغمامُ وليَّه خلّى أبوك سَبيله بدعائه

وهذا المعنى في غاية الحسن لأنه أشار إلى قصّة العباس في الاستسقاء ودعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعبّاس فأُمطِروا، وكان إذا دخل عليه من يعوده في مرضه ينشد [مجزوء الخفيف]:

أنا ضيفٌ بربعكم أين أين المضيّفُ

أنكرتني معارفي ... مات مَنْ كُنْتُ أعرفُ

قال شمس الدين محمود المروزي: كنت بحضرة القاضي الفاضل رحمه الله وكان العماد الكاتب حاضراً عنده فلما انفصل قال الفاضل للجماعة: بم تشبّهون العماد وكان عنده فترةٌ عظيمة وجمودٌ في النظر والكلام فإذا أخذ القلم أتى بالنثر والنظم فكلّهم شبّهه بشيء فقال: ما أصبتم هو كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار، ومن شعر العماد الكاتب [السريع]:

إِقْنَعْ ولا تطْمَعْ فإنّ الفَتَى ... كماله في عزّة النفس
وإنما ينقص بدر الدُّجَى ... لأخذه النورَ من الشمس

ومنه أيضاً [مجزوء الرجز]:

أبصرني مُبَلْبَلاً ... (و) في الغرام مُمتَحَن
فقال مَنْ قاتِلُه ... قلت له قائلُ مَنْ

أخذه من قول الأول وهو مشهور [الرجز]:

قالت لتِرْبٍ معها مُنكِرةً ... لِوَقْفَتي هذا الذي نَراه مَنْ
قالت فَتَى يشكو الهَوَى متيَّماً ... قالت بمن قالت بمن قالت بمن

ومنه قول أبي الطيّب [الكامل]:

قالت وقد رأت اصفراريَ مَنْ به ... وتنهّدتْ فأجبتُها المتنهّدُ

ومن شعر العماد [الطويل]:

وما هذه الأيام إلاّ صحائفٌ ... نُؤَرِّخُ فيها ثم تُمحى وتُمحقُ
ولم أر في دهري كدائرة المُنَى ... تُوسّعها الآمالُ والعمر ضيّقُ

وصنّف «البرق الشامي» وهو مجموعُ تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه واتصاله بخدمة نور الدين وصلاح الدين وسمّاه بذلك لأنه شبّه تلك الأيام لطيبتها وسرعتها بالبرق وهو في سبع مجلدات و«الفتح القُدسي» ويقال إنه لما عرضه على الفاضل قال سَمّه «الفتح القُسّي في الفتح القدسي»، قلت ولو قال: «الفتح القدسي في الفتح القدسي» لكان أحسن لأن رسول الله ﷺ قال لحسّان: «روح القدس ينفث في رُوعك»[1]، و«نصرة الفترة وعصرة القطرة» تاريخ الدولة السلجوقية و«البرق الشامي» في أخبار صلاح الدين وفتوحه وأحواله وحوادث الشام في أيامه و«كتاب خطفة البارق وعطفة الشارق» وكتاب «عَتب الزمان في عقبى الحدثان» و«أخبار الملوك السلجوقية» و«نحلة الرحلة وحلية العُطلة» و«خريدة القصر وجريدة العصر» و«الذيل عليها ورأيتها بخطه» ويقال إنه لما فرغ منها جهّزها إلى القاضي الفاضل في ثمانية أجزاء فلما وقف عليها ما أعجبته وقال أين الآخران لأنه قال خَرِي دَه يعني خَري عشرة لأن دَه بالعجمي عشرة ومن هنا أخذ ابن سناء

(١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٤٨٢).

الملك[١] قوله فيها [السريع]:

خـريـدةٌ أفَّـيَّـةٌ مـن نَـتْـنـهـا كـأنّـهـا مـن بـعـض أنـفـاسـه

فـنِـصْـفُـهـا الأوّل فـي ذقـنـه ونـصـفـهـا الآخـر فـي رأسـه

ورأيت مكاتبات القاضي الفاضل إليه جزءاً، والعماد رحمه الله طويل النَّفَسِ في رسائله وقصائده، وله ديوان دُوبيت، ولما التقى العمادُ الفاضلَ على حمص مدحه بقصيدة فدخل على صلاح الدين وقال له: غداً تأتيك تراجم الأعاجم وما يحلّها مثل العماد فقال له مالي عنك مندوحة أنت كاتبي ووزيري ورأيت على وجهك البركة فإذا استكتبتُ غيرك تحدّث عنك الناس فقال هذا يحلّ التراجم وربما أَغيبُ أنا فإذا غِبتُ قام مقامي وقد عرفتَ فضله وخدمته لنور الدين فاستخدمه.

٤٧ ـ **«عزالدين بن القيسراني» محمد بن محمد بن خالد. ابن محمد بن نصر بن صغير بن داعر عز الدين أبو حامد المخزومي الحلبي ابن القيسراني الكاتب المشهور**، مولده بحلب الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، سمع بحلب من ابن طبرزذ وحدّث عنه وتقدّم عند الملك الناصر صلاح الدين الصغير وخدمه مدّةً وولاّه نظر دواوين الشام ووزر له، وكان رئيساً مبجّلاً مقدَّماً سليمَ الصدر دَمِثَ الأخلاقِ حَسَنَ الظنِّ بالفقراء والصلحاء، توفي بدمشق في تاسع عشرين شهر رمضان سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بجبل قاسِيُون.

٤٨ ـ **«ابن ظفر» محمد بن محمد بن ظفر. الصقلي حجّة الدين أبو عبد الله**، أحد الأدباء الفضلاء، وُلد بصقلية ونشأ بمكة واستوطن بحماة وتوفي بها سنة خمس وستين وخمسمائة ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات، زوّج ابنتَه من الضرورة بغير كفؤ فسافر بها وأباعها في البلاد، وكان ابن ظفر قصيرَ القامة ذميم الخلق غير أنه صبيح الوجه جرت بينه وبين الشيخ تاج الدين الكندي مناظرة في النحو واللغة فأورد عليه مسائل في النحو فلم يمشِ فيها فقال: الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة فقال تاج الدين الكندي: الأوّل مسلَّم والثاني ممنوع، ومن تصانيفه: «سلوان المطاع» صنّفه لأحد القوّاد بصقلية سنة أربع وخمسين وخمسمائة و«كتاب أنباء نجباء الأبناء» و«خير البِشَر بخير البَشَر» و«الحاشية على درّة الغوّاص» و«شرح المقامات الحريرية» شرحين كبيراً وصغيراً و«كتاب تفسير القرآن» اثنا عشر مجلداً، «كتاب الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي»، «كتاب ينبوع الحياة»، «أساليب الغاية في أحكام آية»، «الجُنّة من فِرَق أهل السنّة» في الاعتقاد، «كتاب المَعادات» في الاعتقاد أيضاً، «كتاب التشحين في أصول الدين»، كتاب «معاتبة

(١) هو القاضي هبة الله بن سناء الملك المصري، توفي سنة (٦٠٨هـ).

٤٨ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٦٦٠ ـ ٦٦١)، و«معجم الأدباء» لياقوت (١٩ ـ ٤٨ ـ ٤٩)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٣/ ٥٢)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (١/ ١٨٨)، و«بغية الوعاة» للسيوطي، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٠١ ـ ١٢٦ ـ ١٧١ ـ ٧٢٧ ـ ٧٤١ ـ ٩٩٨ ـ ١٧٢٣ ـ ١٧٨٨ ـ ٢٠٥٢)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٦٨ ـ ٢/ ٢٤٤) و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٩٦)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٠/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

الجرىء على معاقبة البريء»، «كتاب مُلَح اللغة» فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم، «كتاب كشف الكسف في نقض الكتاب المسمّى بالكسف» و«الإنباء عن الكتاب المسمّى بالاحياء»، «كتاب مالك الأذكار في مسالك الأفكار»، «الخُوَذُ الواقية والعُوَذ الراقية»، في الوعظ، «كتاب نصائح الذكرى»، «أرجوزة في الفرائض والولاء»، «كتاب إكسير كيمياء التفسير»، «كتاب الإشارة إلى علم العبارة»، «كتاب القواعد والبيان»، «مختصر في النحو»، ومن شعره [الخفيف]:

أيّها المُستجيشُ من أَلْسُنِ الو ... عّاظِ قد أسهَبُوا وما أيقظوكا

هاكَ بيتاً يُغْنيك عن كلّ سَجْعٍ ... وقريض كانوا به وعظوكا

لا تَشاغَلْ بالناسِ عن مَلِك النا ... سِ فلولا نُعْماهُ ما لحظوكا

ومنه [المتقارب]:

بباءِ البَراءَةِ عند الغُلُوّ ... وسينِ سرُورِيَ بالمعرفَة

وبالميم من مرَحي عند ما ... تُبشّرني آيةٌ أو صِفَة

أَقِلْ عبدَكَ المُذْنِبَ المستجيْر ... بعفوكَ من سوء ما أسلفَهْ

وتصانيفه مليحة، ومن شعره [الطويل]:

حملتُكَ في قلبي فهل أنتَ عالمٌ ... بأنّك محمولٌ وأنت مقيمُ

أَلا إنّ شخصاً في فؤادي محلُّه ... وأَشتاقُه شخصٌ عليّ كريمُ

ورأيت بعضهم يقول ابن ظُفُر بضم الظاء والفاء والأول أشهر والله أعلم.

٤٩ ـ «الشريف المرتضى ليس أخ الرضي» محمد بن محمد بن زيد بن علي. بن موسى بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشريف أبو الحسن وأبو المعالي ذو الشرفين العلوي الحسيني، وُلد ببغداد وسمع بها من أبي القاسم الحُرفي وأبي عبد الله المَحَامِلي والبَرقاني وطلحة الكِنَانِيّ ومحمد بن عيسى الهمذاني وابن شاذان وابن بشران وطائفة وتخرّج بالخطيب ولازمه وروى الخطيبُ شيخهُ عنه، ورُزِق حُسنَ التصنيفِ، وسكن آخر عمره سمرقند، وقدم بغداد وأملى بها، وكان كثيرَ الإيثار يُنفد في كل سنة إلى جماعة من العلماء ألف دينار أو خمسمائة دينار أو أكثر أو أقلّ ويقول هذه زكاة مالي وكان يملك قريباً من أربعين قرية، قبض عليه ملك سمرقند الخضر خاقان واصطفى أمواله وضياعه فصبر وحمد الله وقيل مُنِع من الطعام إلى أن مات جوعاً، قال أبو العباس الجوهري: رأيت السيّد المرتضى أبا المعالي بعد موته وهو في الجنّة وبين يديه طعام وقيل له ألا تأكل فقال لا حتى يجيء ابني فإنه غداً يجيء فلما انتبهتُ وذلك في رمضان سنة بياض وتسعين وأربعمائة قُتِل ابنه أبو الرضا ذلك اليوم، وتوفي المرتضى المذكور سنة ثمانين وأربعمائة، وسيأتي ذكر ولده الأطهر بن محمد بن محمد في حرف الهمزة إن شاء الله تعالى.

٥٠ ـ «الفرضي البغدادي» محمد بن محمد بن أبي حنيفة. الفرضي البغدادي، نقلت من خط

مستوفى إربل قال: هو مؤدّبي ورد إربلَ ومدح والدي فنقله لتأديبي عليه فأقام بها مدّة، وتوجّه مع المغيث والقاهر وَلَدَيّ الملك العادل أبي بكر بن أيوب وركب البحر بالإسكندرية فهبّت ريحٌ سوداء مُنتنة مرض منها جماعة وكان منهم فمات بالقاهرة سنة اثنتين وستمائة، وذَكَرَ أنه كان أولاً مع الفُتّاك الشُطّار[1] وأنه حُبس مدّة سبعة عشر سنة وأنه كتب في الحبس نيفاً وستين مصحفاً وكتب للوزير ابن هُبَيرة مصحفاً لطيفاً وقدّمه فقال: ينبغي قطع يده لكتابته هذا في هذا القدر وأورد له شعراً كثيراً منه قوله [الرمل]:

إنما كان وُلُوعِي طَمَعاً ... والرَدَى لا شكَّ عُقْبَى الطَمَعِ
إنّ من أَسْكَنْتُهُمْ في كَبِدِي ... وانطوتْ صوناً عليهم أَضْلُعِي
عرفوا موضعهم من مُهْجَتِي ... فأضاعوا بالتجافي مَوْضِعِي

٥١ ـ «صاحب الأربعين الطائية» محمد بن محمد بن علي بن علي بن محمد. أبو الفتح بن أبي جعفر الطائي الهمذاني صاحب «الأربعين الطائية»، توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

٥٢ ـ «القاضي أبو الوفاء الأصبهاني» محمد بن محمد بن أبي الوفاء. القاضي الأصبهاني، ولي القضاء بعسكر مكرّم ودرّس بالنظامية وكان حَسَنَ السيرةِ فاضلاً، من شعره [المتقارب]:

إذا لاحَ من أرضكم برقةٌ ... شَمِمْتُ الوصالَ بإقبالِها
ولو حملتني الصَبَا نحوَكم ... تعلَّقُ رُوحي بأذيالها

توفي سنة ست وقيل سبع وثلاثين وخمسمائة:

٥٣ ـ «ابن قزمي» محمد بن محمد بن الحسن. أبو المظفر الخطيب الإسكافي يعرف بابن قَزَمّي بالقاف والزاي وبعدها ميم وياء، قال ابن النجّار: هكذا رأيته مقيّداً بخطّ ابن الخشاب، قلت بفتح القاف والزاي والميم المشددة، قال صاحب «أنموذج الأعيان»: هو من أهل القرآن والأدب، له شعر رائق ولفظ مطبوع، كان يؤمّ بالوزير أبي القاسم علي بن طراد بن محمد الزينبي، من شعره [مجزوء الرمل]:

لي حبيبٌ لانَ عِطْفاً ... ليته لو لانَ عَطْفا
إنّ قلبي في هواه ... في حريقٍ ليس يُطْفا
مُنيتي تقبيل عينيـ ... ـهِ وصحنِ الخدّ ألْفا

وأورد له ابن النجّار [مجزوء الكامل]:

إنّ لي زوجةَ سَوْءٍ ... بخُلَيقٍ ما كَسَتني
فإذا احتجتُ إليها ... لفراشي ما كَسَتني

---

(١) الشُطار: منظمة شبه عسكرية تظهر في حال غياب أو تضعضع السلطة الشرعية.

٥١ ـ «بروكلمان» (١/ ٦٢٣)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ١٨).

وتوفي ابن قَرَمّيْ سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

٥٤ - «ابن الخراساني» محمد بن محمد بن الحسين. ابن الخراساني أبو عبد الله من أهل باب المراتب ومن أولاد المحدِّثين، سمع في صباه من عبد الحقّ بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وسمع الكثيرَ من أبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمن القزّاز ومِن بَعْدِهِ من أصحاب أبي القاسم بن الحُصين وأبي غالب بن البناء وأبي العزّ بن كادَش وأمثالهم وقرأ بنفسه وكتب بخطّه وهو خطٌّ حَسَنٌ، قال ابن النجار: كتب لي كثيراً وتوفي سنة ست وستمائة، قال: رأيت كأنّي في المنام أنشد لنفسي [الخفيف]:

غـرّدتْ فـي الأراك أيـكـة سـلـع ... فـوق غُـصْـنٍ سـقـيـتُـه مـاءَ دمـعـي
فـاعـترانـي إلـى الـحـبيـب اشـتياقٌ ... وتـذكّـرتُ مـوقـفـي بـالـرَبْـعِ
يـا عَـذولـي دَعْ عـنـك لَـومـي فـإنّـي ... عـن مَـلام الـعـذول قـد صُـمَّ سَـمْـعي

٥٥ - «ابن النرسي الشاعر» محمد بن محمد بن أبي حرب بن عبد الصمد. أبو الحسن بن النرسي البغدادي الكاتب الشاعر، وُلد سنة أربع وأربعين وتوفي سنة ست وعشرين وستمائة، سمع وروى وله ديوان شعر وله نثر ونوادر سائرة، وكان من ظرفاء بغداد وأقعده الزمان ومسّه الفقر وكسدت سوقه، قال ابن النجار: كان ناظراً على عقار الخليفة، ومن شعره [البسيط]:

لـيـت الـعـواذل لـلـعـذّال مـا خُـلـقـوا ... كـم عـذّبـوا بـألـيـمِ الـلَـومِ مشـتـاقـا
أَشـجـاه نَـوْحُ حـمـامـاتٍ فـصـاغَ لـهـا ... مـن أسـوَدِ الـعـيـن يـومَ الـبـيـنِ أطـواقـا
وبـاتَ يَـرْعَـى احـمرارَ الـنجمِ يحـسَـبِه ... فـي الـلـيـل سِـقْـطَ زِنَـادٍ مَـسَّ حُـرَّاقـا
والأزرق اللون كالكبريت ذي شُعَبٍ ... أطـرَقـنَ عـنـد اقـتـبـاسٍ مـنـه إِطْـراقـا

وقال يرثي امرأته [الكامل]:

لـمـا تـعـذَّرَ أن أكـون بهـا الـفِـدا ... فـتـعـيـشَ بـعـدِيَ أو نَـمُـوتَ جـمـيـعـا
أَتـبعـتُـهـا حُـلَـلَ الـشـبـاب فـمـا بـقـي ... فـسـوادُ عـيـنِـيَ قـد أُذيـبَ دمـوعـا

٥٦ - «أخو الرافعي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل. أبو الفضائل الرافعي القزويني نزيل بغداد أخو الإمام العلاّمة إمام الدين الرافعي صاحب «شرح الوجيز» وُلد في حدود الستين وخمسمائة، وسمع من جماعةٍ وولي مُشارفَة النظامية وأوقافها ونُفّذ رسولاً إلى بعض النواحي، وكتب الكثيرَ بخطّه من الفقه والحديث والتفسير والأدب، وكان ضعيف الخطّ جدّاً صدوقاً وله معرفة حسنة بالحديث.

٥٧ - «الوزير القمي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن بَرز. الوزير مؤيّد الدين أبو الحسن القُمّي البليغ الكاتب، قال ابن النجّار: قدم بغداد صحبةَ الوزير ابن القصّاب وكان به خَصيصاً فلما توفي قدم بغداذ وقد سبقت له معرفة بالديوان، ورُتّبَ ابنُ مهدي في الوزارة ونقابة الطالبيّين اختصّ به أيضاً وكانا جارَيْنِ في قُمَّ ولما مات أبو طالب بن زيادة كاتب الإنشاء رُتّب القمّي مكانه

ولم يغيّر هيئة القميص والشربوش على قاعدة العجم ثم ناب أبو الوليد بن أمسينا في الوزارة وعُزل في سنة ست وستمائة فرُدّت النيابةُ وأمور الديوان إلى القمّي ونُقل إلى دار الوزارة، ولما ولي الظاهر الخلافة أقرّه على حاله وكذلك المستنصر قرّبه ورفع قدره وحكّمه في البلاد والعباد ولم يزل في سَعده إلى أن عُزل وسُجن هو وابنه بدار الخلافة، فمات الابن أولاً وأبوه بعده في سنة ثلاثين وستمائة، وكان كاتباً بليغاً فاضلاً كامل المعرفة بالإنشاء يكتب بالعربي والعجمي كيف أراد ويحلّ المترجم المُغلَق وكان حسن الأخلاق مليح الوجه تخافه الملوك وترهبه الجبابرة وله يد باسطةٌ في النحو واللغة ومشاركةٌ في العلوم.

٥٨ ـ «**أبو الخطاب الطبيب**» **محمد بن محمد بن أبي طالب. أبو الخطّاب**، قال ابن أبي أصيبعة: مقامُه ببغداد قرأ صناعة الطبّ على أبي الحسن سعيد بن هبة الله، وكان متميّزاً في الطِبِّ وعمله ورأيت خطّه على كتاب من تصانيفه قد قرىء عليه وهو كثير اللحن يدلّ على أنه لم يستعمل شيئاً من العربية وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسمائة، وله «كتاب الشامل في الطبّ» جعله على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة.

٥٩ ـ «**ذو المناقب**» **محمد بن محمد بن القسم بن أحمد بن خذيو الأخسيكَثي**[(١)]. **أبو الوفاء المعروف بذي المناقب أخو الأكبر ذي الفضائل** وسيأتي ذكر أخيه أحمد، قال السلفي: كان أديباً فاضلاً عالماً وقوراً بهيّاً صالحاً صائناً عارفاً بالأدب حسن الشعر أكثر شعره في الحكمة وكان يعرف التواريخَ وأحوالَ الرجال وصنّف فيها شيئاً، ومات سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ومن شعره [الكامل]:

مالي وللطِلّ المحيلِ بمَنعِجِ ... ولذكر مُلتَفَتِ الغَزالِ الأدعجِ
بيني وبين اللهو منذ عرفتُهُ ... حَرَجُ العفيفِ وعفّة المتحرّجِ
غيري يشقّ على الغيور جِوارُهُ ... ويحول حول البين كالمتولّجِ
جرت القضيّة بالسويّة بيننا ... لا صدرُهُ حَرِجٌ ولا قلبي شجِ

٦٠ ـ «**ابن السكون الكاتب الحلي**» **محمد بن محمد بن ثابتِ بن السكون. الكاتب الحلّي**، أورد له صاحب «أنموذج الأعيان» قصيدة أنشدها له، أولها [الطويل]:

نَعَمْ هذه أطلالُ مَيَّ دَوارسُ ... فدمعي لها جارٍ وطرفِيَ ناكِسُ

منها [الطويل]:

---

٥٨ ـ «عيون الأنباء» لابن أبي أُصيبعة (١/ ٢٥٥).

٥٩ ـ «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢٨١)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٢١٢)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١٢/ ٢٥٩).

(١) الأخسيتكي: نسبة إلى أخسيكت قصبة في ناحية فرغانة.

بنفسِيَ مَنْ هام الفؤادُ بذكرها ونافَسَني فيها الغَيُورُ المنافِسُ
كأنّ بفيها قَرْقَفاً وكأنّها حياءً إذا ما غضّتِ الطَّرْفَ ناعِسُ
لها فاحِمٌ ضافٍ على الحجل سابِغٌ ووجهٌ يضاهي البدرَ للعقل خالِسُ

٦١ - **«ابن مشق» محمد بن محمد بن المبارك بن محمد بن مَشْق. بفتح الميم وكسر الشين المعجمة المشددة والقاف، أبو نصر ابن المحدّث أبي بكر البغدادي**، توفي شاباً سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

٦٢ - **«الخاتوني البغدادي» محمد بن محمد بن الحسين. أبو المظفّر الخاتوني الأصبهاني البغدادي الكاتب** أحد الشعراء، سمع وروى، توفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة، قال ابن النجار: مِنْ ساكني دار الخلافة كان كاتباً فاضلاً أديباً حسن الأخلاق خدم عدّةً من الأمراء ثم نظر في أعمال قوسان وبعدها في دُجَيل ثم انعزل ولزم بيته، وأورد له من أبيات [المتقارب]:

لقد هاج لي البَيْنُ حزناً طويلاً وحمّلني البينُ عِبئاً ثقيلا
وأَذْكَرني البرقُ سَفْح الغويرْ وتلك القفارَ وتلك الهُجُولا
ومَثَّلَ لي وقَفات الحجيج وجَوبَ الفَلاَ عَنَقاً أو ذَميلا
فأذريتُ دمعي لعلَّ الدموع تَبُلُّ غليلاً وتروي عليلا
فما بلغتْ بعضَ ما نلتُه وما هُوَ أمراً أراهُ مُنيلا
لأنّي أَرومُ شفاءَ الجَوَى وقد أوحش البَيْنُ تلك السبيلا

٦٣ - **«ابن ابن الأنباري الكاتب» محمد بن محمد بن الأنباري. ابن الأنباري أبو الفرج** صاحب ديوان الإنشاء ببغداد، ناب في الوزارة وكتب الإنشاء سبعة عشر عاماً وأشهراً، وكان ناقص الفضيلة ظاهر القصور في الترسّل وإنما رُوعي لأجل والده سديد الدولة محمد بن عبد الكريم - وسيأتي ذكر سديد الدولة -، توفي محمد المذكور سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

٦٤ - **«ابن مواهب الشاعر» محمد بن محمد بن مواهب. أبو العزّ بن الخراساني البغدادي الشاعر**، صاحب «العروض» ومصنّف «النوادر المنسوبة إلى حدّة الخاطر» قرأ الأدب على أبي منصور الجَواليقي، وله ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً[1] - قاله العماد الكاتب - ومدح الخلفاءَ والوزراءَ وله مصنّفات أدبيّة، وتغيّر ذهنه آخر عمره، وتوفي سنة ست وسبعين وخمس ماية وله اثنان وثمانون سنة، أورد له ابنُ النجار ما يُكْتَبُ على كمران [مجزوء الرمل]:

أنا محسودٌ من الناس على أمرٍ عجيبِ

---

٦٤ - «معجم الأدباء» لياقوت (١٩/ ٤٦ - ٤٧)، و«فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٤٥ - ١٤٦)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٤٠٥)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٥/ ٣٧٠ - ٣٧١) و«بغية الوعاة» للسيوطي (١٠١ - ١٠٢)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٧٦٥) و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٢٥٧ - ٢٥٨) و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٩٨)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ١٠٠)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ٣٠٤).

أنـا مـا بـيـن قـضـيـب | يـنـثـنـي فـوق كـثـيـبِ

وقوله [الخفيف]:

أنـا راضٍ مـنـكـم بـأَيْـسَـرِ شـيءٍ | يـرتـضـيـه لـعـاشـقٍ مـعـشـوقُ
بـسـلامٍ عـلـى الـطـريـق إذا مـا | جـمـعَـتْـنـا بـالاتّـفـاق الـطـريـقُ

وقوله [مخلع البسيط]:

إن شـئـتَ أن لا تُـعـدَّ غُـمْـرا | فـخـلِّ زيـداً مـعـاً وعَـمْـراً
واسـتـغـنِ بـالله فـي أمـورٍ | مـا زِلْـنَ طـولَ الـزمـان إِمْـرا
ولا تـخـالـف مَـدَى الـلـيـالـي | ـحـتـى الـمـمـات أَمْـرا
واقـنـع بـمـا راج مـن طـعـامٍ | والـبـس إذا مـا عَـريـتَ طِـمْـرا

٦٥ ـ **«قوس الندف ابن القلاس» محمد بن محمد بن سعد الله بن القلّاس.** بالقاف والسين المهملة **البغدادي الكرخي الشاعر المعروف بابن مَلاوي** ويلقّب قَوس الندف، عاش دهراً ومدح المستنجد وحُكي أنه رجل تائهٌ مُعجب بنفسه وجودةِ شعره وهو خارج الشكل والمعنى والحديث ذو طبعٍ جافٍ ورَبْعٍ عافٍ وربّما ندر له الجيّد من شعره، توفي سنة تسعين وخمسمائة، قال من قصيدة يمدح برهانَ الدين الواعظ الغزنوي [الكامل]:

يـا مُـوقـظَ الـعَـزَمـات مـن سِـنَـةِ الـكَـرَى | بـنـوالـه والـبـاخـلُـونَ نـيـامُ
ومـبـصِّـرَ الـجـهـلاءِ مَـنْـهَـجَ رُشْـدِهِـمْ | من بعد ما اقتحموا الضلالَ وعامُوا
خـلـبْـتَـهُـمُ مـنـك الـمـواعـظُ مـثـل مـا | خـلـبـت فـؤادَ الـعـاشِـقِ الآرامُ
فَـهِـمـوا بـفـهـمـك مـعْ بـلادة فـهـمـهـم | مـا لا تُـحـيـط بـبـعـضِـهِ الأوهـامُ

٦٦ ـ **«النجاد المقرىء» محمد بن محمد بن أحمد. أبو طالب النجاد المقرىء** بغدادي سافر إلى شيراز واستوطنها إلى حين وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، حدّث عن أبي القاسم عبد الله البغوي وأبي محمد بن يحيى بن صاعد وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نَفطَويه النحوي وغيرهم، وروى عنه يحيى بن أحمد بن جعفر الشرابي أبو الحسن المحتسب وعبد العزيز بن عبد الله الشيرازي.

٦٧ ـ **«أبو علي بن المسلمة» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن المُسْلِمَةِ. أبو علي بن أبي جعفر** من أولاد المحدّثين هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه، وكان أبو علي زاهداً متعبّداً له كراماتٌ، سمع جدَّه أحمد وهلال بن محمد الحفار وعلي بن محمد بن بشران وأخاه أبا القاسم عبد الملك وأبا علي الحسن بن شاذان وأبا الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي، وروى عنه

---

(١) في «مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٤٠٥): له ديوان شعر في مجلدين.

٦٥ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

أبو غالب أحمد بن الحسن بن البنّاء وأبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وأبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام، توفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

٦٨ ـ **«ابن الشبلي» محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الشبلي. القصّار أبو بكر بن أبي الغنائم المدير** من أهل باب البصرة، سمع أبا علي الحسن بن شاذان وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحُرْفي وأبا بكر أحمد بن غالب البرقاني، وروى عنه أبو القاسم بن السمرقندي وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبو محمد المبارك بن أحمد بن بركة الكندي، توفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

٦٩ ـ **«ابن الحساس» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الجبّان.** أبو عبد الله بن أبي الحسن المعروف بابن اللحّاس من أهل الحريم الظاهري، روى شيئاً يسيراً عن عمّه منصور بن أحمد وعن أبي علي بن الشبلي، وروى عنه ولده أبو المعالي.

٧٠ ـ **«ابن المهتدي الخطيب» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهتدي بالله. أبو عبد الله أخو الشريف أبي الغنائم**، كان أحدَ الخطباء ببغداد، توفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

٧١ ـ **«أبو الغنائم بن المهتدي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهتدي بالله. أبو الغنائم ابن أبي الحسن الشاهد أخو الخطيب المذكور**، وخطب بجامع المنصور، وكان من أعيان الشهود، سمع أباه وأبا الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد والقاضي أبا الطيّب الطبري وأبا القاسم عبيد الله بن لؤلؤ الورّاق وأبا محمد الحسن الجوهري وأبا إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، وروى عنه الأئمّة والحفّاظ من سائر البلاد كأبي نصر الحسن بن محمد اليونارَتي وأبي طاهر السِّلَفِي وأبي الفضل بن ناصر وأبي المعتمر الأنصاري وأبي القاسم ذاكر الخفاف وأبي طاهر بن المعطوش وهو آخر من حدّث عنه، توفي سنة سبع عشرة وخمسمائة.

٧٢ ـ **«ابن الرسولي الفقيه» محمد بن محمد بن أحمد بن القسم بن الرسولي.** أبو السعادات البغدادي، سافر إلى خراسان وجال في البلاد وسكن إسفرايين بآخرة إلى حين وفاته سنة أربع وأربعين وخمسمائة، كان فقيهاً شافعياً يتكلم في الخلاف، وله معرفة بالأدب وله النظم، سمع أبا محمد جعفر بن أحمد السرّاج وأبا القاسم علي بن أحمد بن بيان، وحدّث بنيسابور، روى عنه أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد السمعاني، ومن شعره [البسيط]:

يا سادَتي ما سَلا قلبي محبّتكم ... ولستُ في زمرة السالين معدودا
أيّام عمريَ ما زالت بقُربكُم ... بيضاً فحين نأيتم أصبحتْ سُودا
فقد رثَىٰ لي عَدُوّي بعد فُرقتكم ... وطالما كنتُ مغبوطاً ومحسودا
ذَمَمْتُ عَيْشِيَ مذ فارقتُ قُربكُم ... من بعد ما كان مشكوراً ومحمودا

قلت هو شعر فوق المنحطّ ودون الوسط والثاني أخذه من ابن زَيدون حيث يقول [البسيط]:

حالَت لفقدكُم أيّامُنا فغدتْ ... سُوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

٧٣ ـ «أبو الخطاب البطائحي» محمد بن محمد بن أحمد المضري. أبو الخطاب الشاعر من أهل البطائح، قدم بغداد كتب عنه المبارك بن كامل وروى عنه في معجم شيوخه، وروى عنه عبد الرحيم ابن الأخوة، من شعره ما أورده ابن النجّار [السريع]:

يا قاتلي ظلماً بلا زلّةٍ ... ما كان أولاك بأن ترْحَما
جعلتَ خدّي ظالماً في الهوى ... للدمع أرضاً وجفوني سَما
شربتُ من فيكَ بلا رِقبةٍ ... كأساً دِهاقاً من سُلافِ اللمى
ولستُ أَرْوَى من شرابٍ ... إذا شربته زدتُ إليه ظما
لا اكتحلتْ عيناي أن أبصرتْ ... غَيْرَك في العالم إلاّ عَمَى

وأورد له بسند يتصل به قوله [البسيط]:

يا راقدَ العين عيني فيك ساهرةٌ ... وفارغَ القلب قلبي منك ملآنُ
إنّي أرى منك عَذْبَ الثغر عذّبني ... وأيقظَ الجَفْنَ جفنٌ منك وَسْنانُ

قلت هذان البيتان في الذروة من النظم والأبيات المتقدمة في الحضيض ومن العجب أنهما تنازعهما الشعراء وتجاذبوا هُدّابهما وأغاروا عليهما فقال ابن التعاويذي من قصيدته المشهورة [البسيط]:

غالٍ من الهمّ في خلخاله حَرِجٌ ... فقلبه فارغٌ والقلب ملآنُ
يُذكي الجَوَى باردٌ من ريقه شبمٌ ... ويوقِظ الطرفَ طرفٌ منه وَسْنانُ

وأبو الخطاب متقدم الزمان على ابن الساعاتي لأن ابن النجار روى شعره عن ثلاثة عنه وروى شعرَ ابن التعاويذي عن واحدٍ عنه، أنشدني الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري من لفظه قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العَزازي قصيدته التي أولها [البسيط]:

دَمي بأطلالِ ذاتِ الخالِ مَطلولُ ... وجيشُ صبري مهزومٌ ومفلول

منها [البسيط]:

يا راقد العين عيني فيك ساهرةٌ ... وفارغ القلب قلبي منك مشغول

فغيّر القافيةَ لا غير.

٧٤ ـ «الهمام المرتِّب الحربوي» محمد بن محمد بن أحمد. الحَزبَوي المعروف بالهُمام مرتّب المدرسة النظامية، روى عنه ابن النجار قوله في مُثاقفٍ [المنسرح]:

قد سلَّ سيف الثِقاف مُنتضياً ... من بعده مُرهَفاً من النَظَرِ
مُثاقِفٌ من سيوفِ مقلته ... قد أَصبحتْ مُهْجتي على خَطَرِ
ما هَمَّ في شَدّ عَقْد مِئْزَرِهِ ... إلاّ وقد حلَّ عقدَ مُصطَبَري

يـكـاد فـي حـفـي مَـن يـشـاقِـفـه بـالـسـيـف يُـحـصـي مَـغـارِزَ الـشَّـعَـرِ
كـأنَّـمـا تُـرْسُـه لـمُـبْـصِـرِه فـي وجـهـه غـيـمَـةٌ عـلـى قَـمَـرِ

توفي الهمام المرتَّب سنة عشرة وستمائة وكان شاباً.

٧٥ ـ **«ابن لنكك» محمد بن محمد بن جعفر بن لَنَكَك. بكافين بعد النون واللام، أبو الحسين** من أهل البصرة، كان من النحاة الفضلاء والأدباء النبلاء، روى قصيدة دعبل التائيّة التي مدح بها أهلَ البيت وأوّلها [الطويل]:

مَـدارِسُ آيـاتٍ خـلَـتْ مـن تـلاوةٍ ومَـنـزل عـلـمٍ مُـقـفِرُ الـعَـرَصـاتِ[1]

رواها عنه أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي المعروف بِجُخْجُخ، ولما قدم بغداذ روى عنه العلماء بها، ومن شعره [الوافر]:

زمـانٌ قـد تـفَـرَّغ لـلـفُـضـولِ فـسَـوَّدَ كـلَّ ذي حُـمُـقٍ جَـهُـولِ
إذا أَحـبـبـتُـمُ فـيـه ارتـفـاعـاً فـكـونُـوا جـاهـلـيـن بـلا عـقـولِ

ومنه [الوافر]:

يـعـيـبُ الـنـاس كـلّـهُـم الـزمـانـا ومـا لـزمـانـنـا عـيـبٌ سِـوانـا[2]
نـعـيـبُ زمـانَـنـا والـعـيـبُ فـينا ولـو نَـطَـقَ الـزمـانُ إذاً هَـجَـانـا
ذئـابٌ كـلّـنـا فـي خَـلْـق نـاسٍ فـسـبـحـان الـذي فـيـه بَـرانـا
يَـعـافُ الـذئـبُ يـأكـل لـحـم ذئـبٍ ويـأكـل بـعـضُـنـا بـعـضـاً عِـيـانـا

قلت شعر متوسط.

٧٦ ـ **«الشعباني» محمد بن محمد بن جمهور. أبو الحسن الشعباني**، أديب شاعر، مدح الإمامَ القادرَ بالله[3]، وروى عن أبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي شيئاً من تصانيفه، روى عنه أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران الواسطي، ومن شعره قصيدة مدح بها القادر [الطويل]:

إلـيك انـتـهـى مـجـدُ الـخـلافـةِ والـفـخرُ ولـولاك لـم يَـشْـرُفْ لـمـمـلـكـةٍ قَـدْرُ
بـمَـفْـرِقِـكَ الـتـاجُ اسـتـطـالَ تـرفّـعـاً ولـيـس عـلـيـه فـي تـرفّـعـه خَـطْـرُ
وذلّـت لـك الأيّـامُ فـهـي خَـواضِـعٌ وأَصْـبَـحَ[2] مـنـقـاداً لـسـطـوتـك الـدهـرُ
تـديـنُ لَـيـالـيـهِ لأمـرك طـاعـةً فـلـو تـجـتـوي يـومـاً لـمـا ضـمَّـهُ شَـهْـرُ
لك الشَّرَفُ الملحوظُ في سابق الذُرى فـمـن رامـه أرداه مَـسـلـكـه الـوَعْـرُ

---

٧٥ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢١٩ ـ ٢٢٠).

(١) موجودة في ترجمته في «معجم الأدباء».

(٢) للإمام الشافعي رحمه الله أبيات تقارب هذه الأبيات.

(٣) هو الإمام القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد، كثير الصدقات متهجداً ديناً، =

يخافك مَنْ إسكندريّةُ دارُهُ وأندَلُسُ القُصوَى ومن ضَمَّهُ مِصْرُ
فما منهُم مَنْ ليس منك بقلبه بلابلُ لا يَخبُو لجاحِمها جَمْرُ
وأنت إمام الحقّ تدعو إلى الهُدَى فما لامرئٍ عنك انثنى حائداً عُذرُ
فطاعتك الإيمان بالله وحده وعصيانك الإشراك بالله والكفرُ

٧٧ ـ **«ابن الجنيد الأصبهاني» محمد بن محمد بن الجنيد بن عبد الرحمن بن الجنيد. أبو مسلم بن أبي الفتوح** من أهل أصبهان والد أبي الفتوح محمد، قدم بغداد حاجّاً في شبابه سنة عشرين وخمسمائة مع خاله أبي غانم بن زِينة وسمع بها من شيوخ ذلك الوقت وحدّث بها وله نَيِّفٌ وعشرون سنة عن أبي سعد محمد بن محمد بن محمد المطرِّز وأبي الفتح أحمد بن محمد الحدّاد وأبي العباس أحمد بن الحسن بن أحمد بن نجوكه وغيرهم، وكتب عنه أبو بكر المبارك بن كامل الخفّاف وعاش هذا بعد هذا التاريخ ستين سنة وحدّث بالكثير بأصبهان وكتب الناسُ عنه، وتوفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

٧٨ ـ **«الديناري النحوي» محمد بن محمد بن الحسن بن الديناري. أبو الفتح النحوي**، ذكر محمد بن طاهر المقدسي أنه من ولد دينار بن عبد الله الراوي عن أنس بن مالك، سمع كثيراً وقرأ بالروايات السبع وعرف الأدب وحدّث بالأخبار الموفّقيات للزبير بن بكار عن أبي عبد الله الكاتب سمعها منه عيسى بن أبي عيسى القابسي وكتب عنه علي بن الحسن بن الصقر الذهلي، والخطيب أبو بكر علّق عنه شيئاً في المذاكرة، توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

٧٩ ـ **«ابن حسنكويه الفارسي» محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن حسنكويه بن مَردُويه بن هندُوَيه الفارسي. بو عبد الله بن أبي نصر** من أهل فارس، سمع بكازَرُون أبا الفتح عبد السلام بن عبد الرحمن الحاكم بها وبأرَّجان أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن بلخ الأَرَّجاني وبأصبهان أبا بكر محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجَة الأبهَري، وقدم بغداد شاباً واستوطنها إلى حين وفاته سنة سبع وخمسمائة، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديثَ الكثيرَ من أبي الحسين بن النقُور وأبي محمد عبد الله الصَريفيني وأبي القاسم علي البشري وخلقٍ غيرهم وله تآليفُ ومجموعات وتخاريج، وكان فقيهاً فاضلاً، روى عنه أبو عامر العَبدري ومحمد بن ناصر وأبو معمَّر الأنصاري وأبو طالب بن خُضَيرٍ.

٨٠ ـ **«أبو منصور بن المعوج» محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السَكن. أبو منصور المعروف بابن المعوّج** ويلقّب بزعيم الكفاة كان حاجباً بالديوان مدّةً ثم ولي حجبة باب النوبي في أيام المقتدي[1] وقُلّد المظالم وإقامة الحدود والشرطة وبرز خطُّ الخليفة بتقليده ذلك وصورته: «ولما رأى أمير المؤمنين ما اجتمع في محمد بن محمد بن الحسين من العفاف والديانة والثقة والصيانة قلّده المظالم وقد أخذ عليه تقوى الله سبحانه وطاعته والسعي في كل ما يُزلفه عنده

= صنّف كتاباً في فضل الصحابة وتكفير المعتزلة والقائلين بخلق القرآن.

٧٨ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٢١).

ويُحظيه ويقرّبه من أمير المؤمنين ويُدنيه» وكان أبو منصور يقظاً حازماً وفيه شجاعة وقوة نفس وله رغبة في حسن الذكر، توفي سنة إحدى وخمسمائة.

٨١ - **«أبو الحسن بن القلعي الكاتب» محمد بن محمد بن الحسين الأَواني. أبو الحسن الكاتب المعروف بابن القلعي**، سمع أبا الغنائم عبد الصمد بن المأمون وأبا علي بن الشبل الشاعر، وكتب عنه أبو طاهر السِّلَفي، وروى عنه سعد الله بن محمد الدقّاق، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

٨٢ - **«أبو الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي» محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفرّاء. أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى الفقيه الحنبلي**، صنّف في الأصولين والخلاف والمذهب وطبقات الحنابلة، وسمع الكثير في صباه عند والده وجدّه لأمّه جابر بن ياسين وأبي جعفر محمد بن المُسلمة وعبد الصمد بن المأمون وأبي محمد عبد الله الصَريفيني ومحمد بن وشاح الزينبي ومحمد بن أحمد الأنبُوشي وأبي الحسين ابن النقور وجماعةٍ كثيرةٍ، وحدّث بأكثر مسموعاته ومجموعاته، وكان ثقة صدوقاً، روى عنه محمد بن ناصر وأبو عامر العَبدري وابنا أخيه أبو يَعلَى محمد وأبو محمد عبد الرحيم وجماعةٌ كثيرون، وُلد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة.

٨٣ - **«أبو خازم بن أبي يعلى الحنبلي» محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفرّاء. أبو خازم بن أبي يعلى الحنبلي أخو أبي الحسين** المذكور آنفاً كان أصغر سنّاً، درس الفقهَ على أبي علي يعقوب بن إبراهيم البرزياني تلميذ والده حتى برع في المذهب والأصول والخلاف، وصنّف «التبصرة في الخلاف» و«رؤوس المسائل» و«شرح كتاب الخِرقِي» وشهد مع أخيه أبي الحسين عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني، وسمع الحديث في صباه من ابن النقور وجدِّهِ لأمِّهِ جابر بن ياسين وأبي جعفر بن المسلمة وأبي الغنائم بن المأمون وحدَّثَ باليسير، وروى عنه أولاده أبو يعلى محمد وأبو الفرج علي وأبو محمد عبد الرحيم، وأبو المعمر الأنصاري وابن ناصر وأبو النجم الباماوردي وابن بَوشٍ، وكان زاهداً ورعاً ناسكاً صدوقاً أميناً، توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

٨٤ - **«أبو البركات بن خميس» محمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس. أبو البركاتِ** من أهل الموصل من بيت مشهور بالعلم والرواية، قدم بغداد وحدّث بها عن أبي نصر أحمد بن عبد الباقي بن طَوق الموصلي، سمع منه أبو الحسين هبة بن الحسن بن هبة الله الدمشقي وأبو الفضل محمد بن عبد الله بن الشهرزوري ورويا عنه، توفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

٨٥ - **«زين الأئمة الحنفي الضرير» محمد بن محمد بن الحسين بن صالح. أبو الفضل الضرير الحنفي المعروف بزين الأئمة**، كان له معرفة تامّة بالفقه، وناب في التدريس عن قاضي القضاة أبي

---

(١) حكم المقتدي بأمر الله العباسي أبو القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧هـ).

٨٣ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٨٢)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٨٦).

القاسم الزينَبي بمشهد أبي حنيفة ثم درّس بالمدرسة الغياثية، سمع أبا الفضل أحمد بن خَيرُون وأبا طاهر أحمد الكَرجي وأبا علي أحمد البَرداني الحافظ وغيرهم، وسمع منه أبو محمد ابن الخشّاب وأبو بكر الخفّاف، وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة.

٨٦ ـ **«ابن بطة والد عبيد الله» محمد بن محمد بن حمدان بن بطّة بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد. صاحب رسول الله ﷺ أبو بكر العكبري والد عبيد الله الفقيه صاحب المصنّفات**، حدّث عن عبد الله بن الوليد بن جرير وغيره، وروى عنه ولدهُ في مصنّفاته.

٨٧ ـ **«ابن أبي المليح الواعظ» محمد بن محمد بن خطاب بن عبد الله بن أبي المليح. أبو عبد الله الواعظ** من أهل الحربية، سمع الكثير وطلب بنفسه وكتب وحصّل، وكان فاضلاً يعظ الناس على الأعواد إلا أنه كان كذّاباً ظهر عليه أشياء أنكرها أصحاب الحديث قال ابن النجار: رأيتهم مُجمِعين على تركه ولم يرضه شيخنا ابن الأخضر، توفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

٨٨ ـ **«الدباس» محمد بن محمد بن سفيان. الدبّاس أبو طاهر** الفقيه إمام أهل الرأي بالعراق بغدادي، درس الفقه على القاضي أبي خازم صاحب بكر العمي، قال ابن النجار: وكان من أهل السنة والجماعة صحيحَ المعتقد تخرّج به جماعة من الأئمة، قال بعض العلماء: ترك التدريس آخر عمره وجاور بمكة وفرّغ نفسَه للعبادة إلى أن أتاه أجله.

٨٩ ـ **«ابن عباد المقرىء» محمد بن محمد بن عبّاد. أبو عبد الله المُقرىء النحوي**، قرأ على أبي سعيد السيرافي وجمع كتاباً في الوقف والابتداء وحدّث به، سمعه منه أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجّاج بن هارون، توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

٩٠ ـ **«ابنُ الغزالِ المقرىءُ» محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله. الغزال أبو جعفر بن أبي بكر المقرىء** من أهل أصبهان، سمع الكثير في صباه وقرأ القرآن بالروايات وصحب العلماء والصالحين وانقطع في بيته لا يخرج إلاّ لجمعة أو جماعة وتقنّع بما يدخل له من ملكه، قدم بغداد وهو شابّ حاجّاً وحدّث بها، قال ابن النجار وسمعنا منه وكان صدوقاً وكان أجلَّ عباد الله الصالحين، توفي بأصبهان سنة عشرين وستمائة.

٩١ ـ **«أبو رشيد بن الغزال» محمد بن محمد بن عبد الله بن الغزال. أخو المذكور**، سمع في صباه كثيراً ثم طلب بنفسه وجدّ واجتهد وسمع وقرأ شيئاً كثيراً على أصحاب أبي علي الحدّاد وأبي منصور بن الصَيرفي وغانم البرجي وأبي عبد الله الدقّاق وأمثالهم، وكتب بخطّه وحصّل الأصول، وقدم بغداد وحجّ، قال ابن النجار: وسمع من مشايخنا وكان يكنّى أبا رشيد، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

٩٢ ـ **«أبو بكر بن كوتاه» محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الواحد. أبو بكر المعروف بابن كُوتاه** من أصبهان، من أولاد المحدّثين والحُفّاظ وكلهم محدّثون فضلاء ثقات، سمع الكثير من جدّه وأبي الوقت السجزي وجماعةٍ، وسمع منه ابن النجّار وكتبه مليحة الأصول، وكان ثقة،

---

٨٩ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٢٤).

توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة.

٩٣ ـ «الشريف الإدريسي» محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بي عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. الشريف الإدريسي، مؤلف كتاب رُجّار[1] وهو «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وسوف يأتي ذِكْرُ والده في ترجمة جدّه إدريس بن يحيى وذِكْرُ جماعةٍ من بيته كلٌّ منهم في مكانه، نشأ محمد هذا في أصحاب رُجّار الفرنجي صاحبَ صقلية، وكان أديباً ظريفاً شاعراً مُغرىً بعلم جَغرافيا، صنّف لرجّار الكتاب المذكور وفي ترجمة رجّار في حرف الراء شيءٌ من ذكر هذا الكتاب وسبب تصنيفه، ومن شعر محمد هذا: [المجتث]

دَعْـنـي أَجُـلْ مـا بَـدت لـي ... سـفـيـنـةٌ أو مَـطِـيَّـة
لا بـدّ يـقـطَـعُ سَـيْـري ... أُمـنـيّـةٌ أو مَـنِـيَّـة

ومنه [مجزوء الرمل]:

لـيـت شـعـري أيـن قـبـري ... ضـاع فـي الـغـربـة عُـمْـرِي
لـم أدَعْ لـلـعـين مـا تـشـ ... ـتـاق فـي بـرّ وبَـحْـرِ
وخَـبَـرْتُ الـنـاس والأز ... ضَ لـدى خَـيْـرٍ وشـرٌ
لـم أجِـدْ جـاراً ولا دا ... راً كـمـا فـي طَـيِّ صَـدري
فـكـأنّـي لـم أسِـرْ ... لا بِـمَـيْـتٍ أو بِـقَـفْـرِ

ومنه [الخفيف]:

إنّ عـيـبـاً عـلـى الـمـشـارق أن أر ... جعَ عـنـهـا إلـى ذيـول الـمـغـارب
وعـجـيـبٌ يَـضـيـع فـيـهـا غـريـبٌ ... بـعـد مـا جـاء فـكـره بـالـغـرائـب
ويـقـاسـي الـظـمـا خـلال أنـاسٍ ... قَـسَمُـوا بـيـنـهـم هـدايـا الـسـحـائـب

ومنه [الطويل]:

ومِن قَبْل أن أمشي على قدم المُنَى ... سَعَى قلمي في المدح سعياً على الرأس

ومنه [المتقارب]:

ولـيـلٍ كـصَـدر أخـي غـمّـة ... قـطـعـنـاه حـتـى بـلـغـنـا الـنـجـاح

---

٩٣ ـ «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٩٤٧)، و«المجددون في الإسلام» للصعيد (٢٢٩ ـ ٢٣١)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥١، ١٠/ ٢٢٤)، و«الشريف الإدريسي» لعبد الله كنون، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٩٤ ـ ٩٥)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(١) رجّار: ملك صقلية النورماندي، عاش الإدريسي في بلاطه وكتب له «نزهة المشتاق» توفي سنة (٥٥١هـ). انظر: «الكامل» لابن الأثير (٧/ ١١٣ ـ ١١٤).

وبدر السماء بدا في النجوم كما لاح في الناس بدر السماح

قلت شعرٌ جيّدٌ.

٩٤ ـ «أبو الفتح بن الخشاب» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن أحمد بن حمدان بن فضالة التغلبي. أبو الفتح الكاتب المعروف بابن الخشّاب أحد الكتّاب الفضلاء، قدم بغداد مراراً وروى بها، قال أبو سعد السمعاني: أنشدني لنفسه [المتقارب]:

أراكَ اتَّخَذْتَ سواكاً أراكا لكيما أراكَ وأَنسَى سواكا

سواكَ فما أَشتهي أن أرى فهب لي رُضاباً وَهَبْ لي سواكا

قلت من ههنا أخذ القائل قوله [الخفيف]:

ما أردت الأراكَ إلاّ لأنّي إن ذكرت الأراكَ قلتُ أراكَا

وهجرتُ السواكَ إلاّ لأنّي إن ذكرت السواكَ قلت سواكا

وكان حسن الخطّ والعبارة والترسّل وله حظّ وافر من العربية واللغة غير أنه كان منهمكاً على الشرب مع كبر سنّه، وكان يُضرب به المثل في الكذب ووضع المُحالات وحكايات المستحيلات بين أصحاب الديوان مشهور بذلك، وللغزّي فيه أشعارٌ منها قوله [البسيط]:

أوصى بأن يَنْحِتَ الأخشاب والدُهُ فلم يطقْها وأضحى ينحت الكَذِبا

توفي سنة أربعين وخمسمائة.

٩٥ ـ «الخطيب الكشميهني» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة. الخطيب الكُشْمَيْهَني أبو عبد الرحمن من أهل مرو، سمع أبا حنيفة النعمان بن إسماعيل النملاني وأبا بكر محمد بن منصور السمعاني وجماعةً كثيرةً، وحدّث بصحيح مسلم وغيره بمجلس الوزير عون الدين بن هبيرة، وحدّث بحلب، ومات بمرو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وكتب عنه ابن النجار.

٩٦ ـ «أبو علي الخطيب بن المهدي» محمد بن محمد بن عبد العزيز بن العباس بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المهدي بالله. أبو علي بن أبي الفضل الخطيب، أسمعه والده في صباه الكثيرَ وعُمِّرَ حتى حدَّث بالكثير، وروى عنه الحُفّاظ والكبار من سائر البلاد، وتوفي سنة خمس عشرة وخمسمائة.

٩٧ ـ «أبو البركات بن الطوسي» محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هشام. ابن الطوسي أبو البركات، أخو أبي نصر أحمد، قرأ الفقهَ على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث من أبي الحسين بن النقور وأبي بكر محمد الناصحي النيسابوري وغيرهما، وانتقل إلى الموصل من بغداد وكان يتردّد إليها وحدّث، روى عنه أبو المعمَّر المبارك الأنصاري وإبراهيم بن علي الفقيه الشافعي الفرّاء وأبو القاسم ابن بَوش، وبينه وبين الأبيوردي مكاتبات، توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

٩٨ ـ «ابن الضجة المقرىء الشافعي» محمد بن محمد بن عبدِ كان. أبو المحاسن المقرىء

المعروف بابن الضجّة كان شافعيَّ المذهبِ أشعرياً، صنّف كتاباً في الأصول سمّاه «نور الحجّة وإيضاح المحجّة»، قرأ القرآن على أبي الخير المبارك الغسّال وغيره، قال ابن النجار: سألتُ عنه ابنَ أبي الفنون النحوي فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفضل، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة.

٩٩ ـ «ابن الصباغ أخو الفقيه» محمد بن محمد بن عبد الواحد. ابن الصبّاغ أبو طالب بن أبي طاهر بن أبي أحمد، أخو أبي نصر عبدِ السيّد الفقيه صاحب «الشامل في الفقه»، حَدَّثَ باليسير عن أبي القاسم بن بشران، روى عنه إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي، توفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

١٠٠ ـ «ابن الصباغ» محمد بن محمد بن عبد الواحد. ابن الصبّاغ أبو غالب بن أبي جعفر، كان من بيت العدالة والقضاء والفقه والحديث، ارتشى قاضي القضاة محمد بن جعفر العبّاسي على كتاب باطل أثبتَهُ وقال لأحمد بن البندنيجي اكتُب عليه عُورض بأصله ـ ولم يكنْ له أصلٌ ـ فقد رأيْتُ أصله فركن إليه وكتب عليه وأُتي بالكتاب إلى ابنِ الصباغ هذا فلما رأى خطّ البندنيجي ركن إليه وكتب فلما ظهرتِ الحال عُزِلَ القاضي وأُشهر الشاهدان على جملين بحريم دار الخلافة مكشوفَيْ الرأسِ، سمع أبو غالب من أبي بكر بن الزاغُوني وأبي الوقت السجزي وغيرهم، وكتب عنه ابن النجار، وتوفي سنة خمس عشرة وستمائة.

١٠١ ـ محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن عُبيد الله. الأمي،ن أبو عبد الله ابن أبي منصور، قال ابن النجار: إن شيخنا المعروف بابن سُكينةَ توفي والده وهو صغير وكفله جدّه وربّاه، حفظ القرآن والتنبيه وأتقنه وقرأ الأدبَ وسمع الحديثَ الكثيرَ من جدِّهِ، وكان والده أسمعه من ابن كُلَيْب وأخذ له إجازةً من ابن شاتيل وأبي السعادات بن زُرَيْقٍ، وناب عن ابن المجير وكيل الإمام الناصر وعَلَت مرتبته وارتفع مقداره ولما ولي المستنصر[1] رفع منزلته ثم إنه استعفىٰ من الخدمةِ فأُجيب وانقطع يُديم الصيام ويُكثر القيام ويتلو القرآن، توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

١٠٢ ـ «ابن الشخير الصيرفي» محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن الفتح بن عبيد الله بن يزيد بن عبد الله بن الشخير الصيرفي. أبو الطيّب بن أبي بكر الشاعر، له قصيدة طويلة سمّاها ذات الهُدَى نقض بها قصيدة ابن بسّام رواها عنه أبو القاسم علي بن المحسّن الدقّاق، من شعره [الطويل]:

رفعتُ إلى مولاي في الحبّ قصّتي ... وقلت له أُنظر لضعفيَ في أمري
فوقّع لي يُعفَىٰ من الصدّ في الهوى ... ويُخرَجُ حالُ القلب هل هَمَّ بالغَدْرِ
فجِئتُ إلى ديوان وجدي أُديره ... على الهمّ والأحزان والشوق والذكرِ
فكلّ عليه علّموا أنّني به ... أسير هوىً ما أستفيق إلى الحشرِ

٩٨ ـ «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٩٨)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

وعُدت إليه بالكتابِ فقال لي ... ألا قَرَّ عيناً قد سلمتَ من الهَجْرِ

١٠٣ ـ «ابن الوزير ابن مقلة» محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن مُقَلة. أبو الحسن بن الوزير أبي علي، حدّث بالديار المصرية عن والده وعن أبي بكر بن دُرَيد وأبي الحسن أحمد جَحْظة[١]، وروى عنه أبو زكرياء بن مالك الطرطوشي والقاضي أبو الحسن علي الدينوري.

١٠٤ ـ محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس ابن عبد المطلب. أبو تمام ابن أبي الحسن هو أحد الإخوة الخمسة أبي منصور محمد، وأبي نصر محمد، وأبي الفوارس طراد، وأبي طالب الحسين وكان الأكبرَ ويعرف بالأفضلِ، وولي النقابة على الهاشميين بعد وفاة أبيه[٢] سمع في صباه من أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن الجرّاح وأبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص، قال ابن النجار: وما أظنّه روى شيئاً، وتوفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

١٠٥ ـ «أبو المعالي الهيتي» محمد بن محمد بن علي بن الفارسي. أبو المعالي الهيتي، شاعرٌ اجتدى بالشعر، كتب عنه أبو طاهر السِّلَفِي ببغداد وبالحِلَّة سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ومن شعره رواية السلفي [الكامل]:

صَرمَتْ بلا ذَنْبٍ خيالي زينبُ ... وتجرَّمَتْ وتَقُول أنتَ المُذْنبُ

وغَدتْ تضَنُّ بوصلها من تِيهِهَا ... والوصلُ أحسن بالحسان وأصوبُ

ومذ أعرضَتْ عنّي قد أضرم في الحشا ... نارٌ تَوقَدَ حرُّها يتلهَبُ

فلحُرقةِ البَين المشتِّتِ لوعةٌ ... والبين أعظم ما يكون وأصعب

يا عاذلاً لم يدر ما صنع الأسى ... إقْصِرْ فإنّ مَلام مثلك يُغْطِبُ

وقال السلفي: كان من المجيدين، قلت هذا شعر رَذْل منحطٌ إلى الغاية.

١٠٦ ـ «أبو الفتح الخُزَيْمي الواعظ» محمد بن محمد بن علي بن إسحاق بن خُزَيمة. أبو الفتح الخُزَيمي الفَراوي الواعظ، قال ابن النجار: هكذا رأيت نسبة بخطّ الحسين بن خُسرو البلخي، قدم بغداد سنة تسع وتسعين منصرفاً من الحجّ وعقد بها مجلسَ الوعظ تارةً بجامع القصر وتارةً بالنظامية وأملىٰ عِدَّةَ مجالسَ استملاها أبو الفضائل بن الخاضبة وحدّث ببغداد أيضاً سنة تسع وخمسمائة، سمع عبد الغافر الفارسي وأبا القاسم القشيري وأبا الخير محمد الصفّار وإسماعيل بن

---

(١) قوله (ولما ولي المستنصر): في هذا وَهْمٌ، لأنّه تقدّم معنا أنّ الناصر تولّى الخلافة بين عامي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) ثم تولاها ابنه الظاهر أقلّ من سنة، ثم تولّى المستنصر بين عامي (٦٢٣ ـ ٦٤٠). فلم يُدركْ المترجَمُ خلافة المستنصر، بل ولادة المستنصر كانت سنة (٥٨٨هـ).

(٢) جحظة: هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك.

١٠٤ ـ «تقدمت ترجمته برقم (٣٠).

(٣) بياض في الأصل، والمثبت من «الكامل» لابن الأثير (٦/ ١٧٠).

علي الخطيب الرازي وأحمد بن محمد الناصحي الفقيه وأبا عبد الله عمر بن أحمد الفراوي وأبا الحسن بن همزة الدُهستاني ومحمد بن أحمد بن محمد بن الحسن الكامَخي الساوي، وروى عنه علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب وابنه محمد وسعد الله بن محمد بن طاهر الدّقاق، ومن شعره [الوافر]:

دَعـا لَـومـي فـلـومُـكِـمـا مُـعـاذُ وقـتـلُ الـعـاشـقـيـن لـه مَـعـادُ
ولـو قَـتَـل الـهـوى أهـل الـتـصـابـي لـمـا تـابُـوا ولـو رُدُّوا لَـعـادُوا

ومنه أيضاً [الطويل]:

إذا كنتَ ترضى بالتمنّي من البقا فـإنّ الـتـمـنّـي بـابُـه غـيـرُ مُـغـلَـقِ
وما ينفَعُ التحقيقُ بالقول في التقى إذا كـان بـالأفـعـال غـيـرَ مـحـقَّـقِ

توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة ودفن بالوردية.

١٠٧ ـ «ابن الباطوخ الواعظ» محمد بن محمد بن علي بن طالب. أبو عبد الله بن أبي الغنائم الواعظ الحنبلي المعروف بابن الباطُوخ، سمع الكثيرَ من أبي محمد يحيى بن الطرّاح ومحمد بن عبد الملك بن خَيْرُون وجماعة ولهُ خُطَبٌ معروفةٌ على الحروف كل خطبة ناقصة عن حرف، مختومة بخطبة ليس فيها نقطةٌ، من شعره [الطويل]:

بـحـقّـك إن عـايـنـتَ مَـنْ أنـا عـبـده فقل قال ذاك العبد قد مَسَّني الضُرُّ
ترفَّقْ بصبٍّ فيك قد عَزّ صَبْرُهُ وصِلْ دَنِفاً قد شَفّه البُعد والهجرُ
أُعِلّلُ قلبي في وصالك بالمُنَى وأسأَلُ عن صبري وقد عُدِمَ الصبرُ
فكيف سُلُوّي عن حبيبٍ إذا بدَتْ محاسِنُهُ لي غابَ عن حُسْنِهَا البَدْرُ
ذَلَـلْـتُ لـه والـحـبُّ عـارٌ وذِلّـةٌ وصِرْتُ لـه عـبـداً وفـي يَـدِهِ الأَمْـرُ

قلت: شعر يكاد يكون متوسطاً، وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

١٠٨ ـ «ابو عبد الله ابن المعوّج» محمد بن محمد بن علي. ابن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السَكن التميميّ أبو عبد الله بن أبي سعد الكاتب المعروف بابن المعوّج[1]، من أهل باب المراتب ومن أهل البيوت الكبار، كان كاتباً سديداً أديباً فاضلاً حسن العبارة له نظم ونثر وأضرّ في آخر عمره، وكان صالحاً حسن الطريقة، سمع أبا الخطاب نصر بن البَطر وأبا عبد الله الحسين بن البشري وغيرهما، وروى عنه عبد الوهاب بن علي الأمين وأبو الفتوح بن الخضري وجماعة، ومن شعره [البسيط]:

الله يُـسـعـدُ مـولانـا ودولَـتَـهُ بـكـلّ عـام جـديـدٍ وافـدٍ أبـدا
ولا تـزال لـه الأعـوامُ خـادمـةً تُـولـيـه مـجـداً وتـحـبـوه سداً ونَـدَى
مـا لاح بـرقٌ ومـا غـنّـت مُـطـوّقـةٌ عـلـى الأراك ومـا أولـى الأنـامَ يـدا

قلت شعر منحطّ ركيك، وتوفي سنة خمس وستين وخمسمائة.

١٠٩ ـ «الصاحب محيي الدين بن ندى الجزري» محمد بن محمد بن سعيد بن ندى. الصاحب الكبير محيي الدين بن الصاحب شمس الدين الجزري وسيأتي ذكر أبيه وذكر أولاده وذكر مماليكه، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة إحدى وخمسين وستمائة، استقلّ الصاحب محيي الدين بتدبير الملك بالجزيرة بعد وفاة والده شمس الدين، وكان فاضلاً محبّاً للفضلاء مقرّباً مكرماً لهم يلازمهم أبداً، ويُتحفونه بالفوائد ويؤلّفون له التصانيفَ الحسنةَ، فمِمَّنْ كان عنده الإمام رشيد الدين الفرغاني والشيخ أثير الدين الأبهَري وصدر الدين الخاصّي وضياء الدين أبو طالب السنجاري والشيخ شرف الدين التيفاشي صاحب «فصل الخطاب» وهو في أربعة وعشرين مجلداًوالشيخ شهاب الدين أبو شامةَ ونور الدين بن سعيد المغربي الأديب ونجم الدين القمراوي وغير هؤلاء، وهؤلاء كانوا أعيانَ ذلك العصر؛ كلٌّ منهم فردُ زمانه في فنّه، وله صنّف ابنُ سعيد كتابَ «المُغرب في محاسن أهل المَغرب» «وكتاب المُشرق في أخبار المَشرق» وذَكَرَهُ في أول كتابه وذكر له ترجمة طويلة، وكان مشغوفاً بجمع المحاسن مُولَعاً بإحياء الرسوم البرمكية، ولما فتح الكاملُ بن العادل دمشقَ وعبر الفرات اجتمع به فاحبّه وأقام يتدرّج في الاجتماع به أربعَ سنين ثم فاوض صاحبَ الجزيرة فيه وأضافه إليه وخوّله في نعمه وزاد في برّه، وتمثّل عندما اجتمع بالكامل وشرّق غيره أنه قال [الطويل]:

وما شئتُ إلا أن أُذِلّ عواذلي ... على أنّ رأيي في هواك صوابُ

وأُعلِمُ قوماً خالفوني وشرّقوا ... وغرّبتُ أنّي قد ظَفِرْتُ وخابَوا

فاشتدّ اهتزاز الكامل لهذا الاستشهاد وقال: يا محيي الدين أنت والله أولىٰ بهما من المتنبّي، قلت: ومن هنا نَقَل الاستشهاد بهما الناصر داود لما كتب إلى الكامل بمخالفة الأشرف وسيأتي ذلك في ترجمة الناصر، وكان والد محيي الدين فاضلاً وأولاد محيي الدين فضلاء شعراء ومماليكه فضلاء منهم إيدمُر المحيوي الشاعر الفاضل المشهور وأيبَك المحيوي الكاتب الفائق الفاضل وسيأتي ذكر كل منهم في مكانه.

وصنّف محيي الدين مصنفات منها «لطائف الواردات» و«كتاب معالم التدبير»، و«كتاب مَراشد المُلك» و«كتاب ضوابط المُلك» و«كتاب وظائف الرئاسة» و«كتاب التذكرة الملوكيّة».

ومن الشعراء الذين مدحوه جماعةٌ منهم زكي الدين بن أبي الإصبع، وأكثر من أمداحه، وشرف الدين بن قُدَيم، وبدر الدين بن المُسَجّف، وأحمد بن منهال، وشرف الدين بن الحَلاوي،

---

(١) تقدمت ترجمة رقم (٨٠) لأبي منصور بن المعوج محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن توفي سنة (٥٠١هـ) فلعله جدّ والد هذا. وإذا كان كذلك تبيَّن أنَّ هناك اسماً ساقطاً من نسب صاحب هذه الترجمة رقم (١٠٨) وهو «محمد» بين محمد وبين الحسين وقد يكون أخا جدّه علي بن محمد بن الحسين، وستأتي ترجمة برقم (١٨٠) لمحمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن والظاهر أنه ابن المترجم له برقم (٨٠).

ووجيه الدين ابن العالمة، والوزير شرف الدين محمد بن نظيف وزير الحافظ صاحب جعبر، ويوسف بن علي القرشي، ونجم الدين بن المنفاح الطبيب، ومحمد بن عمّار المكي، ومحمد بن محمد بن مسكين، وابن سعيد المغربي، وغيرهم.

وكان الصاحب محيي الدين يترسّل جيّداً من ذلك ما كتبه إلى أخيه الصاحب عماد الدين وقد طلب منه شيئاً من ملبوسه وهو: أين أنت مما نحن فيه أكتبُ إليك وتكتب إليّ والغفلةُ شاملة والحيرة سابغة وقد رينَ على القلوب وزادَ الوَلَهُ حتى ألهى العقول وفاض حتى أعشى الأبصار لـ﴿**قد كنّا في غفلة من هذا**﴾ [الأنبياء: ٩٧] فواعجباً كيف لا ينفطر ما لا أسمّيه وينشقّ لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أُوَفّيه إن شرحتُ فاضتْ نُفوسٌ فضلاً عن عيون وتَرامَتْ إلى مَهاوي الإثم فيه ظنونٌ ولو أبديتُ بعضَه أخافُ أن يفطن بعضُ الناس ولو أفضتُ فيه أخشى أن لا يحمله سمعٌ ولا يسعه قرطاس والرضا بالقضاء يمنع من استبطاء مُقدَّرِ اللقاء، ومن غرائب هذه الحال أنك تكون في شرق الأرض وأكون في غربها فتستدرج الآمالُ الأجسامَ حتى تجعلها كقاب قوسين أو أدنى ثم يَفْطَن بنا الزمان فيجعل أجسامنا سهاماً ويرمينا بقوسه إلى البعد الأقصى [الخفيف]:

أيّها المُنْكِح الثريّا سُهيلاً ... عَمْرَكَ اللّهُ كيف يجتمعانِ
هِيَ شاميّة إذا ما استقلّت ... وسُهيلٌ إذا استقلّ يمانِ

ولقد عام السابح في بحر الفكر ليستخرج من قعره ما يستعين به على هذا الدهر فلم يرَ إلاّ أثراً بعد عَيْنٍ فبعث شعاراً بُليَّةً واستدعى دِثاراً سامِيَةً ليتلاقَى فيها جسومٌ ما تلاقى، قانعاً في الوقت الحاضر بقليل هو كثير راجياً من الله جمعَ الشمل ﴿**وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**﴾ [الشورى: ٣٩] [الوافر]:

فليت هوى الأحبّة كان عَدْلاً ... فحمَّلَ كلَّ قلب ما أَطاقا

وبالجملة أليسَ إذا صار المرءُ في غامض علمه يقال من حيث الصورة كان أمل بطانته وظهارته أن يصل منه نبأٌ يُقرّ العين ويَسُرّ السمع ويُبهج النفسَ من كونه في نعيم وفي غُرَف من علّيين و﴿**في جنّةٍ عاليةٍ قُطوفُها دانيةٌ**﴾ [الحاقة: ٢٢ ـ ٢٣] و﴿**أكلها دائمٌ**﴾ [الرعد: ٣٥] وبين أشجارٍ وأنهارٍ وأثمارٍ و﴿**في جنّاتٍ ونهرٍ في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر**﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥] فصاحبكم وبعيدكم في هذه الحالة يتقلّب وفي هذه النعمة يصلكم خبر التواتر عنه بهذه الحُظوة فليرضَ بهذا المقدار في الاجتماع واحسبوه في غامض علم الله تعالى من حيث المعنى ولما توجّه فِلْذَةُ الكبد وسِرُّ الروح وسواد الناظر وسويداء القلب وشارفْنا ثَنايا الوداع اهملتُ مشروع التشييع حذراً أن تفيض عيون وتتقرّح جفون ويظهر مكتوم وتُلجىء ضرورةٌ إلى ما لا يليق بذوي المرائر الأبَيّة والنحائز العظيمة [الطويل]:

ولـمّا شربناها ودبَّ دبيبُها ... إلى موضع الأسرار قلتُ لها قفي
مخافةَ أن يسطو عليّ دخيلُها ... فيظهر منّي بعض ما كان قد خَفي

والله المشكور وبه المستعان في جميعِ الأمور وهو الخليفة عليكم لي وعليّ لكم والسلام.

١١٠ ـ «ابن الجنّان الشاطبي» محمد بن محمد. كذا قرأته على الشيخ أثير الدين أبي حيّان، وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي ومن خطّه نقلتُ أنه محمد بن محمد بن سعيد بن **محمد بن هشام بن الجَنّان** بتشديد النون بعد الجيم، **الشيخ فخر الدين أبو الوليد الكناني الشاطبي الحنفي**، وُلد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطِبة وقدم الشأم وصحب الصاحبَ كمال الدين بن العديم وولده فاجتذباه بإحسانهما ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة، ودرّس بالإقباليّة وكان أديباً فاضلاً وشاعراً مُحسناً وكان يخالط الأكابر وفيه حسن العشرة والمزاح، توفي سنة خمس وسبعين وستمائة، أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس: قال أخبرني والدي قال كنّا عند القاضي شمس الدين أحمد بن خلّكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة والشيخ فخر الدين بن الجنّان حاضرٌ وهو إلى جانبي فأنشد أبياتاً له وهي [الكامل]:

عَرْفُ النسيم بعَرْفكم يتعرّف ... وأخو الغرام بحبّهم يتشرّفُ

شرفُ المتيَّمِ في هواهمُ أنّه ... طوراً ينوح وتارةً يتلهّف

لَطُفَتْ معانيه فهبّ مع الصَبا ... فرقيبه بهبُوبه لا يَعْرفُ

وإذا الرقيب درى به فلأنّه ... أخفى لديه من النسيم وألطفُ

ولأنّه يعدو النسيمُ ديارَهم ... ولها على تلك الربوع توقّفُ

فقال القاضي شمس الدين: يا شيخ فخر الدين لطّفتَهُ لطّفته إلى أن عادَ لا شَيء فالتفت إليّ وقال بلسانه الكاضي حمار هُوَّسْ مالُو ذَوك شَي يعني القاضي حمار ماله ذوقٌ، وأنشدني له الشيخ أثير الدين أبو حيان [المجتث]:

أفناني القَبضُ عنّي ... حتى تلاشى وجودي

وجاءني البسط يُحيي ... روحي بفضل وجودي

فقلتُ للنفس شكراً ... لذاك بالنفس جُودي

وقمتُ أشطح سُكراً ... فغبتُ عن ذا الوجود

وقال ابن الجنّان [الكامل]:

ذَكَرَ العُذيبَ فمال من سُكر الهوَى ... صَبٌّ على صُحُف الغرام قد انطوى

يبكي على وادي العقيق بمثله ... ويميل من طرب بمُنعطَف اللِوَى

وجّهتُ وجهي نحوهم فوحقّهم ... لا أبتغي غيراً ولا أرجو سِوى

وبمُهجتي معبودُ حسنٍ منهمُ ... فلذا على عرش القلوب قد استوى

أوحى إلى قلبي الذي أوحى له ... فعجبتُ كيف نطقتُ فيه عن الهوى

---

١١٠ ـ «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (٢/ ١٥٦).

وقال أيضاً [السريع]:

عليكَ من ذاك الحِمى يا رسول بُشْرَى علاماتِ الهَوَى والقبولْ
جئتَ وفي عِطْفَيْكَ منهم شذاً يسكر من خمر هواه العَذولْ
يكفيك تشريفاً رسولَ الرِضَى أنك للعشّاق فيهم رسولْ
حللتمُ قلبيَ وَهْوَ الذي يقول في دين الهوى بالحلول

وقال أيضاً [الكامل]:

وأبيك لم يخفِقْ حشايَ وإنّما طَرَباً لأيّام الغرام يُصفّقُ
باللّهِ قولوا مَن أكون لديهمُ حتى أرى بهواهمُ أتعشّقُ
نَطَق الغرام بحالهم لما رأى إنَّ اللسانَ بحاله لا ينطق
لا يدّعي فيه الفؤادُ خُفوقَهُ فوِشاحُ مَنْ أهوى لعمري أَخفَقُ

قال ـ وفيه جناس معنوي ـ [الكامل]:

نزلوا حديقةَ مقلتي أوَما ترى أغصان أهدابي بدمعي تُزهِرُ

قلت: أراد يقول: «حديقة حدقتي» فما ساعده الوزن فعدل إلى ما يرادفه وهو المقلة، وقال أيضاً وهو لطيف جدّاً [المتقارب]:

ودَوحٍ بَدت معجزاتٌ له تَبينُ عليه وتَدعُو إليهِ
جرى النهر حتى سَقى غُصْنَهُ فمالَ يقبّل شُكراً يديهِ
وكَفُ الصبَا ضيّعَتْ حَلْيَهُ فأضحى الحمام ينادي عليهِ
كَساه الأصيلُ ثيابَ الضَنى فحلَّ طبيبُ الدياجي لديهِ
وجاء النسيمُ له عائداً فقام له لاثماً مِعْطَفَيْهِ

١١١ ـ «محمد القفصي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطائي. القَفصيّ الأصل والمولد، قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان قراءةً وأنا أسمع رأيته بالقاهرة وكان يستجدي بالشعر وله أدبٌ وأنشدني المذكور لنفسه [الخفيف]:

أنكرتني لِمَا رأتْ من سَقامي وبياضِ المشيب حالَ احتلامي
غادةٌ غادرَتْ فؤادي كئيباً وجفوني بلا لذيذ المنام
لا أُبالي وإن غدا القلبُ منها وهو دامٍ بناظرٍ كَالحُسامِ

وأنشدني قال أنشدني أيضاً لنفسه [المتقارب]:

سقى قبّةَ الشافعيّ الإمام من الكوثر الأعينُ الجارية
له قبّةٌ تحتها سيّدٌ وبحرٌ له فوقها جارية

قلت: يعني بذلك صورة السفينة التي عُمِلت من الرصاص على قبة الضريح، وأحسن من هذا ما أنشدنيه من لفظه الشيخ أثير الدين أبو حيّان قال أنشدني لنفسه محمد بن سعيد بن حمّاد البُوصيري [الطويل]:

بقبّة قبر الشافعيّ سفينةٌ رسَتْ من بناءٍ محكمٍ فوقَ جُلمُودِ

ومذ غاض طوفانُ العلوم بموته استـ ـتوى الفُلْكُ من ذاك الضريح على الجودي

١١٢ - **«مهذب الدين الحاسب الشاعر» محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخَضِر. أبو نصر الحلبيّ الحاسب ويعرف بالسُطَيْل ولقبه مهذّب الدين**، كان والده يعرف بالبرهان المنجّم الطبري وولد المهذّب بحلب سنة ثمانين وخمسمائة، وكان فاضلاً أديباً وله تآليف مفيدةٌ، وصنّف زيجاً ومقدّمة في الحساب وغير ذلك، وشعره في مجلّدين، واستوطن صرخد[١] وتوفي بها يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة، قال النور الإسعِرديُّ: أنشدني المهذب لنفسه [المجتث]:

أقولُ إذ نكتُ بَغاً رأيت منه هَوانا

إلامَ تُفدِي فُساءً فقال هاك بيانا

أطفأتَ بالماءِ ناري فقد أثارتْ دُخانا[٢]

١١٣ - **«جمال الدين الدباب» محمد بن محمد بن علي بن أبي الفرج بن أبي المعالي بن الدبّاب. العَدل الواعظ جمال الدين أبو الفضل بن أبي الفرج البغدادي البابصري الحنبلي** ويعرف أيضاً بابن الرزّاز ولكنه بابنِ الدّباب أشهر وسُمّي جدّه الدبّاب لأنه كان يمشي على تُؤَدَة، سمع الكثير وأجاز له خلقٌ وأول سماعه سنة ست عشرة وسمع المهروانيّات الخمسة من أحمد بن صرما وسمع أشياء مليحة ووعظ في شبيبته، وأجاز لطائفة من دمشق منهم علم الدين البِرزالي، وتوفي سنة خمس وثمانين وستمائة.

١١٤ - **«الخواجا نصير الدين الطوسي» محمد بن محمد بن الحسن. نصير الدين أبو عبد الله الطوسي** الفيلسوف صاحب علوم الرياضي والرصد، كان رأساً في علم الأوائل لا سيّما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هُولاكُو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه، فابتنى بمدينة مَراغَة[٣] قبّة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمّع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرّر بالرصد المنجّمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية، وكان حَسَنَ الصورةِ سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر داهيةً، حُكي لي أنه لما أراد

---

(١) صرخد: بلدة كبيرة من نواحي الشام.

(٢) اعتاد الشعراء في هذا العصر على استخدام الكلمات الرذيلة وكأنها أصبحت عندهم «موضة». ونلمسُ ذلك عند=

العمل للرصد رأى هولاكو ما ينصرف عليه فقال له: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدتُه أيدفع ما قُدّرَ أن يكون فقال أنا أَضربُ لمنفعته مثالاً القانُ يأمر من يطلع إلى أعلى هذا المكان ويدعه يرمي من أعلاه طست نحاس كبيراً من غير أن يعلم به أحدٌ ففُعِلَ ذلك فلما وقع ذلك كانت له وقعة عظيمة هائلةٌ روّعت كلّ من هناك وكاد بعضهم يصعق وأما هو وهولاكو فإنّهما ما تغيّر عليهما شيء لعلمهما بأنّ ذلك يقع فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفائدة يَعلم المتحدّث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه فقال لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه أو كما قيل، ومن دهائه ما حُكي لي أنه حصل له غضبٌ على علاء الدين الجُويني صاحب الديوان فيما أظنّ فأمر بقتله فجاء أخوه إليه وذكر له ذلك وطلب منه إبطال ذلك فقال هذا القان وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن ردّه خصوصاً إذا برز إلى الخارج فقال له لا بدّ من الحيلة في ذلك فتوجّه إلى هولاكو وبيده عُكّاز وسبحة وإسطُرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً والنار تضرم فرآه خاصّة هولاكو الذين على باب المخيّم فلمّا وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الأسطرلاب ناظراً فيه ويضعه فلمّا رأوه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاكو وأعلموه وخرجوا إليه فقالوا ما الذي أوجب هذا فقال القان أين هو قالوا له جُوًّا قال طيّبٌ معافىً موجودٌ في صحّة قالوا نعم فسجد شكراً لله تعالى وقال لهم طيّبٌ في نفسه قالوا نعم وكرّر هذا وقال أريد [أن] أرى وجهه بعيني إلى أن دخلوا إليه وأعلموه بذلك وكان وقتٌ لا يجتمع فيه به أحدٌ فأمر بإدخاله فلما رآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك قال اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان قطعٌ عظيمٌ إلى الغاية فقمت وعملت هذا وبخّرت هذا البخور ودعوتُ بأدعية أعرفها أسأل الله صرف ذلك عن القان ويتعيّن الآن أنّ القان يكتب إلى سائر مماليكه ويجهّز الألجيّة في هذه الساعة إلى سائر المملكة بإطلاق مَنْ في الاعتقال والعفو عمن له جناية أو أُمِرَ بقتله لعلّ الله يصرف هذا الحادث العظيم ولو لم أَرَ وجهَ القان ما صدّقتُ فأمر هولاكو في ذلك الوقت بما قال وأُطلق صاحب الديوان في جملة الناس ولم يذكره النصير الطوسي وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده

= الشعراء الجاهليين الذين كانوا يقفون على الأطلال فيقلدون بعضهم بعضاً، فأصبحت الكلمات القبيحة تجري على ألسنة شعراء العصر العباسي المتأخر دون أي ضابط أو مانع أدبي.

١١٤ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/٢٦٧ ـ ٢٧٨)، و«السلوك» للمقريزي (١/ ٦١٤)، و«فوات الوفيات» للكتبي (٢/١٤٩ ـ ١٥٢)، و«تاريخ مختصر الدول» لابن الجري (ص ٥٠٠ ـ ٥٠١)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٤/٩)، و«روضات الجنات» للخوانساري (ص ٦٠٥ ـ ٦١١)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (١/ ٢٦١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٥ ـ ١٣٩ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ٣٤٦ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٧ ـ ١٩١ ـ ٨٥٩ ـ ٨٩٦ ـ ٩٥٠ ـ ٩٦٨ ـ ١١٠٣ ـ ١٧٣٩)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/٢٤٣ ـ ٣٥٢)، و«الأعلام» للزركلي (٧/٢٥٧ ـ ٢٥٨)، و«أعيان الشيعة» للعاملي (٤٦/ ٤ ـ ١٩) و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٣١)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٠٨).

(١) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة. أعظم وأشهر بلاد أذربيجان وكانت تدعى أفرازهروذ، فسمّاها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بهذا الاسم، حيث يكثر فيها السرجين، فكانت الدّواب تتمرَّغ فيها فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٢٣٨).

ودفع عن الناس أذاهم وعن بعضهم إزهاق أرواحهم، ومن حلمه ما وقفتُ له على ورقة حضرتْ إليه من شخصٍ من جملة ما فيها يقول له يا كلب يا ابن الكلب فكان الجواب وأمّا قوله كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواصّ غير تلك الفصول والخواصّ وأطال في نقض كل ما قاله هكذا برطوبة وتأنٍّ غيرَ منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة، ورأيتُ له شِعْراً كتبه لكمال الدين الطوسي على مصنَّف صنّفه المذكور وهو نظم منحطّ، ومن تصانيفه «كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة» وهو جيّد إلى الغاية و«مقدِّمة في الهيئة» وكتاباً وضعه للنُصَيْريّة[1] وأنا أعتقد أنّه ما يعتقده لأنّ هذا فيلسوف وأولئك يعتقدون إلهيّة عليٍّ، واختصر «المحصَّل» للإمام فخر الدين وهذّبه وزاد فيه، وشرح «الإشارات» وردّ فيه على الإمام فخر الدين في شرحه وقال هذا به جرحٌ وما هو شرحٌ قال فيه إنّي حرّرته في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً، ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله يوماً وأنا حاضرٌ وعظّمه أعني الشرح فقلت: يا مولانا ما عمل شيئاً لأنه أخذ شرح الإمام وكلام سيف الدين الآمدي وجمع بينهما وزاده يسيراً فقال ما أعرف للآمدي في الإشارات شيئاً قلت نعم كتاب صنّفه وسمّاه «كشف التمويهات عن الإشارات والتنبيهات» فقال هذا ما رأيته، ومن تصانيفه «التجريد في المنطق»، و«أوصاف الأشراف»، و«قواعد العقائد»، و«التلخيص في علم الكلام»، و«العروض» بالفارسية، و«شرح الثمرة لبطلميوس»، و«كتاب مجسطي»، و«جامع الحساب في التخت والتراب»، و«الكُرة والأسطوانة»، و«المُعطَيات» و«الظاهرات» و«المناظر» و«الليل والنهار» و«الكرة المتحركة»، و«الطلوع والغروب»، و«تسطيح الكرة»، و«المطالع» و«تربيع الدائرة»، و«المخروطات»، و«الشكل المعروف بالقطاع»، و«الجواهر»، و«الأُسطوانة»، و«الفرائض على مذهب أهل البيت»، و«تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار»، و«بقاء النفس بعد بوار البدن»، و«الجبر والمقابلة»، و«إثبات العقل الفعّال»، و«شرح مسألة العلم»، و«رسالة الإمامة»، و«رسالة إلى نجم الدين الكاتبي في إثبات واجب الوجود»، و«حواشي على كليات القانون»، و«رسالةٌ ثلاثون فصلاً في معرفة التقويم»، و«كتاب أكرمانالاوْس»، و«أكرثاوذوسيوس»، و«الزيج الأيلخاني»، وله شعر كثير بالفارسية، وقال الشمس بن المؤيد العُرضي: أخذ النصير العِلْمَ عن الشيخ كمال الدين بن يونس الموصلي ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي وغيرهما، قال: وكان منجّماً لأبغا بعد أبيه وكان يعمل

---

(١) النُّصَيْرِيَّة: تكلّم النوبختي في كتابه «فرق الشيعة» عن فرقة من غلاة الشيعة تنتسب إلى محمد بن نصير النميري فقال في (ص ٧٨): وقد شذّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أنّ ذلك من التواضع والتذلل وأنه من الشهوات والطيبات وأن الله عزّ وجل لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان يقوي أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات. انظر: «فرق الشيعة» للنوبختي (٧٨)، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (٢/ ٣٠٩)، و«التعريفات» للجرجاني (١٦٣).

الوزارة لهولاكو من غير أن يُدخل يده في الأموال واحتوى على عقله حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مصوّر في عمل الدرياق الفاروق فقرأه عليه وعظّمه عنده وذكر منافعه وقال إن كمال منفعته أن تسحق مفرداته في هاون ذهب فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون وولاّه هولاكو جميعَ الأوقاف في سائر بلاده وكان له في كل بلد نائب يستغلّ الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد وكان للمسلمين بِهِ نفعٌ خصوصاً الشيعة والعلويّين والحكماء وغيرهم وكان يبرّهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كلّه فيه تواضع وحسن ملتقى، قال شمس الدين الجزري: قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبُنا سافرتُ إلى مَراغَة وتفرّجتُ في هذا الرصد ومتولّيه صدر الدين علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية وصادفت شمس الدين محمد بن المؤيّد العُرضي وشمس الدين الشرواني والشيخ كمال الدين الأيكي وحسام الدين الشامي فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحَلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض ودائرة معدّل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية يُعرف بها سمت الكواكب وأصطُرلاباً تكون سعة قطره ذراعاً واصطرلابات كثيرة وكتباً كثيرة، قال وأخبرني شمس الدين بن العُرضي أنّ نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله وأقلّ ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإصلاحها عشرون ألف دينار خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقَوَمة، وقال الخواجا نصير الدين في الزيج الأيلخاني: إنني جمعت لبناء الرصد جماعةً من الحكماء منهم المؤيّد العُرضي من دمشق والفخر المَراغي الذي كان بالموصل والفخر الخلاطي الذي كان بتِفليس والنجم دُبَيران القزويني وابتدأنا ببنائه في سنة سبع وخمسين وستمائة في جمادى الأولى بمراغة والأرصاد التي بُنيت قبلي وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد برُجس وله مذ بُني ألف وأربعمائة سنة وبعده رصد بطلميوس بمائتي سنة وخمس وثمانين سنة وبعده في ملّة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة والرصد البناني في حدود الشام والرصد الحاكمي بمصر ورصد بني الأعلم ببغداد وأوفقُها الرصدُ الحاكمي ورصدُ ابنِ الأعلم ولهما مائتان وخمسون سنة وقال الأستاذون إن أرصاد الكواكب السبعة لا يتمّ في أقلّ من ثلاثين سنة لأنّ فيها يتمّ دور هذه السبعة فقال هولاكو إجهدْ في أن يتمّ رصد هذه السبعة في اثنتي عشرة سنة فقلت له أَجهدُ في ذلك، وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات، وخلّف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر أحمد وَوَلِيَ صدر الدين علي بعد أبيه غالبَ مناصبه، فلما مات ولي مناصبه أخوه الأصيل وقدم الشام مع غازان وحكم تلك الأيام في أوقاف دمشق وأخذ منها جملةً ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد مدّة فأساء السيرة فعُزِل وصُودر وأُهين فمات غيرَ حميد، وأما أخوهما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظَلم، ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد وقد

نيّف على الثمانين أو قاربها وشيّعه صاحب الديوان والكبار وكانت جنازة حفلة ودُفن في مشهد الكاظم.

١١٥ ـ «قاضي قضاة حلب محيي الدين الأسدي» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عَلوان بن رافع. قاضي القضاة بحلب محيي الدين أبو المكارم الأسدي الشافعي، وُلِدَ بحلب خامس شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة، وسمع وحدّث ودرس بالمدرسة المسرورية بالقاهرة، وتولّى قضاء حلب وأعمالها إلى حين وفاته، وبيته معروف بالمعروف بالعلم والدين والتقدم والسنة والجماعة، توفي ثالث عشر جمادى الأولى بحلب سنة اثنتين وسبعين وستمائة ودفن بتربة جدّه وقيل في وفاته غير ذلك، وقد ولي قضاء حلب من بيتهم جماعةٌ.

١١٦ ـ «ابن العلقمي الوزير» محمد بن محمد بن علي. أبو طالب الوزير المدبّر مؤيّد الدين ابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم، ولي الوزارة أربع عشرة سنة فأظهر الرفض قليلاً وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك ولم يزل ناصحاً لأُستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار لأنه كان يتغالى في السنّة وعضدَهُ ابن الخليفة فحصل عنده من الضَغَن ما أوجب له أنه سعى في دمار الإسلام وخراب بغداد على ما هو مشهور لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره [الطويل]:

وزيـرٌ رَضـي مـن بـأسـه وانـتـقـامـه ... بِـطَـيِّ رقـاعٍ حشوُهـا الـنـظـم والـنـثـرُ
كـمـا تـسـجـع الـورقـاء وهـي حـمـامـةٌ ... ولـيـس لـهـا نَـهْـيٌ يُـطـاعُ ولا أمـرُ

وأخذ يكاتب التتار إلى أن جرَّ هولاكو وجَرَّأَهُ على أخذ بغداد وقرّر مع هولاكو أموراً انعكستْ عليه وندم حيث لا ينفعه الندم وكان كثيراً ما يقول عند ذلك [الكامل]:

وجـرى الـقـضـاء بـعـكـس مـا أمّـلـتـه

لأنه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدّة حُكي أنه كان في الديوان جالساً فدخل بعض التتار ممّن لا له وجاهة راكباً فرسَه فساق إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاش ثيابَ الوزير وهو صابر لهذا الهوان يُظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده، وقال له بعض أهل بغداد يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه وحميتَ الشيعة حميةً لهم، وقد قُتل من الأشراف الفاطميين خلقٌ لا يُحصَون وارتُكب من الفواحش مع نسائهم وافتُضّت بناتُهم الأبكار مما لا يعلمه إلا الله تعالى فقال بعد أن قُتِل الدوادار ومَنْ كان على مثل رأيه لا مبالاة بذلك، ولم تطلُ مدّته حتى مات غمّاً وغبناً في أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة، مولده في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، بعثَ إليه المستعصم بالله شَدّة أقلام فكتب إليه قَبَّلَ المملوكُ الأرضَ شكراً للإنعام عليه بأقلام قلّمت أظفارَ الحدثان، وقامت له في حرب الزمان، مقام عوالي المُرّان، وأَجْنَته ثمارَ الأوطَار من أغصانها، وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فيا لله كم عَقد

ذمام في عُقدها وكم بحر سعادة أصبح جارياً من مدادها ومدَدِها، وكم متأوّد خطّ استقام بمثقّفاتها، وكم صوارم فُلّتْ مضاربُها بمطرورٍ من مُرْهَفاتها [البسيط]:

لـم يُبْـقِ لـي أمـلاً إلاّ وقـد بـلـغـتْ ... نـفـسـي أقـاصـيَـه بِـرّاً وإنـعَـامـا
لأفـتـحـنَّ بهـا والـلّـهُ يَـقـدر لـي ... مـصـاعـبـاً أعـجـزتْ مـن قـبـلُ بـهـرامـا
تُـعطي الأقـاليـمَ مـن لـم تـبدُ مسـالـةٌ ... لـه فـلا عـجـبٌ إن يُـعـطِ أقـلامـا

وكان قد طالعَ المستعصمَ في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرفشاه وقال في آخر كلامه وهو مدبر فوقّع المستعصم له [السريع]:

ولا تـــســـاعِـــد أبـــداً مـــدْبـــراً ... وكـــن مـــع الـــلّـــهِ عـــلـــى الـــمـــدبـــر

وكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب منها [السريع]:

يـــا مـــالـــكـــاً أرجـــو بـــحـــبّـــي بـــه ... نـــيـــل الـــمُـــنـــى والـــفـــوز فـــي الـــمَـــحْـــشَـــرِ
أرشـــدتَـــنـــي لا زلـــتَ لـــي مُـــرشـــداً ... وهـــاديـــاً مـــن رأيـــك الأنـــورِ
أَبـــنْـــتَ لـــي بـــيـــتَ هُـــدىً قـــلـــتَـــهُ ... عـــن شـــرفٍ فـــي بـــيـــتـــك الأطـــهـــرِ
فـــضـــلـــك فـــضـــلٌ مـــا لـــه مُـــنـــكِـــرٌ ... لـــيـــس لـــضـــوء الـــشـــمـــس مـــن مُـــنْـــكِـــر
أن يُجْـــمَـــعَ الـــعـــالَـــمُ فـــي واحـــد ... فـــلـــيـــسَ لـــلّـــهِ بـــمـــســـتـــنـــكِـــرِ

قلتُ قَلَبَ بيتَ أبي نواس فجعل عَجُزَهُ صَدْراً وهو مشهور[١]، واشتغل بالحِلّةِ على عميد الرؤساء أيوب وعاد إلى بغداد وأقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحّاك وكان أستاذ الدار ولما قُبض على مؤيّد القُمّي وكان أستاذ الدار فُوّضت الأستاذ داريّة إلى شمس الدين بن الناقد ثم عُزل وفُوّضت الأستاذداريّة إلى ابن العلقمي، فلما توفي المستنصر بالله وَوَلِيَ الخلافةَ أميرُ المؤمنين المستعصم وتوفي الوزير نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وُزِّرَ ابنُ العلقمي، وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبي البقاء العُكْبَرِيّ، وحُكِيَ أنه لما كان يكاتب التتار تحيّلَ مرّةً إلى أن أخذ رجلاً وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب ما أراد عليه بوَخْزِ الإبَر كما يُفعَل بالوشم ونفض عليه الكحل وتركه عنده إلى أن طلع شعره وغطّى ما كتب فجهّزه وقال إذا وصلت مُرهم بحلق رأسك ودَعهم يقرأون ما فيه وكان في آخر الكلام قطّعوا الورقة فضُربت رقبته وهذا غاية في المكر والخزي والله أعلم.

١١٧ ـ **«سعد الدين بن عربي» محمد بن محمد بن علي بن العربي. الطائي الحاتمي سعد الدين بن الشيخ محيي الدين بن العربي** الأديب الشاعر، وُلد بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة، وسمع الحديث ودرّس، وكان شاعراً مُجيداً أجاد المقاطيع التي نظمها في الغلمان وأوصافهم وله ديوان مشهور، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة[٢]، وقبره عند قبر أبيه بسفح قاسيون بتربة القاضي محيي الدين بن الزكي، ومن شعره في مليح رآه بالزيادة في دمشق [الخفيف]:

يـــا خـــلـــيـــلـــيّ فـــي الـــزيـــادة ظـــبـــيٌ ... ســـلـــبَـــتْ مـــقـــلـــتـــاه جَـــفْـــنـــي رُقـــادَهْ

كيف أرجو السُّلوَّ عنه وطرفي ... ناظرٌ حُسْنَ وجهه في الزيادَةْ

وقوله في مليح قاضٍ [مخلع البسيط]:

وربَّ قاضٍ لنا مليحِ ... يُغرِبُ عن منطقٍ لذيذِ
إذا رمانا بسهم لِحظٍ ... قلنا له: دائم النفوذِ

وقوله في غلام لبسَ قاضِياني [الخفيف]:

قد روينا أنّ القُضاة بعَدْنٍ ... واحدٌ والجحيم فيه اثنان

وأرى الأمرَ ظلّ بالعكس

ففؤادي في النار قاضٍ وفي ... جنّة عدن من جسمك القاضيان

وقوله في مليح قوّاس [السريع]:

قلت لقوّاسٍ له طَلْعةٌ ... من رام عنها الصَبْر لم يَقدِرِ
يا من له وجهٌ كبدر الدجا ... كيف تبيعُ القوسَ للمشتري

وقوله في مليح لبّان [الكامل]:

كَلَفي بلبّانٍ إذا عاينتُه ... أهدى بطَلْعته لِيَ الأفراحا
قد ظلّ يُسكرنا بخمرِ لحاظه ... أوَما تراه يصفِّفُ الأقداحا

وقوله في مليح مَناخليّ [السريع]:

مَناخِليٌّ هِمتُ في حبّه ... وفي الحشا من هَجْره جَمرُ
قلت وقد عاينتُ من حوله ... مناخلاً لم يحوها الحصرُ
ما هذه قال شموسٌ غدت ... يكسِفُها من وَجهِيَ البدرُ

وقوله في مليح أشقر الحاجب [الطويل]:

وما أنكر العُذّال شيئاً عرفتُه ... سوى شُقرةٍ في حاجِبَي مُنية النفسِ
فقلتُ وقد أبديتُ منهم تعجّباً ... لعلّهمُ لم يُبصروا حاجبَ الشمسِ

وقوله في مليح يقطف مشمشاً [الطويل]:

---

(١) وبيت أبي نواس هو:
وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد
١١٧ ـ «فوات الوفيات» للكتبي (٢/١٥٨ ـ ١٦٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٢٨٣)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/٥٠، ٢/٤٥٨)، و«مجلة الثقافة» لصلاح الدين المنجد (السنة الثانية ـ العدد ٦١٩ ـ ص ٢٢ ـ ٢٣)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) في «فوات الوفيات» للكتبي (٢/١٥٨ ـ ١٦٠): توفي سنة (٦٨٦هـ).

كَلِفْتُ بظبيٍ وَهْوَ يقطف مشمشاً على سُلَّمٍ فيه اعتصامٌ لهارب
كذا البدر لولا أنه في مسيره رَقى دَرَجاً لم يتّصلْ بالكواكب

وغالب مقاطيعه التي في الغلمان من الحسن والجودة في هذه الطبقة وأكثر ديوانه في الغلمان، وما أحسن قوله مضمّناً [الرجز]:

لما تبدّا عارضاه في نَمَطْ قيل ظلامٌ بضياءٍ اختلَطْ
وقيل نملٌ فوق عاجٍ قد سَقَطْ وقال قومٌ إنّها اللامُ فقَطْ

وقوله [الخفيف]:

لستُ أنسى غداةَ قولي لهندِ لكِ تحت النقابِ أحسنُ خدِّ
فثَنَت عِطْفَهَا إليّ وقالت أنِقاباً تَراه أم غيمَ وَرْدِ

وقوله [الطويل]:

وفي حلبَ البطّيخُ ليس كجِلّقٍ فما لدِمَشق غيرُ زُورٍ وتلبيسِ
لنا ابن كثير شاهدٌ مع نافعٍ وشاهدهم في الطيب ليس سِوى السوسِ

وقوله [الكامل]:

سَهَري من المحبوب أصبح مُرْسَلاً وأراه متّصلاً بفيض مَدامعي
قال الحبيب بأنّ ريقي نافعٌ فاسمعْ رواية مالكٍ عن نافع

١١٨ ـ «النور الإسعردي» محمد بن محمد. وقيل محمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد بن رستم الإسعِردي نور الدين أبو بكر الشاعر، وُلد سنة تسع عشرة وستمائة وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة، وكان من كبار شعراء الملك الناصر وله به اختصاص، وله ديوان شعر مشهور وغلب عليه المجون وأفرد هزلياته من شعره وجمعها وسمّي ذلك «سُلافة الزرجون في الخلاعة والمجون» وضمّ إليها أشياء من نظم غيره وكان شاباً خليعاً يجلس تحت الساعات، واصطفاه الناصر وحضر مجلس شرابه فخلع عليه ليلةً قباءً وعمامةً بطرف مُذهّب فأتى بهما من الغد وجلس تحت الساعات مع الشهود، أنشدني الشيخ شمس الدين وغيره من أشياخي قالوا: أنشدنا الشيخ شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطي قال أنشدني النور الإسعردي لنفسه [الكامل]:

ولقد بُليتُ بشادنٍ إن لُمْتُه في قُبْح ما يأتيه ليس بنافعِ
متبذّل في خسّةٍ وجهالة ومَجاعةٍ كشهود باب الجامع

وحضر ليلةً عند الناصر مجلس أُنسٍ وكان فيه شرف الدين بن الشيرجي وكان أَلْحَي فقام ابن الشيرجي فقضىٰ شغله وعاد فأشار إليه السلطان بصفع النور الإسعردي فصفعه فلما فعل ذلك نزلت ذقنه على كتف النور لما انحنى لصَفعه فأمسكها بيده وأنشد في الحال [الخفيف]:

قد صُفِعنا في ذا المحلّ الشريفِ وَهْو إن كنتَ تَرتَضي تشريفي

فارثِ للعبدِ من مَصيفِ صِفاعٍ　　يا ربيعَ النَّدى وإلاّ خَرِي في

ما أحسن ما أتى بهذا المنادَى هنا ليرشّح التورية بين الربيع والخريف وقوله: وإلاّ خرِي في من أحسن ما يكون من الإشارة بقرينة إمساكه ذقن الصافع له وقد ظرّف غايةً. وأضرّ قبل موته فقال [البسيط]:

قد كنتُ من قبلُ في أَمْنٍ وفي دَعَةٍ　　طرفي يرود لقلبي روضة الأدَبِ
حتى تلقّبتُ نور الدين فانعمشتْ　　عيني وحول ذاك النور لِلَّقَبِ

وقال في أبيات [الوافر]:

سألتُ الله يختمُ لي بخير　　فعَجَّلَ لي ولكنْ في عيوني

وأخذ منه الكحّال ذهباً بناءً على أن يبرىء عينه من الألم فلم يتّفق ذلك فقال [الكامل]:

عجبٌ لذا الكحّالِ كيفَ أضلّني　　ولَكَمْ أضلَّ بِمِيلِهِ وَبِمَيْنِهِ
ذهب اللئيم بناظرَيّ وما رثى　　لأخي الأسَى إذ راح منه بعينه
أأُصابُ منه في ثلاثة أعيُنٍ　　هذا لعمركم الصَّغَارُ بعينه

الثالث مضمّن أول بيت من شواهد العربية تمامه [الكامل]:

لا أمّ لي إن كان ذاك ولا أبُ[1]

والنور الإسعردي أخذ هذا المعنى من قول القاضي الفاضل [المنسرح]:

رجلٌ توكّل لي واكحلَني　　ففُجِعْتُ في عيني وفي عيني

وقال النور أيضاً [السريع]:

يا سائلي لمّا رأى حالَتي　　والطَرْفُ منّي ليس بالمُبصر
لغستتُ أُحاشيك ولكنني　　سمحتُ بالعينين للأعور

أخذه من قولهم تصدّق بنظَره على ذكره، وقال أيضاً [السريع]:

-في هذا الورَى حِكْمَةٌ　　وأنْعُمٌ أعيَتْ على الحاصر
عوّضني - واللّهُ ذو رحمةٍ -　　عن ناظري الباصر بالناصر

وقال يضمّن قول الشريف الرضي [الخفيف]:

قلت إذ نام من أُحِبُّ وأبدى　　ضرطةً آذنَتْ لشملي بجمعِ
فاتَني أن أرى الديارَ بطرفي　　فلعلّي أرى الديارَ بسمعي

---

١١٨ - «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٦١ - ١٦٣)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٩٥)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٤٩٠)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٣٤)

وقال يضمّن قول أبي الطيّب [الطويل]:

سباني معسولُ المراشف عاسلُ الـ ـمعاطف مصقولُ السوالفِ مائِدُ
يروم على إردافه الخصر مُسعِداً إذا عظُمَ المطلوبُ قلّ المساعد

وقال أيضاً [البسيط]:

سَمَحْتُ بيعاً لمملوكٍ يعانِدُني ولو أرادَ رضاتيَ ما تعدّاني
قالوا أيُنْسَبُ للعلاّن قلتُ لهم ما كنتُ بائعَهُ لو كان علاّني

وقال مُلْغِزاً في الطست والإبريق وظَرَّفَ ما شاء [مجزور الكامل]:

وذاتِ بطنٍ فارغٍ تحمل فيه ابنها
حتى إذا فارق في الـ يوم مراراً بطنها
يصبّ فيها ماءَهُ بآلةٍ كأنّها

وقال وهو ظريفٌ [الكامل]:

كم رامَ أيري جَرْحَ جُحْر مُعذّبي بالطعن فيه عند جَدِّ مِراسهِ
حتى تجرّح رأسُهُ فاعْجَبْ لَهُ طلع الذي في قلبه في رأسهِ

وقال أيضاً [الخفيف]:

قلت يوماً للزين هل تُثبت البَعْـ ـث وتَنفي إنكارهم للحشر
قال أثبتُّ قلت ذقنك في استي قال أَنفي فقلت في وسط جُحري

وقال أيضاً [البسيط]:

لما ثنى جيدَه للسُكر مضطجعاً وَهْناً ولولا شفيع الراح لم ينم
دببتُ ليلاً عليه بعد هجعته سكراً فقل في دبيب النور في الظُلَم

---

(١) البيت من الكامل وتمامه:

هذا لعمرُكُمُ الصَّغارُ بِعَيْنِهِ لا أُمَّ لي إنّ كانَ ذاكَ ولا أَبُ

وهو من أكثر الشواهد النحوية المختلف عليها، فهو لرجل من مذحج في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٢٩٢)، وهو لضمرة بن جابر في «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/٣٨)، وهو لهمام أخي جساس ابن مرّة في «تخليص الشواهد» لابن هشام (عبد الله بن يوسف) (٤٠٥)، ولرجل من بني عبد مناة في «الدرر» للشنقيطي (٦/ ١٧٥)، وهو لزرافة الباهلية في «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ٦١) مادة (حيس)، وبلا نسبة في «مغني اللبيب» لابن هشام (٥٩٣). والشاهد فيه قوله: «ولا أبُ» حيث جاء «أبُ» مرفوعاً بالابتداء بعد «لا» النافية غير العاملة التي تلت «لا» النافية للجنس، أو أن «أب» معطوف على محل (لا واسمها) لأنهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه نظراً لصيرورتهما بالتركيب كأنهما شيء واحد وتكون «لا» زائدة لتأكيد النفي وقيل قائله: عمرو بن الغوث بن طيء وقيل هذا ابن أحمر. وانظر: «شرح ابن عقيل» ١/ ٣١٤ ـ ٣١٥ (دار الفكر).

ورأى في المنام كأنّه يُنشد فانتبه وهو يحفظه [الوافر]:

دببتُ على الخطيب قُبيل نوم ... فقال اصبر إلى وقت الدبيب
فلما نام قمتُ إليه سرّاً ... فقل فيمن يطيب على الخطيب

وقال أيضاً [الطويل]:

وريمٍ جلى لي خَمرةً مزّةً جلَتْ ... همومي وقد عاينتُ في خدّه سطرا
وربوته الشقراء ناعمةً غدَت ... ويا حسنَها من بَرزةٍ ليتها عَذرا

جمع فيها أسماء أماكن وهي سطراء[١] والربوة[٢] والشقراء[٣] والناعمة[٤] وبرزة[٥] وعذراء[٦]، والمزة في الأول[٧].

وقال أيضاً [الخفيف]:

لحيةٌ طال شَعرها وعلَتها ... صفرةٌ ليتها تكون لهيبا
لو لَوَى شعرها إلى أنْفه الها ... ئل عاينت منه جنكاً عجيبا

وقال في غلام يحرث [الكامل]:

يا حارثاً تُروَى مقاماتُ الهَوَى ... عن طرفه الفتّاك غيرَ مُؤوَّلَهْ
أضحى يشقّ لُحود مَنْ قتلَ الهَوَى ... في حبّه ليسَتْ خطوطاً مُهْمَلَهْ
روحي الفداء لبدرِ تمٍّ سائقٍ ... للثور ليس يروم غير السنبلهْ

وقال مُلْغزاً في عثمان [الكامل]:

يا سائلي عمن هويتُ وحسنُهُ ... ذو شُهرةٍ في الناس وَهْو يُصانُ
خوف الوُشاة أجبت عنه مُلْغِزاً ... هو ثالث من سبعةٍ وثمانُ

وقال في مليح ضعيف الخطّ [الخفيف]:

وهلالٍ شكا من الخطّ ضعَفْاً ... بمعانيه تُضرب الأمثالُ
قلت إن رمتَ جودة الخطّ فاكتب ... بمثالٍ فقال ما لي مثالُ

١١٩ ـ «ناصر الدين بن قرناص» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن علي بن الحسين. ابن قرناص الخزاعي الحموي ناصر الدين أبو عبد الله، ولد سنة ثلاث عشرة

---

(١) سطراء: قرية من قرى دمشق.
(٢) الربوة: موضع بالقرب من دمشق تحت جبل قاسيون ويخترقها نهر بردى.
(٣) الشقراء: عين ماء بالقرب من دمشق.
(٤) الناعمة: قرية بالقرب من دمشق.
(٥) برزة: حي من أحياء دمشق.
(٦) عذرا: قرية من قرى دمشق.
(٧) المزة: حي من أحياء دمشق.
وانظر: «معجم البلدان» لياقوت.

وستمائة وتوفي في شوال سنة اثنتين وستين وستمائة، كان عالماً فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً كريم الأخلاق حسن الأوصاف جميل العشرة جمّ الفوائد، من نظمه في ترتيب حروف كتاب المحكم في اللغة لابن سيدة [الطويل]:

عليك حروفاً هنّ غير غوامض قيود كتاب جلّ شأناً ضوابطُهْ

صراط سويّ زلّ طالب دَحضه تزيد ظهوراً إذ تناءت روابطُهْ

لذلكم نلتذّ فوزاً بمحكم مصنفه أيضاً يفوز وضابطُهْ

١٢٠ ـ «عماد الدين بن العربي أخو سعد الدين» محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عربي. عماد الدين أبو عبد الله، قال الشيخ قطب الدين اليونيني: كان فاضلاً سمع الكثير وسمع معَنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدايم المقدسي، وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وستمائة ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيّف على الخمسين، ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين المقدّم ذكره آنفاً[1] [البسيط]:

ما للنَوَى رِقّةٌ ترثي لمكتئبِ حرّانِ في قلبه والدمعُ في حَلَبِ

قد أصبحتْ حلبٌ ذات العماد بكم وجِلَّقٌ إِرَمٌ هذا من العَجَبِ

١٢١ ـ «الكامل بن العادل» محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان. السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر بن السلطان الملك العادل أبي بكر وسيأتي ذكر والده، ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة وأجاز له العلاّمة ابن بَرّي وأبو عبد الله بن صدقة الحرّاني وعبد الرحمن بن الخرقي وخرّج له أبو القاسم بن الصفراوي أربعين حديثاً وسمعها جماعة، تملّك الديار المصرية أربعين سنة شطرها في أيام والده وعمّر دار الحديث بالقاهرة في سنة إحدى وعشرين وستمائة وجعل ابن دحية شيخَها والقبّة على ضريح الشافعي وجَرَّ إليها الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل والسقاية وهما على باب القبّة المذكورة، وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدّة الطويلة وأنفق الأموال الكثيرة وكان يُحبّ أهل العلم ويجالسهم، ويؤثر العدل، شكا إليه ركبدار أنّ أستاذَه استخدمه شهراً بلا جامكية فألبس الغلام قماش أستاذه وأركبه فرسه وألبس الأستاذ قماش الغلام وأمره بخدمة الركبدار وحَمْلِ مَداسِهِ ستة أشهر، وكانت الطرق آمنة في أيامه، وبعث ولده الملك المسعود أطسيس افتتح اليمن والحجاز ومات قبله وورّث أموالاً عظيمة، ولما بلغه وفاة أخيه الأشرف سار إلى دمشق وقد ملكها أخوه الصالح فحاصره وأخذها منه واستقرّ بقلعتها فلم يمتع بها ومات بعد شهرين بها في سنة خمس وثلاثين وستمائة في بيت صغير ولم يشعر به أحد من هيبته مرض بالسعال والإسهال نيفاً وعشرين يوماً ولم يتحزَّنِ الناسُ عليه ولحقهم بهتةٌ وكان فيه جبروت، ومن عَدله الممزوج بالعَسف أنه شنق جماعةً من الأجناد في أكيال شعير أخذوها، ودُفن بالقلعة في تابوت ونُقل إلى تربته المعروفة به بجانب الشميصاتية

(١) انظر رقم (١١٧).

وشبّاكها إلى صحن جامع دمشق، وخلف ولدين العادل أبا بكر والصالح أيوب والصاحبة، وكان عنده مسائل غريبة من النحو والفقه يوردها فمن أجابه حظي عنده، حضر عنده زين الدين بن مُعطٍ في جملة العلماء فسألهم الكامل فقال «زيدٌ ذُهِبَ به» يجوز في زيد النصب فقالوا لا فقال ابن معطٍ نعم يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذي دلّت عليه ذُهِبَ وهو الذهاب[١] وعلى هذا فموضع الجارّ والمجرور الذي هو به النصب فيجيء من باب زيد مررتُ به ويجوز في زيد النصب كذلك ههنا فاستحسن الكامل جوابه وأمره بالسفر إلى مصر فسافر إليها وقرّر له معلوماً جيداً وكان لا يزال يحضر عنده جماعة من الفضلاء، وله نظم نقلت من خطّ ابن سعيد المغربي قال: أورد الصاحب كمال الدين بن العديم للملك الكامل [البسيط]:

إذا تحققْتُم ما عند عبدكُم ... من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادي وهو منزلكم ... وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

وقد مدحه ابن سناء الملك بقصيدةٍ أولها [الطويل]:

على خاطري يا شُغْلَه منك أشغالُ ... وفي ناظري يا نورَهُ منك تمثالُ

وفي كبدي من نار خدّك شعلةٌ ... وموضع ما أخليتَ منها هو الخال

منها في المدح [الطويل]:

جنى عسلَ الفتحِ المبينِ برمحه ... ولا غروَ إن اسم الرديني عسّالُ

له صولة الرئبال في مائسِ القنا ... ولا ريب أنّ ابن الغضنفر رئبالُ

إذا صال في يوم النزال تفصّلت ... لا عدائه بالرعبِ والذُعرْ أوصالُ

ومن حِلْمِ الكامل ما حكاه صاحب «كتاب الأشعار بما للملوك من النوادر والأشعار» فإنه حكى أن بعض خواصّه كان قد صار بحيث يبدو من فلتات لبسانه كلماتٌ فيها غلظة في حق الملك الكامل ودام على ذلك إلى أن مات ذلك الشخص فلما مات قال لبعض ثقاته إمْضِ إليه بسرعة وَأْتِنِي بما في كمرانه وأتى بشيءٍ مثل الذرور فأحضر الطبيب وقال بمحضرٍ من خواصّه ما هذا فقال سمّ فقال لأصحابه لهذا مع هذا الشخص ثلاث سنين يترقّب أن يجعل منه وأنا أعلم به وما أحببت أن أَفضحه، وكان ليلة جالساً فدخل عليه مظفّر الأعمى فقال له أَجز يا مظفّر وأنشد [مخلع البسيط]:

قد بلغ الشوق منتهاه

فقال مظفر: وما درى العاذلون ما هو

فقال السلطان: ولي حبيب رأى هواني

فقال مظفر: وما تغيّرتُ عن هواه

---

١٢١ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

(١) هذا مذهب الفرّاء على ما يُستفاد من («شرح ألفية ابن معطٍ» للشريشي في بحث نائب الفاعل.

فقال السلطان : رياضة النفس في احتمالي
فقال مظفر: وروضة الحسن في حلاه
فقال السلطان: أسمرُ لَدْنُ القوام أَلْمى
فقال مظفر: يعشقه كلُّ مَنْ يراه
فقال السلطان: ريقته كلّها مُدامٌ
فقال مظفر: ختامها المسك من لَماه
فقال السلطان: ليلته كلها رقادُ
فقال مظفر: وليلتي كلّها انتباه
فقال السلطان: وما يرى أن يهين عبداً
فسكت مظفر ساعةً فقام وقال: بالملك الكامل احتماه

وكانت في يد الكامل ورقة يكتب فيها ما ينظمانه فألقاها من يده إلى الزين الدمياطي وأمره أن يكتب لئلا يكتب مديحه بيده، قال مظفر فقلت [مخلع البسيط]:

العالم العامل الذي في ... كل حُلاه ترى أباه
ليثٌ وغيثٌ وبدرُ تمٌّ ... ومنصبٌ جَلَّ مُرتقاه

ولما استردّ الكامل دمياط من الفرنج وطلبوا منه الأمان أرسل إليهم ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوك الفرنج إلى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل الأشرف موسى والمعظم عيسى في تلك الحالة إلى المنصورة في ثالث شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمة كبيرة عالية ومَدَّ سماطاً عظيماً وأحضر ملوك الفرنج والخيّالة ووقف أخواه الأشرف والمعظم في خدمته وقام راجح الحِلّي الشاعر وأنشد قوله [الطويل]:

هنيئاً فإنّ السعد راح مخلّدا ... وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حَبانا إله الخلق فتحاً بَدا لنا ... مبيناً وإنعاماً وعزّاً مؤبّدا
تَهَلَّلَ وجهُ الدهر بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخِضَمُّ بأهله الـ ... ـطغاة وأضحى بالمراكب مُزْبِدَا
أقام لهذا الدين من سلَّ عزمَهُ ... صقيلاً كما سلَّ الحسامَ المُهَنَّدا
فلم يَنْجُ إلاّ كلّ شِلْوِ مُجدَّلٍ ... ثوى منهمُ أو مَنْ تراه مقيّدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً ... عقيرتَهُ في الخافقين ومُنشِدا
أعُبّادَ عيسىٰ إنّ عيسى وحِزْبَه ... وموسى جميعاً يَنْصُرَانِ محمّدا

وأشار عند قوله عيسى إلى عيسى المعظم وعند قوله موسى إلى الأشرف موسى وعند قوله محمد إلى الكامل محمّد، قال الأمير سيف الدين بن اللمطي: كتب بعض المغاربة إلى الملك الكامل رقعة في ورقة بيضاء إن قرئت في ضوء السراج كانت فضيّةً وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية وإن قرئت في الظلّ كانت حبراً أسود فيها هذه الأبيات [المتقارب]:

لئن صدّني البحر عن مَوطني ... وعيني بأشواقها ساهِرَهْ
فقد زخرفَ الله لي مكةً ... بأنوار كعبته الزاهِرَهْ
وزخرف لي بالنبي يثرباً ... وبالملك الكامل القاهِرَهْ

قال الأمير سيف الدين بن اللمطي فقال الملك الكامل قُل [المتقارب]:

وطيّبَ لي بالنبي طَيبةً ... وبالملك الكامل القاهرة

١٢٢ ـ «جمال الدين بن عمرون النحوي» محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد ابن عَمْرُونَ. الشيخ جمال الدين أبو عبد الله الحلبي النحوي، ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة تقديراً وتوفي سنة تسع وأربعين وستمائة، سمع من ابن طبَرزَد وأخذ النحو عن الموفق بن يعيش وغيره وبرع في العربية وتصدّر لإقرائها وجالسه الإمام جمال الدين بن مالك وأخذ عنه الشيخ بهاء الدين ابن النحّاس وحدث عنه الشيخ شرف الدين الدمياطي، وشرح «المفصّل»[1] شرحاً مطوّلاً.

١٢٣ ـ «الجدائي الكاتب» محمد بن محمد بن المبارك بن علي الشيرازي. أبو سعد المعروف بالجدائي، كان من الأدباء وله شعر وكان كثير الهجاء سمع الحديث من أبي طالب بن غيلان وأبي بكر الخطيب وغيرهما وحدّث باليسير، ومن شعره يهجو غرس النعمة أبا الحسن بن الصابىء صاحب التاريخ [الطويل]:

أَلا قُل لغرسِ النعمة اليومَ مِدحةً ... تجاوزتَها من قبل أن تبلغ السنّا
فقد كتب التاريخَ قبلك معشرٌ ... ولسنا نَرى فيهم لما قلته خِدنا
فإن كان كذبٌ يملأُ العين وحدها ... فكذبُك فيه يملأ العين والأذنا

ومنه أيضاً [الخفيف]:

أدبٌ نازِحٌ وخِسَّة نفسِ ... لوضيع جدوده من سرَخْسِ
إن يكن مَن مضى كسيّدنا أنـ ... ـت فحمّلْ غداً على أمّ أمسِ

قلت شعر جيّد.

١٢٤ ـ «ابن محرز الزهري البلنسي الشاعر» محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن، أبو بكر الزُهري البلنسي ويعرف بابن محرزِ، سمع وروى وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحةً مع

١٢٢ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٣١)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٤٧).

التفنّن في العلوم وحفظِ اللغات، روى عنه ابن الزبير، ولد في سنة تسع وستين وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة، وله شعر رائقٌ فمنه ما قاله مُلغزاً في نارنجة [الرجز]:

ما ذاتُ حمل وهي حملٌ نفسُها … لا حُرّةٌ في جنسها ولا بَغِي
كالبدر إلا أنها مُكِنّةٌ … أَهِلّةٌ إبدارُها لا ينبغي
تُريكَ من جملتها فاعجبْ لها … شطر اسمِها وخاطِرَ ابن إصبَغِ

ومنه [الوافر]:

سقى الله المعرَّسَ إذ سهرنا … به والحادثات بحال غمضِ
قطعنا ليلةً والحال رفعٌ … يقرّ العين منه عَيشُ خفض
نضاجع من نبات الماء أو من … بنات الماء كلّ. . . . . غضّ
يرُوقُك أو يروعك منه فاعجب … سيوفٌ بعضها أغماد بعض

ومنه [الخفيف]:

إن لله مطلقين أسارى … طلبوا القربَ مُهتدين حَيارى
عثَروا إذ تحيّروا فرآهم … فجزاهم بأن أقال العِثارا
قُبِلتْ منهُم الصلاةُ وهم لا … يقربون الصلاة إلاّ سكارى

وكتب مع قلنسوة أهداها [الكامل]:

خذها محدّبةً مقعّرةً لها … من طرفها ما للسماء من الحبُكْ
أَطلِع بها الأسنى جبينك يُجتلى … منها ومنه الشمس في نصف الفلكْ

وكتب مع تفّاحة [مجزوء الوافر]:

بعثتُ بها على عَجَلِ … وودٌّ خالصٍ صَدَقَكْ
فخذ من لونها خجلي … وخذ من عطرها خلُقَكْ

وكتب مع حَجَل [الكامل]:

مَزّقْ مُوشّى بُردها ومُفصّلاً … مِن طَوقها انثُره وعفّر جَنْبَها
خذها بما فيه مشت غدراً ولا … تُغْفِلْ خُطاها في الدماء وغبّها
فاعجَبْ من البازي له في جنسها … أَثَرُ العدوّ ولا يزالُ مُحِبَّها
نُظِمَتْ ثلاثُ بدائعٍ في خَلْقِها … نَثَرتْ بها في كلّ قلب حُبَّها
تمشي بمرجانٍ وتبلع أرقماً … وبحبّة الرمّانِ تلقطُ حَبَّها

---

(١) «المفصّل»: كتاب في النحو للزمخشري.

وقال يخاطب والي بلنسية لما صدر إليه من مراكش [الكامل]:

بُشرى الإِياب أفادها لك حالا ... ما ساءك ليلةَ أزمعوا الترحالا

كم مِنْحةٍ من محنةٍ نَجَّت وكم ... أجمالِ بغيتنٍ سَبَّبَتْ إجمالا

وله الأبيات الدالية المكسورة واللامية المضمومة في وصف مثال نعل النبي ﷺ.

١٢٥ ـ «الحافظ ضياء الدين المالقي» محمد بن محمد بن صابر بن محمد بن صابر بن مُنْدار. الحافظ المتقن ضياء الدين أبو جعفر القيسي الأندلسي المالقي، ولد بمالِقَة سنة خمس وعشرين وستمائة، وسمع الكثيرَ ببلاد المغرب وحجّ وسمع بمصر وقدم دمشق وسمع من أصحاب يحيى الثقفي، وكتب الكثيرَ بخطّه وكان سريعَ الكتابة والقراءة كثيرَ الفوائد ديّناً فاضلاً جيّد المشاركة في العلوم، كتب عنه الشريف عزّ الدين وأفاد الطلبة ومات شاباً في القاهرة سنة اثنتين وستين وستمائة.

١٢٦ ـ «زين الدين الكوفني المحدث» محمد بن محمد بن أبي بكر. المحدث المفيد زين الدين أبو الفتح الأبيوردي الكوفَني الصوفي الشافعي، ولد سنة ستمائة أو سنة إحدى، وقدم دمشق وسمع من كريمة والضياء المقدسي وجماعة، وبمصر من أصحاب السِّلفِي وابن عساكر ومن أصحاب البُوصيري والخُشوعي، وكتب الكثيرَ وحصّل جملةً صالحةً وكلف بالحديث وحرص وبالغ في الإكثار وخرّج المعجم وروى اليسير ولم يعمّر ولا أفاق من الطلب وأدركته المنيّة وطُلِبَ وهو ابن أربعين، ووقف كتبه وأجزاءه، وروى عنه الدمياطي وله شعرٌ يسير، وكُوفن بلدة قريبة من أبيورَد.

١٢٧ ـ «بدر الدين الواعظ النيسابوري» محمد بن محمد بن أبي سعد بن أحمد. العالم الواعظ بدر الدين أبو حفص الكرماني الأصل النيسابوري التاجر، ولد بشاذِياخ نيسابور في تاسع المحرم سنة سبعين كان يمكنه أن يسمع من ابن الفَراوي وطبقته وإنما سمع في الكهولة من ابن الصفّار القاسم بن عبد الله وحدّث بدمشق ومصر وعُمِّرَ دهراً طويلاً وحفظ مقامات الحريري، قال الشيخ شمس الدين الذهبي: ولا نعلم أحداً روى بعده بالسماع عن ابن الصفّار، روى عنه الدمياطي وإمام الحنابلة وابن الخبّاز وابن الزرّاد وقارب المائة، وتوفي سنة ست وستين وستمائة.

١٢٨ ـ «عماد الدين بن الشيرازي الكاتب» محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن مَميل. الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل بن القاضي شمس الدين بن الشيرازي الدمشقي صاحب الخط المنسوب، سمع أباه وابنَ مُلاعب وابن الحرَستاني، وروى عنه الخباز وابن العطار والشيخ جمال الدين المِزّي والشيخ علم الدين البِرزالي وطائفة، وكان رئيساً محتشماً متموّلاً مليح الشكل متواضعاً وقوراً وافر الحرمة، كتب على الولي الكاتب وانتهى إليه التقدم في براعة الخطّ لا سيما في المحقق والنسخ، ارتحل غيرَ مرة للتجارة فسمّع ولده المعمّر أبا نصر من أصحاب السِّلَفِيّ، واتفق أنه قبل موته بأربعة أيام شهد عند ابن الصائغ في العادلية وهو طيّب وركب وخرج فتغيّر عند

باب الجابية وأصابه فالج فركب الغلام خلفه وأمسكه إلى البستان واستمرّ به المرض إلى أن مات سنة اثنتين وثمانين ودفن بسفح قاسيون، وحُكي لي أنه بلغه أن ربعةً في بغداد بخط ابن البوّاب كتبها بخفيف المحقق فاستعمل من ورق الطير جملةً وأخذه معه وتوجه إلى بغداد وأخذ تلك الربعة جزءاً فجزءاً وكان يضع ورق الطير على خط ابن البوّاب فيشِفّ عما تحته ويجلي الكتابة له فيكتب عليها لا يخلّ بذرّةٍ منها، وقد رأيت أنا من هذه الربعة التي كتبها عماد الدين جزءاً وما في الورقة مكتوب إلا وجهةٌ واحدةٌ فكنت أتعجب لذلك فلما سمعت هذه الواقعة علمت السبب في ذلك والله أعلم، وحُكي أيضاً أنه توجه إلى الديار المصرية واتفق أنه ركب في النيل مع الصاحب تاج الدين بن حنّا فكان معه جماعة من أصحابه المختصين به وكان فيها شخص يعرف بابن الفقاعي ممن له عناية بالكتابة فسأل الصاحبَ بهاء الدين وقال: يا مولانا عندي لمولانا الصاحب وهؤلاء الجماعة يوم كامل الدعوة، ومولانا يدَعُ المولى عماد الدين يفيدني قطّة القلم فقال والله ما في ذا شيءٌ مولانا يتفضل عليه بذلك فأطرق عماد الدين مغضباً ثم رفع رأسه وقال أَوَخيرٌ لك من ذلك قال وما هو قال أحملُ إليك ربعة بخطي وتعفيني من هذا فقال الصاحب لا والله الربعة بخط مولانا تساوي ألفي درهم وأنا ما آكل من هذه الضيافة شيئاً يساوي عشرة دراهم أو كما قيل، وكان قد طُلِبَ إلى الديار المصريّة ورُتّب ناظراً على الأملاك الظاهريّة والتعلّقات المختصة بالملك السعيد بن الظاهر وذلك في أواخر الدولة الظاهرية بعد وفاة الرئيس مؤيّد الدين أسعد بن القلانسي، وكان والده القاضي شمس الدين أبو نصرٍ من كبار العلماء العارفين بالمذهب وولي نيابة الحكم بدمشق مدة زمانية.

١٢٩ ـ «الحافظ شمس الدين بن جعوان» محمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان بن عبد الله. الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري الدمشقي الشافعي النحوي، أحد الأئمة أخذ النحو عن جمال الدين محمد بن مالك وكان من كبار أصحابه ثم أقبل على الحديث وعُني به أتمّ عناية وسمع من ابن عبد الدائم وابن النشبي وابن أبي الخير وغيرهم وارتحل إلى مصر وسمع من عامر القلعي والعزّ الحرّاني وطائفة وكتب كثيراً بخطّه وخرّج المشايخ وقرأ المسند على ابن علان قراءة لم يسمع الناس مثلها في الفصاحة والصحة وحضره جماعة من الأئمة فما أمكنهم أن يأخذوا عليه لحنّة واحدّة، ومات في عنفوان الشبيبة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وهو أخو الفقيه الزاهد شهاب الدين، كتب ابن جعوان إلى أهله من تبوك[1] [الطويل]:

كتبتُ كتابي من تبوك لتسعةٍ   مضت بعد عَشرٍ في المحرّم وَلّتِ

وإني بحمد الله أرجو لقاءكم   إذا صفرٌ عشرون منه تبقّتِ

١٣٠ ـ «القاضي بهاء الدين بن خلكان» محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان. القاضي بهاء الدين أبو عبد الله الإربلي الشافعي قاضي بعلبك أخو قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان، ولد بإربل سنة ثلاث وستمائة، وسمع صحيح البخاري من أبي جعفر بن مكرم كأخيه وحدّث وسمع منه ابن أبي الفتح والشيخ علم الدين البرزالي والجماعة، وهو والد النجم صاحب

الفيض والخيال الهذياني وكان معدوم النظيرَ في كثير من أوصافه من التواضع المفرط ولين الكلمة ورقّة القلب وسلامة الصدر، توفي ببعلبك قاضياً بها في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ولم ينله من جميع ما كان باسمه من الجراية والجامكية إلا قوته لا غيرُ ولا يسألُ عما عدا ذلك ومات فما خلّف ديناراً ولا درهماً وعليه جملة من الدَين فأبيعت كتبه لوفائها، وتوفي أخوه القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان قبله سنة إحدى فلم ترقأ له بعده دمعةٌ ودفن في تربة الزاهد عبد الله اليونيني.

١٣١ ـ **«الشيخ بدر الدين بن مالك» محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك. الإمام البليغ النحوي بدر الدين ابن الإمام العلاّمة جمال الدين الطائي الجيّاني ثم الدمشقي** كان إماماً ذكيّاً فهِماً حادّ الخاطر إماماً في النحو إماماً في المعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق جيّد المشاركة في الفقه والأصول أخذ عن والده وجرى بينه وبين والده صورةٌ سكن لأجلها بعلبك فقرأ عليه بها جماعةٌ منهم بدر الدين بن زيد، فلما مات والده طُلب إلى دمشق وولي وظيفة والده وسكنها وتصدّى للإشغال والتصنيف، وكان اللعب يغلب عليه والعِشْرة، حكى لي الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين محمود الكاتب رحمه الله تعالى حكاية جرت له مع الأمير علم الدين سنجر الدَواداري وهي غريبة وما أُوْثِرُ ذكرَها وحكَىٰ لي غيره عنه ما يوافقها من اللعب وكان إماماً في موادّ النظم من العروض والنحو والمعاني والبيان والبديع ولم يقدر على نظم بيت واحد ولقد حضرتُ إليه رقعةٌ من صاحبه فيها نظمٌ أراد أن يجيبه عنها بنظم فجلس في بيته من بكرة إلى صلاة العصر ولم يقدر على بيت واحد حتى استعان بجارٍ له في المَدرسة على الجواب بعدما حكى ذلك لجاره، وقيل لي إنه أملى على قول أبي جلنك [الكامل]:

والبان تحسبه سنانيراً رأت ... قاضي القضاة فنفّشت أذنابها

كُرّاسةً وتكلم على ما في هذا البيت من علوم البلاغة سبحان الله العظيم، ووالده كان ينظم العلوم في الأراجيز ويُدْرج المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة وهذا دليل القدرة على النظم، ومن تصانيف الشيخ بدر الدين «شرح ألفية والده المعروفة بالخلاصة» وهو شرح فاضل منقّى منقّح وخطّأ والده في بُعَيْضِ المواضع ولم تشرح الخلاصةُ بأحسن ولا أسدّ ولا أجزل على كثرة شروحها وأراها في الشروح كالشرح الذي لابن يونس للتنبيه، و«المصباح» اختصر فيه معاني وبيان المفتاح وهو في غاية الحسن وقيل إنه وضع أكبر منه وسمّاه «روضة الأذهان» وإلى الآن لم أره ورأيت له «مقدمة في المنطق» و«مقدمة في العروض»، ومات قبل الكهولة من قولنج كان

---

١٢٩ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٢٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٨١).

(١) تبوك: مدينة تقع في شبه الجزيرة العربية شمالي العربية السعودية تكثر فيها العيون والنخل، وفيها حائط ينسب إلى النبي ﷺ، وبين تبوك والمدينة المنورة اثنتا عشرة مرحلة، انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١/ ٤٣٢).

١٣٠ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٨٤).

١٣١ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٢٥)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

يعتريه كثيراً في سنة ست وثمانين وستمائة بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وكثر التأسف عليه، وولي إعادة الأمينية بعده الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وكثر تأسف الناس عليه، وقيل إنه حضر مجلس الشيخ شمس الدين الايكي وكان يعرف الكشّاف معرفةً مليحةً فقعد لا يتكلم والأيكي يذكر درسه إلى أن أطال الكلام فقال له يا شيخ بدر الدين لأي شيء ما تتكلم فقال ما أقول ومن وقت تكلّمتَ فيه إلى الآن عددت عليك إحدى وثلاثين لحنةً أو كما قيل.

١٣٢ ـ **«فخر الدين بن التنبي[١] الكاتب» محمد بن محمد بن عقيل. فخر الدين بن الصدر بهاء الدين بن التنّبي** بالتاء ثالثة الحروف والنون والباء الموحدة على وزن جلّق الكاتب، روى عن الشيخ الموفق بن قدامة والعَلَم السخاوي وكتب الخطّ المليح طريقة ابن البوّاب على الشيخ وليّ الدين العجمي، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

١٣٣ ـ **«جمال الدين بن سالم قاضي نابلس» محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد. القاضي جمال الدين ابن القاضي نجم الدين سفير الدولة قاضي القضاة شمس الدين النابلسي الشافعي قاضي نابلس وابن قاضيها**، إمام جليل متميّز فاضل رئيس، ولد سنة عشرين وسمع بالقدس عَلَى الأوْقيّ مشيخة الفَسوي وغيرها، وكان قاضي نابلس مدّةً وأضيف إليه آخرَ عمره قضاءُ القُدس، سمع عليه الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي بقراءة الحافظ العلاّمة جمال الدين المِزّي بدار الحديث لما قدم دمشق، وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة.

١٣٤ ـ **«الأسد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك» محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، تقي الدين. المعروف بالأَسَد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك** وأخو الشيخ بدر الدين المذكور آنفاً[٢]، قال الشيخ شمس الدين: صنّف له والده «الألفية» فلم يحذق في نحو وكان طيّب الصوت يقرأ بالظاهرية وله مسجد ودكّان شهود، وتوفي في سنة تسع وستمائة[٣]، قلت و«المقدمة الأسديّة» لوالده أيضاً وهي صغيرة نثرٌ غير نظم إنما وضعها باسمه.

١٣٥ ـ **«الغالب بالله ابن الأحمر صاحب الأندلس» محمد بن محمد بن يوسف بن نصر. صاحب الأندلُس أمير المسلمين أبو عبد الله ابن الأحمر**، تملك بعد والده سنة إحدى وسبعين وامتدّت أيامه إلى أن مات في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو من الخزرج، أخبرني الشيخ الإمام العلاّمة أثير الدين أبو حيان قراءةً مني عليه وهو يسمع: رأيته بغرناطةَ مراراً بالمصلّى وأنشدته قصيدةً أمدحه بها وحضرتُ عنده إنشاد الشعراء في بعض أعياده وكان رجلاً جميلاً عاقلاً حسن السياسة مُتظاهراً بالدين وقرأ شيئاً من النحو على الأستاذ أبي الحسن الأُبّدي، ويُذكر أنّ له نظماً وقد اشتهر عنه وهو قوله يخاطب وزيره أبا سلطان عزيز بن علي الداني [المتقارب]:

تـذكّـرْ عَـزيـزُ لـيـالـيَنا ... وأُنْسـاً نُعاطي على الفرقدينْ

ونـحـن نـدبّـر فـي مُـلكـنـا ... ونُعطي النُضارَ بكلتا اليدينْ

---

١٣٢ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٤٢٤).

(١) في «شذرات الذهب» (٥/ ٤٢٤): التيني.

وقد طلب الصلحَ منّا اللعينُ فما فاز إلاّ بِخُفَّي حُنَين
إذا ما تكاثر إرساله يكون الجوابَ شَبَا المُرْهَفَين
فلِمْ لا تشمِّر عن ساعدِ وتضرب بالسيف في المغربين
وقد خدمَتْنا ملوكُ الزمان وقد قصدَتْنا من العُدْوَتَيْن
فنسأل من ربّنا عونَهُ على ما نَوَينا من الجانِبَيْن

ومما ذكر عنه له قوله [الطويل]:

أيا رَبَّةَ الحُسْنِ التي أذهبَتْ نُسْكي على كلّ حال أنتِ لا بُدَّ لي منكِ
فإمّا بِذُلٍّ وهو أليقُ بالهوى وإمّا بِعِزٍّ وهو أليقُ بالمُلْكِ

انتهى ما أخبرني الشيخ أثير الدين، قلت: لم أُثبت هذه القطعة الأولى إلاّ من كونها شعر سلطان وإلا فليست ممّا يُنتقَى وأما البيتان الكافيّان فإني نظمت جوابه مجاراةً كأنّي حاضره وفي وزنه ورويّه وهو [الطويل]:

متى لاقَ بالعُشّاق عزٌّ وسطوة كأنّك من ذلّ المحبة في شكّ
تلَقَ الهوى معْ ما ملكت بذِلّةٍ لِتُنْظَمَ معْ أهل المحبّة في سلكِ

بويع السلطان أبو عبد الله بعد أبيه سنة إحدى وسبعين فتملك ثمانية أعوام ثم توثّب عليه أخوه أبو الجيوش نصر وظفر به فخلعه وسجنه مدّةً ثم جهزه إلى بلده شَلَوْبينة[1] فحبسه إلى أن تحرك على نصرٍ ابنُ أخته الغالبُ بالله وطلب نصرٌ أخاه المخلوعَ إلى غرناطة فجعله عنده بالحمراء في بيت أخته ومرض أبو الجيوش نصر فأغمي عليه ثلاثة أيام فأحضر الكبراءُ أخاه ليملّكوه فلما عوفي أبو الجيوش تعجّب من مجيئه وأُخبر فغَرَّقَهُ خوفاً من شهامته وكان خلعه سنة تسع وتسعين وسبعمائة[2] ووفاته.

١٣٦ ـ «الشيخ محيي الدين الشاطبي المحدث المالكي» محمد بن محمد بن إبرهيم بن الحسين بن سُراقة. محي الدين أبو بكر الأنصاري الأندلسي الشاطبي، مولده في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بشاطبة وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطّم، سمع الكثير وولي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ثم قدم الديار المصريّة وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى حين وفاته، وكان أحدَ الأئمّة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنُّبلِ وأحدَ المشايخ المعروفين بطريق القومَ وله في ذلك إشاراتٌ لطيفة معَ ما جُبِلَ عليه من كرم الأخلاق واطّراح التكليف ورِقّةِ الطبعِ ولين الجانب وله شعر منه [الطويل]:

إلى كم أُمنّي النفسَ ما لا تَنالُه فيذهب عمري والأمانيُّ لا تُقضَى

---

(١) انظر رقم (١٣١).

(٢) إنَّ سنة وفاته غير صحيحة، لأنَّ والده الإمام ابن مالك ولد سنة (٦٠٠هـ). فلعل وفاته كانت سنة (٧٠٩).

وقد مرّ لي خمس وعشرون حجةً ولم أرضَ فيها عيشتي فمتى أرضَى
وأعلمُ أني والثلاثون مدّتي وخيرُ مغاني اللهو أوسعها رفضَا
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجي ووحدي إلى أوبِ من العشرِ قد أفضى

ومنه أيضاً [مخلع البسيط]:

وصاحبِ كالزُلال يمحو صفاؤه الشكّ باليقين
لم يُحصِ إلاّ الجميلَ مني كأنّه كاتبُ اليمينِ

وهذا عكس قول أحمد المنازي [مخلع البسيط]:

وصاحبِ خلتُه خليلاً وما جرى غَدْرُهُ ببالي
لم يُحصِ إلا القبيحَ مني كأنّه كاتبُ الشمالِ

وكان محيي الدين من أبناء القضاة حفظ القرآنَ العظيمَ وتفقّه على مذهب مالك رضي الله عنه ورحل إلى بغداذ ولقي بها أبا حفص عمر بن مكرم الدينوري وأبا علي الحسن بن مبارك بن محمد الزبيدي وأبا الفضل بن بكران وقدم إربل وقرأ على أبي الخير بدران التبريزي.

١٣٧ ـ «قاضي حلب القاضي شمس الدين الدمشقي» محمد بن محمد بن بهرام. الدمشقي الشافعي العلاّمة قاضي حلب وخطيبها ومُفتيها شمس الدين أبو عبد الله ولي القضاء مدةً طويلةً، تفقّه بمصر على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وبرع في المذهب وتصدّر وخرّج له الأصحاب وكان محمودَ الأحكام على ضِيقِ خلقه كان يخالف قرا سنُقر نائبها في أغراضه فعُزل بالقاضي زين الدين ابن قاضي الخليل وتوفي سنة خمس وسبعمائة.

١٣٨ ـ «البوزجاني الحاسب» محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس. البوزجاني بالباء الموحدة والواو والزاي والجيم أبو الوفاء أحد الأئمّة المشاهير في علم الهندسة والحساب وله فيهما استخراجات غريبة لم يُسْبَقْ إليها، قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى: كان شيخنا العلاّمة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس رحمه الله وهو القيّم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتجّ بما يقوله وكان عنده من تآليفه عدة كتب وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع، ولد يوم الأربعاء مستهلّ شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[١] بمدينة بوزجان انتهى، قلت: ومن تصانيفه في الحساب «كتابِ المنازل» وهو مبسوط مرتّب جيّد إلى الغاية[٢].

١٣٩ ـ «أبو النصر الطوسي الزاهد» محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج. أبو النصر الطوسي الزاهد العابد يصوم النهار ويقوم الليل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتصدق بما فضل عن

(١) شلوبينة: حصن في الأندلس من أعمال كورة البيرة على شاطىء البحر كثير الموز وقصب السكر. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١٥٣).

(٢) تقدم ذكر وفاته سنة (٦٩٩هـ) وقوله وسبعمائة خطأ من الناسخ.

قوته، رحل في طلب الحديث إلى العراق والشام ومصر والحجاز وسمع الكثيرَ وجزّأ الليلَ ثلاثة أجزاء جزءاً للقرآن وجزءاً للتصنيف وجزءاً للراحة، توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ورُئي في المنام فقال الرائي وصلتَ إلى ما تطلبه فقال إي والله أنا عند رسول الله ﷺ وبشر بن الحارث يحجبنا بين يديه ويرافقنا وقد عرضت مصنفاتي كلها على رسول الله ﷺ فرضيها.

١٤٠ ـ **«القاضي محيي الدين ابن الشهرزوري» محمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن المظفر بن علي. القاضي محيي الدين أبو حامد الشهرزوري**، ولي القضاء بالموصل وقدم بغداد رسولاً من صاحبها فأكرمه الخليفة وخلع عليه، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ومن نظمه في يوم وقع فيه الثلج [الوافر]:

ولـمـا شـاب رأس الـدهـر غـيـظـاً ... لـمـا قـاسـاه مـن فـقـد الـكِـرامِ

أقـام يُـمـيـط عـنـه الـشـيـبَ عـمـداً ... ويـنـشـر مـا أمـاط عـلـى الأنـام

قلت هذا تخيّل حسن إلى الغاية، وما أحسن قول أبي طالب المأموني [البسيط]:

كـأنّ فـي الـجـوّ مـنـه وهـو مـنـعـكـس ... سـحـابـةٌ نـشـأت مـن فَـتّ كـافـور

كـأنّ نـاق ثـمـود فـي الـهـواء غـدت ... ترمي اللُغام على الأرضين والدور

وقول الآخر [الكامل]:

فـالأرض تـضـحـك عـن قـلائـد أنـجـم ... نُـشِـرَتْ بـهـا والـجـوُّ جـهْـمٌ قـاطِـبُ

فـكـأنـمـا زَنَـتِ الـبـسـيـطـةُ تـحـتـه ... وأكـبَّ يـرجُـمـهـا الـغـمـامُ الـحـاصـبُ

وهو يُشبه قول الغزّي [الكامل]:

والـسـحـب مـن بَـرَدٍ تـسُـحُ كـأنـمـا ... تـرمـي الـبـسـيـطـةَ عـن قـسـيّ الـبُـنْـدُقِ

وقول الصاحب بن عبّاد [الخفيف]:

أَقْـبَـلَ الـثـلـجُ فـانـبـسِـطْ لِـسُـرُورِ ... ولـشُـرب الـكـبـيـر بـعـد الـصـغـيـر

---

١٣٧ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ١٣).

١٣٨ ـ «الفهرست» لابن النديم (٢٨٣)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«تاريخ الحكماء» للقفطي (٢٨٧ ـ ٢٨٨)، و «مختصر الدول» لابن العبري (٣١٥)، و«تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقي (٨٤ ـ ٨٥)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٤٧٢ ـ ١٧١٨)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٤٤)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٥٥ ـ ٥٦)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧): سنة (٣٧٦هـ).

(٢) وله رسالة فيما يحتاج إليه الصانع من أعمال الهندسة توجد نسخة منها في مكتبة أياصوفيا ورقمها (٢٧٥٣) وكانت كُتبتْ لخزانة كتب الغ بيك.

١٣٩ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، و«اللباب» لابن الأثير (٢/ ٩٣)، و«مختصر دول الإسلام» (١/ ١٦٧)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٢/ ٣٦٨)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٣٣٦)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٥٥٦)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٣١٢).

فكأنّ السماء صاهرت الأر ضَ فصار النثار من كافور

وقول ظافر الحدّاد [مجزوء الوافر]:

كأنّ الريح تنشره على الأرضين في وشكِ
تُغربلُ من خلال النـ ـدِ كافوراً على مِسْكِ

قيل إنه مُدَّةَ ولايته في الموصل لم يعتقل أحداً على دَيْنٍ في دينارين فما دونهما بل كان يوفي ذلك من ماله، وهو ووالده لهما شعرٌ حَسَنٌ وسيأتي ذكر والده القاضي كمال الدين، ومن شعر محيي الدين المذكور [الخفيف]:

إن تبدّلتَ بي سوايَ فإنّي ليس لي ما حييتُ مِنْك بديلُ
لِيَ أذنٌ حتى أناجيك صمّا ءُ وطَرْفٌ حتى يراك كليل

ومنه [مخلع البسيط]:

يا راقد الليل عن محبّ ما زاره بعدك الرُقادُ
فراشُ جنبيه من قَتادٍ وكحلُ أجفانه سُهادُ

ومنه [الخفيف]:

جاد لي في الرُقاد وَهْناً بوصلٍ أنشط القلب من عِقال الهموم
وجفاني لما انتبهت فما أقـ ـربَ ما بين شقوتي ونعيمي

ومنه [الكامل]:

لا تحسبوا أني امتنعت من البُكَى عند الوداع تَجلُّداً وتصبُّرا
لكنّني زوّدتُ عيني نظرةً والدمعُ يمنع لحظَها أن ينظُرَا
إن كان ما فاضتْ فَقُلْتُ الزمتُها صِلَةَ السُهاد وسُمْتُها هَجْرَ الكَرَى

قلت: شعرٌ جيّد في الذروة.

١٤١ - **«الكشميهني الصالح» محمد بن محمد بن محمود. الكشمِيهني** بالكاف والشين المعجمة الساكنة والميم المكسورة والياء آخر الحروف ساكنة والهاء والنون، كان من الصلحاء وله مجاهدات ورياضات، توفي سنة ست عشرة وستمائة وأوصى أن يكتب على كفنه [الطويل]:

يكون أُجاجا دونكُمْ فإذا انتهى إليكم تلقّى نَشْرَكم فيطيبُ

وهذا البيت من أبياتٍ مختلف فيها الصحيح أنها «للعباس بن الأحنف» والله أعلم.

١٤٢ - **«محمد التكريتي الشاعر» محمد بن محمد التكريتي. النحوي** أقام ببغداد وقرأ الأدب وبرع فيه وله شعر من جملته [مخلع البسيط]:

من كان ذمَّ الرقيبَ يوماً فإنّني للرقيب شاكرْ

لـم أَرَ وجـهَ الـرقـيـب وقـتـاً إلاّ ووجـهُ الـحـبـيـبِ حـاضـرْ

أخذه برُمّته من قول [الخفيف]:

لا أحـبّ الـرقـيـبَ إلاّ لأنّـي لا أرى مَـنْ أُحِـبُّ حـتـى أراهُ

توفي سنة ثمان عشرة وستمائة.

١٤٣ ـ «محمد بن مسلمة الإشبيلي الشاعر» محمد بن محمد بن مسلمة. الإشبيلي وسلفه من قُرطبةَ أبو الحسين، وكان جميلَ الصورة في صغره وفيه يقول أبو العباس اللصّ [المجتث]:

خـلـبـتَ قـلـبـي بـلـحـظٍ أبـا الـحـسـيـن خَـلـوبِ

فـلِـمْ أُسـمَّـى بـلـصٍّ وأنـت لـصُّ الـقـلـوبِ

توفي سنة خمس وثمانين وستمائة، وقال في كير الحدّاد [الكامل]:

ومـنـضَّـدٍ فـيـه الـريـاحُ سـواكـنٌ فـإذا تـحـرّك آذنـتْ بـهـبـوبِ

يَـطـوي عـلـى زَفَـراتـه كَـشْـحـاً لـه عـنـد الـتـحـرّك هـيـئةُ الـمـكـروبِ

ولآبَـنـوس الـفـحـم إن عَـرَّضـتَـهُ أهـدى لـه مـا شـئـتَ مـن تـذهـيـبِ

صَـدرُ الـمُـحِـبِّ يُخال مـنـه مُـغـمَـلاً ومـتـى تُـعـطّـلـهُ فـخـصـرُ حـبـيـبِ

وقال في قصيدة [الكامل]:

يا دارُ، وادي الشطّ من أعلى القُرى هـطـلـتْ عـلـيـكِ من الـغـمام ثـقـالُـهـا

عـهـدي بـدَوْحِـكِ وهـو يخطر من قـنـاً والـسِـربُ وهـو مـن الـجـيـاد رِعـالُـهـا

ومَـهـاكِ هـذي الـبـيـض وهـي أوانـسٌ يـقـصـدن حـبّـات الـقـلـوب نِـبـالُـهـا

نَـفْـرٌ تَـصـيـدُ ولا تُـصـادُ وإنـمـا تُـدنـي لـنـا آجـالَـنـا آجـالُـهـا

مـن كـلّ سـابـغـة الـوشـاح خـريـدةٍ[1] لَـقّـاءَ غـصٍّ بـسـاقـهـا خـلـخـالُـهـا

منها [الكامل]:

أيـام أرضـكِ لا يـطـيـر غـرابُـهـا سـالـت مـذانـبـهـا ورقّ ظـلالُـهـا

فـكـأنّـهـا والأَمْـن فـيـهـا والـمُـنَـى لأبـي سـلـيـمـان اْغـتـدت أعـمـالُـهـا

قلت قوله «عهدي بدوحك» البيت أخذه من ابن هانىء الأندلسي حيث يقول [الكامل]:

إذ ذلـك الـوادي قِـنـاً وأسِـنَّـةٌ وإذ الـديـارُ مَـشـاهِـدٌ ومَـحـافِـلُ

والرابع أخذه من قول أبي سعيد المخزومي [المديد]:

حدق الآجال آجال

١٤٤ ـ «محمد اليعمري الأَبُذي» محمد بن محمد بن اليعمري. الأُبُذي بالذال المعجمة وباؤها الموحدة مشددة وهمزتها مضمومة، أبو بكر، قال ابن الأبّار في «تحفة القادم»: أنشدنا أبو عبد الله بن

الصفّار الضرير قال أنشدنا أبو بكر المذكور يهجو ابن همشك [مجزوء الوافر]:

هُمَشْكٌ ضُمَّ من حرفيْـ ـن من هَمٌ و[مِنْ] شكّ
فعين الدين والدنيا لإمرته أسىً تبكي

هذا إبراهيم أحمد بن همشك رومي الأصل ملك في الفتنة جيّغان وشقورة[١] وكثيراً من أعمال غرب الأندلس، قال ابن الابّار: كان يعذّب خلقَ الله تعالى بالتعليق والتحريق ولا يتناهىٰ عن منكرٍ فعلَهُ من رميهم بالمجانيق، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق، وحَكَىٰ ابنُ صاحبِ الصلاة عن بعض الصالحين أنه رآه في النوم فقال له كيف حالك وما لقيتُ من ربك فأنشده بيتين لم يُسمعا قبلُ وهما [البسيط]:

من سرَّهُ العَيْشُ في الدنيا بخلقةِ من يصوّرُ الخَلْقَ في الأرحام كيفَ يَشا
فليحزَنِ اليومَ حزناً قبل سَطوتِهِ مُغَلَّلاً يمتَطي جمرَ الغضا فُرُشا

١٤٥ ـ «ابن أبي البقاء البلنسي» محمد بن محمد بن سليمان. الأنصاري الأستاذ أبو عبد الله البلنسي يعرف بابن أبي البقاء، أصله من سَرَقُسْطَة[٢] وتعلّم كثيراً فبرع في العربية وعلّم بها واعتنى بتقييد الآثار وكان شاعراً مجوِّداً، توفي سنة عشر وستمائة قال من مرثيةٍ [البسيط]:

قد علّمتني الليالي أنّ ريقتها صابٌ وإن قال قومٌ إنه عَسَلُ
إنّ الذي كانت الآمالُ مُشْرِقَةً به وعيشُ الأماني بَرْدُهَا خَضِلُ
أصابَ صرفُ الليالي منه قطبَ حِجَىً يا من رأى الشُّهْبَ قد أعيتْ بها السُّبُلُ
وهَدَّ للحلم طَوْداً شامخاً عَلَماً يا لليالِيِّ تشكو صَرفَها الحِيَلُ
وضاق وجه الدجا عن نور بهجته فكيف تُوسِعُها إشراقَها الأُصُلُ

وقال يصف السيفَ [الطويل]:

وذي رونقٍ كالبرق لكنّ وعده صدوقٌ ووعد البرق كذبٌ وربّما
عقدتُ نِجَادَيْهِ لحلِّ تَمائمي وقلتُ له كن للمكارم سُلّما
وساء الأعادي إذ بكت شَفراتُهُ وسرَّ وُلاةَ الوُدّ حين تبسَّما

وقال أيضاً [الخفيف]:

غيرُ خافٍ على بصيرِ الغرامِ أنّ يومَ الفراق يومُ حِمامِ
عبَراتٌ تَصُدُّ عن نظراتٍ ونَشيجٌ يحول دون الكلامِ
ودماءٌ تُراقُ باسم دمُوعٍ ونفوسٌ تُؤَدَى برسم سلامِ

(١) الخريدة: من النساء البِكْرُ والخَفِرَةُ الحييّةُ الطويلة السكوت المستترة.

(٢) شَقُورةُ: مدينة بالأندلس شمالي مرسية وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١٥٠).

شَرِبت بعدك الليالي حياتي غيرَ أوشالِ لوعتي وسَقامي

ما أحسن قوله (شربت بعدك الليالي حياتي).

١٤٦ ـ «أبو القسم الغافقي قاضي بلنسية» محمد بن محمد بن نوح. الغافقي هو أبو القسم قاضي بلَنسِيَة وهي بلدة وأصله من سَرَقُسطَة، توفي مصروفاً بمراكش سنة أربع عشرة وستمائة، له شعر حسن منه قوله في فتح المهدية[1] من أبيات [البسيط]:

قد أنزل القَسْرُ من أعلى ذوائبها من كان معتقداً في برجها الأسدا

حيثُ الثواءُ لقد ظلّت حلومهمُ على مجانيق تُوهي العقل والجَلَدا

كأنّما الأرضُ كانت قبلُ واجدةً حقداً على واكفاتِ السُّحْبِ أو حَرَدا

فأمطرتْهنَّ أحجارَ العَذابِ بما كانت قديماً عليها أمطرت بَرَدا

وقال [الرمل]:

لا تَغبِطنّ كلّ موفور الغِنَى مشتملٌ ملابسَ العَظَمةِ

يلمز لا بسببٍ إلاّ بما يحويه من أكياسه المُفعَمةِ

فالله قد أخبر عن أمثاله وقال في آياته المُحكمةِ

(يحسب أنّ ماله أخلَدَهُ) (كلاّ ليُنبذنّ في الحُطَمةِ)

١٤٧ ـ «ابن جهور الأزدي المرسي» محمد بن محمد بن جهور الأزدي. أبو بكر من أهل مُرسِيَة، كان أحد أدبائها ونبهائها، من شعره وقد رأى امرأة سافرةً فغطت وجهها بكفّها المخضوب [السريع]:

فاجأتُها كالظَّبْيِ في سِربِهِ فاحتجبَتْ بالكفّ والمِعْصَمِ

وقد بدا الوَشْيُ بأطرافِها فأقصرتْ عن لومها لُوَّمي

قالوا وقد دَلَّهَهُم حبُّها من طَوَّق البُلاّر بالعَنْدمِ

قلتُ جرت من مقلتي دمعةٌ فاختضبت أنملُها بالدمِ

هذا المعنى مطروق مبذول متداول، مَرَّ وهو بجزيرة شُقر بأرضٍ حمراء لابن مَرج الكُحل غير صالحة للعمارة فقال يداعبه [البسيط]:

يا مَرجَ كُحْلٍ ومَنْ هٰذِي المَرُوجُ له ما كان أحوج هذي الأرض للكحلِ

ما حمرةُ الأرض عن طيبٍ وعن كرمٍ فلا تكن طمِعاً في رزقها العجلِ

---

(١) سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ذات فواكه عذبة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ٤٠).

(٢) المهْدِيَّة: مدينة اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلافي المغرب. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٣٤٤).

لـكـنّ شيـمـتَـهـا أخلاقُ صـاحـبـهـا فـمـا تـفـارقـهـا كـيـفـيـة الـخـجـلِ

فأجابه [البسيط]:

يـا قـائـلاً إذ رأى مَـزجـي وحـمـرتَـهُ ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
تلك الدماء التي للروم قد سَفكت في الفتح بيضُ ظُبَى أجدادِيَ الأوَل
أَحببتُها إذ حَكت مَن قد كَلِفتُ به فـي حـمـرة الـخـدّ أو إخلافه أمَلِي

١٤٨ ـ «الصاحب تاج الدين بن حِنَّا» محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري.
الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين بن حِنَّا، ولد سنة أربعين وتوفي سنة سبع وسبعمائة، وسمع من سبط السلفي جزء الذُهلي ومن الشرف المُرسي وبدمشق من ابن عبد الدائم ومن ابن أبي اليُسر، حدّث بدمشق وبمصر، وانتهت إليه رئاسة عصره بمصره وكان ذا تَصَوُّنٍ وسؤدَدٍ ومكارم وشكل حسن وبَزَّةٍ فاخرة إلى الغاية يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ومع ذلك صدقاته كثيرة وتواضعه وافر ومحبته في الفقراء والصلحاء زائدة وهو الذي اشترى الآثار النبوية على ما قيل بستّين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية وقد زرتُ هذه الآثارَ في مكانها ورأيتُها وهي قطعةٌ من العنزةِ ومِرْوَدٌ ومِخصَفٌ ومِلْقَطٌ وقِطعَةٌ من قَصْعة وكحلتُ ناظري برؤيتها وقلت أنا [الكامل]:

أكـرِمْ بـآثـارِ الـنـبـيِّ مـحـمّـدٍ من زارهـا اسـتـوفـى الـسـعـودَ مزارُهُ
يـا عـينُ دونـكِ فـالـحـظـي وتمـتّـعـي إن لـم تَـرَيْـهِ فـهـذه آثـارُهُ

ورأى من العزّ والرئاسة والوجاهة والسيادة ما لا رآه جدّه الصاحب بهاء الدين، حكى لي القاضي شهاب الدين محمود رحمه الله وغيرُ واحد: أن الصاحب فخر الدين بن الخليلي لما لبس تشريف الوزارة توجّه من القلعة بالخلعة إلى عند الصاحب تاج الدين وجلس بين يديه وقبّل يده فأراد أن يَجْبُرَهُ ويعظّم قدره فالتفت إلى بعض غلمانه أو عبيده وطلب منه توقيعاً بمرتّب يختصّ بذلك الشخص فأخذه وقال: مولانا يُعَلِّمُ على هذا التوقيع فأخذه وقبّله وكتب عليه قدّامَهُ، وكان الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس رحمه الله إذا حكى ذلك يقول: وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي، ومن أحسن حركةٍ اعتمدها ما حكاه لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: اجتَزتُ بتربته فرأيت في داخلها مكتباً للأيتام وهم يكتبون القرآن في ألواحهم فإذا أرادوا مسحها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره فسألت عن ذلك فقيل لي هكذا شرط في هذا الوقف وهذا مقصد حسن وعقيدة صحيحة، وكان الصاحب بهاء الدين يؤثره على أولاده لصلبه ويعظّمه أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: أخبرني قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله قال: وقفتُ على إقرار الصاحب بهاء الدين بأنّه في ذمّته للصاحب تاج الدين ولأخيه مبلغ ستين ألف دينار مصريّة، ومن وجاهته وعظمته في النفوس أنه لما نُكِبَ على يد الشجاعي جرّده من ثيابه وضربه مقرعة واحدة فوق قميصه ولم يدَعْهُ الناس يَصِلُ

إلى أكثرَ من ذلك مع جبروت الشجاعي وعتوّه وتمكّنه من السلطان، وكان له شعر حسن من ذلك ما كتبه إلى السراج الورّاق يعزّيه عن حمارٍ سقط في بئر فنفق من أبيات [الكامل]:

يفديك جَحشُك إذ مضى مُتردّياً وبتالدٍ يُفدَى الأديبُ وطارفِ

عدِمَ الشعيرَ فلم يجده ولا رأى تِبناً وراح من الظمأ كالتالف

ورأى البُؤَيرةَ غيرَ جافٍ ماؤُها فرمى حُشاشَةَ نفسِهِ لمخاوفِ

فهو الشهيدُ لكم بوافر فضلكم هذي المكارمُ لا حَمامة خاطفِ

قومٌ يموت حمارهم عطشاً لقد أزرَوْا بحاتِمِ في الزمان السالف

قوله لا حمامة خاطف أشار إلى أبيات «ابن عُنَين» التي مدح الإمام فخر الدين الرازي وقد جاءت حمامةٌ فدخلتْ حِجْرهُ هرباً من جارح كان خلفها وسيأتي ذلك في ترجمة فخر الدين الرازي، وأجابه الورّاقُ بقصيدة على وزنها في غاية الحسن موجودة في ديوانه أوّلها [الكامل]:

أَدْنَتْ قُطوفَ ثمارِها للقاطفِ وثَنَتْ بأنفاس النسيم مَعاطفي

منها فيما يتعلق بذكر الحمار [الكامل]:

ولكَم بكيتُ عليه عند مَرابِعٍ ومراتعٍ رُشَّتْ بدمعي الذارفِ

يُمسي على عُسري ويُسرِيَ صابراً بمعارفٍ تُلهيه دون مَعالفِ

وقد استمرّ على القناعة يقتدي بي وهي في ذا الوقت جُلُّ وظائفي

ودَعاه للبئر الصَدَى فأجابه واعتاقَهُ صَرْفُ الحِمام الآزِفِ

وهو المُدِلّ بأُلفةٍ طالت وما أنسىَ حقوقَ مرابعي ومآلفي

ومُوافقي في كلّ ما حاولتُه في الدهر غير مُوافقي ومُخالفي

دَوَران ساقيه لطاحون لنقـ ـل الماء في شاتٍ ويوم صائف

لكن بماء البئر راح بنَقْلةٍ قَتَلَتْهُ شاماتٍ بموتٍ جارف

ومما ينسب إلى الصاحب تاج الدين [الطويل]:

توهَّمَ واشينا بليلِ مزارنا فجاء ليسعَى بيننا بالتباعُدِ

فعانقته حتى اتّخذنا تلازُماً فلم يَرَ واشينا سوى فردِ واحدِ

ونظم يوماً الصاحب تاج الدين [الطويل]:

توافى الجمالُ الفائزيّ وإنّه لَخيرُ صديقٍ كان في زمن العُسرِ

وأمر السراجَ الورّاق بإجازته فقال [الطويل]:

فيا رَبَّ عامِلْهُ بألطافك الّتي يكون بها في الفائزينَ لدى الحشرِ

وبعث الصاحب إلى السراج وقد وُلِدَ له ولدٌ صلةً وثُلْثاً حَريرياً وكتب مع ذلك أبياتاً خمسة

أوّلها [الوافر]:

بعثتُ بها وبالثلُث الرفيعِ

فأجابه الورّاق بأبيات أوّلها [الوافر]:

سَرَتْ من جانب العزّ الرفيع إليَّ بطِيبِ أنفاسِ الربيعِ
مُصرَّعةٌ كأنّي اليوم منها ولجتُ على حبيبٍ والصَريعِ
دعونا الخمسةَ الأبياتِ ستّاً لسبعٍ عُلقت فوق الجميعِ
فُدينا من هباتك مُذْهَباتٍ كأنّ مَحُوكَها قِطَعُ الربيعِ
تَزيدُ بلمس كفّك حُسْنَ وشَيٍ كحسن الروض بالغيث الهَمُوعِ
بما أحييت للنفساء نفساً ولي مغها وللطفل الرضيعِ
وقد سمَّنْتَ كيسي بعد ضعفٍ به التقتِ الضلوع مع الضلوعِ

وهذا الثالث من هذه الأبيات بديع في الغاية، ومن شعر الصاحب تاج الدين ما قاله مُلْغزاً في الوَرْدِ [الطويل]:

ومعركةٍ أَبطالُها قد تخضَّبت أَكُفُّهُمُ من شدّة الضرب عَنْدَما
لهم عندها نارٌ وللنار عنبر تأجّج حتى يترك الورد أدهما

وقوله يمدح الشيخ خضر الهكاري [الطويل]:

وحُزْتَ بميدان العبادة غايةً تذكّرني يوم السباق ابنَ أدهما

وله موشّح مشهور بين أهل مصر التزم فيه الحاء قبل اللام في أقفاله وهو [مجزوء الرجز]:

قد أنحلَ الجسمَ أَسْمَرُ أكحلْ وأوحلْ القلب فيه مُذ حلّ

يميل وعنه لا أميل
يحول وعنه لا أحول
أقول إذا زاد بي النحول

أما حلّ عَقْدُ الصدود يَنْحَلّ ويرحل عن نجمي المُزَحَّلْ

برغمي كم يستبيح ظلمي
ويرمي بحربه لسِلْمِي
وجسمِي مع التزام سقمي

منحّل وقد غدا مزحّل فلِم حل سفك دمي وما حل

متوَّج بالحسن هذا الأبهج
مدبَّج عِذاره البنفسج

مـفـلَّـج يرنو بطرفٍ أدعج
مـكـحَّـل وريـقـه الـمـنـحَّـل مـفـحَّـل بـالـعـنـبـر الـمـحـلـحـل
كم أبعد وكم أبيتُ مُكمَد
ويُعمَد بهجره لا يُفقد
ويُجهد في ارتضاء من قد
تمـحَّـلَ والـحـاسـدون دُحَّـل ومـحَّـلَ والـوعـد مـنـه أمـحـل
قـلانِـي واشتطّ هذا الحاني
رمـانِـي في عشقه زماني
خـلأنـي أشكو لمن يراني
قد انحلَّ الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مذ حَلّ

ونظم يوماً الصاحب تاج الدين بيتاً وهو [الطويل]:

ألا قاتل الله الحَمامةَ إنها أذابت فؤاد الصبّ لما تغنَّتِ

وقال للسراج أَجِزه فقال قصيدة أولها [الطويل]:

أُطارِحُها شكوى الغرام وَبَثَّهُ فما صَدَحَتْ إلاّ أجَبْتُ بأَنَّةِ

أخبرني الشيخ العلاّمة أثير الدين أبو حَيّان قراءةً مني عليه قال: اجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث وأنشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

ولقد أَبِيتُ على أغَرٍّ أدهم عَبْلِ الشَوَى كالليل إذ هو مظلمُ
وبكفّيَ اليُمنَى قناةٌ لَدْنَةٌ كالأفعُوانِ سنانها منه الفمُ
متقلّداً عَضباً كأنَّ متونَهُ بَرْقٌ تلألأ أو حريقٌ مُضرَمُ
وعليَّ سابغةُ الذيولِ كأنّها سلخٌ كسانيه الشُجاع الأرقمُ
وعلى المفارق بيضةٌ عاديّةٌ كالنجم لاح وأين منها الأنجم
فالرعد من تصهال خيلي والسَنا برق الأشعّةِ والرَذاذُ هو الدمُ

اشترى فرساً من العرب فأقامت عنده في الحاضرة ثم إنه عبر بها على بيوت العرب فجفلت فقال [الطويل]:

نسيتِ بيوت الشَّعر يا فرسي وقد رُبيتِ بها والحُرّ للعهد ذاكرُ
ولكن رأيتِيهَا بنجد وأهلُها على صفةٍ أخرى فعذرك ظاهر

في الثاني عيب لأنه لحنٌ من كونه أشبع حركة الكسرة في رأيتِها حتى نشأتْ ياء، قال الشيخ أثير الدين ونظمت أنا في هذا المعنى فقلت [الطويل]:

عجبتُ لمُهْري إذ رأى العُزْبَ نُكَّبَا كأنْ لم يكن بين الأعاريبِ قد رَبَا
أجَل ليس نُكراً للفريق وإنّما تخَوَّف عتباً منهمُ فتجنّبا

قلت: التصريع في البيتين ليس بمليح، وكان يتعاطى الفروسية ويحضر الغزوات ويتصيّد بالجوارح والكلاب، وقد مدحه الشيخ الإمام العلاّمة شهاب الدين محمود رحمه الله بقصيدة عِدّتها أزيد من ثمانين بيتاً وهي روايتي عنه بالإجازة أولها [الكامل]:

أعَليَّ في ذكر الديار مَلامُ أم هل تذكُّرها عليّ حرامُ
أم هل أُذَمُّ إذ ذكرْتُ منازلاً فارقْتُها ولها عليَّ ذِمام

منها في مدح الصاحب تاج الدين [الكامل]:

وشجاعةٌ ما عامرٌ فيها له قدمٌ ولا عمرو له إقدامُ
ثبت الجَنان إذا الفوارس أحجمتْ خوفَ الرَدَى لم يَثْنِه إحجامُ
وبكفّه في جَحفَل أو مَحفِل تُزهى الرماح السُمْرُ والأقلامُ

وَحَكَىٰ لي المشارُ إليه سيادةً كثيرةً شاهَدَها منه من ذلك أنه قال: دخلتُ يوماً إليه فلقيني إنسانٌ نسيت أنا اسمَهُ ومعه قصيدة قد امتدحه بها فقال لي: يا مولانا لي مدة ولم يتفق لي إلى الصاحب وصولٌ فأخذتها ودخلت إليه وقلت بالباب شاعرٌ قد مدح مولانا الصاحب فقال: يدخل فأعطاه القصيدة فأنشدها ولم يمتنع من سماعها كما يفعله بعض الناس فلما فرغتْ أخذها منه ووضعها إلى جانبه ولم يتكلم ولا أشار فحضر خادم ومعه مبلغ مائتي درهم وتفصيلةٌ فدفعها إليه قلت وهذا غاية في الرئاسة من سماعِها وعدمِ قوله أعطوه كذا أو إشارة إلى من يحضر فيُسرُّ إليه، وقيل عنه إن جميعَ أحواله كذا لا يشير بشيء ولا يتكلم به في بيته، وكل ما تدعو الحاجة إليه يقع على وفق المراد، وحكى لي أنه أضاف جدَّهُ يوماً ووسّع فيه فلما عاد إلى بيته أخذ الناس يعجبون من همّته وكرم نفسه فقال الصاحب بهاء الدين: ليس ما ذكرتموه بعجيب لأن نفسه كريمة ومكنته متسعة والعجب العجيب كونه طول هذا النهار وما أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف أنواعه ما قام من مكانه ولا دعا خادماً فأسرّ إليه ولا أشار بيده ولا بطرفه ولم يجيء إليه أحد من خدمه ولا أشار وقيل إن الناس تعجّبوا على كثرتهم وشربهم الماء مُبَرَّداً في كيزان عامّة ذلك النهار فسُئل عن ذلك فيما بعدُ فقال اشترينا خمسمائة كوز وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً برَّدوا ذلك في الباذهنجات التي لهم ولا شكّ في أنه كان عالي الهمّة ممجّداً مُسَوَّداً ولكن لم يكن له دُربة والده في تنفيذ الوزارة فإنه وليها مرتين وما أنجب، وكان له انسانٌ مرتّب، معه حمامٌ كحمام البَطائق مدرّبٌ إذا خرج من باب القرافة أَطْلَقَ ما معه من الحمام فيروح إلى الدار التي له فيعلم أهله بأنه قد خرج من القلعة فيرمون الططماج والمُلوخية وغير ذلك من أنواع المطجّن وما شابهه حتى إذا جاء وجد الطعام حاصلاً والسماط ممدوداً، وقد سمع منه الشيخ شمس الدين الذهبي أيضاً وجالسَهُ وأنشده شعره، واعتكف في مأذنة عرفات

بجامع مصر ثلاثة أيام فقال السراج الورّاق [الطويل]:

ثـلاثـة أيّـامٍ قـطـعـتَ لـطـولـهـا ثـلاثَ شـديـداتٍ مـن الـسَـنـوّاتِ
حَجَبْنَ محيّا الصاحب بْنِ محمّدٍ لتجمع بين الحسن والحسنات
ومـا كـاد قـلـبـي أن يـقـرّ قـراره لأنـي بـمـصـر وهـو فـي عـرفـات

وقال السراج أيضاً لما عمّر الصاحب تاج الدين جامع دَير الطين [الطويل]:

بنيتم على تقوى من الله مسجداً وخيرُ مباني العابدين المساجدُ
واعـلـن داعـيـه الأذانَ فـبـادرت إجابته الصُمّ الجبالُ الجلامدُ
ونـالـتْ نـواقـيـسَ الـديـارات وجمةٌ وخوفٌ فلم يُمْدَدْ إليهنّ ساعدُ
تبكّىٰ عليهنّ البطاريقُ في الدُجى وهـنّ لـديـهـم مُـلـقَـيـاتٌ كـواسـدُ
بـذا قـضـتِ الأيّـامُ مـا بـين أهـلـهـا مـصـائـبُ قـوم عـنـد قـوم فـوائـدُ

البيتان الأخيران للمتنبي من قصيدته المشهورة، وأهدى إليه عسلاً مَسعُودِياً فقال [الطويل]:

من الظِرْفِ ردُّ الظَرْفِ ممتلئاً حَمْداً كما جاء في نُعماك ممتلئاً رِفْدا

منها [الطويل]:

أتـانـيَ مـسـعـودٌ بـه لـون عـرضـه بياضاً جلا من حالكِ الحال ما اسودّا
وكـنـتُ لـسيعاً من زماني وصرْفه فبدّلني من سُمّه القاتل الشهدا
فأدنَيْتُ مَنْ أبعدتُها لا قِلَىً لها ولكن من الأشياء ما يوجب البُعدا
فـإن رفـع الـداعـي يَـدَيْـهِ فـهـذه بأربعها تدعو وتستفرغ الجهدا

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة أولها [الكامل]:

أَتَـرُومُ صـبـري دُون ذاك الـريـم هـيـهـات لُـمـتْ عـلـيـه غـيـرَ مَـلُـومِ
لـو شـاهـدتْ عـيـناك مـا شـاهَـدْتُـهُ لـرجـعـتْ فـي أمـري إلـى الـتـسـلـيـمِ
مخـضـرّ آسٍ واحمـرارُ شـقـائـقٍ أنـا مـنـهـمـا فـي جـنّـةٍ ونـعـيـمِ
ومـعـاطـفٌ مـن دونهـنّ روادفٌ أنـا مـنـهـمـا فـي مُـقْـعِـد ومُـقِـيـمِ
سل طرفه عن شَعره الداجي فلم يُخبرك عن طول الدجى كسَقيمِ
يـا غُـصنَ قـامـتـه إلـيـك تـحـيّـتـي مـع كـل مـاطـرةٍ وكـل نـسـيـمِ
إنّ الـجـمـال لـه بـغـيـر مُـنـازع والـوجـد لـي فـيـه بـغـيـر قَـسـيـمِ
وكذا العُلا لمحمد بن محمد بـ ـن عـلـيّ بـن مـحـمـد بـن سـلـيـمِ
نَـسَـبٌ كـمطّـرد الـكـعـوب فـلا تـرى إلاّ كـريـمـاً يـنـتـمـي لـكـريـمِ

منها[الكامل]:

وشبيبةٍ حَرَسَ التُقَى أطرافَها فلها محلُّ الشيب في التعظيم
وإذا تحرّمت المسائل باسمه جَلّى عن التحليل والتحريم
إن قال لا يخلو فما من علّةٍ تبقى لصحّة ذلك التقسيم
أمّا إذا جارى أخاهُ أحمداً شاهدتَ بحرَيْ نائلٍ وعلومِ
بحران إن شئتَ الندى نجمان إن شئت الهُدَى غَوثان في الإقليم

وأرسل إليه ديوكاً مخصيّةً فاستبقاهنّ فأرسل إليه دجاجةً كبيرةً فقال [المتقارب]:

فدَيتَ الديوكَ بذبحٍ عظيم وأنقذتَها من عذاب أليم
فناري لهم مثلُ نارِ الخليل ونارك لي مثل نار الكليمِ
وذو العرف بالله في جنّةٍ فكن واثقاً بالأمان العظيمِ
لقد أنِسَتْ ليَ دارٌ بهم ومن قبلهم أصبحتْ كالصريمِ
مشوا كالطواويس في ملبسٍ بهيّ البرود بهيج الرقومِ
كأنّي أشاهدهم كالقضاة بسمتٍ عليهم كسَمت الحليمِ
وإلاّ أزمّة دارٍ غدت بهم حَرَماً آمناً كالحريمِ
ولا فرق بيني وبين الخصيّ فَلِمْ لا أراهم بعين الحميمِ
ونعم الفداء لهم قد بعثت من القانتات ذوات الشحومِ
أعذنَ الشبابَ إلى مطبخي وقد كان شاب لحمل الهمومِ
وعادت قدوريَ زنجيّةً فأعْجِبْ بزنجيّةٍ عند رُومي
وطال لسانٌ لناري به خصمْتُ خطوباً غدتْ من خصومي
وأمسيتُ ضيفك في منزلي ومن فيه ضيف لضيف الكريم

ثم خرج إلى المدح وأدخل الميم على ضمير الديكة وإن كانت لمن يعقل لأنه نزّلها منزلة من يعقل، وأمّا استعارة الشباب والشيب للمطبخ فمن أحسن الكنايات عن الطبخ وعدمه وقوله زنجية عند رومي ظرّف فيه إلى الغاية لأن السراج رحمه الله كان أشقر أزرق وله نظم في ذلك وهو قوله [الرجز]:

ومن رآني والحِمار مركبي وزُرقتي للروم عرقٌ قد ضَرَبْ
قال وقد أبصر وجهي مقبلاً لا فارسُ الخيلِ ولا وَجْهُ العَرَبْ

ولما قدم من غزوة حمص سنة ثمانين وستمائة امتدحه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال [بقصيدة] أوّلها [الطويل]:

تذكّرتَ سُعدَى أم أتاك خيالُها أم الريحُ قد هَبَّتْ إليك شمالُها

منها [الطويل]:

لقد أقبل الصدر الوزير محمّد ... فأقبلَتِ الدنيا وسرّ وصالُها

منها [الطويل]:

بَغى آبَغا لمّا تصرّع أهله ... بدار هوانٍ قد عراهم نكالُها

وأُلقُوا عن الأفراس حيثُ رؤوسهم ... أكاليلها فوق التراب نعالها

وكانت لها تلك الذوائب في الثرى ... شكالاً وثيقاً يومَ حُلَّ شِكالُها

فأمسَوْا فراشاً والأسِنَّةُ شُرَّعٌ ... ذُبالٌ إلى أن أحرقتهم ذبالها

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب يهجوه [المنسرح]:

يحتاج ذا التاج من يُرَصِّعُهُ ... بدِرّة تحت دالها كَسْرَة

فمن رأى عنقه الطويل ولا ... ينزل فيه يموت بالحسرة

١٤٩ ـ «ابن الجعفرية الحلي» محمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن غانم. ويتصل بزيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الحلي يعرف بابن الجعفرية، مولده سنة ست وستمائة، أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: أنشدنا المذكور لنفسه بالحِلَّةِ سابع ذي الحجة سنة سبع وثمانين وستمائة [الكامل]:

أترى يَبُلُّ غليله المشتاق ... منكم ويسكن قلبه الخَفّاقُ

وتعود أيّام الوصال كما بدت ... ويُرَى لأيّام الفراق فراقُ

يا حاجباً عن مقلتي سِنة الكَرَى ... فدموعها بجنابه إطلاقُ

لا تُنكرنّ تملُّقي لعواذلي ... فأخُو الغرامِ لِسانُهُ مذّاقُ

١٥٠ ـ «القاضي نجم الدين الطبري» محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله. القاضي نجم الدين بن جمال الدين بن محبّ الدين الطبري الآمُلي، كان فقيهاً جيّداً فيه كرم وحسن أخلاق وله نظمٌ، أنشدني الشيخ تاج الدين اليمني لنفسه قال: أنشدته سنة ست عشرة وسبعمائة وقد قدمتُ منصرفاً من دمشق قاصدَ اليَمن، قصيدة أمتَدِحه بها أوّلها [مجزوء الرجز]:

جاد عهاد المطر ... عهدَي منِى والمشعرِ

ولا عدا رُبُوعَها ... سَحُّ السحاب الممطرِ

منازلٌ كم لي بها ... من ليلِ وصلِ مقمرِ

والبين في بينونة ... بِوصلنا لم يَشعُرِ

فلما فرغت من إنشادها أنشدني بديهاً [مجزوء الرجز]:

أقسمتُ حقاً بالصفا ... يا ابن الكرامِ الغُرَر

شعرك هذا فائقٌ ... أشعارَ أهل الحضَر

مـا نـالـه حـبـيـبُـه ولا الـولـيـد الـبـحـتـري

قال وأنشدني القاضي نجم الدين المذكور قصيدة يمدح بها الملك المظفّر عند قدومه اليمن أولها [الكامل]:

إن لـم أُرَوِّ الـرَّبْـعَ مـن أجـفـانـي بـعـد الـبـعـاد دماً فـمـا أجـفـانـي

قلت وأنشدني من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة الشيخ محبّ الدين أبو عبد الله محمد بن الصائغ المغربي الأُمَوي قال أنشدني لنفسه بمكة قاضي القضاة نجم الدين الطبري [الكامل]:

أَشـبـيـهـة الـبـدر الـتـمـام إذا بـدا حُـسـنـاً ولـيـس الـبـدرُ من أشـبـاهـكِ
مـأسُـور حـبّـكِ إن يـكـن مـتـشـفّـعـاً فـإلـيـكِ في الـحـسـن الـبـديع بـجـاهـكِ
أَشْـفـى أَسـىً أعـيـى الأُسـاة دواؤه وشِـفـاه يـحـصـل بـارتـشـاف شـفـاهـكِ
فـصِـلِـيـهِ واغـتـنـمـي بـقـاءَ حـيـاتـه لا تـقـطـعـيـه جـفـاً بـحـقّ إِلـهـكِ

قال: فنظمت قصيدةً ومدحْتُهُ بها والتزمْتُ ما التزمه من الهاء قبل الكاف وستأتي في ترجمة محب الدين المذكور في المحمّدين إن شاء الله تعالى، وقال تاج الدين اليمني: توفي قاضي مكة نجم الدين الطبري سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وأخبرني الشيخ شمس الدين قال: توفي قاضي مكة ومفتيها وعالمها نجم الدين أبو حامد محمد بن محمد الطبري المكي الشافعي سنة ثلاثين وسبعمائة ومولده سنة ثمان وخمسين، سمع من عمّ جدّه يعقوب ابن أبي بكر الطبري جامعَ الترمذي وسمع من جدّه محبّ الدين ومن الفاروثي وله إجازةٌ من الحافظ أبي بكر بن مَسدِي، وأخذ عنه البِرازلي وجمال الدين الغانمي والواني وآخرين[1] وما خلَّف بمكةَ مِثْلَهُ وكان بارعاً في الفقه، وولي بعده القضاءَ ابنُهُ الإمامُ شهاب الدين أحمد. انتهى.

١٥١ ـ محمد بن محمد بن حسين ابن عبدك. الأذربيجاني الصوفي نزيل القدس، سَمع من ابن المقير وابن رواحة وابن رَواج والسخاوي وابن قميرة وطبقتهم بالشام ومصر والعراق والحجاز، قال الشيخ شمس الدين: وخرّج لنفسه معجماً فيه أوهام وأربعين بلدانية تكرّر من شيوخها حدّث عنه ابن الخبّاز وابن العطّار، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

١٥٢ ـ «الكنجي» محمد بن محمد بن أبي بكر. عبد الرحمن الكنجي الدمشقي، سمع كثيراً ونسخ وكتب الطباق وعلّق أشياء جيّدة واقتنى كتباً مليحة وأصولاً وله عمل قليل في هذا الفنّ وهو قانعٌ متعفّف لا بأس به إن شاء الله تعالى، سمع من ابن القواس وطبقته قال الشيخ شمس الدين: وسمع قبلنا من الشيخ تاج الدين، مولده سنة خمس وسبعين وليس عندي منه وسمعنا من أبيه، توفي في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ونسبَهُ إلى خفّةٍ وعدم رزَانةٍ.

---

١٥٠ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٩٤ ـ ٩٥).

١٥٣ ـ «ابن رشيق قاضي الإسكندرية» محمد بن محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق. القاضي الإمام المفتي زين الدين أبو القاسم ابن الإمام علم الدين المصري المالكي قاضي الإسكندرية، بقي بها اثنتي عشرة سنة ثم عُزل وقد عيّنه القاضي بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق وكان شيخاً وقوراً ديّناً معمَّراً فقيهاً، روى [مع] الجماعة عن أبي الحسن بن الجُميزي، وتوفي سنة عشرين وسبعمائة.

١٥٤ ـ «ابن الصيرفي المحدث» محمد بن محمد بن علي. الفقيه المحدّث مجد الدين الأنصاري الدمشقي، ابن الصيرفي الشافعي سبط المحتسب ابن الحبوبي، كان شاباً متواضعاً فاضلاً ساكناً، نسخ للناس ولنفسه وعمل المُعجم جلس مع الشهود، وحدّث عن محمد بن النشبي والتقيّ بن أبي اليُسر وأحمد بن أبي الخير وابن مالك وابن البخاري وحضر المدارس، مولده سنة إحدى وستين وتوفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، وعاش أبوه بعده نحو عشر سنين ولمجد الدين نظم.

١٥٥ ـ «ابن حريث» محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم بن حُرَيثٍ. القُرَشي العَبدري البلَنسي ثم السبتي المالكي المقرىء، ولد سنة إحدى وأربعين وحدّث بالموطّأ عن أبي الحسين بن أبي الربيع عن ابن بقي وتفنّن في العلوم والقراءات والعربية وَوَلِيَ خطابة سبته مُدَّةَ، وأقرأ الفقه مدّة ثلاثين عاماً ثم تزهّد ووقف كتبه بألف دينار وعقاره وحجّ وجاور بالحرمين سبع سنين، وحدّث بمكة، ومات بها سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

١٥٦ ـ «ابن دمرداش الشاعر» محمد بن محمد بن محمود بن دمرداش. الدمشقي شهاب الدين أبو عبد الله كان في أول حاله جندياً وخدم بحماة وصحب صاحبها الملك المنصور ثم أبطل ذلك ولبس زيّ العدول وجلس في مركز الرواحية بدمشق رأيته بها سنة ثمان عشرة وأظنّه كان مخلاً من إحدى عينيه، أنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه قال: أنشدني ظهير الدين البارزي قال أنشدني شهاب الدين المذكور لنفسه [الطويل]:

أقول لمسواكِ الحبيبِ لكَ الهنا ... برشفٍ[1] فم ما ناله ثغرُ عاشقِ
فقال وفي أحشائه حرقة النوى[2] ... مقالةَ صبٍّ للديار مُفارقِ
تذكّرتُ أوطاني فقلبي كما ترى ... أعلّله بين العُذَيْبِ وبَارقِ

قلت ما أحلى قول محيي الدين بن قرناص الحموي [الطويل]:

سألتك يا عودَ الأراكةِ إن تَعُد ... إلى ثغر من أهوى فقبّله مُشفقا
ورِدْ من ثنيات العُذَيب مُنَيْهلاً ... تسلسل ما بين الأُبيرق والنقا

---

(١) صوابه: وآخرون.

١٥١ ـ «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٥٩)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢١٠ ـ ٢١١).

١٥٤ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٥٨).

وقول [الوافر]:

وعـودِ أراكـةٍ يجـلـو الـثـنـايـا ... مـن الـبـيـض الـدُمَى جَلْيَ الـمـرايـا
يـقـول مُـسـاجِـل الأغـصـان فـخـراً ... أنـا ابـن جـلا وطـلاّع الـثـنـايـا

وأنشدني الشيخ أثير الدين بالسند المذكور له أيضاً [الطويل]:

ولـمـا ٱلـتـقـينا بعد بَيْنٍ وفي الحشا ... لـواعـجُ شـوقٍ فـي الـفـؤاد تُـخَـيِّـمُ
أراد اخـتـبـاري بـالـحـديـث فـمـا رأى ... سـوى نـظـرٍ فـيـه الـجَـوَى يـتـكـلَّـمُ

وأنشدني من لفظه القاضي الإمام شهاب الدين أحمد بن فضل الله قال: أنشدني المذكور لنفسه [الكامل]:

ومهفهفِ الأعطاف معسول اللُمّى ... كـالـغـصـنِ يـعـطـفـه الـنـسـيـم إذا سرى
قـال اسـقـنـي فـأتـيـتـه بـزجـاجـة ... مُـلـئـت قَـراحـاً وهـو لاهٍ لا يـرى
وتـأرّجـتْ بـرضـابـه وأمـدَّهـا ... مـن نـار وجـنـتـه شـعـاعـاً أحـمـرا
ثـم ٱنـثـنـى ثَـمِـلاً وقـد أسـكـرتُـه ... بـرضـابـه وبـوجـنـتـيـه ومـا درى

وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلاّمة نجم الدين القحفازي الحنفي النحوي قال: أنشدني المذكور لنفسه [الخفيف]:

قـال لـي سـاحِـرُ الـلـواحـظِ صِـف لـي ... هَـيَـفـي قـلـتُ يـا رشـيـقَ الـقـوامِ
لـك قَـدٌّ لـولا جـوارح جـفـنـيـ ... ـك تـغـنّـت عـلـيـه وُرْقُ الـحـمـامِ

وله ـ وهو مما نقلته من خطّه وكان يكتب مليحاً إلى الغاية ـ [الكامل]:

حـتّـامَ لا تَـصِـل الـمـدامَ وقـد أَتَـتْ ... لـك فـي الـنـسـيـم مـن الـحـبـيـب وُعُـودُ
والـنـهـر مـن طَـرَبٍ يـصـفّـق فـرحـةً ... والـغـصـن يـرقـص والـريـاض تـمـيـدُ

ونقلت من خطّه له وهو غاية [الكامل]:

قـد صـنـتُ سـرّ هـواكُـم ضَـنّـاً بـه ... إنّ الـمـتـيَّـم بـالـهـوى لـضَـنـيـنُ
فـوشَـتْ بـه عـيـني ولـم أَكُ عـالـمـاً ... مـن قـبـلـهـا أن الـوُشـاةَ عـيـونُ

ونقلت منه له [الطويل]:

روى دمعَ عيني عن غرامي فأشكلا ... ولـكـنّـه ورّى الـحـديـث فـأشـكـلا

١٥٥ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٥٨).

١٥٦ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٥٩).

(١) في «شذرات الذهب» (٦/ ٥٩): بلثم.

(٢) في المصدر السابق: الجوى.

وأسنده عن واقديّ أضالعي فأضحى صحيحاً بالغرام معلَّلا

ونقلت منه له [الكامل]:

وافَى النسيمُ وقد تحمّل منكُم لطفاً يُقَصِّرُ فهمه عن علمه
وشكى السقام وما درى ما قد حوى وأنا أحقّ من الرسول بسُقمه

ونقلت منه له [الكامل]:

إن طال ليلي بعدكم فلطوله عذرٌ وذاك لما أُقاسي منكُم
لم تسْرِ فيه نجومه لكنها وقفت لتسمعَ ما أُحَدِّثُ عنكُم

ونقلت منه له [الكامل]:

عجباً لمشغوفٍ يفوه بمدحكم ما ذا يقول وما عساه يمدحُ
والكَونُ إمّا صامتٌ فمعظِّمٌ حُرماتِكم أو ناطق فمُسبِّح

ونقلت منه له وهو مليح [المنسرح]:

مَنْ لأسيرٍ أمسَتْ قرينته في الدوح عن حاله تُسائله
فهو يغنّي مبدًا الحزين لها وهي بأوراقها تُراسِله

ونقلت منه له [البسيط]:

حتى إذا رقّ جلباب الدُجَى وسَرتْ من تحت أذياله مسكية النَفَسِ
تبسّم الصبح إعجاباً بخلوتنا ووصْلِنا الطاهر الخالي من الدَنَسِ

ونقلت منه له وأجاد [السريع]:

بالروح أفدي منطقيّاً علا برتبة النحو على نَشوهِ
منطقه العذب الشهيّ الذي قد جذب القلب إلى نحوهِ

ونقلت منه له وهو في الغاية [الطويل]:

جِيادُك يا من طبّقَ الأرضَ عَدلُه وحاز بأعلى الحدّ أعلى المناصب
إذا سابقتْها في المَهامِهِ غرّةً رياحُ الصبا عادت لها كالجنائب
ولو لم تكن في ظهرها كعبة المُنَى لما شُبّهَتْ آثارُها بالمحَارِبِ

ونقلت منه له وأحسنَ [الكامل]:

يا سيّدي أوحَشْتَ قوماً ما لهم عن حُسن منظرك الجميل بديلُ
وتعلّلَتْ شمس النهار فما لها من بَعدِ بُعدِكَ بُكرةٌ وأَصيلُ
وبكى السحابُ مُساعِداً لتفجّعي من طول هجرك والنسيمُ عليلُ

ومن شعره وأجاد [الكامل]:

أُنظر إلى الأشجار تلقَ رؤوسها شابَتْ وطفلُ ثمارِها ما أدْرَكا
وعَبيرُها قد ضاع من أكمامِها وغدا بأذيالِ الصبا مُتمسِّكاً

وله ـ وهو في غاية الحسن ـ [الطويل]:

ولمّا أشارَتْ بالبنانِ ووَدَّعَتْ وقد أظهرَتْ للكاشحين تشهُّدا
طَفِقنا نَبُوسُ الأرضَ نُوهِمُ أنّنا نُصلّي الضُحى خوفاً عليها من العِدَى

وله أيضاً [الكامل]:

ما أبطأَتْ أخبارُ من أَحْبَبْتُهُ عن مَسمعي بقدومه ورجوعِه
إلاّ جرى قلَمي إليه حافياً وشكا إليه تشوّقي بدموعِه

ومما نقلته من خطّه له [الطويل]:

يقولون شبّهتَ الغزالَ بأهيَفٍ وهذا دليلٌ في المحبّةِ واضحُ
ولو لم يكن لحظُ الغزالِ كلحظِهِ اخـ ـوِراراً لما تاقَتْ إليه الجوارِحُ

سبقَهُ إلى هذا شمس الدين محمد بن دانيال فقال [المجتث]:

بي من أميرِ شكارِ وَجْدٌ يُذيبُ الجَوانح
لما حكى الظبيَ جيداً حَنَّتْ إليه الجوارح

ونقلت منه له [الطويل]:

يقول لي الدولابُ راضِ حبيبَك الـ ـمَلُولَ بما يهوى من الخير والنفعِ
فإنّيَ من عودٍ خُلِقتُ وها أنا إذا مالَ عني الغصن أسقيه من دَمعي

وأُنشدت له دوبيت [الدوبيت]:

الصبُّ بك المتعوب والمعتوبُ والقلب بك الملسوب والمسلوب
يا من طلبَتْ لحاظُهُ سفكَ دمي مهلاً ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ

قيل إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل كان يقول ودِدتُ لو كان يأخذ مني كل شعري ويعطيني هذين البيتين، وتوفي ابن دمرداش سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ولهذه المقاطيع التي أوردتها له عندي نظائر وأشباه ما أوردتها خوفاً من الإطالة.

١٥٧ ـ «الوزير ابن سهل» محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل. الوزير العالم الزاهد ابن الوزير الأزدي الغرناطي، ولد سنة اثنتين وستين ومات أبوه سنة سبعي،ن وجَدُّهُ سنة سبع وثلاثين [وستمائة]، وحجّ سنة سبع وثمانين ورجع ثم إنه قدم سنة عشرين وسبعمائة وحجّ وجاور سنتين، وسمع من ابن الرضيّ الطبريّ ثم قدم دمشق وقرأ الصحيح[1] على الحجّار وصحيح مسلم على ابن العسقلاني وقرأ بالسبع في صغره على ابن بشر وابن أبي الأحوص وابن الزبير، وبرع في معرفة الأسطرلاب، وكان وافر الجلالة ببلده يرجعون إلى رأيه فيمن يولي المملكة ويلقّبونه الوزير،

وفيه ورع وله فضائل، أخذ عنه قطب الدين عبد الكريم وكان شيخاً وقوراً لا يتعمّم ويتطيلَسُ على طاقيةٍ، رأيته عند الشيخ أثير الدين وأخبرني هو وغيره عنه أنه يتصدق سِرّاً من ماله الذي يُحمل إليه من أملاكه بالغرب وعرفه الناس وصاروا يقصدونه فإذا طلب منه أحدٌ شيئاً أنكر ذلك وقال له ليس ما قيل لك صحيحاً ثم يتركه بعد يوم أو أكثر ويأتي إليه وهو غافل ويُلقي في حِجْره كاغداً فيه ذهبٌ ويمرّ ولا يقف له ويتصدق من الستين ديناراً فما دونها، توفي رحمه الله سنة ثلاثين وسبعمائة، واستنسخ البحر المحيط تفسير الشيخ أثير الدين وشرح التسهيل له وغير ذلك وجهّزُه إلى الغرب وقال الشيخ الإمام تاج الدين أحمد بن مكتوم النحوي يرثيه [المجتث]:

مات ابن سهل فماتت ... من بعده المكرُمات

ولم يخلّف مثيلاً ... أمثاله الصيدُ ماتُوا

١٥٨ ـ «البرزالي الحنبلي» محمد بن محمد بن محمود بن قاسم. الإمام ذو الفنون الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ابن الإمام أبي الفضل العراقي الحنبلي مدرّس المستنصرية بعد الذريراني، ولد في شوال سنة إحدى وثمانين كان بصيراً بالمذهب والعربية ورَأَسَ في الطبّ، سافر إلى الهند ورجع وصنّف في الطبّ ما يستعمله الإنسان وله سطوة وشهامة، وسمع من أبي القاسم والعماد ابن الطبال وكتب في الإجازات وساد وتقدم، وله نظم ولما توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة دفن عند والده بمقبرة الإمام أحمد.

١٥٩ ـ «ابن الحاج الفاسي المصري» محمد بن محمد. الشيخ أبو عبد الله العَبدري الفاسي المصري المالكي ابن الحاجّ مؤلّف «كتاب البدع» توفي عن بضع وثمانين سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

١٦٠ ـ «ابن العفيف الكاتب» محمد بن محمد بن الحسن. الشيخ الإمام الفاضل الكاتب المجوّد المحرِّر شيخِ الديار المصرية، كان صالحاً خيّراً فاضلاً، له شعر وخطب وله حظ من النحو قرأ العربية على بهاء الدين بن النحّاس وكان شيخ خانقاه آقبغا عبد الواحد بالقرافة وكان تالياً لكتاب الله تعالى، توفي رحمه الله تعالى في ثالث ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة.

١٦١ ـ «الشيخ ركن الدين بن القويع» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف التونسي. الشيخ الإمام العلاّمة المحقّق البارع المتقن المفنّن جامع أشتات الفضائل ركن الدين أبو عبد الله الجعفري المالكي التونسي، لم أرَ له نظيراً في مجموعه وإتقانه وتفنّنه واستحضاره واطّلاعه، كل ما يعرفه يجيد فيه من أصول وحديث وفقه وأدب ولغة ونحو وعروض وأسماء رجال وتاريخ وشعر يحفظه للعرب والمولّدين والمتأخرين وطبّ وحكمة ومعرفة الخطوط خصوصاً خطوط المغاربة قد مهر في ذلك وبرع وإذا تحدث في شيء من ذلك كله تكلم على دقائق ذلك الفنّ وغوامضه ونُكَتِهِ حتى يقول القائل إنما أفنى عمره هذا في هذا الفنّ، قال لي العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السُّبكي الشافعي وهو ما هو: ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين أو كما

(١) أي «صحيح البخاري».

قال وقد رأى جماعةً ما أتى الزمان لهم بنظير بعدهم مثل الشيخ.......[١] وغير هؤلاء، أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال: قدم إلى الديار المصرية وهو شابٌ فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين بن النحّاس حاضر وكان مع المنادي ديوان ابن هانىء المغربي فأخذه الشيخ ركن الدين وأخذ يترنّم بقول ابن هانىء [الكامل]:

فتكاتُ لحظكِ أم سيوفَ أبيكِ وكؤوسَ خمركِ أم مراشفَ فيكِ

وكَسَرَ التاءَ وفتح الفاءَ والسين والفاءَ فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مولى ذا نصبٌ كثيرٌ فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدّة المعروفة منه والنفرة: أنا ما أعرفُ الذي تريده أنتَ، مِنْ رفع هذه الأشياء؟ على أنها أخبارٌ لمبتدآت مقدَّرة أي أهذه فتكات لحظك أم كذا أم كذا وأنا الذي أقولُه أغزَلُ وأمدح وتقديره أأُقاسي فتكات لحظك أم أقاسي سيوفَ أبيك وأرشفُ كؤوسَ خمرك أم مراشفَ فيكِ فأخجل الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مَولى فلأيّ شيء ما تتصدّر وتشغل الناس فقال استخفافاً بالنحو واحتقاراً له وأيش النحو في الدنيا أو كما قال، وأخبرني أيضاً قال: كنت أنا وشمس الدين بن الأكفاني نأخذ عليه في المباحث المشرقية فأبيتُ ليلتي أفكّر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه وأُجهد قريحتي وأُعمل تعقّلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأن المراد به هذا فإذا تكلم الشيخ ركن الدين كنتُ أنا في وادٍ في بارحتي وهو في وادٍ أو كما قال: وأخبرني تاج الدين المراكشي قال قال لي الشيخ ركن الدين لما أوقفني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على السيرة التي عملها علَّمْتُ فيها على مائة وأربعين موضعاً أو مائة وعشرين - السَهْوُ مني - أو كما قال ولقد رأيته مرّاتٍ يواقف الشيخ فتح الدين في أسماء رجال ويكشف عليها فيظهر معه الصواب، وكنتُ يوماً أنا وهو عند الشيخ فتح الدين فقال: قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة عمل ابن الخطيب أصوّلا في الدين، الأصول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] إلى آخرها فنفر الشيخ ركن الدين وقال: قل له يا عُرَّة عمل الناس وصنّفوا وما أفكروا فيك ونهض قائماً وولّى مغضباً، وأخبرني الشيخ فتح الدين قال: جاء إليه إنسانٌ يصحّح عليه في «أمالي القالي» فأخذ الشيخ ركن الدين يسابقه إلى ألفاظ الكتاب فبُهِتَ ذلك الرجلُ فقال له لي عشرون سنة ما كرّرتُ عليها، وكان إذا أنشده أحدٌ شيئاً في أيّ معنى كان أنشد فيه جملةً للمتقدمين والمتأخّرين كأنّ الجميعَ كان البارحةَ يكرّر عليه، وتولّى نيابة الحكم للقاضي المالكي بالقاهرة مُدَّةً ثم تركها تديّناً منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة وكان سيرته فيها حسنة

---

١٥٩ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢٣٧)، و«الديباج» لابن فرحون (٣٢٧ - ٣٢٨)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١١٦١ - ١٤٠١ - ١٦٤٣)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٤٩)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٦٤)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ٥٧)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٣٣).

١٦١ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ١٨١ - ١٨٤)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٢٦ - ٢٢٨)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٦٤)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٥٢٧)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٣٣).

(١) بياض في الأصل.

لم يسمع عنه أنه ارتشى في حكم ولا حابى، وكان يدرِّس في المدرسة المنكتمرية بالقاهرة ويدرّس الطب بالبيمارستان المنصوري وينام أول الليل ثم يستفيق وقد أخذ راحةً ويتناول كتاب الشفاء لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخلّ بذلك، قال الشيخ فتح الدين قلتُ له يوماً يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب فقال إنما أريد أن أهتدي وكان فيه سَأَمٌ وملَلٌ وضجَرٌ حتى في لعب الشطرنج يكون في وسط الدست وقد نفضه وقطع لذّة صاحبه ويقول سئمتُ سئمتُ وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرّر لك المسألةَ وكادت تَنضجُ فيترك الكلام ويمضي، وكان حسنَ التودُّدِ يتردد إلى الناس ويهنّئهم بالشهور والمواسم من غير حاجة إلى أحدٍ لأنه كان معه مالٌ له صورةٌ ما يقارب الخمسين ألف درهم وكان يتصدق سرّاً على أناس مخصوصين، ولُثغته بالراء قبيحة يجعلها همزةً، وكان إذا رأى أحداً يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره ويقول ليش تفعل ذا أما هو شريكك في الحيوانية، وكان خطّه على وضع المغاربة وليس بحسن، وسمع بدمشق سنة إحدى وتسعين وستمائة على المُسنِد تقي الدين بن الواسطي واستجزتُه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة باستدعاءٍ فيه نثرٌ ونظمٌ فأجاب وأجاز وأجاد بنثر ونظم أنشدني لنفسه إجازةً ومن خطّه نقلتُ [الطويل]:

جوىً يتلظّى في الفؤاد استِعارُهُ ... ودمعٌ هَتُونٌ لا يكُفّ انهمارُهُ
يحاول هذا بَردَ ذاك بصوبه ... وليس بماء العين تُطفأُ نارُهُ
ولُوعاً بمن حاز الجمالَ بأسره ... فحاز الفؤادَ المستهامَ إسارُهُ
كلِفت به بدريَّ ما فوقَ طوقه ... ودِغصِيَّ ما يُثْنَىٰ عليه إزارُهُ
غزالٌ له صدري كِناس ومَرتع ... ومن حبّ قلبي شِيحُه وعرارُهُ
من السُمر يُبدي عُذمِيَ الصبر خدّه ... إذا ما بدا ياقوته ونُضارُهُ
جرى سابحاً ماء الشباب بروضه ... فأزهر فيه وَردُه وبَهارُهُ
يشُبُّ ضراماً في حَشايَ نعيمُه ... فيبدو بأنفاسي الصِعاد شَرارُهُ
وينثر دمعي منه نظمٌ مُؤَشَّرٌ ... كنَورِ الأقاحي حَفَّهُ جُلّنارُهُ
يُعَلُّ بعذبٍ من بَرُود رُضابِهِ ... تَفاوحَ فيه مسكه وعُقارُهُ
ويُسهر أجفاني بوسنان أدعج ... يحيّر فكري غُنجُه واحورارُهُ
حكانِيَ ضعفاً أو حكى منه موْثِقاً ... وخصراً نحيلاً غالَ صبري اختصارُهُ
مُعنّىً بردْفٍ لا ينُوءُ بثقله ... فيا شَدَّ ما يَلقى من الجار جارُهُ
على أنّ ذا مُثْرٍ وذلك مُعْسِرٌ ... ومن محنتي إعساره ويَسَارُهُ
تألّف من هذا وذا غصنُ بانةٍ ... توافت به أزهاره وثماره
تجمّع فيه كلُّ حسنٍ مفرّقٍ ... فصار له قطباً عليه مداره

زُلالٌ ولكن أين مني وروده ولَدنٌ ولكن أين مني اهتصاره
وسَلْسالُ راحٍ صُدَّ عَنّيَ كأسُهُ وغُودِرَ عندي سكره وخماره
وبدر تمام مشرقُ الضوء باهرٌ لأفْقِيَ منه مَحْقُه وسِراره
دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدةٍ ولكنّ بعداً صدُّه ونِفاره
وحين درى أن شدّ أسْرِيَ حُبُّهُ أحلَّ بِيَ البلْوَى وساء اقتداره

منها [الطويل]:

حكت ليلتي من فقدِيَ النوم يومَها كما قد حكى ليلي ظلاماً نهاره
كتمتُ الهوى لكن بدمعي وزفرتي وسُقمي تساوى سرُّه وجهاره
ثلاث سجلاّت عليّ بأنني إمام غرام قُلْ فكيف استتاره
أورّي بنظمي في العِذار وتارةً بمن إن تغنّى القُرط أصْغَىٰ سِواره
وجَلَّ الذي أهوى عن الحَلْي زينةً ولمّا يقاربْ أن يدبّ عذاره
أراحةَ نفسي كيف صِرتِ عذابَها وجنّة قلبي كيف منك استعاره

ونقلت منه من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد [الوافر]:

ولو غَيْرُ الزمان يكونُ قَرني لَلاقَى الحتفَ من ليثٍ جَرِيّ
تحاماه الكُماةُ إذا ٱدلَهمّت دُجى الهَبَواتِ في ضَنْكٍ حَمِيٍّ
وطبّقتِ الفضاءَ فلا ضياءٌ سوى لمعانِ أبيضَ مَشْرَفِيٍّ
وأرمدتِ العيونَ وكلّ طرفٍ عمٍ إلاّ لأسمر سَمهرِيٍّ
بحيثُ عُبابُ بحرِ الموت يرمي بموجٍ من بنات الأعْوَجِيّ
عليها كلّ أرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ يُغالِبُ كلُّ أغلبَ شَمَّرِيٍّ
تَراه يَرى الظُبَى ثغراً شَنيباً من الإفرندِ في ظَلْمٍ شَهِيٍّ
ويعتقدُ الرماحَ قُدودَ هيفٍ فيمتَحُها معانقةَ الهَدِيٍّ
هناك ترى الفتى القرشيَّ يحمي حُماةَ المجد والحَسَبِ السَنِيٍّ
وتعلمُ أنّ أصلاً هاشميّاً تفرَّعَ بالنُضار الجعفريّ
ولو أنّ الجعافرة استبدَّت به يُمنىٰ الهُمام القَوْبَعِيّ

منها في المديح [الوافر]:

إلى صدر الأئمّة باتّفاقٍ وقدوة كلّ حَبْرٍ ألمعيّ
ومن بالاجتهاد غدا فريداً وحاز الفضلَ بالقِدْح العَلِيّ
وما هو والقِداحُ وتلك بختٌ وهذا نَالَ بالسعي الرضِيّ

صبا للعلم صبّاً في صِباهُ فأعلِ بهمّةِ الصبّ الصبيّ
فأتقن والشباب له لباسٌ أدلّةَ مالكٍ والشافِعِيّ

منها [الوافر]:

ونور جلالِهِ يرتدُّ عنه رسولُ الطرف بالحسن الحَيِيّ
ومَن كَثُرَتْ صلاةُ الليل منه سيَحسنُ وجهه قولُ النبيّ

منها [الوافر]:

بعدلٍ عمَّ أصنافَ البرايا تساوى فيه دانٍ بالقصيّ
ضممتَ نداً وجوداً حاتميّاً إلى رأيٍ وحلمٍ أحنفيّ
لديك دَعائمُ المجدِ استقرّت فحطّ بنو الرضا مُلقى العُصيّ
بحيث طَوامحُ الآمال مهما رَمَتْ لم تُخطِ شاكلة الرميّ
أيا قمرَ الفهوم إذا ادلَهَمَّتْ دُجى الإشكال في غوصٍ خفيّ
وسحبانَ المقالة حين يُلْفى بليغ القومِ كالفَةِّ العَيِيّ
لكَم أبديت من معنىً بديعٍ يَروق بحُلّة اللفظ البهيّ
فأقسم ما الرياض حنا عليها مُلِثُّ الوَدْقِ هطّال الحبيّ
فألبسها المزخرفَ والموشّى حَيا الوسميّ منه أوِ الوَلِيّ
وأضحك نبتها ثغرَ الأقاحي فما نظمُ الجمان اللؤلؤيّ
وعطّرَ جوَّها بشذا أريجٍ من المسك الفتيق التُبَّتِيّ
فلاحت كالخرائد يزدهيها حُليُّ الحُسْنِ أو حُسْنُ الحُلِيّ
بأبهج من كلامك حين تُفتي سؤالاً بالبَديهِ أو الرَّوِيّ

وكتبت له استدعاء بإجازةٍ منه لي نسخته: المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلاّمة الكامل جامع شتات الفضائل وارث علوم الأوائل حجّة المناظرين سيف المتكلمين [الكامل]:

سَبّاق غايات الورى في بحثه فالبرق يسري في السحاب بِحَثّهِ
ويهبّ منه بالصواب صباً لها بَردٌ على الأكباد ساعةَ نفثه
ويَضوع من تلك المباحث ما يُرى أشهى من المسك السحيق وبثّه

المتكلم الذي ذهلت بصائر أولي المنطق نحوه، وأنتجت مقدّماته المطلوب عَنْوَةً، ووقف السيف عند حدّه فما للآمديّ في مداه خطوة، وحاز رتب النهاية فما لأبي المعالي بعدها حَظوة، فهو الزاري على الرازي لأن قطب علومه من مصره، ومحصوله ذهب قبل دخول أوانه وعصره، والفقيه الذي رفع لصاحب «الموطّأ» أعلامَ مذهبه مُذْهَبَةً فمالكٌ عنه رضوان، وأسفر وجوه اختياره خاليةً من

كلَف التكلّف حاليةً بالدليل والبرهان، وأبرزها في حلاوة عبارته فهو جَلاّبُ الجُلاّب، وأظهر الأدلّة من مكامن أماكنها وطالما جمحت تلك الأوابد على الطُلاّب، والنحويّ الذي تركَتْ لُمَعُه الخليلَ أخفش، وأغْرَتِ الكسائيَّ ثوبَ فخره الذي بَهَر به سيبويه وأدهش، فأبعد ابن عصفور حتى طار عن مُقَرَّبه، وأمات ابن يعيش لما أخلق مُذهب مَذهبه، والأديب الذي هو روضٌ جمع زهر الآداب، وحَبْرٌ قلّد العِقد أجيادَ فنّه الذي هو لُبّ الألباب، وكاملٌ أخذ كتّابُ الأدب عنه أدبَ الكتّاب، فإذا نظم قلتَ هذه الدراريّ في أبراجها تتّسق، أو خِلتَ الدُررَ تتنضَّدُ في ازدواجها وتنتسق، أو نثرَ فالزهر يتطلّع من كمامه غِبَّ غَمامِه، وألفات غصون تُرنّحُ معاطفها لحمائم همزه التي هي كهمز حمامه، والطبيب الذي تحلّى منه بقراطُ بأقراط، وسقط عن درجته سُقراط، فالفارابيّ ألفاه رابياً، وابن مسكويه أمسك عنه محاشِياً لا محابياً، وابن سينا انطبق قانونه على جميع جزئياته وكلياته، وطلب الشفاءَ والنجاة من إشاراته وتنبيهاته، فلو عالج نسيم الصبا لما اعتلّ في سَحَرِه، أو الجَفنَ المريضَ لزانَهُ وزادَ من حَورِه، ركن الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري المالكي [السريع]:

لا زال روضُ العلم من فضله ... في كلّ وقت طيّبَ النَشْرِ

وكل ما يُبدعه للورى ... تطويه في الأحشاء للنَشْرِ

وتزدهي الدنيا بما حازَهُ ... حتّى تُرَى دائمةَ البِشْرِ

إجازةُ كاتب هذه الأحرف ما له من مقول منظوم أو منثور وضع أو تأليف، جمع أو تصنيف، إلى غير ذلك على اختلاف الأوضاع، وتباين الأجناس والأنواع، وذكرتُ أشياء مذكورةً في الاستدعاء.

فأجاب بخطّه رحمه الله تعالى: يقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه، وعفوه عما تعاظم من ذنبه، محمد بن محمد بن عبد الرحمن القرشي الجعفري المعروف بابن القويع، بعد حمد الله ذي المجد والسناء، والعظمة والكبرياء، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، خالق الأرض والسماء، وجاعل الإصباح والإمساء، والشكر له على ما مَنَّ به من تضاعف الآلاء، وترادف النعماء، نحمده ونذكره، ونعبده ونشكره، لتفرّده باستحقاق ذلك، وتوفّر ما يستغرق الحمد والشكر هنالك، مع ما خَصَّنا به من العلم، وأضاء به بضيائها من نور الفهم، ونصلّي على نبيّه محمد سيّد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من كل فضل بعظم الحظّ ووفور القسم، أَجَزْتُ لفلان وذكرني [الكامل]:

جَمّاع أَشْتات الفضائل والذي ... سبَقَ السِراعَ بِبُطئِه وبِمُكْثِهِ

فكأنّهم يتعثّرون بجدولٍ ... ويسير في سَهل الطريق وبَرْثِهِ

أَذْرَىٰ بسُحبِ بيانهم في هَطلِها ... فيما يبين بِطَلّهِ وَبِدَثِّهِ

جميعَ ما يجوز لي أن أرويه مما رويته من أصناف المرويّات أو قلته نظماً أو نثراً أو اخترعته من مسألة علميّة مفتتحاً، أو اخترته من أقوال العلماء واستنبطتُ الدليلَ عليه مرجّحاً، مما لم أصنعه في تصنيف، ولا أجمعه في تأليف، على شرط ذلك عند أهل الأثر [السريع]:

وفّقه الله لما يرتضي ... في القول والفعل وما يدري

وزاده فـضـلاً إلـى فـضـلـه بـمـا بـه يـأمَـنُ فـي الـحـشـرِ
فـهـذه الـدار بـمـا تـحـتـوي دارُ أذىً مـلأى مـن الـشـرّ
دَلَّـت بـنـيـهـا بـغـرورٍ فـهُـمْ فـي عَـمَـهٍ عـنـه وفـي سُـكْـرِ
قـد خـدعَـتْـهـم بـزخـاريـفـهـا مُـعـقـبـةً لـلـغـدر بـالـغَـدرِ
تُـريـهـمُ بِـشـراً ويـا ويـحـهـم كـم تـحـت ذاك الـبِـشـر مـن مـكـرِ
بـينا تـرى مـبـتـهـجـاً نـاعـمـاً ذا فـرحٍ بـالـنـهْـيِ والأمـرِ
آمـنَ مـا كـان وأقـصـى مُـنـى فـاجـأه قـاصـمـةُ الـظـهـرِ
فـعَـدِّ عـنـهـا وٱشـتـغـل بـالـذي يُـولـيـكَ خـيـراً آخـرَ الـدهـرِ
فـإنّـمـا الـخـيـرُ خـصـيـصٌ بـمـا تـلـقـاه بـعـد الـمـوت والـنـشـرِ
هـذا إذا مَـنَّ الـذي تـرتـجـي رُحـمـاه بـالـصَّـفـح وبـالـغـفـرِ
وزاد رضـوانـاً فـهـذا الـذي يُـدْعَـى بـه لأطـولِ الـعـمـرِ

ويؤيّد هذا ما أخبَرناه الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع المسنِد تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الواسطي قراءةً عليه ونحن نسمع بدمشق في شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة قيل له أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءةً عليه بدمشق وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام البغدادي قراءةً عليه ببغداذ قالا أنا الحاجب أبو منصور أنوشتكين بن عبد الله الرضواني قراءةً عليه أنا أبو القاسم علي بن أحمد البُسري ح، وأنا ابن ملاعب وأبو علي الحسن بن إسحاق بن الجَواليقي ببغداذ قالا أنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الزاغوني أنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينَبي قالا أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص الذهبي ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا خلف بن هشام البزّاز سنة ست وعشرين ومائتين ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد قال قال النبي ﷺ ونحن نحفُر الخندق وننقل التراب على أكتافنا «اللهمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَة»[١] مختصر، وهذا الحديث من أعلى ما أرويه، ونسأل الله حالاً يرضاها ورضاها إنه سميع الدعاء، فعّال لما يشاء، وله الحمد والمنّة كتبه محمد بن القوبع ليلة التاسع والعشرين من رجب سنة ذلح.

وتوفي الشيخ ركن الدين المذكور بالقاهرة في تاسع ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، اعتلّ يومين ومضى إلى رحمة ربّه الرحيم ومولده سنة أربع وستين بتونس، له من التصانيف التي دوّنها «تفسير سورة ق» في مجلدة، ولما تولى الإعادة في المدرسة الناصرية عمل درساً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ [آل عمران: ٩٦] وعلّق ما أملاه في ذلك، وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع قرأ النحو على يحيى بن الفرج بن زيتون والأصولغ على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس وقدم مصر عام تسعين وسمع بدمشق من ابن الواسطي وابن القواس وبحماة من المحدث ابن مُزَيز.

١٦٢ ـ «كمال الدين بن دقيق العيد» محمد بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع. كمال الدين بن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري وسيأتي والده وذكر جدّه وذكر لخؤته وذكر عميّه كل واحد منهم في مكانه من هذا الكتاب، كان يحفظ القرآن ويتلوه كثيراً وكرّر على مختصر مسلم للمُنذِري وربما قيل إنه حفظه وسمع من المُنذِري ومن النجيب عبد اللطيف والعزّ الحرّانيين وجماعة، قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي وأُخبرتُ أنه كرّر على الوجيز وجلس بالورّاقين بالقاهرة ودرّس بالمدرسة النجيبية بقوص إلا أنه خالط أهل السَفَهِ والخلطةُ لها تأثير فخرج عن حدّه، وترك طريق أبيه وجدّه، ولما ولي أبوه القضاء أقامه من السوق، وألحقه بأهل الفسوق، قال هكذا أخبرني جماعةٌ من أهله وغيرهم وكان قويّ النفس بلغني أن وكيل بيت المال مجد الدين عيسى بن الخشّاب رسم للشهود أن لا يكتبوا شيئاً يتعلّق ببيت المال إلاّ بإذنه فجاءته ورقة فيها خطّ كمال الدين بن الشيخ فطلبه وقال له ما سمعتَ ما رسمتُ به فقال نعم فقال كيف كتبتَ قال جاء مرسومٌ أقوى من مرسومك وأشدُّ قال السلطان قال لا قال فمن رسم قال جاء مرسوم الفقراء أصبحتُ فقيراً ما أجدُ شيئاً وجاءتني ورقة أخذتُ فيها خمسة عشر درهماً فتبسّم وقال لا تَعُد، قال وحكى لي بعض أصحابنا قال حضرْنا يوماً وهو معنا عند الشيخ عبد الغفّار بن نوح وكان الشيخ عبد الغفار كبيرَ الصورة بقوص يأتي إليه الولاة والقُضاة والأعيان وكان يمدّ رجله في بعض الأوقات ويَدَّعي احتياجاً لذلك فمدّ رجله ذلك اليوم فأخذ الكمال مروحةً وضربه على رجله وقال ضمّها بلا قلّة أدب، وكان كثيرَ الصدقة مع الفاقة، وتوفي سنة ثمان عشرة وسبع مائة بالقاهرة.

*** ـ «المفتي بركة الوقت»** محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليسر بن قاضي القضاة عز الدين أبي المفاخر الدمشقي الشافعي مدرس الدماغية والعمادية ولد سنة ست وسبعين وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر علي وبنت مكي وعدة، وحضر ابن علان وحدث «بصحيح البخاري» عن اليونيني وسمع حضوراً من فاطمة بنت عساكر وحفظ «التنبيه» ولزم حلقة الشيخ برهان الدين وولوه قضاء القضاة فاستعفى وصمم فاحترمه الناس وأحبوه لتواضعه ودينه وعظمه. تنكر نائب دمشق واعتقد فيه وحج غير مرةٍ وتولى خطابة القدس مديدة ثم تركها ولما كان بالقدس طلبه المقادسة ودخلوا عليه بسماع الحديث وخرجوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمين فشفع لهم وأكثر من الشفاعات فاستثقله الناظر وشكء في الباطن لنائب دمشق وقال: هذا يدخل روحه في غير الخطابة ويتكلم في الولاية والعزل فنقص قدره عنده. وكان مقتصداً في لباسه وأموره ودرس وهو أمرد ثم زار القدس فتعلل هناك ونقل إلى دمشق ومات بها يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين ودفن عند أبيه بسفح قاسيون وشيعه الخلائق وحمل على الرؤوس وكانت وفاته بعد القاضي جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرةٍ.

١٦٣ ـ «الخطيب بدر الدين» محمد بن محمد بن عبد الرحمان. بدر الدين أبو عبد الله الخطيب بالجامع الأُموي ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني، خطب بالجامع المذكور في حياة والده

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس (٧/ ٣٢٥) رقم (١٠٤٦٤).

وحياة المشايخ الكبار مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين والشيخ تقي الدين بن تيمية ولما طُلب والدُه إلى مصر وتولّى قضاء القضاة بالشام استقلّ هو بالخطابة فيما اظنّ فلما طُلب والده أيضاً إلى قضاء الديار المصرية بقي هو في الوظيفة وكان في كل سنة يتوجّه على البريد إلى مصر ويحضر عند السلطان ويلبس تشريفاً ويقيم عند والده مُدَيدةً ثم يعود إلى دمشق على البريد وكان له بذلك وجاهةٌ زائدة وصيتٌ وقضى سعادةً وافرةً فلما عاد والده إلى الشام قاضياً نابَه في الحكم وكان قد أتقن الخطابة وانصقلت عبارته وتلفّظ بها فصيحاً وقرأ في المحراب قراءةً حسنةً طيّبة النغم، ولما توفي والده كان يُظَنُّ أنه يلي القضاء فما اتفق له ذلك وعكس الدهرُ آماله ونقض حبل سعادته فتعكّس وكلما حاول أمراً لم ينجب، وطُلب إلى مصر فبقي مدّة إلى أن توفي السلطان الملك الناصر رحمه الله وأقام بعده قليلاً ثم عاد إلى دمشق وقد أكمده الحزن فبقي أياماً قلائل وتوفي في ثاني جماديا الآخرة سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ودفن بمقابر الصوفية وقد جاوز الأربعين قليلاً وكان وافر الحشمة ظاهر التجمّل حسن البِزّة جميل الصورة.

١٦٤ ـ **«القاضي تاج الدين البارنباري» محمد بن محمد بن عبد المنعم.** القاضي الكاتب الناظم الناثر تاج الدين أبو سعد السعدي المعروف بابن البارنباري بباء موحدة وألف بعدها راء ونون بعدها باء موحدة أيضاً وبعد الألف راء أخرى ثم ياء النسب، صاحب ديوان الإنشاء بطرابلس يومئذ، كاتب مطيق، ومترسّل منطيق، خطّه أبهج من الحديقة الغنّاء، وأخلب للقلب من الحدقة الوسناء، كتب الرقاع والثلث والتوقيعات من أحسن ما يكون، وكان لما رأيته بالديوان بقلعة الجبل أعرف بمصطلح الديوان من كل من فيه بحيث أنه يُعطَى كتاباً إلى ملك الهند أو إلى ملك اليمن أو إلى ملك الكُرج أو إلى ملك الغرب أو إلى أيّ ملك من الملوك الذين يكاتبون من باب السلطان فيأخذ القلم ويكتب من رأس القلم تلك الألقاب وتلك النعوت عن ظهر قلبٍ من غير أن يراجع شيئاً ثم ينشىء الكتاب المطلوب من رأس القلم في ذلك المعنى المقصود من أحسن ما يكون، وكتب شيئاً كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع إلى الغاية وقلّ ما رأيته يكتب شيئاً من مسوّدةٍ فهو أحد كتّاب الإنشاء الذين رأيتهم في عصري، مولده في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة، وكتب الإنشاء في الدولة الناصرية في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، ولم يزل من أعيان كُتّاب الإنشاء إلى أن تُوفّي القاضي بهاء الدين أبو بكر بن غانم فرسم السلطان للقاضي تاج الدين بأن يتوجّه إلى طرابلس مكانه صاحب ديوان الإنشاء فتوجه إليها في سنة أربع وثلاثين وسبع مائة فرأس هناك وأحسن إلى الناس وسار سيرة مرضية وأقام بها إلى أن تولّى النيابة الأمير سيف الدين بَيدَمُر البدري في أوائل سنة سبع وأربعين وسبع مائة فعزل من كتابة سرّ طرابلس وأقام بطرابلس إلى أن رُسِمَ له بالخروج فحضر إلى دمشق في أواخر السنة المذكورة وأقام بدمشق مدّةً ثم توجّه إلى القاهرة وعاد بعد مدّة إلى دمشق موقع دست في شهر رجب فيما أظنّ سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، وتوفي في أوائل شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبع مائة بالقدس، كتبت إليه من دمشق وقد وردت إليها متوجّهاً من الديار المصرية إلى الرحبة [البسيط]:

لما اتيتُ دمشقاً بعد مصرَ وفي ... عِطفيَّ منك بقايا الفضل للراجي

عُظّمتُ من أجلِ مولانا وصُحبتِهِ ... وقيل هذا بمصرٍ صاحبُ التاجِ

ويُنهي بعد رفع الدعاء، وحمل لواء الولاء، وإشادة بناء الثناء، أن المملوك سطّرها وشوقُه قد ضاقت به الرَحبة، وأغار على مثاقيل البصر فما ترك منها عند حَبّة القلب حبَّة، وذكّره الأيام السالفة حتى عاد نسيبُه بها أعظم نِسبَه [الوافر]:

كـأنّـي لـم أكـن فـي مـصـر يـومـاً قـطـعـتُ بـه الـوصـالَ مع الأَحِبَّة

ونـلـتُ الـقـربَ مـن ساداتِ دَستٍ مـحـلّـهـم عـلا كـيـوانَ رتـبـة

إذا عـايـنـتَ فـي الإنـشـا حُـلاهـم تـراهـم بـالـنـجـوم الـزّهـر أشـبَـه

وإن سـابـقـتَـهـم عـلـم فـاً وفـضـلاً فـأنـت إذا نـطـقـتَ سُـكَـيـتُ حَـلـبَـة

فـمـا أبـن الـصـيـرفـيّ إذا أتـاهـم يُساوي عندهم في الفضل حبّة

خـصـوصـاً تـاجُـهـم سُقـي الـغـوادي مَـحـلٌّ ضـمَّـهُ واخـضـلّ تُـرَبـة

إذا أخـذ الـيـراع فـلـيـس بـين الـ طـروس وبـيـن زهـر الـروض نِـسـبَـة

وإن نـطـق اسـتـفـاد الـمـرءُ مـنـه مـحـاسـنَ تَـسـتـبـي فـي الـحـال لُـبَّـه

ولـيـس الـمـلـك مـحـتـاجـاً إلـى أن يُـعِـدّ كـتـائـبـاً إن عَـدَّ كُـتـبَـه

لـه الـفـضـلان فـي نـظـم ونـثـرٍ إذا مـا جـال فـي شـعـر وخُـطـبـة

أيـا مـولاي عـفـواً عـن مـحـبٍ تَـهـجّـمَ فـالـبـعـادُ أذاب قـلـبَـه

بـعـثـتُ بها إلـيـك عـسـى تـراهـا عـلـى بُـعـدٍ مـن الـمـمـلـوك قُـربـة

فكتب إليّ الجواب [البسيط]:

شكراً لغرسٍ بروض الفضل قد نبتا ووُدّه في صميم القلب قد ثبتا

اهـدى إلـيّ كـتـابـاً كـنـت أرقـبـه أزال عنّيَ من عَيشِ النَوَى العَنَتا

مباركاً جاء بالحُسنَى فأحسن لي وكيف لا وهو من عند الخليل أتى

لا زالت ألفاظه حلية الممالك، وودّه في النفوس ثابتاً وللقلوب خير مالك، ومنزله من فضل الله رحيب الساحات معموراً بالسماحات في رحبة مالك، وينهي ورودَ مشرّفٍ سمح ببيانه، ونُفح بعرفانه، وجنح إلى عوائد إحسانه، ولمح أشرف المعاني بإنسانه، وربح إذ بدا بفصل خطابه، وفضل بنانه، أبى الله ألا أن يكون له الفضل في ابتدائه، والفوز بسبق تحيّته وإنشائه، فقبّله المملوك تقبيلاً، وفضّه فإذا البيان جاء كله معه قبيلاً، ورأى أدباً غضّاً ونظماً ونثراً فاقا من سلف عصره وتقضيّ، ولقد ذكّر مولانا بأوقات قربه على أن المملوك ما زال يذكرها، وأقرّ عيناً ما برحت تشهد محاسنَهُ وتنظرها [البسيط]:

أَبـلِـغْ أخـانـا أدام الله نـعـمـتـه أنّـي وإن كـنـتُ لا ألـقـاه الـقـاه

الله يـعـلـم أنّـي لـسـتُ أذكـره وكـيـف يـذكـره مـن لـيـس يـنـسـاه

ولقد تحمّلت بمولانا جهةٌ تصدر أخبارُها بأقلامه، وتصدر مهمّاتها بمتين كلامه، ويبدو

صلاحها بألفاظه التي هي كالزلال في رقّته والدرّ في نظامه، فبسط الله ظلال من أمتع هذه المملكة بمولانا، وسيّر ركابه إليها وطالما أولاه الخير وأولانا، قد شمل البعيد والقريبَ بفضله، وعمّر مصر بسودده، وغمر الشام بِوَبْلِهِ [الكامل]:

كالبحر يقذف للقريب جواهراً كرماً ويبعث للبعيد سحائبا

ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكّنت في القلب حُبَّه، وأرضت بالوُدّ مملوكَه وتِربَه وشيّدت له في الأفئدة أرفع رتبةْ [الوافر]:

أتتنا من ودادك خير هبّةْ فنعّم طيبُها عيشَ الأحبّةْ
وزارتنا على نَأْيٍ فأهدتْ لنا أُنساً به أُنسي تنبَّهْ
تذكّرني بزَورتها ائتلافاً ووقتاً طالما مُتِّعتُ قُربَهْ
نأى عن مصر من مولاي أنسٌ فألفى بعدها رحباً ورَحبةْ
للفظك في الطروس عقود معنىً بها دُرّ الترائب قد تشبَّهْ
وخَطُّك لم يزل دُرّاً ثميناً له بالجوهر الشفّاف نسْبَةْ
بنانك منبرٌ ترقَى عليه يَراعٌ كم لها في الطِرْس خطْبَةْ
خَطبْتَ من المعاني كلّ بِكْرٍ فلبّتْ بالإجابة خيرَ خِطْبَةْ
كأنّك قد رقَيت الأفق عفواً فأعطى طِرْسَك الميمونَ شُهبهْ
فَدُمتَ مُعظماً في كلّ أرض تنال من السعود أجلَّ رتبةْ

وكتب إليّ ونحن بالمخيّم السلطاني على طَنان ملغزاً في كتاب [السريع]:

يا مبدعاً في النظم والنثرِ وفاضلاً في علمه يُثري
ومُودعاً مُهْرَقه كلّ ما يُزري بحسن الدُرّ والتِبرِ
إن أحكمتْ ألفاظُه أصبحت قواطعاً تُربي على البُترِ
ما صامتٌ ينطق إفضالُه وكاتمٌ للسرّ في الصدرِ
تُصلحه الراحة لكنّه يُتعبُ في الطيّ وفي النشرِ
قد أشبه البِيضَ ولكنّه يحتاج يا ذا الفضل للسُمرِ
تفرّقَ الليلُ بأرجائه كأنّه وصلٌ على هجرِ
يسيرُ عن أوطانه دائماً للنفع في البرّ وفي البحرِ
إن كان يوماً ضيفَ قوم غدا يُقرَى وخير الناس من يَقري
فهاتِ لي عنه جواباً كما عوّدتني يا عالي القدرِ

فكتبتُ إليه الجواب عن ذلك [السريع]:

أروضةٌ تبسم عن زهر أم أكؤسٌ دارت من الخمرِ
أم نظمُ مولانا فإنّي الذي أعُدُّه من جملة السحرِ
إذ كل حرف منك شمسٌ وإن سامحتَ قلتُ الكوكب الدُّرّي
يا فاضلاً ما مشتهىً نظمه في الناس إلاّ قِطَع الزهرِ
وكاتباً أصبح من خطّه يُغني عن الخطيّة السُمرِ
حَلَلْتُ ما ألغزتَهَ في الذي تجلوه لي في حِبَر الحِبْرِ
ما فاه بالنطق ولكنّه له فنون النظم والنثرِ
يُخبرنا عمّا مضى وٱنقضى وما جرى في سالف الدهرِ
لا يكذب القولَ إذا ما روى فقد حكى صدقَ أبي ذرّ
وعنده للحُسن ديباجةٌ شبيهةٌ بالليل والفجرِ
ذُرّت على كافوره مِسْكةٌ ليس لها نشرٌ مع النشرِ
كم أقسَم الباري به مرّةً مَرَّتْ لنا في محكم الذكرِ
يا حُسنَ ما قد قلتَ يُقرَى وهل تعرف في الأيّام من يَقري
وما قِراه غير سمع الذي يبثّه باللُّبّ والفكرِ
هذا جوابٌ إن تكن راضياً به فيا عزّي ويا فخري
وإن أكن أخطأتُ في حلّه فابسُط على ما ٱعتدتُه عُذري
لا زلتَ ترقّى صاعداً في العُلَى إلى محلّ الأنجم الزُهرِ

وكتبتُ إليه عقيب ذلك [السريع]:

بلّغك الله الأمانِي فقد أطربني لغُزك لمّا أتى
حلا وقد كرّرتُ إنشاده وكيف لا يحلو وفيه كِثا

وكتب إليّ أيضاً ونحن بالمخيّم السلطاني على المنوفيّة [الكامل]:

طُرُقِ الصواب بك ٱستبان سبيلُها وبك ٱستقام على السواء دليلُها
كم خلّة محمودة أوتيتَها في المكرُمات وأنت أنت خليلُها
ما مُلْغَزٌ الفاءُ منه كَلاَمِه وحروفه ما شانَهُنَّ قليلُها
لا شيء يحجبه وكم من دونه من حاجب فَعُلاه تَمَّ أثيلُها
إن طال مُلَّ وخيرُه يا صاح ما قد طال والنعماء طاب طويلُها
وإذا أهلّ الوفد من ميقاتهم طُوِيَتْ غمامتُه وزال ظليلُها
كم أوضحوا فرْقاً فأخفاهُ وَمَغ هذا أبانَتُه دنا تعجيلُها

ومحلّه بمحلّ مولانا غدا ... يسمو فرفعته رسا تأصيلُها
فأحلُلْهُ لا برحتْ يراعُك كالظُّبَى ... فصريرها منه يُمدّ صليلُها

فحللته في شاش وكتبت الجواب إليه [الكامل]:

جاءت تُدارُ على النفوس شمولها ... وتُجَرُّ من فوق الرياض ذيولُها
أبياتك الغرّ التي أَبْدَعْتَها ... تُطوَى على جُمَل الجمال فصولُها
ويسير في الآفاق ذكرُك لي بها ... وتهبّ بالإقبال منك قَبولُها
قد ألغزْتَ لي في مسمًّىَ واحدٍ ... وله مقاديرٌ تفاوت طولُها
كغمامة تُرخَى على ليل الشبا ... ب الغضّ أو صُبْحِ المشيبِ فضولُها
لا يستحيل إذا قلبتَ حروفَه ... بالعكس بل يبقى لها مدلولُها
وحروفه بَيتٌ وباقي لفظه ... أسّ على التصحيف رُحتُ أقولُها
هذا الجواب وغاية الفضل التي ... قد نلتها في النظم لستُ أَطُولُها
فلكَ النجومُ تسير في فلك العُلَى ... ما شَانَها بعد الطلوع أُفولُها

فكتب إليّ عقيب ذلك [المجتث]:

المسك منك ختام ... وراحتاك غَمَامُ
الخطّ روض نديم ... واللفظ حُلْوٌ مدامُ
والسِحر قولُك لكن ... السحر أمرٌ حرامُ
أجبتني عن معمّى ... بسرعةٍ لا تُرامُ
في القلب حبُّك ثاوٍ ... له أقام غَرامُ
فأنت حقّاً خليلٌ ... على الخليل السلام

فأجبته عن هذه القطعة [المجتث]:

أجوهرٌ أم كلامُ ... وقهوةٌ أم نظامُ
أم البدور تجلّت ... فانجاب عنها الظلامُ
أم الحدائقُ وَشّى ... منها البرودَ غمامُ
غصونها ألفاتٌ ... والهمز فيها حمامُ
أُشبّه السطرَ كأساً ... فيه المعاني مُدامُ
أو أعيُناً فاتناتٍ ... يصبو لها المستهامُ
وحشوها السحر بادٍ ... ولا أقول السقامُ
أقلامُك الحمر فيها ... للنائبات سهامُ

كـم قـد أصـابـت لـمـرمـىً ولـم يـفُـتْـهـا مـرامُ
أثـنـتْ عـلـيـك الـمـعـانـي والـكـاتـبـون الـكـرامُ
وقـلّـدتـك الـمـعـالـي إذ أنـت فـيـنـا إمـامُ
فـأنـت أشـرف تـاجٍ فـي فـضـلـه لا يُـرامُ
لـه عـلـى كـل رأسٍ فـاءٌ وضـادٌ ولامُ

فكتبَ الجوابَ أيضاً [المجتث]:

ألـفـاظـك الـغُـرّ أضـحـت بُـروقـهـنّ تُـشـامُ
لأجـل ذلـك سَـحّـتْ مـن سُـحـبـهـنّ ركـامُ
فـأحـبـس سُـيـولـك إن الْـ ـبـيـوت هـذي الـخـيـامُ
مـصـرٌ بـهـا قـد تـحـلّـت كـمـا تـحـلّـى الـشـامُ
عـنـهـا يـقـصّـر قـسٌّ والـسـالـفـون الـكـرامُ
أمـثـالـهـا سـائـراتٌ ومـا لـهـنّ مـقـامُ
بـدورُهـا طـالـعـات لـهـا الـتـمـامُ لـزامُ
وفـي الـعـشـيّ أتـتـنـي مـنـهـا وجـوهٌ وِسـامُ
تُـعـزَى إلـى الـعُـزب لـمّـا يُـرعَـى لـديـهـا الـذمـامُ
لـهـا الـعـيـون عـيـونٌ والـنـون فـيـهـا لـثـامُ
فـكـنّ خـيـر سـمـيـرٍ حـتّـى تـقـضّـى الـظـلام
وكـلّـمـا دار دَوْرٌ مـن خـمـرهـا جـاء جـامُ
هـذا جـواب جـوابٍ قـد كـلّ فـيـه الـكـلامُ
فـأسـتـر لـه كـلّ عـابٍ إذ أنـت فـيـنـا إمـامُ

نقلتُ من خطّه فصلاً كتبه في وصف يوم ماطِرٍ وهو: (مطرٌ غامت له السماء، وعامت الأرضُ لما كثر منه الماء، ودامت به من الله الرحمة والنعماء، وغابت تحت غمامه عين الشمس فما لها إشارة ولا إيماء، وتوالى كرمه إلى الرياض فله عند كل سافٍ يد بيضاء، إلاّ أن الأرض تغيّر حالها، واستقرّ في بطون الأرض ما أرسلته جبالها، فتفرّق في الأرض غُدراناً، وروت أحاديثه السيول عن الحيا عن البحر عن جود مولانا، كأنما الأرض به سقيت فشفيت من بأسها، لا بَل كأنما أبو حفص هذه الأمّة استسقى الله بعبّاسها، وأضحت فاكهة الشتاء كوجه المحبوب غير مملولة، وأمّنت سحبه القلوبَ وإن كانت سيوف بروقها مسلولة، وخمدت فيها كل نار إلاّ نار قراك، وما غابت فيه الشمس ونحن نراك، وما أطلق المملوك عنان القلم في هذه الكلم إلاّ لما قيّد نفسَه محبّة في ذَراك)، ونقلت من خطّه ما كتبه إلى القاضي علاء الدين بن الأثير في قصيدة [الكامل]:

يا من به جَمْعُ الألوفِ مفرَّقٌ ... ومفرِّقُ العلياء فيه مُجَمَّعُ
يا من إذا وضع المكارم في الوَرَى ... أضحى له عمل زكيّ يُرفعُ
يا من يُعِدّ مآثراً ومكارماً ... ما عدّهن عُيينةٌ والأقرعُ
أبوابه محجوجة وجبينه ... بدرٌ وبطن الكفِّ منه ينبعُ

١٦٥ - «ابن صغير الطبيب» محمد بن محمد بن عبد الله. ابن صغير ناصر الدين الطبيب المصري، قرأ الطبَّ والحكمةَ على والده والأدبَ على الشيخ علاء الدين القُونوي، سألته عن مولده فقال سنة إحدى وتسعين وستمائة، فيه ظَرْفُ الأدباء، وخلاعة أهل مصر وهو من أطبّاء السلطان، توجّه مع السلطان الملك الناصر محمد إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجّهاً على خيل البريد لمداواة الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب فما لحقه إلاّ وقد تمكّن منه المرض فعاد ناصر الدين المذكور إلى دمشق وقد تغيّر مزاجه من حماة فأقام بدمشق يُمرَّض في مدرسة الدنيسري قريباً من خمسين يوماً، وهو من بيتٍ كلهم أطبّاء وهو شريف النفس لا يطبّ إلا أصحابَه أو بيت السلطان، اجتمعتُ به غير مرّة فوجدته لطيف العشرة دمث الأخلاق وله يد في ضرب العود وجاء الخبر إلى دمشق في ذي القعدة بوفاته بالقاهرة بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

١٦٦ - «النصيبي القوصي» محمد بن محمد بن عيسى بن نحام بن نجدة بن معتوق. الشيباني النصيبي ثم القوصي الأديب الشاعر الفاضل المحدّث، سمع العزّ الحرّاني ومحمد بن الحسين الخليلي وإسماعيل بن هبة الله بن علي بن المليحي وغيرهم وحدّث بالبخاري بقوص وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي كثير المروءة ظاهر الفتوّة ظريفاً لطيفاً خفيفاً له قدرة على ارتجال الحكاية المطوّلة والشعر سريع النادرة، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: شعره في ثلاث مجلّدات وكان رزقه منه يمتدح القضاة والأمراء والأكابر والتجّار، قال: لما جئت إلى قُوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشنائي فترددت إليهما فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به فأما الشيخ تقي الدين فقال لي: أنت رجل فاضل والسعيد من تموت سيئاته بموته لا تهجُ أحداً فما هجوت أحداً وأما الشيخ جلال الدين فقال لي: أنت رجل فاضل ومن أهل الحديث ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ما هو ببعيد أن يكون في عقيدتك شيء وكنتُ متشيّعاً فتبتُ من ذلك، وقال كنتُ مرّةً عند عزّ الدين البصراوي الحاجب بقوص فحضر الشيخ علي الحريري وحكى أنه رأى دُرّةً تَقرأ سورة يس فقلت وكان غرابٌ يقرأ سورة السجدة فإذا جاء عند آية السجدة سجد ويقول سجد لك سوادي، واطمأنّ بك فُؤادي؛ وتوفي بقوص سنة سبع وسبع مائة، ومن شعره [الوافر]:

إذا اُبتسمتْ من الغور البُروق ... تأَوَّهَ مُغْرَمٌ وبكى مشُوقُ
تُذكِّرُني العقيقَ وأيُّ صبٍّ ... له صبرٌ إذا ذُكِرَ العقيقُ

ومنه [المتقارب]:

تَذكَّرَ بالسَّفح باناً وطَلاً ... فأجرى المدامع وَبْلاً وطَلاّ
يُرجِّي زماناً تولّى يعودُ ... وليس يعود زمانٌ تولّى

كئيبٌ تحمّل ما لا يطيق ... له الصخرُ من أَلَم البَين جِمْلا
يبيت يكابد آلامَه ... وأَسقامَه وكما بات ظَلاّ
وضيَّعَ أوقاته في عَسَى ... وما ذا تُفيد عسى أو لعلاَّ
ويشرب من ماء أجفانه ... على الظمَإ البَرح نهلاً وعلاَّ

ومنه [الوافر]:

نَعَمْ هِيَ دارُ مَنْ نهوىٰ يقيناً ... وما نخشاه ساكنُها يَقينا
أنيخوا في معالمها المطايا ... فديتكُم لنشكو ما لقينا
ذكرنا حُلْوَ عيشٍ مَرَّ فيها ... وما كنّا له يوماً نسينا
وكاساتُ المسرّة دائراتٌ ... تُحَيِّينا شمالاً أَوْ يمينا

١٦٧ - «ابن تاج الخطباء القوصي» محمد بن محمد بن أحمد. جلال الدين الكندي بن تاج الخطباء القوصي، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: سمع من الشيخ تقي الدين القشيري وكان فقيهاً فاضلاً أديباً له نظم ونثر وخُطَب، وكان أمين الحكم بقوص وعاقد الأنكحة وفارضاً بين الزوجين ويكتب خطّاً حسناً لا يماثله أحد بقوص، اجتمعت به كثيراً بقوص ثم أقام بغرب قمولاً فتوفي بها سنة أربع وعشرين وسبعمائة وأورد له من شعره [الدوبيت]:

يا غاية منيتي ويا مقصودي ... قد صرتُ من السقام كالمفقودِ
إن كان بَدَتْ منّي ذنوب سلفت ... هبها لكريم عفوك المعهودِ

وأورد له أيضاً [الخفيف]:

هل إلى وصل عَزَّةَ من سبيل ... وإلى رشف ريقها السلسبيلِ
غادةٌ جرّدت حسام المنايا ... مُصلَتاً من جفون طرفٍ كحيلِ
قد أصابت مَقاتلي بسهام ... فوّقتها من جفنها المسبولِ
أبرزَتْ مبدعاً من الحُسْنِ يُفدَى ... بنفوس الوَرَى بوجهٍ جميلِ

وأورد له أيضاً [البسيط]:

دعوى سلامة قلبي في الهَوَى عجبُ ... وكيف يَسلَم من أَوْدَى به الوَصَبُ
أضحت سلامته منكم على خطرٍ ... لا تُسلموه ففي إسلامه نَصَبُ
شربت حُبّكم صِرْفاً على ظمإٍ ... وكنت غِرّاً بما تأتي به النُوَبُ
لا يمنعنّكم ما قال حاسدنا ... عن الدنوّ فأقوال العِدَى كذِبُ

١٦٨ - «ابن الجبلي الفرجوطي» محمد بن محمد. المعروف بابن الجَبَلي الفرجوطي بالفاء والراء والجيم والواو والطاء المهملة، له مشاركة في الفقه والفرائض ومعرفة بالقراءات وله أدب وشعر ومعرفة بحلّ الألغاز والأحاجي وكان ذكيّاً جدّاً جيّد الإدراك خفيف الروح حسن الأخلاق،

كُفّ بصره آخر عمره، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: اجتمعت به كثيراً وأنشدني من شعره وألغازه وتوفي بفرجوط[١] في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وأورد له [السريع]:

وشاعرٍ يزعم من غرّةٍ ... وفرط جهلٍ أنه يُشْعِرُ
يصنّفُ الشّعْرَ ولكنّه ... يُخدِثُ مِن فيه ولا يَشْعُرُ

وأورد له في النبق [البسيط]:

انظر إلى النَّبْق في الأغصان منتظماً ... والشمسُ قد أخذت تجلوه في القُضُبِ
كأنّ صُفْرَتَهُ للناظرين غدتْ ... تَحْكي جلاجل قد صِيغتْ مَن الذَهَبِ

١٦٩ ـ **«شمس الدين بن الموصلي الشافعي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز. البعلي المولد الشافعي المذهب، الشيخ شمس الدين المعروف بابن الموصلي**، سألته عن مولده فقال سنة تسع وتسعين وستمائة، وقرأ القرآن الكريم في مسجد الحنابلة على الشيخ شجاع الدين عبد الرحمن بن علي خادم الشيخ شرف الدين اليُونيني وعلى ابن أخيه الشيخ محمد الأعرج ببعلبك وسمع الحديث من الشيخ قطب الدين اليُونيني وعلى الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي وعلى الشيخ عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي وعلى شيخ الإسلام جمال الدين يوسف المِزّي وعلى الشيخ شمس الدين الذهبي وعلى الشيخ جمال الدين يوسف العزازي بطرابلس وعلى الشيخ بدر الدين بن مكيّ وعلى قاضي القضاة محيي الدين ابن جَهبل وغيرهم وأخذ الفقه عن شيخ الإسلام قاضي القضاة شرف الدين البارزي بحماة وعن أقضى القضاة بدر الدين محمد التبريزي قاضي بعلبك وعن أقضى القضاة جمال الدين الخابوري وعن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن المجد البَعلي وعن الشيخ العالم نجم الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن بابا جُوك، وأخذ العربيةَ عن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلي وعن الشيخ بدر الدين ابن مكي وغيرهما، وله من التصانيف «كتاب غاية الإحسان في تفسير قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾** [النحل: ٩٠] و«كتاب بهجة المَجالس ورونق المُجالس» خمس مجلدات يتضمن الكلام على آيات كريمات وغيرها و«كتاب لوامع الأنوار نظم مطالع الأنوار لابن قرقول» «ونظم المنهاج» للنووي و«كتاب الدرّ المنتظم في نظم أسرار الكَلِم» وهو نظم كتاب فقه اللغة.

وكتب إليّ وهو بطرابلس: يقبّل الأرض ويُنهى أن المملوك لم يزل يلتقط من فرائد أسفار السفار، فوائدغ أخبار الأخيار، ويبحث عن كنوز العلم ومعادن الأدب، ليفوز منها بمطلَب، يخفّف عنه مؤنة الطلب، حتى سمع عن سجايا مولانا الكريمة ما هو ألطف من النسيم وأحلى من الضَرَب، بل ألذّ من منادمة الحبيب وقد سَلَّفَ المحبَّ سُلافَ الشنب، فمن مشبّب بقصبات سبقِ مولانا في الفضائل ولا تشبيبَ القصب ومن مُتَغَنّ بل مستغنٍ بوصف شمائله عن اطلاع شموس

---

(١) فرجوط: مدينة بالأندلس.

١٦٩ ـ «الدرر الكامنة» لابن حجر (١٨٨/٤). و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢٢٨/١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة =

الشمول وبدور الحَبَبِ، فثمل المملوك من سماع هذا الذكر الجميل حتى ماس عِطْفي من الطرب، وفي حانِ سُكري خانَ شُكري لمولانا فإنه كان في مسرّتي السبب. ولم تزل عرائس محامده تُجلَى، ونفائس ممادحه تُتلى، حتى رغب المملوك في خطبة عبوديته وإن لم يكن له أهلاً على صداق قلب صادق في وفائه، وافِ في صدقه مخلصٍ في صفائه، يوالي الدعاء ويدعو على الولاء، ويديم الشكر ويشكر على الآلاء، وقد أشهد المملوك ذَوَيْ عدل على ما ذكر وهما الوفاء والصفاء، وإن عزّا في البَشَر وحين أشهدهما كان غير ساهٍ ولا لاهٍ، فيرجو أن يقوم بما التزم وأن يقيما الشهادة لِلَّهْ، على أن يسكنها المملوك صميمَ فؤاده، ويحلّها محلّ الناظر من سواده، وَيتّبعُ أمرَها اتّباع الصفة للموصوف، ويمسكها مدَى الزمان بمعروف، فإن رأى جبر المملوك بما له قصد وإليه صمد، فليضرب صفحاً عن كفاءة الفضائل التي بها قد انفرد، فقد علم أنه لم يكن فيها كفؤاً أحد، وهل يكافئ مُحلّياتِ العقود النفّاثاتُ في العُقَد، أو يُنظَم دُرّ السحاب في حبل من مسد، أو يُقابَل دَرُّ السحاب بلمع السراب والثمد، لكن كرمُ عادة مولانا وعادة كرمه، أن لا يردّ حرمةً للقصد قاصد حَرمه، لا سيّما وطفيليّ المحبّة أحمق، وفَدّان العشق كما قيل مُطلَق، وليس المملوك على هذا المنهل العذب أول وارد، فيكون لحرمة هذا القصد أحرم قاصد، لكنه يرجو من الصدقات الشريفة الإسعاد والإسعاف، وأن يكون جوابه الشريف مقدمة الزفاف، لتقرّ عين الطلب ببلوغ الأمنية، ويقوم سماع المسرّة بالنوبة الخليلية، وتُجلا عرائس البلاغة في حُلَل نُفثاتها السحريّة، وتُتلى نفائس البراعة بألحان نفحاتها السَحَريّة، فيفتح لي إلى جنان الجناس باباً، ويزوّج مبتكرات معانيه بأكفائها أبكاراً عرباً أترابا، فيجهر داعي البركة واليُمْنِ بالتأمين، وأُجِلُّ سعدَ هذا الجدّ عن الرّفاء والبنين، ويطوف براحات الكؤوس لراحات النفوس راحُها، ويبتدئ بإهداء أطباق الطباق صلاحُها، ثمارَ آداب قد انتهى إصلاحُها، وأُجلُّها عن قولِ «بدا صلاحها»، فأرتعُ في رياضها وأَكرعُ من حياضها، وأَغترفُ من بحرها، واعترف بحبرها، وأسمو بكتابها المحلّ الأسنى، فأصير مكاتَباً بعد أن كنت قِنّا، وتلك درجة لا أطلب بعدها التجاوز إلى التحرير، ولا أكلّفُ خاطرَهُ الشريفَ في المكاتبة إلى التحبير والتحرير، بل يكتفي المملوك بأدنى لمحة من مُلحها، وينتشي ببلالة قطرة من قَدَحِها، والله تعالى لا يُخلي مولانا من نعمة يؤبّدها، ونَعمة يؤيّدها، ومِنّة يجدّدها، ومُنّة يشيّدها، وأمنية يسدّدها، وسعادة يؤكّدها، وسيادة يولّدها.

فكتبت الجواب إليه عن ذلك [الطويل]:

أروضٌ بَكاهُ في الصباحِ غَمامُ ... فغنّت على الأغصان فيه حَمَامُ

أم الأُفق لاحت زُهره وتلألأت ... فأحسَنْ بنورٍ قد حواه ظلامُ

أم الشمس حيّتني بكأسٍ رسالةٍ ... لها المسك من فوق الرحيق خِتامُ

اتتني بَدْءاً من كريمٍ ممجَّدٍ ... غدا وهو في الفضل التمام إمامُ

= (١٥٦٨ ـ ١٧١٥ ـ ١٨٧٥)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٣٦)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٦٦)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٦٩)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

فقبّلتها شوقاً لفرط صبابتي وقابلها مني جوًى وغَرَامُ
تجلّتْ لطرفي فاجتليتُ محاسناً كما شُقّ عن زَهر الرياض كِمامُ
وقصّت على سمعي حديثاً روته لي فشنّف سمعي الدُرُّ وهو كلامُ
ولمّا روت روّت فؤادي من الضَنَى ولم يَلْقَه من بعد ذاك أُوامُ
وناجَت بألفاظٍ فقلت جواهر إلى أن سبت عقلي فقلت مدامُ
ورقّت حواشيها فقلت شمائل إلى أن أصابتني فقلت سهامُ
وأبدَت من السحر الحلال عجائباً وما كلُّ سحر في الأنام حرامُ
أثارت رياح الوجد فهي عواصفٌ وأجرت دموع العين فهي سجامُ
وحاشى لما أبدته أن يستميله ملالٌ وأن يسري إليه ملامُ
ألا يا غزير الفضل عبدك قاصر وفي ذهنه عمّا يريد سقامُ
وإنشاؤه إن شاءه لا يناله كأنّيَ جفن الصبّ وهو مَنامُ
وأين محلّ الشمس ممن يرومه لقد جلّ مطلوبٌ وعزّ مَرامُ
وأنت الذي يملأُ الملا نورُ فضله لأنّك شمسٌ والأنام قَتامُ
فليس لشمسٍ مذ أنرتَ إنارَةٌ وليس لبدرٍ مذ تممت تَمامُ

وينهي ورود المشرّف الكريم فانتصب له قائماً على الحال، وتلقّاه بما يجب له من الإجلال، ووضعه على العين والرأس وهذه غاية يعتقد أنها ما خلَت من الإخلال، ومتّع طَرْفَه بتلك الطُرَف، وَالتحَفَ بظلال هاتيك الهدايا الفاخرة والتُحفْ، ودخل جنّات سطورها فرأى منها غرفاً مبنيّة من فوقها غرفْ، وأسرف في لثمها على أنه لا سرَف في الشرفْ. وعلم أنه بهذا الجواب أحمق فلولا إضافة الودّ الصادقة إليه لما انصرف [الطويل]:

وفي تعبٍ من يحسد الشمسَ ضوءها ويزعم أن يأتي لها بضريب

فالله يُوزعُ المملوكَ شُكْرَ هذه النعمة البادية، والمانّة التي هي في الصورة هديّة وفي المعنى إلى الصواب هادية، ويمتع الوجود بهذه الكلم التي تطوف على الأسماع بكؤوس المدام، والأَسجاع التي هي عندي دُرٌّ وعند الناس كلام، وعينُ الله على هذه الفضائل، التي أخملت الخمائل، وحقّقت فضل الأواخر على الأوائل، وإن كان فيهم سحبان وائل، وقد عطفها المملوك على خدمة إلى المولى شمس الدين محمد بن الخرّاز الذي يعجز عن نقله حمّاد الراوية أطلع الله شمسه بأفقها، وأعاده إلى بلده التي عامَل جلّق بخلق لا يليق بخَقلها ولا خُلقها، وعلى كل حال فجبر مولانا لألم انفراده طبيب، وهو في بلد مولانا غريب، كما أن مولانا في الإحسان غريب [الخفيف]:

يا غريب الصفات حُقّ لمن كا ن غريباً أن يرحم الغرباءَ

وأنشدني من لفظه لنفسه في أواخر صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق المحروسة يمدح سيدنا رسول الله ﷺ [البسيط]:

جوانحي لسواكم قط ما جنحت ... فما لها جُرحت من غير ما اجترحت
أهكذا كلّ صبّ باعَ مهجتَه ... في حبّكم غير بَرح الشوق ما ربحت
ضاقت لِبَيْنِكُمُ الدنيا بما رَحُبَتْ ... على حشىً من جوى التبريح ما برحت
فيا لنفسٍ على جمر الغضا سُحبت ... ومُقلةٍ في بحار الدمع قد سبحت
قرّت بقربكمُ حيناً وقد فرحت ... لكنها اليوم بعد البُعد قد قَرِحت
رامت برامةَ كتمان الغرام فمذ ... بدا لها ريمها في دمعها افتضحت
رأت مسارح غزلان النقا سنحت ... بين الرياض وورق الأيك قد صدحت
رأت قبابَ الذي في كفّه نطقت ... صُمُّ الحَصا وعيون الماء قد سرحت
الهاشميُّ الذي لو نفسُه وُزنت ... بالأنبياء وأملاك السما رجحت
لولاه ما طلعت شمسٌ ولا غربت ... كلاّ ولا دُحِيَت أرضٌ ولا سُطِحَت
ولا السماء سَمَت ولا الجبال رَسَت ... ولا البحار طمت ولا الصبا نفحت
ولا الحياة حَلَت ولا الغيوث هَمَت ... ولا الجنان زهت ولا لظى لفحت
أنوار غرّته لو أنها لمحت ... لوحَ الدجى إذ سجى مسودُّه لمحت
وإن بدا مطرقاً للرأس من خَفر ... تخال عذراءَ من فرط الحيا اتّشحت
تُبدي أساريره معنى سرائره ... في النفس إن فرحت يوماً وإن ترحت
عوّذتُ بالليل إذ يغشى ذوائبه ... وفرقه بالضحى والشمسِ إذ وضحت
من قاس بالمُزن جَدوَى راحتيه فقد ... أخطا القياسَ فرُوق الفضل قد وضحت
يداه بالدُرّ تُجدي وهو مبتسمٌ ... والسحب تبكي وتجدي الدرّ إن سمحت
يُمناه ما صفحت لسائلٍ منحاً ... وكم عن المذنب الخطّاء قد صفحت
فكم فَدَتْ وَوَدَتْ وأوجلت وجَلَتْ ... وأوكست وكَسَتْ وأثبتت ومحت
ودارِساً عمرت وعامراً درست ... وبائساً رحمت وفارساً رمحت
وكم لهى فتحت بالحمد إذ منحت ... لُهىً بها سمحت وكم ندًى رشحت
وقيّدت نِعماً وأطلقت نَعماً ... وقلّدت مِنناً ومائِناً نصحت
وكم شفت عِللاً وكم روت غللاً ... وكم هدت سبُلاً لولاه ما فُتحت
وكم لأحمدَ خير الخلق من شِيَم ... كشامةٍ لمحت في وجنةٍ مَلُحَت
عدلٌ وحلمٌ وإغضاءٌ ومرحمةٌ ... وعفّةٌ وغنى نفسٍ به مُنِحت

وعزمةٌ كالمنايا للعدى حطمت وهمّةٌ للدنايا قطّ ما طمحت
وكم مراضِ قلوبٍ حين عالجها باللطف صحّت ومن سُكر الضلال صحت
ما قدر مدحي سجاياه وقد حُمِدت لدى الزبور وفي القرآن قد مدحت
والله أقسم في الذكر الحكيم لنا بالعاديات التي من خيله ضبحت
وبالمغيرات صبحاً من مراكبه الموريات شرار النار قد قدحت
صلّى عليه إله العرش ما عذبت أمداحه لمحبيّه وما ملحت
ثم الصلاة على الأصحاب كلّهمِ والآل أعداد قطر السحب إذ سفحت

وأنشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

نال أعلى مراتب المجد من لا كان يُدرَى به ولا بمكانه
بجميل الجوار مع كرم النفـ س وعرفانه بأهل زمانه
وتَعامٍ عن العيوب وزهدٍ في متاع يفنَى وحفظ لسانه

وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

إذا جرّتِ الصهباءُ ما يرفع الحيا بنصب شباكٍ صيدُها يحرم التقوى
فمن شرعهم في الصحو محو الذي جرى وإنّ بساط البسط يُطوَى ولا يُروى

وأنشدني من لفظه لنفسه [السريع]:

ومنكر قتل شهيد الهوى ووجهه ينبىء عن حاله
اللون لون الدم في خدّه والريح ريح المسك من خاله

وأنشدني من لفظه لنفسه [مجزوء الرمل]:

قال لي ساحر طرفٍ كم سبَى من متنسّك
إنّ طرفي قد تنبّى أفلا تنجو بنفسك
قلتُ ما آية هذا قال في العشّاق يسفك
قلت يُنجي اللّه منه قال هيهاتَ لمثلك
قلت فأمرْني برشدٍ وهُدىً أسمع لأمرك
قال وَخذْ عشق حسني واحذر التشريك تُشرك
ثمّ صَدّق سحر طرفي لا تكذّبه فتهلك
قلت لا أُوْمِنُ دَعْني أصطلي في نار خدّك

وأنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

قد كنت أَعشَقُ ورد الخدّ ليس له ثانٍ ولا لغرامي فيه من ثانِ

فكيف لا أتغالى في محبّته ... وورد خدَّيه قد حُفّا بريحانِ

وأنشدني من لفظه لنفسه [مجزوء الرمل]:

قال محبوبي بقدّي ... وبخدّي وبنهدي
صف لي خالي فوق خدّي ... قلت لا ينهضُ جدّي
قال شبّهه بحقّي ... قلت لا يُشرك وجدي
قال مَثّله ودع ذا ... قلت يا غايةَ قصدي
هو واللّه وحيدٌ ... جلّ عن مثل ونِدٌ

وأنشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

يا مضيعاً للعهد والودُّ غدراً ... ومريداً بجهده التفريقا
إن أطعت العدوَّ فينا فإنّا ... قد عصينا فيك الصديق الصدوقا

وأنشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

أفدي الذين تحكّموا بحشاشتي ... أصلَوا بها نار الغرام وأجّجوا
باعوا فؤادي بالهوان زهادةً ... وعليه في سوق المذلّة حرّجوا
ما كنت أحسب أنّ قدريَ عندهم ... هذا ولا وُدّي لديهم يسمجُ
لكنهم لم يظلموني الذنبُ لي ... في مثل صحبتهم وما أنا أهوَجُ
لكنّما عين المحبّة أكمهٌ ... ولقد نشبت بهم فكيف المخرجُ
لا ودّهم يصفو ولا رَسْمُ الهوى ... يعفو ولا عنّي الهموم تفرّجُ
ضاعت مفاتيح السلوّ جميعها ... منّي وباب العشق باب مُرتجُ

١٧٠ ـ «السفاقسي المالكي» محمد بن محمد. الإمام الفاضل شمس الدين السفاقُسي ويأتي ضبطه في ترجمة أخيه إبراهيم، كان هو وأخوه رحمها الله تعالى مالِكِيَّيْنِ وهما من فضلاء المالِكِيَّةِ، حضر شمس الدين هذا إلى دمشق وأنا بها ورأيته شكلاً تامّاً حسناً مليحَ الوجه أظنُّهُ لم يبلغ الأربعين وأقام بدمشق بعضَ سنةٍ أو أكثر وأقرأ الناسَ بالجامع الأموي ثم توجَّهَ إلىٰ حلب فحظي بين الحلبيّين وتصدّر هناك وأفاد وَوَلِيَ وظائفَ ولم تطل المدّة حتى توفّي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين ثاني شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة، أثنى عليه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي ثناءً كثيراً وقال: له على مختصر ابن الحاجب بعضُ شرح وشرح قصيدة ابن الحاجب في العروض.

١٧١ ـ «شمس الدين بن نباته» محمد بن محمد بن الحسن. الشيخ شمس الدين بن نباته الفارقي المصري هو والد الشاعر الناثر جمال الدين محمد بن نباته يأتي تمام نسبه في ترجمة ولده محمد بن محمد بن محمد ثلاثةً في مكانه، هذا الشيخ شمس الدين من أشياخ الحديث بدمشق ساكن

خيّر قليل الكلام ينفِق كل ما يحصل له على أحفاده أولاد ولده جمال الدين يباشر شهادة الخاصّ وقت القِسم بدُومة وداريّا، وكان في مصر شاهداً بديوان الجاشنكير بَيبرس، وُلد بمصر سنة ست وستين وستمائة سمع من العزّ الحرّاني وابن خطيب المزّة وغازي الحلاوي وأبي بكر محمد بن إسماعيل بن الأنماطي وغيرهم وله سكَنٌ بالظاهرية بدمشق، أجاز لي بخطّه في سنة ثلاثين وسبعمائة وتولّى دار الحديث النورية بعد الشيخ زين الدين بن المزّي، وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة خمسين وسبعمائة.

١٧٢ ـ **«ابن ميناء» محمد بن محمد بن ميناء. الشيخ الإمام الفاضل شمس الدين البعلبكي الشافعي**، سمع من القاسم بن عساكر ومن عيسى المُطعِّم وغيرهما، وقرأ الفقهَ وبرع فيه وناظر وأفتى، وتوجه إلى بغداد وأعاد بالنظامية فيما قيل وعاد إلى الشام، وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله يثني على ذهنه وكان على ذهنه إشكالاتٌ في المذهب وشكوك في غير الفقه وكان ينحرف كثيراً، وتولى قضاء الإقليم بدمشق وما كان يخلو من تعبّد، وخلَّف لما توفي رحمه الله دنيا صالحةً ووصّى بثُلث ماله أن يصرف على فقراء الفقهاء كل إنسان عشرة دراهم وكان مقيماً بالرَواحِيَّة وكتب عنّي شيئاً وكان يعجبني ذهنه وحديثه، وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبعمائة في حدود الخمسين.

١٧٣ ـ **محمد بن محمد بن قوام**. توفي بكرة الجمعة سادس عشر المحرم سنة سبع وأربعين وسبعمائة ودفن بزاوية جدّه.

١٧٤ ـ **«ابن محمش» محمد بن محمد بن محمد. ابن مَحمِش بالحاء المهملة والشين المعجمة على وزن مَسْجِد ابن علي بن داود الفقيه أبو طاهر الزيادي الشافعي الأديب** كان أبوه من أعيان العبّاد وأما أبو طاهر فكان إمام أصحاب الحديث بنيسابور وفقيههم ومفتيهم بلا مدافعة وكان متبحّراً في الشروط وصنّف فيه وله معرفة تامّة بالعربية وحدّث بعلوّ في الثقفيّات وتوفي سنة أربعمائة.

١٧٥ ـ **«الوزير عميد الدولة ابن جهير» محمد بن محمد بن محمد. ابن جَهير الوزير عميد الدولة أبو منصور ابن الوزير فخر الدولة** المتقدم ذكره وزر في أيام والده وخدم ثلاثة خلفاء ولما احتضر القائم أوصى به ولدَهُ المقتدي ثم إنه عُزِل بأبي شجاع ثم عاد إلى الوزارة ونظم فيه ابن الهبّاريّة البيتين السائرين وذكرتهما في ترجمة والده وبقي فيها تسعة أعوام وكان خبيراً كافياً مدبّراً فصيحاً مُفوّهاً مترسّلاً وله هيبة وسكون وكلماته معدودة كلّم يوماً لولد أبي نصر بن الصبّاغ فقال له اشتغل وأدّاب وإلاّ كنتَ صبّاغاً بغير أب فلما قام من المجلس جاء الناس إلى ابن الصبّاغ للهناء لكون الوزير كلّمه، وله ترسّل حسن وتواقيع وجيزة وله شعر أيضاً وكانت له رئاسة وسياسة وهو من الوزراء الممدّحين قال العماد الكاتب: مدحه عشرة آلاف شاعر ويقال إنه مُدِحَ بمائة ألف بيت شعر، ومن شعرائه مسعود بن العلاء المعروف بابن الخبّار ومن مدحه فيه من جملة قصيدة

---

١٧٠ ـ «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ١٥٨)، «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١١٣٤ ـ ١٨٥٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٥)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

[البسيط]:

مجرّب الرأي يقظان البصيرة هجّـ ام العزيمة قوّام البراهينِ
يُريك في الدست أطراقاً وهيبته من الصعيد إلى أقطار جَيْحُونِ
للحمد سُوقٌ لديه غير كاسدة وللمدائح أجرٌ غير ممنونِ

وآخر أمره [آل] إلى أن حبسه الخليفة المستظهر في داره واستصفى أمواله وأموال من يلوذ به من العمّال والنوّاب وأخرج ميّتاً في شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وحُمل إلى داره فغُسل فيها ودُفن بالتربة التي استجدّها في قراح ابن رَزين ومنع أصحاب الديون التي عليه من دفنه في التربة وقالوا هذه ملكه ولم يصحّ وقفها ثم عجزوا عن إبطال ذلك، وقيل إن المستظهر أدخل عميد الدولة ابن جهير حمّاماً وسمّر عليه الباب إلى أن مات فيه وأُخرج للشهود ليشهدوا أنه ليس فيه أثر قتل ليقال إنه مات حتف أنفه ودخل في جملة الشهود أخوه الكافي فصاح يا أخي يا أبا منصور قتلوك وجعل يردّدها دفعاتٍ فقيل إن خمسمائة خادم خلعوا مَداساتهم وخفافهم وصفعوه بها فوقع ميّتاً ولم يُسمع بمن مات هذه الميتة.

١٧٦ ـ **«الطالقاني الصوفي» محمد بن محمد بن محمد. أبو عبدالله الطالقاني الصوفي**، سافر البلاد وسمع الكثير وسكن صُور إلى أن مات بها في ذي القعدة سنة ست وستين وأربعمائة عن ثمانين سنة، ومن رواياته عن أبي عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الله الرازي عن أبي الحسين النوري قال رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أكرر النظر فقلت يلبسون النعال الصرّارة ويمشون في الطرقات فقال الغلام أحسنت أتجمش بالعلم ثم أنشأ يقول [الطويل]:

تأمّل بعين الحقّ إن كنت ناظراً إلى صفةٍ فيها بدائع فاطرِ
ولا تُعط حظّ النفس منها [...] وكن ناظراً بالحقّ قدرة قادرِ

١٧٧ ـ **«أبو منصور العكبري» محمد بن محمد بن محمد. أبو منصور العكبري**، كان فاضلاً فصيحاً صدوقاً يحاضر بالحكايات المستحسنة والأناشيد الظريفة، من إنشاداته [الوافر]:

أُطيل الفكر مني في أناسٍ مَضَوْا عنّا وفي من خلَّفُونا
هم الأحياء بعد الموت ذكراً ونحن من الخمول الميّتونا
لذلك قد تعاطيتُ التجافي وإنّ خلائقي كالماء لينا
ولم أبخل بصحبتهم لأمرٍ ولكن هاتِ قوماً يُصحَبُونا

ويقرب من هذا قول البارع من أبيات [الخفيف]:

قد[1].

لا لأني أنِفت مع ذا من الكُد ية أين الكرام حتى أُكدّي

وقول شاعر الحماسة [الكامل]:

خَـلَـتِ الـديـارُفـسُـدتُ غـيـرَ مُـسَـوَّدِ   ومـن الـعـنـاء تـفـرّدي بـالـسـؤْدَدِ

والأصل في هذا كله قول لبيد [الكامل]:

ذهـب الـذيـن يـعـاش فـي أكـنـافـهـم   وبقـيـت فـي خَـلَـفٍ كـجـلـد الأجـرب

كانت ولادة أبي منصور في شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ووفاته ببغداد في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة.

١٧٨ ـ «الغزالي» محمد بن محمد بن محمد. ابن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الرادكاني ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان في زمن أستاذه وصنّف ولم يزل يلازمه إلى حين وفاته فخرج إلى العسكر ولقي نظام الملك فأكرمه وعظّمه وكان بحضرة الوزير جماعة من الفضلاء فناظروه وظهر عليهم واشتهر اسمه وسار بذكره الركبان [الطويل]:

فـسـار بـه مَـنْ لا يـسـيـر مـشـمّـراً   وغَـنّـى بـه مـن لا يـغـنّـي مُـغَـرِّدًا

وفوَّضَ إليه الوزيرُ تدريسَ النظامية وعظمت حشمته ببغداد حتى علت على الأمراء والكبار وأعجب به أهل العراق ثم إنه ترك جميع ما كان فيه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وسلك طريق التزهّد والانقطاع وحجّ فلما رجع توجّه إلى الشام فأقام في مدينة دمشق مدّة يذكر الدروس في زاوية الجامع المعروفة الآن [به] في الجانب الغربي ثم توجّه إلى القدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظّمة ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدّة ويقال أنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش لما بلغه منه من محبة أهل العلم والإقبال عليهم فبلغه نَعْيُ المذكور فعاد إلى وطنه بطوس وصنّف بها كتباً نافعة ثم عاد إلى نيسابور وأُلزم بتدريس النظامية بعد معاودات ثم ترك ذلك وأقام بوطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسةً للمشتغلين بالعلم في جواره ووزّع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب، وأما مصنّفاته فمنها «كتاب إحياء علوم الدين» وهو من أجلّ الكتب وأعظمها حتى قيل فيه إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب وأول ما دخل إلى الغرب أنكروا فيه أشياء وصنفوا عليه «الإملاء في الردّ على الإحياء» قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: قد جمعتُ أغلاط الكتاب وسمّيته «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي «تلبيس إبليس»، وقال سبطه أبو المظفر: وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه كما ذكر في مجاهدة النفس أن رجلاً أراد محو جاهه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره

---

(١) بياض في الأصل.

١٧٨ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٥٨٦ ـ ٥٨٨)، و«طبقات الشافعية» للسُبكي (٤/ ١٠١ ـ ١٨٢)، و«المنتظم» لابن الجوزي (٩/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، و«اللباب» لابن الأثير (٢/ ١٧٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ١٠ ـ ١٣)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٥/ ٢٠٣)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ١٧٧ ـ ١٩٢)، و«طبقات=

ثم لبس ثيابه فوقها وخرج يمشي على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه فسمّي سارق الحمّام وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين وهذا قبيح لأنه متى كان للحمام حافظ وسرق منه سارق قُطِعَ ثم لا يحلّ لمسلم أن يتعرض لأمرٍ يؤثِّمُ الناسُ به في حقّه وذكر أن رجلاً اشترى لحماً فرأى في نفسه أنه يستحي من حمله إلى بيته فعلّقه في عنقه وهذا في غاية القبح ومثله كثير انتهى، وأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصحّ ومثل هذا يجوز في الترغيب والترهيب والكتاب غاية في النفاسة وكان الإمام فخر الدين يقول: كأن الله جمع العلوم في قبّةٍ وأطلع الغزاليَّ عليها أو كما قال، ومن مصنّفاته «البسيط» و«الوسيط» وهو عديم النظير في بابه من حسن ترتيبه وتهذيبه وعليه العمدة الآن في إلقاء الدروس و«الوجيز» و«الخلاصة» هذه الأربع في الفقه قال بعضهم فيها [مجزوء الرمل]:

هــذّب الـمـذهـب حـبـرٌ أحـسـن الله خَـلاصـه

بـبـسـيـط ووسـيـط ووجـيـز وخُـلاصـة

ويقال لنه قيل له ما عملت شيئاً أخذت الفقه من كلام شيخك في «نهاية المطلب» والتسمية لكتبك من الواحدي ويقال إن نهاية المطلب لإمام الحرمين كانت زُبَر حديد فجعلها الغزالي زبر خشب، ومن مصنفاته «المستصفى في أصول الفقه» و«المنخول» و«اللباب» و«بداية الهداية» و«كيمياء السعادة» و«المآخذ» و«التحصين» و«المعتقد» و«الجام العوامّ» و«الرد على الباطنيَّة» و«مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة» و«جواهر القرآن» و«الغاية القصوى» و«فضائح الإباحيّة» و«غَورالدَور» و«المنتخل في علم الجدل» و«معيار العلم» و«المضنون به على غير أهله» و«شرح الأسماء الحسنى» و«مشكاة الأنوار» و«المنقذ من الضلال» و«القسطاس المستقيم» و«حقيقة القولين» وأورد ابن السمعاني من نظمه قوله [الكامل]:

حـلّـت عـقـاربُ صدغـه مـن وجـهـه قـمـراً فـجـلّ بـه عـن الـتـشـبـيـه

ولـقـد عـهـدنـاه يحـلّ بـبـرجـهـا ومـن الـعـجـائـب كيـف حـلّـت فـيـه

وأورد له العماد الكاتب في الخريدة قوله [الكامل]:

هبـني صبـوت كـمـا تـرون بـزعـمـكـم وحَـظـيـت مـنـه بـلـثـم خـد أزهـر

إنــي اعـتـزلـت فـلا تـلـومـوا إنـه أضـحـى يـقـابـلـنـي بـوجـهٍ أشـعـري

= الشافعية» لابن هداية (٦٩ ـ ٧١)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٢/ ٢٣٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (٢/ ٥١ ـ ١٩١ ـ ٢١٠) و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٣٦ ـ ٨٢ ـ ٨٤ ـ ٩٧ ـ ١٠٤ ـ ١٣٥ ـ ١٤٨ ـ ١٧٢ ـ ٢١٦ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ـ ٢٤٥ ـ ٣٦٠ ـ ١٨٠٥ ـ ١٨٠٦ ـ ١٩١٨ ـ ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨ ـ ٢٠٥٣)، و«روضات الجنات» للخوانساري (١٨٠ ـ ١٨٥)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ١١ ـ ١٧١ ـ ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ـ ٥٩٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٧٩ ـ ٨١).

وأورد له ابن النجّار [الكامل]:

فقهاؤنا كذبالة النبراس هي في الحريق وضوؤها للناس

خبرٌ ذميمٌ تحت رائق منظر كالفضّة البيضاء تحت نحاس

وكانت ولادته في سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران وتوفّي يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران ورثاه أبو المظفر محمد الأبيوَردي بأبيات فائيّة منها [البسيط]:

مضى وأعظم مفقود فجعت به مَن لا نظير له في الناس يخلفُه

وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام الطائي [الطويل]:

عجبت لصبري بعده وهو ميّتٌ وكنتُ امرءاً أبكي دماً وهو غائب

على أنها الأيام قد صِرْنَ كلُّها عجائبُ حتى ليس فيها عجائب

ودفن بالطابران وهي قصبة طوس وقيل أنه قال في بعض مصنّفاته: ونسبني قوم إلى الغزّال وإنما أنا الغزالي نسبةً إلى قرية يقال لها غزالة بتخفيف الزاي والله أعلم.

١٧٩ ـ «قاضي النعمانية» محمد بن محمد بن محمد بن حامد بن عمر بن بنيق. أبو تمام من أهل النعمانية، كان قاضياً بها وقدم بغداد وسمع من أبي جعفر محمد بن المسلمة وأبي بكر الخطيب، وحدّث باليسير روى عنه أبو السعادات المبارك بن الحسين بن نعوبا وأبو طاهر السِّلَفِي.

١٨٠ ـ «أبو الغنائم المعوج» محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكَن. أبو الغنائم ابن أبي منصور المعروف بابن المعوّج من أهل باب المراتب، حدّث عن الشريف أبي نصر الزينبي وسمع منه أبو بكر بن كامل وأخرج عنه حديثاً في معجم شيوخه.

١٨١ ـ «أبو نصر العكبري» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز بن مهران. أبو منصور بن أبي نصر العُكبري من أولاد المحدّثين، حدّث هو وأبوه وجدّه وأبو جدّه وذكرهم الخطيب في تاريخه، وأبو منصور هذا أسمعه أبوه من أبي الطيب طاهر الطبري وأبي محمد الحسن بن علي الجوهري وغيرهما وحدّث باليسير ببغداد وعُكْبَرَا، روى عنه أبو المعمَّر الأنصاري وأبو طاهر السِّلَفِي وأبو بكر المبارك الخفّاف، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

١٨٢ ـ «أبو محمد الأنصاري» محمد بن محمد بن محمد بن عمر. أبو محمد الأنصاري من أهل باب البصرة، حدّث عن أبي طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري وسمع منه أبو بكر بن المبارك الخفّاف وأخرج عنه حديثاً في معجم شيوخه.

١٨٣ ـ «أبو عبدالله البيضاوي» محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد البيضاوي. أبو عبد الله سبط القاضي أبي الطيب طاهر الطبري، كان فقيهاً فاضلاً شافعياً، قال عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني الفَرضي لم أرَ أذكى منه، ترسّل إلى غَزنة بسبب بيعة المقتدي وحدّث بهراة عن جماعة وكان سرِيّا جميلاً، توفي سنة سبعين وأربعمائة.

١٨٤ ـ **«البروي الشافعي» محمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله. أبو منصور الفقيه الشافعي البروي** بالراء أحد الأئمة المشاهير المشار إليه بالتقدم في النظر وعلم الكلام والفقه والوعظ وكان حلو العبارة فصيحها، تفقّه على الفقيه محمد بن يحيى النيسابوري صاحب المحيط في شرح الوسيط وكان من أكبر أصحابه، صنّف في الخلاف تعليقةً جيّدة و «المُقترح في المصطلح» وهو مليح في الجدل وشرحه تقي الدين أبو الفتح منصور بن عبد الله المصري المعروف بالمُعتزّ شرحاً مستوفىً وعُرِفَ به فلا يقال شرح التقي المصري، دخل البروي إلى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة وصادف قبولاً من العامّ والخاصّ وتولّى المدرسة البهائية قريباً من النظامية ويذكر بها كل يوم عدّة دروس ويحضره الخلق وله حلقة المناظرة بجامع القصر ويحضر عنده المدرّسون والأعيان ويظهر عليه من الحركات ما يدلّ على رغبته في تدريس النظامية وكان ينشد في أثناء مجلسه مشيراً إلى موضع التدريس قول أبي الطيّب [البسيط]:

بكيتُ يا ربعُ حتى كدت أبكيكا وَجُدْتُ بي وبدمعي في مغانيكا

الأبيات الثلاثة[1] ويفهم الناس عنه ذلك، وكان قدم دمشق ونزل في رباط الشميساطي وقرىء عليه هناك شيءٌ من أماليه، وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وخمسمائة بطوس وتوفي سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد وصلّى عليه المستضيء يوم الجمعة بقصر الخليفة ودفن بباب أبرز من تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان يبالغ في ذمّ الحنابلة وقال لو كان لي أمرٌ لوضعت عليهم الجزية فجاءته امرأة في الليل بصحن حلوى قالت أنا أعزل وأبيعه وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى.

١٨٥ ـ **«ركن الدين العميدي» محمد بن محمد بن محمد وقيل أحمد ركن الدين أبو حامد الحنفي السمرقندي المعروف بالعميدي**، كان إماماً في الخلاف وخصوصاً الجُست وهو أول من أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين واشتغل فيه على رضي الدين النيسابوري وهو أحد الأركان الأربعة لأنهم اشتغلوا على الشيخ المذكور وكل منهم لقبه ركن الدين وهم الطاوسي وركن الدين زادا[2] والعميدي هذا[3] وصنف العميدي «الإرشاد» فاعتنى بشرحه جماعة منهم القاضي شمس الدين الخويّي قاضي دمشق وأوحد الدين قاضي مَنبج ونجم الدين المرندي وبدر الدين المراغي عُرف بالطويل وغيرهم وصنّف «الطريقة» المشهور بأيدي الناس و«النفائس» واختصره القاضي شمس الدين الخويّي أيضاً وسمّاه «عرائس النفائس»، وصنّف أشياء أخرى مستملحة واشتغل عليه خلق كثير وانتفع به جماعة منهم نظام الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود الحنفي المعروف بالحصيري صاحب الطريقة المشهورة، وكان العميدي كريم الأخلاق كثير التواضع طيّب المعاشرة، توفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة خمس

---

١٨٤ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٥٩٠ ـ ٥٩١)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٤٢٤ ـ ١٧٩٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٢٢٤).

عشرة وستمائة ببخارىٰ.

١٨٦ ـ «الأثير ابن بنان الكاتب» محمد بن محمد بن محمد بن بنان الأنباري. أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب، من أهل مصر وأصله من الأنبار، قرأ الأدب وسمع الحديث وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاتباً بليغاً يكتب الخط الحسن ويقول الشعر الجيّد ويترسل فيه مفاكهة ودماثة أخلاق، قدم بغدادَ رسولاً مع قافلة الحاجّ من مكة من جهة سيف الإسلام طُغتِكين أخي صلاح الدين من اليمن فأُنزل بباب الأزج وأكرم مثواه وحدّث بكتاب الصحاح في اللغة للجوهري عن أبي البركات محمد بن حمزة بن الغرقي عن أبي القاسم بن القطاع عن أبي بكر بن البرّ التميمي عن أبي إسماعيل بن عَبدُوس عن الجوهري وبالسيرة النبوية لعبد الملك بن هشام عن والده عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن سعيد الحَبّال، سمع منه أبو الفتوح بن الحُصري وأبو القاسم المبارك بن أنوشتكين الجوهري العدل، ولد سنة سبع وخمسمائة بمصر وتوفي بها سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة، له «كتاب تفسير القرآن المجيد» و«كتاب المنظوم والمنثور» في مجلدين ومن نظمه وقد رأى بعضهم وقد كتب «وكتب فلان بخط يده» فقال [الكامل]:

أفسدت معرفتي بفرط تخلّفِ ... ونسختَ بالتشكيك صدقَ يقيني

لو كانَ قومٌ يكتبون برجلهم ... لبسطتُ عُذرك يا سخين العَينِ

قلت ندَّد ابن البنان في غير موضعه لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، ومن شعره أيضاً في صاحبٍ توفي [الخفيف]:

عجباً لي وقد مررتُ بآثا ... رك كيف اهتديتُ نهجَ الطريقِ

أتراني نسيتُ عهدك فيها ... صَدقوا ما لميّتٍ من صديقِ

وكتب الكثير بخطّه المليح، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية وتقلّب في الخِدَم في الأيّام الصلاحيّة بتِنِّيس والإسكندرية وكان القاضي الفاضل ممن يغشَى بابه ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه وأنشد يوماً [السريع]:

بَرَّحَ بي أنّ علوم الورَى ... شيئان إن حصّلتها لا مَزيد

---

(١) في ديوان المتنبي (ص ٤٢).

١٨٥ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٦٠٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٦٤ ـ ٦٥)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٣١)، و«الجواهر المضية» للقرشي (٢/ ١٢٨ ـ ٣٧٢)، و«المختصر في أخبار البشر» لإبي الفداء (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٦٩ ـ ١١١٣ ـ ١٩٦٦)، و«الفوائد البهية» للكنوي (٢٠٠)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٨٧).

(٢) في «وفيات الأعيان» (١/ ٦٠٤): إمام زادا.

(٣) بياض في الأصل، وفي «وفيات الأعيان» (١/ ٦٠٤): وقد شذَّ عني مَنْ هو الرابع.

١٨٦ ـ «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٥٥)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٣٠٢)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٥٣) و«معجم المؤلفين» لكحّالة (١١/ ٢٧٣).

علـمٌ إذا مـا رمـت تـحـقـيـقـه أعـيَـيـا وعـلـمٌ حـفـظُـه لا يُـفـيـد

وكان الصالح بن رزيك قد ألزم الأثير بمالٍ رُفع إليه لكونه كان يتولى أموالاً له واعتقله فأرسل إليه يَمُتُّ بقديم الخدمة والتشيّع الموافق في المذهب فقال الصالح [المتقارب]:

أتـى ابـن بـنـان بـبـهـتـانـه يـحـصّـن بـالـديـن مـا فـي يـديـه

بـرئـت مـن الـرفـض إلاّ لـه وتُـبـت مـن الـنـصـب إلاّ عـلـيـه

وكان قدر المال ستين ألف دينار فأخذ منه إثنا عشر ألفاً وترك له الباقي.

١٨٧ ـ «برهان الدين النسفي» محمد بن محمد بن محمد. الشيخ برهان النسفي الحنفي المنطقي صاحب التصانيف قال ابن الفُوطي: هو شيخنا المحقق المدقق العلاّمة الحكيم له التصانيف المشهورة كان في الخلاف والفلسفة أوحد متع بحواسه وكان زاهداً وقد لخّص تفسير الإمام فخر الدين، قدم بغداد حاجّاً سنة خمس وسبعين واشتغل عليه هارون ابن الصاحب، مولده تقريباً سنة ستمائة وتوفي ببغداد في سنة سبع وثمانين وستمائة.

١٨٨ ـ «شرف الدين بن عمروك البكري» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عَمرُوك. وهو أبو الفضائل بن أبي عبد الله بن أبي الفتوح بن أبي سعد بن أبي سعيد شرف الدين القرشي التيمي البكري، مولده بالقاهرة سنة تسعين وخمسمائة وأجاز له جماعة وحدّث هو وأبوه وجدّه وأخوه صدر الدين البكري، وتوفى الرابع من المحرم سنة خمس وستين وستمائة بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطّم.

١٨٩ ـ «نظام الدين ابن المولى الكاتب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد المجيد. نظام الدين أبو عبد الله الأنصاري البغدادي الأصل الحلبي المولد والمنشأ المعروف بابن المولى ولد بحلب في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق ليلة الخامس من جمادىٰ الآخرة ودفن من الغد بجبل قاسيون، كان صاحبَ ديوان الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين مقدّماً على جماعة الكتّاب فاضلاً رئيساً له الوجاهة العظيمة والمنزلة المكينة عند مخدومه وله الترسل والنظم الحسن وروى عنه الدمياطي، وسيأتي ذكر أخيه أحمد ونظام الدين المذكور وهو الذي استثناه السامَرّي في أرجوزته فقال:

ولـيـس يُـسـتـثـنـى مـن الـجـمـاعـة غـيـر كـمـال الـديـن والـنـظـام

١٩٠ ـ «موفق الدين الخطيب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن جَيش بن أبي المكارم. الفضل الخطيب موفق الدين أبو المعالي المعروف بخطيب جامع حَماة تولى خطابة الجامع الأموي والإمامة يوم الجمعة ثامن عشرين شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وستمائة عوضاً عن الشيخ عزّ الدين الفاروثي فعَزَّ على الناس وعليه ذلك فحضر إلى السلطان الملك الأشرف فلما

---

١٨٧ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٨٥)، و«الجواهر المضية» للقرشي (٢/ ١٢٧)، و«الفوائد البهية» للكنوي =

رآه السلحدارية أَخَذُوا بيده وأجلسوه إلى جانب الأمير عزّ الدين أيبك الحموي نائب الشام فسأل السلطان عنه فأخبر أنه قد عُزل وتوهم الشيخ أن الوزير ابن السلعوس عزله فاعتذر إليه السلطان وقال: بلغنا أنك ضعيف فقال من صلّى مائة ركعة بألف قل هو الله أحد يعجز عن صلاة الفرض يعني صلاة النصف فلم يلتفتوا إليه وانكسر قلبه وهرب في هذه الجمعة حسام الدين لاجين فاغتمّ السلطان وتوجه هو والأمراء والعسكر في البرِّية يفتّشون عليه وكانوا قد أطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر فصلى الخطيب موفق الدين بالعوامّ والسلطان والعساكر مهججون في طلب حسام الدين لاجين ثم إن السلطان عاد بعد العصر يوم العيد فنظم بعض الشعراء [الكامل]:

خطب الموفّق إذ تولّى خطبةً ... شقّ العصا بين الملوك وفرّقا
وأظنّه إن قال ثانيةً غدا ... دِينُ الأنام وشمله متمزّقا

ثم إن الموفّق طُلب إلى حماة وولي القضاء بها مدة ثم إنه قدم دمشق متجفلاً من التتار فتوفي رحمه الله تعالى بدرب القاضي سنة تسع وتسعين وستمائة وكان من [أهل][1] الخير والدين والصلاح.

١٩١ ـ «عز الدين ابن الوزير العلقمي» محمد بن محمد بن محمد. عزّ الدين أبو الفضل ابن الوزير ابن العلقمي قرأ القرآنَ والعربيةَ على التقي حسن بن الباقلاني الحِلّي النحوي واللغةَ على رضيّ الدين الصغاني وكتب التقاليد عن الخليفة أيام والده وله النظم المتوسط كتب على كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي [الطويل]:

سماءٌ أنارت للفضائل أنجماً ... وبحرٌ أثار الدُرّ فذّاً وتوأما
جلا أوجه الآداب زُهراً مضيئةً ... فثقّف عود العلم حتى تقوما
أثار خفيّات الفضائل فانثنى ... سناها مضيئاً بعد أن كان مُظلماً
وألّف من بعد التفرّق شملها ... على أن فيه حسنها متقسّما
تضمّن أسماءً ينير بها الدُجى ... ويُهدَىٰ بها الغاوي ويُجلىٰ بها العَمى

١٩٢ ـ «شمس الدين بن الشيرازي» محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مَميل. الفارسي الشيرازي الأصل الدمشقي ثم المِزّي شمس الدين أبو نصر بن عماد الدين الكاتب ابن أقضى القضاة شمس الدين أبي نصر، ولد سنة تسع وعشرين سمع من جدّه حضوراً ثم سماعاً ومن عمّه تاج الدين ومن علم الدين السخاوي والعلم ابن الصابوني والمؤتمن ابن قميرة وأبي إسحاق بن الخشوعي وبهاء الدين ابن الحُميِّري وجماعة وأجاز له الشيخ

= (١٩٤)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٥ ـ ٨٦٥ ـ ٨٨٢ ـ ١٠٣٢ ـ ١٢٧٢ ـ ١٢٩٦ ـ ١٧٢٠ ـ ١٧٥٦ ـ ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ ـ ١٨٠٣ ـ ١٨٦١)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ١٩٤)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ٢٩٧).

١٩٠ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٤٣٦).

شهاب الدين الشهرزوري وبهاء الدين بن شداد وإسماعيل بن باتكين وابن روزبه وخلق كثير وتفرّد بأجزاء وعوالٍ وازدحم الطلبةُ عليه وألحق الصغارَ بالكبارِ، انتقى له الشيخ صلاح الدين بن العلائي والبرزالي والواني والشيخ شمس الدين وكان ساكناً وقوراً متواضعاً نزر الحديث منجمعاً عن الناس، له مِلك يعيش منه وكان بارعاً في تذهيب المصاحف ظهرت فيه مبادىء اختلاط سنة اثنتين وعشرين وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

١٩٣ ـ «افتخار الدين الحنفي» محمد بن محمد بن محمد. افتخار الدين أبو عبد الله، نقلتُ من خط مستوفي إربل صاحب «كتاب نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» وهو تاريخ أربل ما صورته: ورد في أوائل صفر سنة عشرين وستمائة شابّ طويل عجمي حنفي المذهب سألته عن لقبه فذكره لي وسألته عن كنيته فلم يعرفها وسألته عما بعد محمد الأخير فقال ما أعرف إلا ذلك أو كلاماً هذا معناه حدثني أنه ولد بأوش من فرغانة ونشأ بكاشغر أنشدني لنفسه يمدح عميد الملك أسعد بن نصر وزير شيراز [الكامل]:

يا خير من بلغ المدى فيما سلكْ ... ورقاب أحرار الورى بذلاً ملكْ

خرّت له الثقلان طوعاً سُجّداً ... مهما أظلّهما ويخدمه الملكْ

مارستُ فيك السَير ممتطِيَ الوجى ... بخشاشة قد جاوزت حيّاً هلكْ

إن كنت تقلبني أصبت مآربي ... أو لا فأُبتُ آيساً والحكم لكْ

فُز بالعُلَى وحُز المُنى وجُز المَدى ... قطب المعالي ما استدار رحى الفلكْ

قلت هو نظم غثّ وَرَقْمٌ رثّ.

١٩٤ ـ «زين الدين الشريشي القنائي» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد. زين الدين أبو حامد العثماني بن تقي الدين الشريشي القنائي بالقاف والنون والألف القاضي الشافعي، اشتغل بالفقه على الشيخ جلال الدين أحمد الدشنائي وأجازه بالفتوى وسمع منه وكانت له مشاركة في الأصول والنحو والأدب ويكتب خطاً حسناً وله يدٌ في الوراقة وتولّى القضاء بأدفو وأسوان وتولّى قفط وقَنا وهَوْ وعَيذاب وكان حسن السيرة مرضيّ الطريقة قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوفي في شهر رجب سنة خمس وسبعمائة بقَنا، وأورد له الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي أبياتاً من جملة صَداقٍ كتبَهُ وهي [الطويل]:

أَطِلْ نظراً فيه فلستَ بناظر ... نظيراً له كلاّ ولستَ بواجدِ

وفُز من محيّاه بلَمحة ناظر ... تَنل ما تُرجّي من سَنيّ المقاصدِ

فكلّ سديد منهم ومسدّدِ ... وكل تقيّ عندهمْ ثُمّ ماجدِ

إذا ما اغتذى سمعي بذكر صفاتهم ... تخامر قلبي سكرة المتواجد

(١) بياض في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

١٩٥ ـ **«ابن عساكر القوصي الشافعي» محمد بن محمد بن محمد بن جماعة بن عساكر بن إبراهيم. أبو بكر القرشي الزهري القوصي** كان من الفقهاء الصالحين والقضاة المتقين، سمع بقوص من أبي الفضل الهمذاني وتخاصم مع أخيه منصور فترك قوص ورحل إلى مصر وأقام بمدرسة منازل العزّ وصحب قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكري قبل القضاء وكانت الكتب تأتي إليه من أهله من البلاد فلا يفتحها حتى تفقّه وأذن له في الفتوى قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: كتب بخطه كثيراً حتى قيل إنه كتب النهاية مرّات وأنه كتب الوسيط ثمانية وأربعين مرة وتولى تدريس مدرسة بالفيوم وأقام بها فلما ولي القضاء عماد الدين بن السكري أضاف إليه القضاء بالفيوم فلما بلغه أنه قَبِلَ سجد شكراً قال هكذا أخبرني ابن ابنه القاضي نظام الدين محمد قاضي البهنسا وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

١٩٦ ـ **«ناصر الدين بن الصائغ» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ. الإمام المفتي المدرّس ناصر الدين الدمشقي** من أعيان الفقهاء، سمع كثيراً ونظر في الرجال وعُنِيَ بالمتون ومولده سنة سبع وسبعمائة وسمع من القاضي والمطعّم وعدّة وكتب عن الشيخ شمس الدين قال وله عبادة وإنابة وتسنّن.

١٩٧ ـ **«ابن التنسي» محمد بن محمد بن محمد بن محمد. الإمام المحدث جمال الدين الإسكندري المالكي** سبط التنسي، شابّ فاضل متفنّن، قدم دمشق وسمع من المزّي وزينب وأكثر وتميّز، ولد سنة عشر وسبعمائة.

١٩٨ ـ **«الوراق» محمد بن محمد بن محمد بن محمد. الفاضل العالم صدر الدين الورّاق البغدادي المصري**، قدم دمشقَ طالبَ حديث سنة أربع عشرة وسبعمائة وسمع من القاضي والصدر بن مكتوم وطائفة، وخطّه حلو وخُلقه حسن، ولد بعد التسعين وستمائة وتوفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى.

١٩٩ ـ **«ابن خطيب الزنجيلية» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود. المحدّث تقيّ الدين البخاري الدمشقي الحنفي ابن خطيب الزنجيلية جلال الدين**، ولد سنة ست وسبعمائة وحفظ القرآنَ واشتغل في النافع وسمع كثيراً ونسخ أجزاءً وكتابَ الكاشف وكتب الطباق وسمع ابنَ سعد والبهاءَ بن عساكر وعدّة وأخذ عن الشيخ شمس الدين، وتوفي رحمه الله سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في آخرها.

٢٠٠ ـ **«فتح الدين بن سيد الناس» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيّد الناس. الشيخ الإمام العلاّمة الحافظ المحدّث الأديب الناظم الناثر فتح الدين أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر، اليَعمُري الربعي**، كان حافظاً بارعاً أديباً متفنّناً بليغاً ناظماً ناثراً كاتباً مترسّلاً، خطّه أبهج من حدائق الأزهار، وآنَقُ من صفحات الخدود المطرّز وردها بآس العذار، حسن المحاورة لطيف العبارة فصيح الألفاظ كامل الأدوات جيّد الفكرة صحيح الذهن جميل المعاشرة لا تملّ محاضرته أدبه غضّ والإمتاع بأنسه نضّ، كريم الأخلاق كثير الحياء زائد الاحتمال حسن الشكل والعِمّة قلّ أن ترى العيون مثله [الطويل]:

لــه هــزّةٌ مــن أريَحــيّــة نــفــســه تــكــاد لــهــا الأرض الــجــديــبــة تُــعــشِــبُ

تَــجــاوز غــايــات الــعــقــول مــواهــبــاً تــكــاد لــهــا لــولا الــعــيــان تُــكــذّبُ

خــلائــق لــو يَــلــقَــى زيــادٌ مــثــالَــهــا إذاً لــم يــقــل: أيّ الــرجــال الــمــهــذّبُ

عــجــبــتُ لــه لــم يُــزْهَ تــيــهــاً بــنــفــســه ونــحــن بــه نــخــتــال زهــواً ونــعــجــبُ

وهو من بيت رئاسة وعلم عنده كتب كثيرة وأصول جيّدة سمع وقرأ وارتحل وكتب وصنّف وحدّث وأجاز وتفرّد بالحديث في وقته أجاز له النجيب عبد اللطيف وكنّاه أبا الفتح وأجلسه في حجره وسمع حضوراً سنة خمس وسبعين من القاضي شمس الدين محمد بن العماد وفي سنة خمس وثمانين، كتب الحديث بخطّه عن الشيخ قطب الدين بن القسطَلاّني وقرأه بلفظه عليه وعلى أصحاب ابن طبرزذ وأصحاب الكندي وابن الحرَستاني بمصر والشام والحجاز والإسكندرية وارتحل إلى دمشق سنة تسعين وكاد يُدرك الفخر بن الفخاري ففاته بليلتين وسمع من أبي عبد الله محمد بن مؤمن الصوري ومن أبي الفتح بن المجاور وأبي إسحاق بن الواسطي وطبقتهم وسمع بمصر من العزّ عبد العزيز بن الصَيقل وغازي الحلاّوي وابن خطيب المزّة والصفيّ خليل وتلك الطبقة وتنزّل في الأخذ من أصحاب سبط السلفي ثم إلى أصحاب الرشيد العطّار، قال الشيخ شمس الدين: ولعل مشيخته يقاربون الألف، ونسخ بخطّه واختار وانتقى شيئاً كثيراً ولازم الشهادة مدّةً، قال الشيخ شمس الدين: جالسته مرّات وبتّ معه ليلةً وسمعت بقراءته على الرضيّ النحوي، وكان طيّبَ الأخلاقِ بسّاماً صاحب دعابة ولَعِب وكان صدوقاً في الحديث حجّةً فيما ينقله له بصرٌ نافذٌ بالفنّ وخِبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف ويدٌ طولى في علم اللسان ومحاسنه جمّة انتهى كلام الشيخ شمس الدين، قلت صَحِبْتُهُ زماناً طويلاً ودهراً داهراً ونمت معه ليالي وخالطته أيّاماً وأقمت بالظاهرية وهو بها شيخ الحديث قريباً من سنتين فكنت أراه في كثير من الأوقات يصلّي كل صلاة مرّات كثيرة فسألته يوماً عن ذلك فقال إنه خطر لي يوماً أن أصلّي كل صلاة مرّتين ففعلت ذلك زماناً ثم خطر لي أن أصلّي كل صلاة ثلاث مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ عليّ ثم خطر لي أن أصلّي كل صلاة أربع مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ عليّ فعله وأُنسيت هل قال لي خمس مرّات أو لا، وكان صحيح القراءة سريعها كأنها السيل إذا تحدّر سريعَ الكتابة، كتب ختمة في جمعة وكان يكتب السيرة التي له في عشرين يوماً، وهي مجلّدان كبيران[١] وكان صحيحَ العقيدةِ جيّدَ الذهنِ يفهم به النُكَت العقلية ويسارع إليها ولكنه جمّد ذهنَه

---

٢٠٠ ـ «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢٠٨ ـ ٢١٣)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ٢٨٥)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ٢٩ ـ ٣٠)، و«فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٦٩)، ومرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٢٩١)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، و«التاريخ» لابن الوردي (٢/ ٣٠٥)، و«البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢٤٦ ـ ٥٥٩ ـ ١١٨٣ ـ ١٧٨٦ ـ ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/ ٤٥٣)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

لاقتصاره به على النقل، وكان الشيخ تقي الدين بن دَقيق العيد يحبّه ويؤثره ويَركن إلى نقله، أخبرني من لفظه القاضي عماد الدين إسماعيل بن القيسَراني قال: كان الشيخ تقي الدين إذا حضرنا درسه وتكلم فإذا جاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال أَيش ترجمة هذا يا أبا الفتح فيأخذ فتح الدين في الكلام ويَسرد والناس كلهم سكوت والشيخ مصغ إلى ما يقوله انتهى، قال لي لم يكن لي في العروض شيخ ونظرتُ فيه جمعةً فوضعت فيه مُصنّفاً وقد رأيت هذا المصنَّف، قلت ولو كان اشتغاله بقدر ذهنه كان قد بلغ الغاية القصوى ولكنه كان فيه لعب على أنه ما خلّف مثله لأنه كان متناسب الفضائل وكان محظوظاً ما رآه أحد إلاّ أحبّه، كان الأمير علم الدين الدواداري يحبّه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة وقال أحضرتُ لك هذا وهو كبير من أهل العلم فلم يدعه السلطان يبوس الأرض وأجلسه معه على الطَرّاحة وهل قام له أو لا أنا في شكّ من ذلك فلما رأى خطّه وسمع كلامه قال هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء فرُتّب في جملة الموقّعين فرأى فتح الدين الملازمةَ ولُبْسَ الخفّ والمهماز صعباً عليه فسأل الإعفاء من ذلك فقال السلطان إذا كان لا بدّ له من ذلك فيكون المعلوم له على سبيل الراتب فرُتّب له إلى أن مات، وكان الكمالي ينام معه في قَرطية النوم، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه ويودّه ويقضي الأشغال عنده وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وسمع البخاري بقراءته على الحجّار وتعصّب له الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وخلّص له مشيخة الظاهرية في الحديث وما أعرف أحداً من الأمراء الكبار الأعيان في الدولة إلا وهو يميل إليه ويجتمع به وكان الأمير سيف الدين الجائي الدوادار منحرفاً عنه والقاضي فخر الدين ناظر الجيش شيئاً يسيراً وكان بيده مع مشيخة الظاهرية مدرسة أبي حُليقة على بركة الفيل ومسجد الرصد وخطابة جامع الخندق وله رزق وله في صفد راتب وفي حلب فيما أظنّ، وكان عنده كتب كبار أمّهات جيّدة وأصول غالبها حضر إليه من تونس كمصنّف ابن أبي شيبة ومسنده والمحلّي وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعاجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المظفّري وغير ذلك، وصنّف «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِيَر» سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سمّاه «نور العيون» وسمعته من لفظه و«تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة» وسمعته من لفظه و«النفح الشذيّ في شرح جامع الترمذي» ولم يكمل، جمع فأوعى وكان قد سمّاه «العَرف الشذيّ» فقلت له سمِّهِ «النفحَ الشذيّ» ليقابل الشرح بالنفح فسمّاه كذلك و«كتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب» وقرأته عليه بلفظي و«منح المِدَح» وسمعته من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبعري و«المقامات العلية في كرامات الصحابة [الجلية]» وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسّله جيّد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه أصفه [البسيط]:

(١) واسم سيرته: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر» مطبوعة في مجلدين.

لي صاحبٌ يتمنّى ليَ الرضا أبداً ... كأنّما يختشي صدّي وهجراني
ويغلب النظمُ ألفاظاً يفوه بها ... فما يكلّمني إلاّ بميزان

وكتب بالمغربيّ طبقةً كما كتب بالمشرقي وكانت بيني وبينه مكاتبات كثيرة نظماً ونثراً يضيق عنها هذا المكان لكنْ أورد منها شيئاً وهو ما كتبه إليّ وأنا بصفد سنة أربع وثلاثين وسبعمائة [الطويل]:

سُررتم فإنّي بعدكم غير مسرورِ ... وكم لي على الإطلاق وقفة مهجورِ
ولا حسٌّ إلاّ حسّ صائحة الصدى ... ولا أُنس إلا أنس عيسٍ ويعفورِ
فيا وحدة الداعي صداه جوابه ... ويا وحشة الساعي إلى غير معمور
إذا قلتُ سيري قال سيري محاكياً ... وإن قلتُ زوري قال مثلي لها زوري
وما سرّني بالقرب أنّي أستزرتها ... ولا ساءني بالبعد قولي لها سيري
فيا ويح قلبي كم يعلّله المُنَى ... عُلالة دنيا أستعبدَت كل مغرورِ
تُواصل وصل الطيف في سِنَةِ الكَرَى ... ولستَ إذا استيقظتَ منه بمحبورِ
وتدنو دنوَّ الآل لا ينقَعُ الصدَى ... وتخلبُ آمالاً بخُلّبها الزورِ
تنيل المُنَى مَنْ سالمته خديعةً ... وتعقب مِنْ نَيْلِ المنى كلَّ محذورِ
فدعها وثِقْ بالله فالله كافلٌ ... برزقك ما أبقاك وأرضَ بمقدورِ
وكن شاكراً يسراً وبالعسر راضياً ... فأجرُ الرضَى والشكر أفضل مذخورِ

فكتبت إليه الجواب عن ذلك [الطويل]:

هل البرق قد وشّى مَطارف دَيجور ... أو الصبح قد غشّى دُجَى الأفق بالنورِ
وهل نسمة الأسحار جرّت ذيولها ... على زهر روضٍ طيّبِ النشر ممطورِ
وهيهاتَ بل جاءت تحيّة جيرةٍ ... إلى مُغرَم في قبضة البُعد مأسورِ
أتته وما فيه لعائدِ سُقمه ... سوى أنّةٍ تنبثُّ من قلب مصدورِ
فلمّا تهادت في حُليّ فصاحةٍ ... من النظم عن سحر البلاغة مأثورِ
أكبَّ على تقبيلها بعد ضمّها ... إلى خاطرٍ من لوعة البين مكسورِ
وأجرى لها دَمْعَ المآقِي ولم يكن ... يقابل منظوماً سواه بمنثورِ
فأرشفَهُ كأسَ السُلاف خِطَابُها ... وغازَلَهُ مِنْ خطها أعينُ الحورِ
فكم حكمة فيها لها الحكم في النُهى ... وكم مثلٍ في غاية الحسن مشهورِ
يرى كل سطرٍ في محاسن وضعه ... كمسك عذارٍ فوق وَجْنَةِ كافورِ
فلا أَلِفٌ إلاّ حكت غصن بانةٍ ... وهمزتها من فوقها مثل شحرورِ

فأصبح لا يثني إلى الروض جيده غراماً ولم يعدل بها وردَه الجُوري
وقد كانت الأطماعُ نامت ليأسها فلما أتت قال الغرامُ لها ثوري
وزادت جفونَ العين سُهداً كأنّما حَبَتْها بكحلٍ منه في الجفن مذرورِ
وكان الدجى كالعام فاحتقرتْ به وقالت له ميعادك النفخُ في الصورِ
ولم ترض من نار الحشا باتّقادها فقد قذفت في كل عضو بتنّورِ
وما شكرت عيني على سفح عَبرتي على أنّ محصول البُكى غيرُ محصورِ
وقالت أما تخبا الدموع لشدّة فدعها تَفِضْ من زاخر اللجّ مسجورِ
ولو كنت ألقى في البُكى فرجاً لَمَا مضى اليوم حتى كنتُ أوّلَ مسرور
أأحبابنا عذري على البعد واضحٌ وما كلُّ صبٍّ في البعاد بمعذورِ
فلو كنتُ أَلقَى الصبر هانت مُصيبتي ولكنّه للحظّ في غير مقدوري
فإن تبعثوا لي من زكاة اصطباركم فإنّي لما تهدونه جدُّ مضرورِ
سلوا الليل هل آنستُ فيه برقدةٍ فما هو ممن راح يشهد بالزورِ
فكم ليَ فيه صعقةٌ موسويّة وللقلب من ذكراكم دكّة الطورِ
تشفّعْتُ للبين المُشِتّ بكم عسى يعود هزيمُ القرب عودةَ منصورِ
على أنّ جاه الحظّ أكرمُ شافع ولولاه كان الدهر أطوعَ مأمورِ
وما هو إلاّ الحظّ يعترض المُنى ولو صحّ لم يُحتج إلى بنت منظورِ
فكم في البرايا بين عانٍ ومطلقٍ وسالٍ ومحزونٍ ودانٍ ومهجورِ
وليس سوى التسليم لله والرضَى بقلبٍ منيبٍ طائعٍ غير مقهورِ
وحاشَ لعلاّم الخفيّات في الورى على ما ابتلاني أن أُرى غير مأجورِ

فكتب إلي الجواب رحمه الله تعالى.

وردتِ المشرّفة الساميةُ بحُلاها، الزاهيةُ بعُلاها، المشتملةُ على الأبيات الأبيّات، الصادرة عن السجيّات السخيّات، التي فاقت الكنديّين، وطوت ذكر الطائيين، ما شئتَ من بدائع إيداع، وروائع إبداع، تقف الفصاحة عندها، وتَقْفُو البلاغة حدّها، فللّه ذلك الفضل الوافي، بل ذلك السحر الحلال الشافي، بل تلك القُوَى في القوافي، بل تلك المقاصد التي أقصدت المُنى في المنافي، بل تلك المَعاني التي حيّرتِ المُعاني، وفعلتْ بالألباب ما لا تفعله المثالث والمثاني، بل تلك الأوضاع التي حاكى الربيعُ وشيَها، وامتثل القلم أمرها ونهيها، فهو يصرّفها كيف يشاء مَرسوماً، ثقةً منه أنها لا تخالف له مَرسوماً، لقد آل فضل الكتاب إليها، وآلَى فصل الخطاب لا وقفَ إلاّ بين يديها، لقد صدرتْ عن رياض الأدب فجنتْ زهره اليانع، لقد أخذتْ بآفاق سماء الشرف (فلها قمراها والنجوم الطوالع)[1]، لقد أفحمتْ قائلةَ [الرمل]:

من يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ من آدابه كل ذنوب

[الطويل]:

لقد حسنت حتى كأنّ محاسناً ... تقسّمها هذا الأنامُ عيوبُ

هي الشمس تدنو وهي ناءٍ محلّها ... وما كل دانٍ للعيون قريبُ

تخطّتْ إلى الخُضر الجياد نباهةً ... وهيهات من ذاك الجناب جنيبُ

وحيّت فأحيت بالأماني متيّماً ... حبيبٌ إليه أن يُلَمّ حَبيبُ

يذكّرني ذاك الجمال جمالُها ... فليلي كما شاء الغرام رحيبُ

وما ليَ إلاّ أَنّةٌ بعد أنّةٍ ... وما ليَ إلا زفرةٌ ونحيبُ

حنيناً لعهدِ غادرَ القلبُ رهنَه ... وعلّم دمع العين كيف يصوبُ

وذكرَى خليلٍ لم يغب غير شخصه ... وفي كل قلب من هواه نصيبُ

ولولا حديث النفس عنه بِعَوْدِهِ ... وأنّ المُنَى تدعو بهِ فيجيبُ

لما استعذب الماءَ الزلالَ لأنّه ... إذا مازج الماء الزلال يطيبُ

فبادرها المملوك لِنَبَئِهَا متعرِّفا، وبإرجها متعرّفاً، وبولائها متمسّكا، وبثنائها متمسّكاً، شوقاً إليها لا يبيد، ولو عُمّر عُمُرَ لبيد، واقفاً على آمال اللقاء وقوف غيلان بدار ميّة، عاكفاً على أرجاء الرجاء عكوفَ توبة على ليلى الأخيلية، والله يتولاّه في حالتيه ظاعناً ومقيماً، ويجعل السعد له حيث حلّ خدينا والنجح خديماً، بمنّه وكرمه.

فكتبتُ الجواب إليه رحمه الله تعالى [الطويل]:

تنوح حماماتُ اللِّوَى فأجيبُ ... ويحضر عندي عائدي فأغيبُ

وقد ملّ فرش السقم طول تقلّقي ... عليه بجنبي إذ تهبّ جَنُوبُ

ولمّا بكتْ عيني نواك تعلّمتْ ... دموع السحاب الغُرّ كيف تصوبُ

أيا برقُ إن حاكيت قلبي فلم يكن ... لنارك مع هذا الخفوق لهيبُ

ويا غيثُ إن ساجلْتَ دمعي فإنه ... يفوتك مع ذا أَنّةٌ ونحيبُ

ويا غصنُ إن هزّت مَعَاطِفَكَ الصَّبَا ... فما لك قلبٌ بالغرام يذوبُ

إذا جفّ جفني ذاب قلبيَ أدمعاً ... فللّهِ قلبٌ عادَ وهو قليبُ

أبيتُ بجفنٍ ليس يعرف ما الكرى ... وأيّ حياةٍ بالسُهاد تطيبُ

وقلبٍ إذا ما قرّ عادتْه لوعةٌ ... فيعروه من بعد القرار وجيبُ

ألا إنّ دهراً قد رماني بصرفه ... لدهرٌ إذا فكّرتُ فيه عجيبُ

---

(١) عجز بيت تقدَّم في الترجمة النبوية الشريفة.

ويكفي بأنّي بين أهلي ومعشري وصحبي لبعدي عن حماك غريبُ

ويُنهي ورود المثال الذي تصدّق به مُنعماً، وأهداه خميلةً فكم شفى زهرها المنعَّم من عميً، وبعثه قلادةً فكم أزال دُرُّها المنظّمُ من ظَمإ، وأقامَهُ حجّةً على أنّ مرسله يكون في الإحسان والآداب مالكاً ومتمّماً، فبللتُ برؤيته غلّة الظماء البرح، وعاينتُ ما شاده من بنيان البيان فقلت لبلقيس عيني **﴿ادخلي الصرح﴾** [النحل: ٤٤]، وقمت من حقوقه الواجبة عليّ بما يطول فيه الشرح، وتلقّيته بالضمّ إلى قلب لا يَجبُرُ منه الكسرَ غيرُ الفتح، وأسمت ناظري من طرسه في الروض الأُنُف، وقسمتُ حُليَه على أعضائي فللجيد القلائد وللفرق التيجان وللأذن الشُنُف، ووردتُ منهله الصافي، والتحفتُ بظله الضافي، واجتليت من وجهه بشراً قابله الشكر بالقلم الحافي، وعكفت منه على كعبة الفضل فللّه ما نشرَ في استلامي وطوآ في طوافي، وكلّفتُ قلبي الطائر جواباً فلم تَقْوَ القوادم وظهر الخوَى في الخوافي، وقلتُ هذا الفنّ الفذّ الذي ما له ضريب، وهذا وصل الحبيب البعيد قد نلته برغم الرقيب القريب [الوافر]:

فيا عينيَّ بِيتَا في اعتناق ويا نَومي قدمتَ على السلامة

وأُقسم أن البيان ما نكّب عما دبّجه مولانا ونكّت، ولا أجراه الله على لسانه إلاّ لما سكّت البلغاء وبكّت، ولا آتاه هذه النقودَ المطبوعة إلاّ وقد خُلّصَتِ القلوبُ من رقّ غيره وفُكّت، ولا وهبه الله هذه الكلم الجوامع إلا أن الأوائل أحسّوا بطول رسائلهم فقطعوها من حيث رقّت والصحيح ركّت فما كلّ كاتب يده فمٌ ولسانه فيه قلم، ولا كل متكلّم حُسن بيانه تأتمّ الهداة به كأنّه عَلَم، ولا كل بليغ إذا خاطب الوليَّ كلا وإذا كلم العدوَّ كَلَمَ، لأنَّ مولانا حرسه الله تعالى لا يتكلّف إذا أنشأ، ولا يتخلّف إذا وشّى، والسجع عنده أهون من النَّفَس الذي يردده وأخفّ، والدرّ الذي يقذفه من رأس قلمه أكبر من الدر الذي في قعر البحر وأشفّ، وإذا راض قلمَه روْض الطروس من وقته، وإذا أفاض كلمه فوّض البيانُ إليها أمر مِقّته ومَقْته، وما كلمه إلاّ بحرٌ والقوافي أمواج، وما قلمه إلاّ ملك البلاغة فإذا امتطى يدَه ركضت به من الطروس على حُلَل الديباج، فلهذا أخملت رسائله الخمائلَ، وتعلّمتْ منه الصبا لُطْفَ الشمائل، وأخذت بآفاق البلاغة فلها أقمارها الطوالع ولغيرها نجومها الأوافل، وانتقت أعالي الفضائل وتركت للناس فضالات الأسافل [الوافر]:

وهذا الحقّ ليس به خفاءٌ فدعني من بنيّات الطريق

فأمّا درّه الذي خلطه الجناس وخرطه في ذلك السلك، فما أحقّه وأولاه بقول ابن سناء الملك [الطويل]:

فذا السجع [. . .][1] ليس في النثر مثله وهذا جناس ليس يُحسنه الشعرُ

فلو رأى الميكالي نمطه العالي، وتنسّم شذا غاليته العزيز الغالي، لقال عطّلتْ هذه المحاسن حالي الحالي، وكنتُ من قبلها ما أظنّ اللآلئ إلاّ لي، ولو ظفر الحظيريّ بتلك الدرر حلّى بها تصنيفه، وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم من الكلام ملءَ الأرض ذهباً ما بلغ مُدّ

مولانا ولا نصيفه، ولو بلغ العماد الكاتب هذه النكت رفعها على عرشه وعوّذها بآية الكرسي، ودخل دار صمته وأغلق باب الفتح القدسي، فعينُ الله على هذه الكلم التي نَفَثت في العُقَد، وأيقظت جَدّ هذا الفنّ الذي كان قد رقد، فقد أصاب الناسُ بالسهام وأصبت أنت بالقرطاس، وجاؤوا في كلامهم بالذاوي الذابل وجئت أنت بالغَضّ اليانع الغِراس، وأبعَدتَ في مرمى هذا الفنّ وقاربوا ولكن أين الناس من هذا الجناس، وسبَقْتَ إلى الغاية ولو وقفتَ ما في وقوفك ساعةً من بأس، وقد قيل: بُدِئ الشعر بأمير وختم بأمير يريدون امرأ القيس وأبا فراس، وكذا أقول بُدىء الجناس بالبُستي وختم بمولانا وكلاكما أبو الفتح فصحّ القياس، وقد أثنيتُ على تلك الروضة ولو وُفّقتُ لانثنيتُ وما أثنيت، ووقفت عند قدري فما أجبت ولكن اتّقحت وما استحييت، على أنّي لو وجدت لساناً قائلاً لقلت فإنّي وجدت أول البيت، وقد شغل وصفُ مثال مولانا عن شكوى حالي الشاقّة، وأرجو أنّني أوحيها شفاهاً إمّا في الدنيا وإما يوم الحاقّة [الخفيف]:

إن نَعِشْ نلتقي وإلاّ فما أشـ ... ـغَل مَن مات عن جميع الأنام

قلت لم نلتق وحالت منيته بينه وبين الجواب وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكانت جنازته حفلةً إلى الغاية شيّعها القضاة والأمراء والجند والفقهاء والعوامّ وتأسّف الناس عليه ولما بلغتني وفاته قلت أرثيه [البسيط]:

ما بعد فقدك لي أنسٌ أرجّيه ... ولا سرورٌ من الدنيا أُقضّيه

إن مُتُّ بعدك من وجدٍ ومن حزنٍ ... فحقُّ فضلك عندي مَنْ يوفّيه؟

ومن يعلّم فيك الوُرق إن جهلت ... نَواحها أو تَناسَته فتُمليه

أمّا لطافة أنفاس الرياض فقد ... نسيتها غير لطفٍ كنت تُبديه

وإن ترشّفتُ عذب الماءِ أذكَرني ... زلالُه خُلُقاً قد كنت تحويه

يا راحلاً فوق أعناق الرجال وأجـ ... فانُ الملائك تحت العرش تبكيه

وذاهباً سار لا يلوي على أحدٍ ... والذكر ينشره واللحد يطويه

وماضياً غفر الله الكريم له ... باللطف حاضره منه وباديه

وبات بالحور والرضوان مشتغلاً ... إذ أقبلَت تتهادى في تلقّيه

حتى غدا في جنان الخلد مبتهجاً ... والقلب بالحزن يفنى في تلظّيه

لهفي على ذلك الشخص الكريم وقد ... دعاه نحو البلى في الترب داعيه

وحيرتي فيه لا تقضي عليّ ولا ... تُقضَى لواعجها حتى أوافيه

أجرى الأسى عَبَراتي كالعقيق وقد ... أصمّ سمعي وأصمى القلبَ ناعيه

يا وحشة الدهر في عين الأنام فقد ... خلت وجوه الليالي من معانيه

(١) إن وزن البيت غير مستقيم.

ووحشة الدهر إن تُنشر ملاءته ... ولم تطرّز حواشيها أماليه
يا حافظاً ضاع نشر العلم منه إلى ... أن كاد يعرفه من لا يسمّيه
صان الروايةَ بالإسناد فامتنعت ... ثغورها حين حاطتها عواليه
واستضعفت بارقاتُ الجوّ أنفُسها ... في فهم مشكلة عن أن تجاريه
حفظتَ سُنّة خير المرسلين فما ... أُراك تمسي مُضاعاً عند باريه
للّه سعيك من حبر تَبحّر في ... علم الحديث فما خابت مساعيه
وهل يخيبُ ـ معاذَالله ـ سَعْيُ فتىً ... في سُنّة المصطفى أفنى لياليه(1)
يكفيه ما خطّه في الصحف من مِدَح النّـ ... ـبي يكفيه هذا القدر يكفيه
عَزّ البخاريَّ فيما قد أصيب به ... مات الذي كان بين الناس يدريه
كأنّه ما تحلّى سمعُ حاضره ... بلفظه عند ما يروي لآليهِ
روايةٌ زانَها منه بمعرفة ... ما كلّ من قام بين الناس يرويه
يا رحمتاه لشرح الترمذيِّ فمن ... يضُمّ غربته فينا ويُؤويه
لو كان أمهله داعي المَنون إلى ... أن تنتهي في أماليه أمانيه
لكان أهداه روضاً كله زهرٌ ... أنامل الفكر في معناه تجنيه
من للقريض فلم أعرف له أحداً ... سواه رقّت به فينا حواشيه
ما كان ذاك الذي تلقاه ينظمه ... شعراً ولكنه سحرٌ يعانيه
يهزّ سامعه حتّى يخيّل لي ... كأس الحُميّا أدارتها قوافيه
ومن يُمرُّ على القرطاس راحته ... فيُنبت الزهرَ غضّاً في نواحيه
ما كلّ من خطّ في طرس وسوّده ... بالحبر تغدو به بيضاً لياليه
ولا تَخَلْ كلّ من في كفّه قلمٌ ... إذا دعاه إلى معنًى يلبّيه
هيهات ما كان فتح الدين حين مضى ... والله إلاّ فريداً في معاليه
كم حاز فضلاً يقول القائلون له ... لو حازك الليل لابيضّت دَياجيه
لا تسأل الناس سَلْني عن خلائقه ... لتأخذ الماء عنّي من مجاريه
ماذا أقول وما للناس من صفةٍ ... محمودةٍ قطُّ إلاّ رُكّبتْ فيه
كالشمس كلُّ الورى يدري محاسنها ... والكاف زائدةٌ لا كاف تشبيه
سقى الغمامُ ضريحاً قد تضمّنه ... صوباً إذا انهلّ لا ترقى غواديه
وباكَرَتْهُ تحيّاتٌ نوافحها ... من الجنان تُحَيّيه فتُحْييهِ

وكتبت إليه عند قدومي دمشق من القاهرة [الخفيف]:

كان سمعي في مصر بالشيخ فتح الد ... ين يجني الآداب وهي شهيَّةْ
يا لها غربةً بأرض دمشق ... أعوزتني الفواكهَ الفتحيَّةْ

وكتبت إليه [السريع]:

يا حافظاً كم لرواياته ... من جنَّة في بطن قرطاس
وكم شذًى من سُنَّة المصطفى ... قد ضاع من حفظك للناسِي

وأنشدني رحمه الله من لفظه لنفسه [البسيط]:

فقري لمعروفك المعروف يُغنيني ... يا من أرجّيه والتقصير يُرجيني
إن أوبقتني المطايا عن مدى شرفٍ ... نجا بإدراكه الناجون من دوني
أو غضّ من أَمَلي ما ساء من عملي ... فإنّ لي حسن ظنّ فيك يكفيني

وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

عَذيريَ من دهرٍ تصدّى معاتباً ... لمستمنح العُتَبى فأقصَدَ مَنْ قَصَدْ
رجوتُ به وَصْلَ الحبيبِ فعندما ... تبدّى ليَ المعشوق قابله الرصَدْ

وأنشدني إجازةً ومن خطه نقلت [مجزوء الوافر]:

صرفت الناس عن بالِ ... فحبلُ ودادهم بالي
وحبلُ الله معتصمي ... به علّقتُ آمالي
ومن يسلُ الورى طرّاً ... فإني عنهم سالِ
فلا وجهي لذي جاهٍ ... ولا ميلي لذي مالِ

وأنشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

يا بديع الجمال شكر جمالكْ ... أن توافي عشّاقَه بوصالكْ
لِنت عطفاً لهم وقلبُك قاسٍ ... فهمُ يأخذون من ذا لذلك
غير أنّ الكمال أولى بذا الحُسْـ ... ـنِ ومَن للبدور مثل كمالك
قابلَت وجهَك السماءُ فشكل البـ ... ـدرِ ما في مرآتها من خيالِكْ
مثّلَته لكنْ رسوم صداها ... كلّفته فقصَّرَتْ عن مثالِكْ

وأنشدني من لفظه لنفسه مُلْغِزاً [السريع]:

ظبي من الترك هضيم الحشا ... مهفهف القد رشيق القوام
للطرف من تذكاره عبرة ... والقلب شوقٌ أرّق المستهام

---

(١) الصحيح والصواب (أفنى لياليَهُ)، لكن القافية اضطرته إلى ذلك.

الاسم قراقوش، وأنشدني لنفسه إجازةً ومن خطه نقلت [السريع]:

ومستنير بسنا رأيه ... وقلبه من حُوبه مُظلم
يرجو وما قدّم من صالح ... ربحاً وهل ربحٌ له يقسم
والله بالعصر على خُسره ... ما لم يقدّم صالحاً يُقسم

وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

سلي عن غرامي مدمعي فهو صادق ... وساكن قلبي فهو للبَيْنِ خافقُ
ونومي يا وسنى سليه فإنني ... لما ضاع منه في جفونكَ رائقُ
تُمَنِّينيَ الأيامُ منك بخلسةٍ ... فكم عندها عمّا تمنّي عوائقُ
متى وعدَتْ بالوصل فالوعد كاذب ... وإن وعدتْ بالهجر فالوعد صادقُ
حكى حُسْنَ مَنْ أحببتُها الشمسُ أشرقتْ ... فلا زالَ ذاك الحُسْنُ ما ذرّ شارقُ
بكل فؤادٍ مِنْ هواها مَغارِبٌ ... وفي كلّ حُسْنٍ مِنْ حُلاها مشارقُ
تثنّت فمن أعطافها الغصنُ مائِسٌ ... ومن لينها غصن الخميلة سارقُ
يلوم عليها لا عَدَتْهُ ملامةٌ ... عدوٌ مُنافٍ أو صديقٌ منافقُ
وما العذل مقبول إذا صدق الهوى ... ولا اللوم عن طرق الصبابة عائقُ

وأنشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

عهدي به والبين ليس يروعه ... صبٌّ براه نحوله ودموعُهُ
لا تطلبوا في الحبّ ثأر متيّم ... فالموتُ من شرع الغرام شروعُهُ
عن ساكن الوادي سقته مدامعي ... حدِّثْ حديثاً طاب لي مسموعُهُ
أفدي الذي عنتِ البدور لوجهه ... إذ حلّ معنى الحسن فيه جميعُهُ
البدر من كَلَفٍ به كَلِفٌ به ... والغصن من عطف عليه خضوعه
معسول المراشف واللمى ... حلو الحديث ظريفه مطبوعه
دارت رحيق لحاظه فلنا بها ... سكرٌ يجلّ عن المدام صنيعه
يجني فأُضمِرُ عتبَه فإذا بدا ... فجماله ممّا جناه شفيعه

وأنشدني إجازةً ومن خطه نقلت له [البسيط]:

إن غضّ من فقرنا قوم غنى منحوا ... فكلّ حزب بما أوتوه قد فرحوا[1]
إن هم أضاعوا لحفظ المال دينَهمُ ... فإنّ ما خسروا أضعافُ ما ربحوا

وأنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

قضى ولم يقضِ من أحبابه أَرَباً ... صبٌّ إذا مرّ خفّاق النسيم صبا

راضٍ بما صنعتْ أيدي الغرام به فحسبه الحبّ ما أعطى وما سلبا
لا تحسبنّ قتيلَ الحبّ مات ففي شرع الهوى عاش للأحباب منتسبا
في جنّة من معاني حسن قاتله لا يشتكي نَصَباً فيها ولا وَصَبا
ما مات من مات في أحبابه كَلِفاً وما قضى بل قضى الحقّ الذي وجبا
فالسحب تبكيه بل تسقيه هامية وكيف تبكي محبّاً نال ما طلبا
وطوّقت جيبها الورقاء واختضبت به وغنّت على أعوادها طربا
ومالت الدوحة الغنّاء راقصة تصبو وتنثر من أوراقها ذهبا
والغصن نشوان يثنيه الغرام به كأنّه من حميّا وجده شربا
والروض حمّل أنفاسَ النسيم شذا أزهاره راجياً من قربه سببا
فراقَهُ الوَردُ فاستغنى به وثنى عِطْفاً إليه ومن رجْعِ الجواب أبى
ففارقت روضَها الأزهارُ واتخذت نحوَ الرسول سبيلاً وابتغت سَرَبَا
وحين وافته نادت عند رؤيته لمثل هذا حِباءً فَليُحَلَّ حُبا
تهلّلت وجنات الوَردِ من فرح وأعين النرجس اخضلّت له نُغَبا
سقته واستوسقت من عَرفه أرجاً أذكى وأعطر أنفاساً إذا انتسبا
وأمّلتْ لمْحةً من حسن قاتله فأجفلَتْ هَرباً إذ لم تَطق رَهبا

ورأيته بعد وفاته في النوم رحمه الله تعالى في سنة أربع وأربعين وسبعمائة وهو على عادة اجتماعي به وهو يقول في أثناء كلامه رأيت الترجمة التي عملتها وما كنت تحتاج إلى تَبْيِنك اللفظتين أوْمَا هذا معناه ففطنت في النوم لما قال وكشطتهما لأنهما لم يكونا من كلامي في حقّه.

وكتبت له استدعاء إجازته لي بما صورته بعد الحمدلة والصلاة: المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلاّمة المتقن الحافظ، رحلة المحدّثين، قبلة المتأدّبين، جامع أشتات الفضائل، حاوي محاسن الأواخر والأوائل [الرمل]:

حافظ السنّة حفظاً لا ترى معه أن تُغْمِلَ الناسُ الأسِنَّة
مركز الدائر من أهل النُّهى فإلى ما قد حَوَى تُثْنَى الإعِنَّة

بديع زمانه، نادرة أوانه، ضابط الأنساب على اختلافها فهو السيل المتحدّر لابن نقطة، ناقل العلم الشريف عن سلفه الذي وافق على المراد شرطه، ساحب ذيل الفخر الذي لو بلغ السمعاني جعله في الحلية قُرْطَهُ، صاحب النقل الذي إذا أتى رأيت البحر بأمواجه منه يلتطم، والعبارة تستبق في مضمار لهواته فتزداد وتزدحم، الذي إن ترسّل نقصتْ عنده ألفاظ الفاضل، وعجز عن

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣]، و[الروم: ٣٢].

مفاوضته ومعارضته كل مناظر ومناضل، أو نظم ثبت الجوهر الفردُ خلافاً للنظّام فيما زعم، وتخطّى بما يُبديه فرق الفرقدين وترضَى النجومُ بما حكم، أو أورد مما قد سمع واقعةً مات التاريخ في جلده، ووقف سيف كلّ حائكٍ عند حدّه، أو استمدّ قلماً كفّ بصره عنه ابن مُقلة، ووقف ابن البوّاب بخدمته يطلب من فضله فَضلَةْ، فهو الذي تطير أقلامه إلى اقتناص شوارد المعاني فتكون من أنامله ﴿**أولي أجنحة مثنى وثلاث**﴾ [فاطر: ١]، وتنبعث فكرته في خدمة السُنّة النبوية وما يكره الله هذا الانبعاث، وتبرز مُخبآتُ المعاني بنظمه ومن السحر إظهار الخبايا، ويعقد الألسنة عن معارضته وعقد اللسان لا يكون بغير السحر في البرايا، ويستنزل كواكب الفصاحة من سمائها بغير رصد، ويأتي بألفاظه العذبة ونورها للشمس وفحولتها للأسد، ويُحلّ من شرف سيادته بيتاً عموده الصبح وطنبه المجرّة، ويتوقّل هضبات المنابر ويستجنّ حشا المحاريب ويطأ بطون الأسرة، فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيّد الناس [السريع]:

لا زال روض العلم من فضله ... أنفاسُه طيّبة النفحق
وكلما نَظْمات إلى نظمه ... أبدى سحاباً دائم السحّق
وكيف ما حاوله طالبٌ ... في العلم لا ينفكّ ذا ننجتحق
وإن غدا باب النُهىَ مُقفَلاً ... في الناس نادَوتا يا أبا الفتحق

إجازة كاتب هذه الأحرف جميع ما رواه من أنواع العلوم وما حمله من تفسيرٍ لكتاب الله تعالى أو سنةٍ عن رسول الله ﷺ أو أثرٍ عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى عصرنا هذا بسماعٍ من شيوخه أو بقراءة من لفظه أو سماع بقراءة غيره أو بطريق الإجازة خاصّةً كانت أو عامّة أوً بإذنٍ أو مناولةث أو وصيّةث كيف ما تأدّى ذلك إليه إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها وإجازة ما له من مقولٍ نظماً ونثراً وتأليفاً وجمعاً في سائر العلوم وإثبات ذلك بأجمعه إلى هذا التاريخ بخطّه إجازة خاصّة وإجازة ما لعلّه يتفق له من بعد ذلك من هذه الأنواع فإنّ الرياض لا ينقطع زهرها والبحار لا ينفد دررها إجازةً عامّةً على أحد الرأيين عند من يجوّزه وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

فكتب الجواب رحمه الله بما صورته بعد حمد الله المجيب من دعاه، القريب ممن نادى نداه، الذي ابتعث محمداً بأنواره الساطعة وهُداه، وأيّده بصحبه الذين حموا حماه، ونصروه على من عَداه، وحزبه الذين رووا سُنّته وروّوا أسنّتهم من عِداه، وشَفَوْا بإيراد مناهله مَنْ كان يشكو صَداه، وأجابوه لما دعاهم لما يحييهم إليه إجابةَ الصارخ صداه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تبلّغهم من الشرف الرفيع غاية مداه، وسلّم عليه وعليهم تسليماً يسوّغهم مشرَع الرضوان عذباً رِيُّهُ سهلاً مُنتداه، فلمّا كتبتَ أيها الصدر الذي يشرح الصدور شفاءً، والبدر الذي يَبهرُ البدورَ سناً وسناءً، والحبر الذي غدا في التماسِ أزهار الأدب راغباً، ولاقتباس أنوار العلم طالباً، فحصل على اقتناء فرائدها، واقتناص شواردها، وأُلفِي عقله عِقال أوابدها، ومجال مصائدها، ومطار مطاردها، بما أودعت الألمعيّةُ من المعاني المبتدعة ذهنَه، واستعادته على لسان قلمه، وقد ألبسته

الفصاحة ما ألبسته من حسن تلك الفطنة [الرمل]:

زَهَــرُ الآدابِ مــنــه يُجتــنَــى حَسَنِ الإبـداع مـا أبـدع حُـسـنـهْ
بــارع فــي كــلّ فــنّ فـمـتـى قـال قـال الـنـاس مـا أبـرع فـتـهْ
ومـتـى مـا فـاه فـاض الـسـحـر عـن غـامـض الأفـكـار مـنـه الـمُـرجحِـنَّـهْ

فالآداب حرسه الله تعالى رياضٌ هو مُجتني غروسها، وسماءٌ هو مجتلي أقمارها وشموسها، وبحرٌ استقرّت لديه جواهره، وسحرٌ حلالٌ لم تنفث في عصره إلاّ عن قلمه سواحره، فله في فنّي النظم والنثر حمل الرايتين، وسبق الغايتين، وحَوز البراعتين، وسرّ الصناعتين، وهو مجمع البحرين فما طَلُّ الغمامة، وله النظر الثاقب في دقائقهما فَمن زرقاء اليمامة، إن سام نظماً فَمَنْ شاعر تُهامة، وإن شاء إنشاءً فله التقدم على قُدامة، وإن وشّى طرساً فما ابن هلال إلاّ كالقُلامة، أن أجيزَ لك ما عندي، فكأنما ألزمتني أن أتجاوز حدّي، لولا الإقرار بأن الرواية عن الأقران نهجٌ مُهيَّع، والاعتراف بأن للكبير من بحر الصغير الاغتراف وإن لم يكن مشرعه ذاك المشرع، فنعم قد أجزت لك ما رويتُه من أنواع العلوم، وما حملتُه على الشرط المعروف والعرف المعلوم، وما تضمّنه الاستدعاء الرقيم، بخطّك الكريم، مما أقتدحه زَنْدِي الشحّاح، وجادت لي به السجايا الشِحاح، من فنون الأدب التي باعُك فيها من باعي أمدّ، وسهمك في مراميها من سهمي أسدّ، وأذنت لك في إصلاح ما تعثر عليه من الزلل والوهم، والخلل الصادر عن غفلةٍ اعترتِ النقلَ أو وهلةٍ اعترضتِ الفهم، فيما صدر عن قريحتي القريحة من النثر والنظم، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره مما لعلّه أنجى من المرهوب، أو أنجع في نيل المطلوب، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب، وقد أجزت لك إجازةً خاصّةً يَرَى جوازَها بعضُ من لا يرى جواز الإجازة العامّة أن ترويَ عني ما لِيَ من تصنيف أبقيته، في أيّ معنى انتقيته، فمن ذلك ـ وذكر رحمه الله تعالى ما له من التصانيف وقد ذكرتُها أنا آنفاً ـ قد أجزتُ لك أيّدك الله جميع ذلك، بشرط التحرّي فيما هنالك، تبرّكاً بالدخول في هذه الحلبة، وتمسّكاً باقتفاء السلف في ارتقاء هذه الرتبة، وإقبالاً من نشر السنّة على ما هو أمنيّة المتمنّي، وامتثالاً لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام (بلّغوا عنّي)، فقد أخبرنا أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم بن عليّ الحرّاني رحمه الله تعالى بقراءة والدي رحمة الله عليه وأنا أسمع سنة ست وسبعين وستمائة قال أخبرنا أبو علي ابن أبي القاسم البغدادي قراءةً عليه وأنا أسمع سنة ستمائة وقبل ذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة وأنا مُحضَرٌ في الخامسة قال أنا القاضي أبو بكر الأنصاري قاضي المارستان سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وخمسمائة قال أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب[1] في سنة ست وأربعين وأربعمائة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن بشار السابوري بالبصرة حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري حدثنا الفِريابي عن ابن ثوبان عن حسان بن عطيّة عن أبي كَبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «بلّغوا عنّي ولو آيةً وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من

النار»[١]، أبو كبشة السلولي تابعيٌّ ثقة والصحيح أنه لا يُعْرَفُ اسمه، ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وستمائة بالقاهرة وفي هذه السنة أجاز لي الشيخ المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني وكان أبي رحمه الله يخبرني أنه كناني وأجلسني في حجره وكان يسأله عني بعد ذلك، وأجاز لي بعده جماعة ثم في سنة خمس وسبعين حضرت مجلس سماع الحديث عند جماعة من الأعيان منهم الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي وأثبتَ اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة ثم في سنة خمس وثمانين كتبتُ الحديثَ عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطّي وقرأت عليه بلفظي وعلى الشيوخ من أصحاب المسند أبي حفص ابن طبرزذ والعلاّمة أبي اليُمن الكندي والقاضي أبي القاسم الحرَستاني والصوفي أبي عبد الله ابن البنّاء وأبي الحسن بن البنّاء وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغير ذلك، وأجاز لي جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس وغيرها يطول ذكرهم وحبّذا - أيّدك الله - اختيارُك من طلب الحديث الدرجة العالية، وإيثارك أن تكون مع الفرقة الناجية لا الفرقة التاوية، فقد أخبرنا الشيخان أبو محمد عبد اللطيف وعبد العزيز ابنا الشيخ أبي محمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الصيقل الحرّاني الأولُ إجازةً والثاني سماعاً قالا أنا ضياء بن الخُرَيف أنا محمد بن عبد الباقي أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيْرٍ اللخمي حدثنا أحمد بن محمد بن هاشم البعلبكي حدثنا عبد الملك بن الأصبَغ البعلبكي ثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[٢]، وبالإسناد إلى الخطيب قال ثنا عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان قال: سمعت عبد الله بن القاسم يقول سمعت أحمد بن محمد بن رُوَه يقول ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال حُدّثتُ عن أحمد بن حنبل وذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمّة على نيّف وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة» فقال إن لم يكونوا أصحابَ الحديث فلا أدري مَنْ هُم، وبه إلى أبي بكر الخطيب قال حدثني محمد بن أبي الحسن قال أخبرني أبو القاسم بن سَخْتُوَيْه قال سمعت أبا العبّاس أحمد بن منصور الحافظ بصُور يقول سمعت أبا الحسن محمد بن عبد الله بن بشر بفسا يقول رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله مِنَ الفرقةُ الناجية من ثلاث وسبعين فرقة؟ قال: أنتم يا أصحاب الحديث»، وبه إلى الخطيب قال: «أخبرني محمد بن علي الأصبهاني ثنا الحسين بن محمد بن الوليد التستري بها ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف

---

(١) هو الخطيب البغدادي العَلَم المشهور صاحب «تاريخ بغداد» وغيره من الكتب النافعة في علوم الحديث الشريف.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦/٤٩٦)، (٦٠) - كتاب أحاديث الأنبياء، (٥٠) - باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الحديث رقم (٣٤٦١)، وأحمد في «مسنده» (٢/١٥٩ - ٢٠٢ - ٢١٤).

بن مسعدة إملاءً قال سمعت عبد الله بن سَلام يقول: أنشدني عبدَةُ بن زياد الأصبهاني من قوله [الكامل]:

دين النبيّ محمّد أخبارُ ... نعم المطيّة للفتى الآثارُ
لا تُخدَعنَّ عن الحديث وأهله ... فالرأي ليلٌ والحديث نهارُ
ولربما غلط الفتى سُبُلَ الهُدَى ... والشمس بازغة لها أنوارُ

أنشدني والدي أبو عمرو محمد قال أنشدني والدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس رحمهما الله تعالى قال أنشدني الحافظ أبو العبّاس أحمد بن محمد بن مُفرِّج النَباتي قال أنشدني أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدني الحافظ أبو العبّاس أحمد بن عبد الملك أنشدنا أبو أُسامة يعقوب قال أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزمٍ لنفسه [الرمل]:

مَن عَذيري من أُناسٍ جهلوا ... ثم ظنّوا أنّهم أهل النظرْ
ركبوا الرأيَ عِناداً فسَرَوْا ... في ظلامٍ تاهَ فيه مَنْ غَبَرْ
وطريق الرشد نهجٌ مَهْيَعٌ ... مثل ما أبصرتَ في الأفق القمرْ
وهُو الإجماع والنصّ الذي ... ليس إلاّ في كتابٍ أو أَثَرْ

والله المسئول أن يلهمنا رشداً يدلّنا عليه، ودلالةً تَهدينا إلى ما يُزلفنا لديه، وهداية يسعى نورها بين أيدينا إذا وقفنا يوم العَرْضِ بين يديه، بمنّه وكرمه.

٢٠١ ـ **«جمال الدين محمد بن نباته» محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب. أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته الفارقي الأصل المصري المولد الحذاقي الشافعي جمال الدين أبو بكر** الأديب الناظم الناثر، تفرّد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة الكلام وانسجام التركيب، وأمّا نثره فإنه الغاية في الفصاحة سلك منهج الفاضل رحمه الله وحذا حذوه وأطفأ نور ابن عبد الظاهر فلم يدعْ له في القلوب حظوة، وأما خطّه فأغلى قيمةً من الدرّ لَو رُزِقَ حَظّا وأغزرُ ديمةً من الغيث إلا أن الزمان أصبح قلبُه عليه فظّاً لو أنصفه الدهر كان للكُتّاب إماماً، ولو رقاه رُتَباً يستحقّها لغرد سجعه حماماً، وانسجم لفظه غَماماً، وطلع بدر فضله تماماً [الكامل]:

وغضارة الأيّام تأبى أن يُرَى ... فيها لأَبناء الذكاء نصيبُ
ولذاك من صحب الليالي طالباً ... جَدّاً وفهماً فاته المطلوبُ

وُلد بمصر في زقاق القناديل سنة ست وثمانين وستمائة ونشأ بالديار المصرية وبها تأدّب واشتغل بفنّي النظم والنثر وسمع ممن أمكنه السماعُ منه وكان له بالقاضي علاء الدين بن عبد

---

(١) رواه الديلمي عن أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس وواثلة معاً. انظر «مختصر كنز العمال» (١/ ٣٩٦).

الظاهر اجتماع وله منه نصيب وورد إلى الشام سنة خمس عشرة تقريباً ومدح أكابرها وأجازوه ومدح الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حَماة فأجازه وجعل ذلك عادةً له في كل سنة فمدحه بمدائح حسنةٍ ثم لما مات رحمه الله استمرّ بذلك الراتب له ولده الملك الأفضل ناصر الدين محمد وكان يرتحل إلى حلب وطرابلس ثم إنه اقتصر آخرَ أمره على الإقامة بدمشق والانجماع عن الناس وقرّره الصاحب أمين الدين أمين الملك رحمه الله أن يكون في كل سنة ناظر القمامة بالقُدس الشريف أيام زيارة النصارى لها فيتوجه يباشر ذلك ويعود، وأضيف له إلى نكد الزمان أنه لم يعش له ولد فَدَفَنَ فيما أظنُّ قريباً من ستة عشر ولداً كلهم إذا ترعرع وبلغ خمساً أو ستاً أو سبعاً يتوفّاه الله تعالى فيجد لذلك الآلام المبرحة ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة، كتبتُ إليه من الديار المصرية في سنة تسع وعشرين وسبعمائة استدعاءً لإجازته لي صورته:

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خير أنبيائه، محمد وآله وصحبه وأصفيائه، المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلاّمة رحلة الأدب، قبلة ذوي التحصين له في التحصيل والدَأَبْ، الذي تبيتُ شوارد المعاني صرعَى تخوُّلِهِ للطافة تخيّله، وتُمسي الألفاظ العذبة طَوعَ تَحَوُّلِهِ في التركيب وتحيّله، فأمسى وله النسيب الذي يضحك من العبّاس من رقّته، ويقيم صريع الغواني إلى مَقته بعد مِقّته، والغزل الذي يشيب له فَوْدُ الوليد، ويسترقّ الحُرَّ من كلام عَبيد، والتشبيه الذي لو علمه ابن المعتزّ لما نصب الهلال فَخّاً لصيد النجوم، ولو تعاطاه حفيدُ جريج لقيل له ألم تسمع ﴿أَلَمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١]، والمديح الذي لو بلغ زهيراً لقال ما أنا من هذه الحدائق، أو اتصل نبأه بالمتنبيّ لاشتغل عن ذكر العُذيب وبارق، والرثاء الذي نقص عنده أبو تمام بعد أن رُفع له لواء الشرف والفخر، وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجّر من الخنساء على صخر، والترسّل الذي سقى الفاضلَ كأسغ الحتوف لما شبّه الغمود بالكمائم والسيوف بالأزهار، وأذهله حتى صحّت له قسمة التجنيس في الخيل والخيال بين المراقب والمراقد وأخطأت معه في المرابع والمساجد بين الأنواء والأنوار، والكتابة التي تغدو الطروس بها وكأنّها برودٌ محبّرة، أو سماءٌ بالنجوم زاهرة، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضاً مُزهرة [الكامل]:

أدبٌ على الحُصريّ يعلو تاجه ... وله ابن بسّام بكى ألوانا

وترسّلٌ سبحان من قد زاده ... منه وأعطى الفاضلَ النقصانا

وكتابةٌ لعلوّها في وضعها ... ليس ابن مقلة عندها إنسانا

فلكم أخي فضل رأت عيناه في الـ ... أوراق لابن نباتةٍ بستانا

جمال الدين أبي بكر محمد ابن الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله

---

٢٠١ ـ «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/٢١٦ ـ ٢٢٤)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١١/ ٩٥ ـ ٩٧)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٣٢٩)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٣ ـ ٤٨٠ ـ ٧١٤ ـ ٦٠٣)، و«البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ١٦٤)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٦٨).

به شتات الأدب في دوحة هذه الدولة، ولمّ به شعث أبنائه الذين لا صَون لهم ولا صَولة، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عُرفت دارُ مَيّة من أطلال خولة، بمنّه وكرمه، إجازة كاتب هذه الأحرف ما له فسح الله في مدّته من رواية المصنّفات في الأحاديث النبوية والتأليفات الأدبية على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها بحسب ما تأدى ذلك إليه واتصل به من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية أو جادة من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم وإجازة ما له أحسن الله إليه من مقولٍ نظماً أو نثراً تأليفاً أو وضعاً إجازةً خاصّةً وإثبات ما له من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطّه الكريم وإجازة ما لعله يقع له بعد ذلك إجازة عامّة على أحد القولين في المسألة فإن الرياض لا ينقطع زهرها، والبحار لا تنفد دررها، وإثبات ما يحسن إيراده في هذه الإجازة من المقاطيع الرائقة، والأبيات اللائقة، وذكر نسبه ومولده ومكانه.

فأجاب بما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد حَمْدِا لله الذي إذا توجّه ذو السؤال إليه فاز، وإذا دعى كرمه ذوو الطلب أجاب وأجاز، والصلاة على سيدنا محمد كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز، وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفصل ومَن بعدهم مجاز، فلو لزم في كل الأحوال تناسبُ المخاطبة، وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة، لما رُضي سجعُ الحمائم لمطارحته نوعاً من الأطيار، ولا قَبل فصحاء الأُول مراجعةَ الصَدَى من الديار، ولا قنع غمزُ حواجب الأحبّة بَرد القلوب الهائمة في أودية الأفكار، ولكن تقول الأكابرُ؛ والأتباعُ تبذل من الأجوبة جهدها، وتنفق مما عندها، وتُجرّد الأماثل سيوف النطق ولا تتعدّى الأولياء من الطاعة حدَّها، ولمّا كنتَ أيها الراقمُ بُرودَ هذا السؤال ببيانه، والمنشيء روضَ هذا الاستدعاء بآثار السحب من بنانه، والسائل الذي هزّت المعاطفَ فضائله، وسحرت أربابَ العقول عقائلُه، وأقام المسؤول مقاماً ليس هو من أهله، «فليتّق الله سائله»[1]، فريد فنّ الأدب الذي لا يُبارَى، وبحره الذي لا يُهدي غائصَ قلمه الدرَّ إلاّ كبارا، وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما آنس من جانب ذهنه الشريف ناراً، وخليله الذي اطلّع على أسراره الدقيقة، ورئيسه الذي لو جارَى ابنَ المعتزّ وتمّت ولايته لكان خليلَ أمير المؤمنين على الحقيقة، وناظمه الذي يسري الطائيّان تحت عَلَمه المنشور، وكاتبه الذي يتبحح العبدان بالدخول تحت رقّة المأثور، طالما شافه منه العلم وجهاً جميلاً وقدراً جليلاً، ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول: ﴿ليتني لم أتَّخِذْ فلاناً خليلاً﴾ [الفرقان: ٢٨]، فهو الغَرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجريُّ، ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسي، وهذا يقول ثمري، كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بُثينةَ ومن وجهه جميل، وكم تنزهت الأفكار من لفظه وخطّه بين ريحان ووَردٍ لا بين إذخرٍ وجليلٍ، وكم دام عهده وودّه حتى كاد يبطل قول الأول «دليل على أن لا يدوم خليل»، تودّ الشهب لو كانت حصباء غدير طرسه، وتغار الأفق إذا طرّز يراع درجة بالظلماء أردية شمسه، ويتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدّمات منطقه من النتائج، وينشده كل منهما إذا حاول القول خليل الصفا هل أنت بالدار عائج، إن كتب أغضى ابنَ مقلة من الحسد على قذاة، وحمل ابن البوّاب لحجبته عصا القلم قائلاً ما ظلم من أشبه أباه، وإن نحا النحو لبّاه عشراً،

ولانت أعطاف الحروف قسراً، وتشاجرت الأمثلة على لفظه فلا غرو إن ضرب زيد عمراً، يترجّل كلام الفارسيّ بين يديه، ويطير لفظ ابن عصفور حذراً من البازي المطلّ عليه، وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، وحَمل ذكرها في كل ناد، ونصبت بيوته على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلّد لبيداً، وولّى شعرُ ابن مُقبل منه شريداً، وقالت الآداب لبحتري لفظه **﴿ألم نربّك فينا وليداً﴾** [الشعراء: ١٨]، وإن نثر فما الدّر اليتيم إلا تحت حَجْره، ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسّلون إلا مَن تصرّف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره، وإن تكلم على فنون الأدب روّى الظِما، وجلا معاني الألفاظ كالدُمَى، وقال العروض له ولابن أحمد «خليليّ هُبّا بارك الله فيكما»، هذا وكم أثنى قدَمُ علوم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت روايةُ الأحاديث النبوية بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديثُ والقديم [البسيط]:

علَتْ به درجاتُ الفضل واتّضحتْ	دقائقٌ من معاني لفظه البَهِجِ
هذا ولَيلُ الشباب الجون منسدلٌ	فكيف حين يُضيء الشيب بالسُرَجِ
يا حبّذا أَعْيُنُ الأوصافِ ساهرةً	بين الدقائق من عُلياه والدَرَجِ

بدأتني أعزّك الله من الوصف بما قلّ عنه مكاني، واضمحلّ عياني، وكاد من الخجل **﴿يضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾** [الشعراء: ١٣]، وحمّلتَ كاهلي من المنّ ما لم يستطع، وضربت لذكري في الآفاق نوبةً خليليةً لا تنقطع، وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسِها، وثمر من غرسها، أن أجيبك وأجيزك، وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك، وأقابل لَسَنك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نطقي المكسور، فتحيّرتُ بين أغمرين أمَرّين، ووقع ذهني السقيم بين دائين مُضِرّين، إن فعلتُ ما أمَرتَ فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصدر الحالي، ومَن أنا من أبناء مصر حتى أتقدّم لهذا الملك العزيز، وكيف أُطالَبُ مع إقتار علمي وفهمي بأن أُجيبَ وأُجيزَ وأين لمقيّد خطوي هذه الوثبات، وأنّى يماثل قوة هذا الغرس ضَعْفُ هذا النبات، وإن منعتُ فقد أسأت الأدبَ والمطلوبُ حسن الأدب منّي، وأهملتُ الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سِنّي، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الرجال وقال قَطْني، ثم ترجّح عندي أن أجيبَ السؤالَ، وأقابل بالامتثال، وأتحامل على ظلع الأقوال، صابراً على تهكّم سائلي، مُعْظِماً قدري كما قيل بتغافلي منقاداً إلى جنّة استدعائك من السطور بسلاسلي، وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع

---

(١) عجز بيت وتمامه:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه	لجاء بها فليتقِ الله سائله

وأوّل هذه الأبيات:

هذا البحر من أي النواحي أتيته	فلُجّتُهُ المعروف والجودُ ساحله

ومأثور، ومنظومٍ ومنثورٍ، وإجازةٍ ومناولةٍ ومطارحةٍ ومراسلةٍ ونقلٍ وتصنيفٍ، وتنضيدٍ وتفويفٍ، وماضٍ ومتردد، وآتٍ على رأي بعض الرواة ومتجدّد، وجميع ما تضمّنه استدعاؤك فأجمعُ ما يكون لفظه المتفرّد كاتباً لك بذلك خطّي مشترطاً عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربيّ البيان جواب شرطي ذاكراً من لُمع خبري ما أبطأتُ بذكره وأرجو أن أبطىء ولا أخطىء فأمّا مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة بزقاق القناديل وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب نزيل قطيا المعروف بابن الردّاف سمعت عليه بعضَ الغيلانيات وهو الجزء الثاني والثالث من تجزئة أحد عشر جزءاً والشيخ عزّ الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصري البغدادي سمعت عليه جزءاً من أحاديث خرّجها له والدي، والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن أبي محمد إسحاق بن محمد الهمذاني الأبرقوهي سمعت عليه السيرةَ النبويةَ بقراءة الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس، وأما مَنْ أجازني منهم بمصر وغيرها من الأمصار فكثير أخبرنا الشيخ المسنِد عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحرّاني رحمه الله إجازةً أنا الشيخ أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل قراءةً عليه وأنا حاضر ببغداد أنا الشيخ أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزّاز قراءة عليه وأنا أسمع أنا الشيخ أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد قراءةً عليه وأنا حاضر قيل له أخبركم أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ثنا محمد بن علي بن إسماعيل الأيلي ثنا أحمد بن المعلّى بن يزيد ثنا حماد بن المبارك ثنا محمد بن شعيب ثنا مَروان بن جناح عن هشام بن عروة أنه أخبره عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر حكمة»، وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فمنهم القاضي الفاضل محيي الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر الكاتب المصري والشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحّاس النحوي الحلبي والأمير الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب المؤرّخ شرف الدين إسماعيل التيتي الآمدي، اقترح عليّ ولم أبلغ الحُلم نظماً في زيادة النيل فقلت [مرفل الكامل]:

زادت أصابعُ نيلنا وطَمَتْ فأكْمَدَتِ الأعادي
وأتتْ بكلِّ جميلةٍ ما ذي أصابعُ ذي أيادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خَصيب قرأت عليه كثيراً من كتب الأدب المشهورة وكان كثيراً ما يستنشدني إلى أن أنشدته قولي [البسيط]:

يا غائبين تعلَّلْنا لغيبتهم بطيب لهوٍ ولا واللّهِ لم يَطِبِ
ذكرتُ والكأسُ في كفّي لياليكم فالكأس في راحةٍ والقلب في تعبِ

فقال أتعبَ ـ والله ـ جَذْعُكَ القُرَّحَ، والشيخ العالم بهاء الدين محمد بن محمد المعروف بابن المفسّر أنشدني يوماً لنفسه [الرمل]:

لا أَرَى لـي فـي حـيـاتـي راحـةً ... ذهـبَـتْ لـذّةُ عـيـشـي بـالـكِـبَـرْ
بـقـي الـمـوت لـمـثـلـي سُـتـرةً ... يـا إلـهـي أنـت أولـى مـن سـتَـرْ

فأنشدته لي [الخفيف]:

بَـقَـلَـت وجـنـة الـمـلـيـح وقـد ولّـى ... زمـان الـصِـبَـى الـذي كـنـتُ أمـلِـكْ
يـا عـذار الـمـلـيـح دعـنـي فـإنّـي ... لـست في ذا الزمان من خَلٍّ بقلك

والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الورّاق المصري سمعته ينشد لنفسه [الكامل]:

يا خجلتي وصحائفي سودٌ غداً ... وصـحـائـفُ الأبـرار فـي إِشـراقِ
وتـوقّـعـي لـمـوبّـخٍ لـي قـائـلٍ ... أكـذا تـكـون صـحـائـف الـورّاقِ

والأديب الفاضل نصير الدين المناوي الحمامي أنشدني لنفسه [الطويل]:

أَحَبُّ مـن الـدنـيـا إلـيّ ومـا حَـوَت ... غـزالٌ تـبـدّى لـي بـكـأسٍ رحـيـقِ
وقـد شـهـدتْ لـي سُـنّـة الـلـهـو أنّـنـي ... أُحِـبّ مـن الـصـهـبـاء كـلّ عـتـيـقِ

فأنشدته لي [الكامل]:

إنّـي إذا آنـسـت هَـمّـاً طـارقـاً ... عـجّـلـتُ بـالـلـذّات قـطْـعَ طـريـقـهِ
ودعـوتُ ألـفـاظ الـمـلـيـح وكـأسَـه ... فـنـعـمـت بـيـن حـديـثـه وعـتـيـقـهِ

وجماعةٌ يطول ذكرهم، ويعزّ عليّ أن لا يحضرني الآن إلاّ شعرهم، وأمّا مصنّفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها ولولا جبر الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية لها ما استجزتُ نصبها ولا رفعَها فهي «كتاب مجمع الفرائد» «كتاب القطر النباتي» «كتاب شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون»، «كتاب منتخب الهدّية من المدائح المؤيّدية» «كتاب الفاصل من إنشاء الفاضل» «كتاب زهر المنثور» «كتاب سجع المطوّق» «كتاب إبزار الأخبار» «كتاب شعائر البيت التقويّ» ولم يكمل إلى الآن، الأرجوزة المسمّاة «فرائد السلوك في مصائد الملوك»، أجزتُ لك ـ أعزك الله ـ روايتها عني وروايةَ ما أدوّنه وأجمعه بعدها حسبما اقترَحَهُ استدعاؤك ونمّقه ونسخه وحقّقه وتضمّنه سؤالك الذي تصدّقتَ به عليّ فمنك السؤال ومنك الصدقة والله تعالى يشكر عهدك الجميل، وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل، ويمتّع فنون الفضائل الملتجئة إلى ظلّ قلمك الظليل، ولا يُعدم الأحباب الآداب من اسمك وسمتك خير صاحب وخليل، بمنّه وطَوله تمّت الإجازة، ثم إنني سمعتُ من لفظه «كتاب منتخب الهديّة» و«القَطر النباتي» وكنت قد كتبت عليه وأنا بالقاهرة [الوافر]:

بـحـقّـك لا تـقـل فـيـمـن تـقـضّـى ... وفـاتَ لـقـد مـضـى بـالـطـيّـبـاتِ

وراحَ وشعره حلوٌ رقيقٌ فما يتكلّم القطرُ النباتي

وسمعت من لفظه «فرائد السلوك» وسمعت من لفظه «المنتخب المنصوري» وسمعت من لفظه «النحلة الأنسية في الرحلة القدسيّة» وغالب ما أنشأه من النظم والنثر سمعته وكنت قد كتبت بالقاهرة على قطعة أهداها من شعره [الوافر]:

أيا آبن نُباتَةٍ أهديتَ شِعْراً نصيبيَ سُكّرٌ منه وسُكْرُ

يفوت الغيثَ عَدّاً وهو حُلْوٌ فشعرك كيف ما حاولتَ قُطْرُ

وقد اختار من دواوين الشعراء جملةً منها ديوان ابن الرُومي وديوان ابن سناء الملك وديوان ابن قَلاقِس، وديوان ابن حجّاج وهو اختيارٌ جيّد سماه «تلطيف المزاج من شعر ابن حجّاج» وديوان شرف الدين شيخ الشيوخ، وبيني وبينه مكاتبات كثيرة، ومراجعات أثيرة، منها ما كتبه إليّ وأنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو [البسيط]:

رضيتُ بالكتب بعد القرْبِ فانقطعتْ حتى رضيتُ سلاماً في حواشيها

ويُنهي أنه كان كسيرَ الخاطر، حسيرَ الناظر، لانقطاع برّ مولانا الممتاز ولامتناع المملوك من المكاتبة ظنّاً أن بينها وبين القصد حجاز، فلما وقف الآن على ذكره في حاشية مكاتبة جمالية استأنف للخاطر سروراً، وأقام وزن البيت القلبيّ وكان مكسوراً، ووضع الطرسَ على وجه خطّه الأعمى **﴿فارتدّ بصيراً﴾** [يوسف: ٩٦]، وجمع بين ذلك الخاطر واللفظ والقلب وإنما جمع **﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾** [الإنسان: ٨]، وسرَّهُ ـ أُشْهِدُ الله ـ أن يكون معدودَ الذكر في الحاشية، واستوقف ألفاظ العتاب وقد كانت إلى درَج الأدراج ماشية [الطويل]:

حلالٌ لليلَى أن تَرُوعَ فؤادَهُ بهجرٍ ومغفورٌ لليلَى ذنوبُها

[مرفل الكامل]:

لا تقرعَنَّ سَمَاع مَنْ تهوىٰ بتعدادِ الذنوبْ

ما ناقش الأحبابَ إلاّ مَنْ يعيشُ بلا حبيبْ

وقد علم الله شوق المملوك إلى تلك الخلائق وربيعها، والألفاظ وبديعها، وشجوَهُ الذي أخفى الجلد وأبانَه ووحشته التي أفردته سهماً واحداً في دمشق لا في كنانة [البسيط]:

لم يترك الدَهرُ لي خِلاً أَسَرُّ به إلاّ اصطفاه بنأيٍ أو بهجران

والله تعالى يحرس مولانا حيث كان، ويُمدّه بمعونَتي المكان والإمكان، ويصون نفاسة نفسه وإن تغيّرت على أحبابها، وأعرضت عن غلمانها، ويأبى ناموس الرتبة أن يقال عن أصحابها، ولا يعدم الأولياء على القرب والبعد أن يجتنوا من نظمه ونثره ثمر البيان متشابهاً، المملوك يقبّل يد الجناب الأخوي البرهاني شَكَر اللّهُ إحسانَه، وأوضح في استحقاق رُتَب الفضل برهانه، ووِدّ المملوك لو رآه عند القدوم من حلب فكان يوفّي بعض قروض فضله وفروض بذله، ولكن أبى الحال المناسب إلاّ أن تبدأ هدية ذلك المولى تحيته فيقابلها المملوك ببُخله يا مولانا بلغ المملوك

تقدُّم المقر الفلاني وتبيُّنه وتعيُّنه وأراد المملوك مطالعته وعَرض وسائله ولكنه ذكر حكاية بعض جُفاة الأعراب ومُتَعَجرِفيهم وقد اشتدّ به ضَعفه فقال له بعض إخوانه تُب إلى الله تعالى فقال يا أخي إن عافاني تبتُ فإني لا أقبل القسر فإن نظر ذلك المقرّ إلى المملوك ونفعَهُ كتبَ وقال وأطاب وأطال ونهض في خدمة أيامه بما لا ينهض به سواه من أهل المقال وإلاّ [الطويل]:

كـلانـا غـنـيٌّ عـن أخـيـه حـيـاتَـهُ ونـحـن إذا مُـتـنـا أشـدُّ تـغـانِـيـا

فكتبت إليه الجواب عن ذلك.

ويُنهي ورود المثال العالي، والفضل الذي نصب لي لواء الفخر لو أنه كما أعهده متوالي، والبرُّ الذي كم تمسّكتُ بحباله فأرسلَ الحِبا لي، والروض الذي هو لابن الشجريّ نهاية الأماني في الأمالي، والأزاهر التي أصبحتْ من جُناة جناتِها فلا بدعَ إذا كنت لنار عتبها اليوم صالي [الطويل]:

إذا لـم يَخُـنْ صبٌّ فـفـيـمَ عـتـابُ وإن لـم يـكـن ذنـبٌ فَـمِـمَّ يُـتـابُ

أجَـلْ مـا لـنـا إلاّ هـواكـم جـنـايـةٌ فـهـل عـنـدكـم غـيـر الـصـدود عـقـابُ

فوقف المملوك عليه، بعد أن تمثّل واقفاً لديه، وشاهد ذلك اللفظ الرقيق المشتمل على العَتب الفظّ وتحقّق أنّ هذا من جزئيّات ما ساق إليه القسم وحضّ عليه الحظّ [مخلع البسيط]:

وغـايـتـي أن ألـوم حـظّـي وحـظّـي الـحـائـط الـقـصـيـرُ

ولقد علم المملوك عند رؤيته أنه غمامةٌ تقعقعَ بالعَتب رعدُها عند الفضّ، ورسولٌ جاءَ بعد فترةٍ يدعو القلبَ إلى الكسر والطّرْفَ إلى الغضّ، وخصمٌ يَرُوعُ بالعتب ويُرُوق باللطف وكذا جرى لأنّ الرَوْع تعجّل نقده في النضّ [البسيط]:

هـذا عـتـابـك إلاّ أنّـه مِـقَـةٌ قـد ضُـمّـنَ الـدرَّ إلاّ أنـه كَـلِـمُ

فيا له من عتابٍ ما حاكَ العتّابي منه لقطة لفظة، ولا رَقا إلى رقّته عتابٌ جرى بين الزمان وجَحْظة، ولا استحضر مُهديه عند تسطيره من القرآن الكريم ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] [الطويل]:

وأطـيَـبُ أيـام الـهـوى يـومُـكَ الـذي تُـرَوَّعُ بـالـهـجـران فـيـه وبـالـعَـتـبِ

إذا لم يكن في الحبّ سُخطٌ ولا رِضىً فـأيـن حـلاوات الـرسـائـل والـكُـتْـبِ

وَ مولانا فإنه كبث لمّا كتب، وعبث لمّا عتب، ونفث بعد أن لبث، ولو أجتثّ الودّ لاجتنب، ولكن دلّ بهذا على أنه ليس له أغراض من الإعراض، وأنه لا يليق بودّه الثابتِ التبدّلُ في التبدّل ولا يعتاد أن يعتاض، وَ القائل ما أشرف همّته [مجزوء الرمل]:

لـسـتُ سـمـحـاً بـودادي كـلّ مـن نـادى أجـبـتُـهْ

ولعمري إن مولانا سبّاق غايات، ورَبُّ آيات، وصاحب دهاء لا بل دهّاشات، علم أنّه نكّب عن الوفاء، وظهر عن لُطفه ما لا يليق به من الجفاء، وأهمل المملوك هذه المدّة، وطمع في ضعفه وظنّ أنه ليس لذكره كرَّة بعد الفرار ولا رَدَّة، فَتَلا سورةً من العتب سكّنت ما عند المملوك

من السَّوْرة[١]، وأمكنه غفلة الرقباء فاختلس الزورة، وسابقَ حُراف المملوك وقاطع عليه الدَورة [البسيط]:

تشكي المحبّ وتشكو وهي ظالمةٌ كالقوس تُصمي الرمايا وهي مَرنان

وقد تمثّل المملوك بهذا البيت دون غيره من الأمثال لأنه أنسب بمولانا وأقرب، وتخيَّلَ ما يَعْهده من توهّم مولانا فلم يقل يلدَغُ ويصي كالعقرب، على أن المملوك أحقّ بهذه المعاتبة، وأليق بأن يصدر عنه مثل تلك المكاتبة، وإذْ قد فُتح هذا الباب، ونوقش في مثل هذا الحساب، «فاسكُبْ دموعَك يا غمامُ ونسكبُ»[٢] نُظهِر ما في زوايا الجوانح من الخبايا، ونتبع ما في القلب إن كان حبّ مولانا ترك منها بقايا، وإن كان مولانا حملَ البريد هذه البطاقة فعند المملوك ما يعجز عن حمله المطايا، هيهات ما هذا مقام يحصل فيه الصفا، ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى [البسيط]:

فما يقوم لأهل الحبّ بيّنةٌ على بياض صباحٍ أو سواد دُجا

[الطويل]:

وإن شئتَ ألقينا التفاضل بَيننا وقلنا جميلاً واقتصرنا على الوُدّ

استطرد المملوك بهذا الفصل وهو قبيحٌ بصدق ولاية، ونكتة سواد كأنّها الخال لكنها ما تليق بوجنة صفائه، ولكن الودّ إذا ما صفا لم يتحمل معه الضمير أذى، ولم تغمض الجفون منه على قذى [البسيط]:

ما ناصحتك خبايا الودّ مِن رَجُلٍ ما لم ينلك بمكروهٍ من العذَلِ

محبّتي فيك تأبى أن تسامحني بأن أراك على شيء من الزللِ

وأنْ اتفقَ اقتراب، فلكل سؤال جواب، ومن كل جُرم مَتاب، ولكل صغيرة وكبيرة مناقشة وحساب، ولكل ظمإٍ إمّا سُقيا رحمةٍ أو سقيا عذاب [الوافر]:

وإن ظَفِرَتْ بنا أيدي المنايا فكم من حسرةٍ تحت الترابِ

وقد اشتغل المملوك بهذا الفصل، ولو وُفّقَ في هذه الخدمة قطع منها هذا الوصل، وجرى على عادته في الإغضاء وطلب النصر بالبصر لا بالنصل [مجزوء الكامل]:

فالعمر أقصر مدّةً من أن يضيَّعَ بالعتاب

ويستغفر الله المملوكُ من هذا على أن مولانا عَوَّدَ المملوك بالاحتمال إذا آذى ويرجع إلى وصف مثال مولانا فيقول إنه الحديقة، والروض الذي جمع الأزاهر إلا أنه عَدِمَ شقيقه، والفضلُ الذي صدر عن أمثل الناس طريقه، والقادمُ الذي كأنّه ولدٌ جاء بعد اليأس وإن عملت له الدموع عقيقة [البسيط]:

---

(١) السَّوْرة: الغضب.

والـلّـهِ مـا فـتـنَـتْ عـيني مـحـاسِـنُـه   إلاّ وقـد سـحَـرت ألـفـاظُـه أُذُنـي

فمتّع الله الوجود بكلم مولانا التي هي عُوذَةٌ من الغِيرَ، وجمالُ الكتب والسِّيَر، ولا أخلى الله من فوائده ولا قطع ما أجراه على المملوك من عوائده وقد بلغ المملوك سلامه وجَبره مملوكه الأخ فدعا وابتهل، وشبَّ جمر شوقه إلى رؤيته بعدما اكتهل، وقال لا بدّ من العَود إلى جنابه إن كان في العمر مَهَلْ، وأمّا الإشارة الكريمة في أمر من ذكره مولانا وأنه تعيَّن وتمكَّن وتبيَّن والنادرةُ اللائقة بذلك المقام فيقول المملوك إنه ما عامَل كما عومل، ولا قابل كما قوبل، بل اذّكر ركود الدهر وهبّاته، وعمل بقول الحيص بَيص في أبياته، بعد أن كبا سريعاً، وخرّ للفم واليدين صريعاً [الكامل]:

فـعـفـفـت عـن أثـوابـه لـوْ أنـنـي   كـنـت الـمـقـطَّـر بَـزِّني أثـوابـي

تم الجواب.

وكتب إليّ في وقتٍ [الرمل]:

دُمـتَ لـلآداب تُـنـشـي رسـمـهـا   بـيـراعٍ خَـطْـوُه خـطـوٌ فـسـيـحُ

لـيـت شـعـري أنـت يـا بـاعـثَـهـا   بـعـدمـا مـاتـت خـلـيـلٌ أم مسيـحُ

فأجبت بقولي [الرمل]:

اخـتـلـفْـنـا لـبـديـع الـنـظـم فـي   كـل مـا تـهـديـه مـن لـفـظٍ فـصـيـحْ

قـال غـيـري هـو زَهـرٌ قـال لا   قـلـتُ زُهـر قـال لـي هـذا الـصـحـيـحْ

وكتب إليّ يطلب منّي عارية كتاب التشبيهات لابن ظافر [السريع]

لـفـظ ابـن ظـافـر قـد ظـفـرتُ بـه   وفـؤاد حـبّـي مـنـه غـيـرُ خَـلِـي

فـبـأحـمـدٍ وهـو الـشـفـيـعُـلـنـا   اَمـتِـعْ أبـا بـكـر بـلـفـظِ عـلـي

ويُنهي أنه يحبّ لفظ علي وتثقيلهُ يزيد، ومنن مولانا المعهودة لا يثقل عليها أن تفيء وتفيد، وقد سمع بكتاب المشار إليه وسؤاله مشاهدة ذلك المحبوب، وعارية هذا الكتاب مدة ثلاثة أيام ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ [هود: ٦٥].

فاشتغلتُ عن تجهيزه بالحمّى ثم إنني جهّزته وكتبت معه [السريع]:

الـعـبـد مـجـبـول الـطـبـاع عـلـى   مـا تـشـتـهـي فـي الـقـول والـعـمـلِ

ومـع الـتـوالـي فـي ودادك لـم   أَمـنـعْ أبـا بـكـرِ كـلامَ عـلـي

فكتب إليّ قبل وصوله إليه [الطويل]:

عـذيـريَ مـنـه مُـعـرضـاً مـتـجـنّـبـاً   كـأنّـي لـه نـحـو الـوداد أجـاذبُ

---

(١) شطر بيت من البحر الكامل.

قسا فوق ما تعتو الجبال فلم يُجب ... نداي وأصداء الجبال تجاوبُ

فكتبت الجواب عن ذلك [الطويل]:

عَذيري من مولًى يرى العذر وافراً ... بسيطاً وما إقباله متقاربُ

يصدّ دلالاً عن ودادي وينثني ... وقبل صدور الذنب مني يعاتبُ

فلما تأخّر كتاب التشبيهات المذكور ولم يرسله كتبتُ إليه [البسيط]:

قد قلتَ إنّ ثلاثاً عمرُ غيبتِه ... عنّي وذلك وعدٌ غير مكذوبِ

وليس وعدك شاةً ساقها الزمن الـ ... جاني فعلَّقَها منه بعُرقوبِ

فكتب الجوابَ عن ذلك [البسيط]:

جاءت ومن طرسها ساقٍ يديرُ على ... سمعي من اللفظ فيه خير مَشروبِ

فحبّذا هُوَ مِنْ ساقٍ نعمتُ به ... وإن تعرّض فيه ذكر عرقوبِ

وكتب إليّ وأنا ضعيف [الطويل]:

نُثَقَّلُ إذ نَبغي بلفظِك طِبَّنا ... من الهمّ والجسمُ الشريفُ نَحيلُ

فها أنت فينا كالنسيم بلطفه ... طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلُ

وحاشاك من شكوى اعتلالٍ سينقضي ... قريباً كما تختاره ويزولُ

فلا غيرُ أجفان المليح سقيمةٌ ... ولا غيرُ أردافِ المليحِ ثقيلُ

فكتبت الجواب عن ذلك [الطويل]:

لحمّايَ نارٌ جاءها منك جَنَّةٌ ... غصون رُباها بالبديع تَميلُ

تهدَّلَتِ الأفنانُ منها فخاطري ... له بين هاتيك الظلال مَقيلُ

فأبدعْتَ فضلاً منك بالحقّ قاضياً ... وليس له عنّي بذاك عدولُ

وأنت حبيب الشعر أصبحت سيّداً ... كما أنني مولىً والاسم خليلُ

وكنتُ أجلسُ أنا وهو عند شبّاك الكاملية نتذاكر في الجامع الأموي كل ليلة بعد صلاة العصر فغبتُ بعضَ الليالي لشغلٍ عَرَضَ فكتب إليَّ [المتقارب]:

أمولايَ غِبتَ وخلَّفتَني ... من الهمّ ذا فكرةٍ خاضعَهْ

فها أنا بعدك في جامعٍ ... ولكنّ قلبي في جامِعَهْ(١)

فكتبت الجواب إليه عن ذلك [المتقارب]:

وقفتُ على نظمك المشتهي ... وعاينتُ روضتَهُ اليانعهْ

فكم أَلِفٍ مثل غصن النقا ... وهمزتها فوقها ساجعهْ

أقـامـت عـلـى الـوُدّ لـي حُـجّـةً ... ولـكـن عـن الـنـاس لـي قـاطـعـهْ
وقـد سـمـع الـعـبـدُ ألـفـاظَـهـا ... فـيـا حُـسـنَـهـا فـي الـحـشـا واقـعـهْ
وأصـبـح شـكـري لـهـا تـالـيـاً ... وجـمـلـتـه لـلـثـنـا جـامـعـهْ
وَرُحْـتُ لـبـاب الـثـنـا قـارعـاً ... إلـى أن تُـصـيـبَ الـعِـدى قـارعـهْ

فلما وقف عليها وانتهى إلى الرابع منها قال هذا التالي والجامعة ما كانا لي في حساب، ولما حضرتُ من القاهرة أهدى إليّ طعام بِسِلّى فكتبت إليه من أبيات [الوافر]:

ظـنـنـتَ الـعـبـدَ عـن مـصـرٍ تـسـلّـى ... فـأهـدى جـودك الـوافـي بِـسِـلّـى
نـعـم أذكـرتـنـي عـيـشـاً بـمـصـرٍ ... وإقـبـالاً مـن الـدنـيـا تـولّـى
طـعـامٌ فـوقـه لـحـمٌ شـهـيٌّ ... إلـى كـلّ الـنـفـوس فـكـيـف يُـقـلـى
ودُهـنٌ فـوقـه قـد كـان صـبّـاً ... تـلـظَّـتْ نـاره حـتـى تـسـلّـى

وكتب إليّ مع خَونجه شرائح [الخفيف]:

شَـبَـهُ الـمـرء مـن هـدايـاه يُـدرى ... في العُلى والسقوط حكماً بحكم
وكـذا فـي هـدّيـتـي لـي شـبـهٌ ... حـيـث أنـي وتـلـك قـطـعـة لـحـم

وكتبت إليه ملغزاً في باب [السريع]:

قـل لـي مـا شـيء إذا رُمـتَ أن ... تـعـكـسَـهُ لـم تَـسـتـطِـع ذلـكْ
تـراه فـي طـول الـمـدى واقـفـاً ... فـي خـدمـة الـمـمـلـوك والـمـالـك
ذو حـاجـبٍ مـنـهِ مـحـيـطٍ بـه ... وربّـمـا أعـتـاق بـأسـمـالِـك
وإن حـوى أنـفـاً يـكـن طـولَـه ... فـاعـجـب لـهـذا الأمـر فـي حـالـك
كـم صـاحَ مـن طـارقـةٍ ربـمـا ... حـلّـت بـه مـثـل الـدُجَـى الـحـالـك
ولـم تـزل تـقـرعـه فـي الـقـفـا ... مـنـه ولـم يـشـعـر بـأفـعـالـك
ولـيـس شـيـخـاً وهـو ذو دَورةٍ ... طـريـقُـه يـعـرفـهـا الـسـالـك
تـأمـنـهُ إن غـبـتَ دهـراً عـلـى ... مـا تـصـطـفـيـه الـنـفـس مـن مـالـك
مَـبْـنٍ عـلـى ضَـمٍّ وفـتـحٍ مـعـاً ... يـجـرّه الـنـفـعُ لأَشـغـالـك
والـحـشـو مـنـسـوبٌ إلـيـه ولا ... يـعـرف مـا أحـمـدُ مـن مـالـك
وكـم يـولّـي صـاحـبـاً ظـهـرهُ ... ومـثـل ذا الـعـيـب رِضـى آلـك
بَـيّـنهُ لا زِلـتَ فـصـيـح الـلَّـهـا ... فـإنـه لـم يـخـفَ عـن بـالـك

(١) الجامعة: أي السلسلة التي يُقيّد بها.

فكتب إليّ الجواب [السريع]:

فتحتَ لي باباً من الوُد ما عَهِدتُه يرضى بإهمالك
فحبّذا لُغزك من فاتحٍ وُدَّكَ لي من بعد إغفالك
ألغَزتَهُ في واقفٍ خاضعٍ كالعبد في تصريف أفعالك
ما فيه من عيبٍ ويا طالما قد رَدَّهُ في حكمه مالِك
لكنْ له في وسطه غالباً قرعٌ أعاذَ اللّهُ[1] من ذلك
يقال لِلأَمْرَدِ أوْ غيرِهِ هذا لعمري شَرطُ إدخالك
وربما بالوطْءِ أزعجتَهُ في عَقبه مَعْ طُهْر أعمالك
لا الشِعرَ والتوشيح يَدري ومِنْ تصريعِك استملى وأقفالك
وكم بدا يحمل لوحاً وما خطٌّ عليه بعضَ أقوالك
يُخشى إذا أَبصرتَه مُرتجاً فاعجبْ له في كلّ أحوالك
ودقه الخارجُ لا يُختَفي وربّما يحلُو لِسُؤّالك
أعجبني واللهِ مَع نظمه رضوانك المعهود يا مالك

وكتب إليّ مُلغِزاً في قلم [المنسرح]:

يا فاضلاً قد عنى لرتبته ناثِرُ دِرّ الشنا وناظمهُ
ما اسم سقيم باكٍ كأنّ على أحشائه صبوةً تُلازمهُ
يبكي على الوصل وهو واجده وليس يبكيه وهو عادمهُ
وهو ألوفٌ وعنده مَلَقٌ لم يستطِع قلبه يكاتمهُ
قل فيه ما شئت إن حذفت وإن حرّفت واشرح ما أنت عالمهُ
وقم بفنٌ بك أستقام فما ثَمّ لمولاي من يقاومهُ

فكتبت إليه الجواب [المنسرح]:

يا من به الشعرُ راق راقمهُ وبأسمه راح وهو باسمهُ
ألغزتَ فيما إذا سعى رُسِمَتْ خطاه رَوضاً تُزهى كَمائمهُ
إن طاب في سجعه وطال فقل بانُ الحِمى رجَّعت حمائمهُ
وهو لدى الروع صارِمٌ ذَكَرٌ في كفّ أهل الإنشاء قائمهُ
أمسى لباريه ساجداً بِبُكَى وعَزَّ بين الأنام راحمهُ
وطال عُمر البكاء منه فأجـ ـرى أسود المقلتين ساجمهُ
يَدري ضميري وما أَلَمَّ به وهو على سِرّهِ يُزاحمهُ

كلّ حساب الأنام يعملُه | فكيف تقوى به قَوائمهُ
وكم له من تراجم صدرت | إلى عدوٌ بها تزاحمهُ
حُوشيتَ من عكسه فما أحدٌ | يرضى به صاحباً يلازمهُ
ودُمتَ للباهرات تُبدِعُها | ما هطلَت في الحِمى غمائمهُ

وكتب إليّ ملغزاً في كُبّاد [المنسرح]:

يا شامل البِرّ زانه خُلُقٌ | يشتغل المدح في مُهَذّبهِ
ما اسمٌ لشيء بحكم همّيَ لا | أقول فيه ولا أقول بهِ
مشتبه الأمر كاد أكثره | يخفى على الفكر في تقلّبهِ
لكن إذا ما جعلت دأبك في الـ | ـقلبِ فما أمرهُ بمشتبهِ

فكتبت إليه الجواب عن ذلك [المنسرح]:

يا من نَحا الفضلَ فاقتنى جُملا | ما أبعد الناسَ من مقرّبه
دأبك عكسُ الذي تحاوله | منّي في مُلغزٍ بعثتَ به
أحرفه أربعٌ فإن سقط ال | أوّل باد الباقي لمنتبه
رأيت من شاء قلبَ أحرفه | كابدَ أشياء من تقلّبه
في الشجر الأخضر النضير بدا | كأنّه الجمر في تلهّبه

وكتب إليّ معاتِباً [المنسرح]:

يا خليلي بل سيّدي لِم ذا | قلوبنا بالفراق مُندَهِشَهْ
ووحشةٌ بيننا يحرّكها | نحوُ الجَفا فهي هكذا وَحِشَهْ

فكتبت الجواب [المنسرح]:

عبدُك هذا العتابُ صبّره | ونفسه بالملام مُنكمشهْ
وكان من قبلُ إذ تلاطفهُ | يقرأ تصحيف نفسه نَقِشَهْ

ولما حضر من القدس أهدى إليّ حزاماً وكتب معه[مجزوء البسيط]:

بلَّدَ بعد الذكاء ذِهْنِي | تشتّتُ الرزق في البلاد
وغير مستنكر حمارٌ | أهدى حزاماً إلى جَواد

فكتبت الجواب [الخفيف]:

عروةُ الوُدّ من طباعِيَ وُثقَى | قبلَ تُهدي الحزامَ يا ابن الكرامِ

---

(١) قوله (أعاذ الله): صوابها: أعاذه الله، لكن لا يستقيم الوزن.

فَـوِدادي قـدِ ٱغـتـدى عـربـيّـاً كَـونُـه بـيـن عـروةٍ وحـزامِ

وأنشدني من لفظه لنفسه وقد دخل ديوانَ الإنشاء بدمشق فتعذّر إيصال معلومه النزر إليه [مخلع البسيط]:

كـنّـا مـن الـشـعـر قـد هـربـنـا لـرتـبـةٍ تـقـتـضـي الإعـاذة

فـمـا دخـلـنـا فـي بـاب جـاهٍ ولا خـرجـنـا عـن الـشـحـاذة

وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد دخل به إلى الديوان بدمشق في أوائل سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان أقام مدّةً يتردد إلى الديوان ويَكتب ولم يُكتب له توقيعٌ فكان يتقاضى القاضي شهاب الدين في ذلك كلَّ قليلٍ بمقاطيع مطبوعة وأبيات فيها المحاسن مجموعة من ذلك قوله وكتبتُ له توقيعاً هذه نسخته:

رسُم بالأمر العالي لا زال يزيدُ البلغاءَ جمالاً، ويُفيد الفصحاءَ باختياره كفؤاً يُخجل القمر كمالاً، أن يُرَتَّبَ المجلس السامي القضائي الجمالي في كذا إنجازاً لوعد استحقاقه الذي أوجب له الصَوْنَ والصَولة، وإبرازاً لما في ضمير الزمان له من أن يرى له في الجوّ جَولة، وإيجازاً لما أَسهب توهّمَه من الحرمان والحنوُّ الشهابي يرفرف حوله، وإحرازاً لأدبه الذي ما حُلّي بقلمه فم ديوان ولا حُلّيَ بِكَلِمِهِ جيدُ دَولة، لأنه الفاضل الذي يروّض الأطراس، ويصيب بسهام أقلامه الأغراض على أنها ما تنفذ في القرطاس، ويترجّل البرق لارتجاله الذي يقول له التروّي ما في وقوفك ساعةً من بأس، ويهزّ الأعطافَ بإنشائه الذي كأنه زمن الصِبَى والدهر سمح والحبيب مُواتي، ويَمطُر الأفهامَ غمامُ كلامه الحلوِ فيتحقق الناسُ أنه القَطر النباتي، ويذكر الزمن الفاضليّ بآدابه التي أظلمَتْ على ابن سناء الملك وما عاش لها ابن مَمّاتي، فليباشر ذلك مباشرةً تُصدّقُ الأملَ في فضائله، وتُحقّق الظنّ في كماله، الذي تنزّه الطرفُ في مخائل خمائله، ويشهد أواخر أدبه لقديم بيته وأوائله، ولينمق الطروس بسطوره فإنّ حروفه آنَقُ من تخاريج العذار، ومداده أليق من خِيلان ليل في خدود نهار، وألفاظه تروق لطفاً كما تروق الثغور العِذاب عند التبسّم والافترار، ومعانيه يشفّ نورها كما شَفَّ لجينُ الكأس عن ذهب العُقار، فقد صادفتْ سحائبُ كلمه روابيَ يزكو غراسُ نباتها ومواقعُ إنشائه أكباداً تتلظّى ظمأ إلى برد قطراتها، وجيادُ بلاغته مِضماراً لا يضيق مَداهُ عن فسيح خطواتها، وأقلام بيانه أُجُماً لا تَزأَرُ أُسد الفصاحة إلا من غاباتها، فكم له من تعاليقَ ما رآها الجاحظ في حيوانه، وكم له من جُمَلٍ دواوين ولكنه اليوم جمال ديوانه، وليكتم ما يكتب في قلبه، ويدفن ميت الأسرار في ضريح جانحتيه إلى لقاء ربّه، فإنها صناعةٌ الكتمانُ رأسُ مالها، والترفّع والانجماع عن الناس سرّ جمالها، والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى ملاك ما يؤمر به وتُناط الوصايا الحسان بسببه فلينسج منها على خير منوال، وَلْيَجْرِ فيها على خير أسلوب فإن من عدمها مالَهُ من وال، والخطّ الكريم أعلاه حجّة بمقتضاه إن شاء الله تعالى.

٢٠٢ ـ «أبو اليسر بن الصائغ» محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل

بن مقلّد الأنصاري. الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليُسر ابن قاضي القضاة عزّ الدين أبي المفاخر الدمشقي الشافعي مدرّس الدماغية والعمادية، وُلد سنة ست وسبعين وسمع كثيراً من أبيه وابن شَيبان والفخر عليّ وبنت مكي وعدّة وحضر ابن علاّن وحدّث بصحيح البخاري عن اليونيني وسمع حضوراً من فاطمة بنت عساكر وحفظ التنبيه ولازم حلقة الشيخ برهان الدين وولّوه قضاء القضاة فاستعفى وصمّم فاحترمه الناس وأحبّوه لتواضعه ودينه وعظّمه تنكز نائب دمشق واعتقد فيه وحجّ غير مرة وتولّى خطابة القدس مُديدةً ثم تركها، ولما كان بالقدس طلبه المَقادسة ودخلوا عليه بسماع الحديث وخرجوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمين فشفع لهم وأكثر من الشفاعات فاستثقله الناظر وشكا في الباطن لنائب دمشق وقال هذا يدخل روحه في غير الخطابة ويتكلم في الولاية والعزل فنقص قدره عنده وكان مقتصداً في لباسه وأموره ودَرَّسَ وهو أمرد ثم زار القدس فتعلل هناك ونُقل إلى دمشق ومات بها يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين ودُفن عند أبيه بسفح قاسيون وشيّعه الخلائق وحُمل على الرؤوس وكانت وفاته بعد القاضي جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرةٍ وهو ابن عمّ قاضي القضاة نور الدين بن الصائغ قاضي حلب.

٢٠٣ ـ **«نور الدين بن الصائغ قاضي حلب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلّد. القاضي نور الدين بن الصائغ** قاضي قضاة حلب الشافعي كان خيّراً ساكناً وقوراً سمع من أحمد بن هبة الله بن عساكر ولي قضاء العساكر بالشام أيام الفخري وراح معهم إلى القاهرة ثم عزل وبقي على تدريس الدماغية إلى أن تولّى قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن ابن الخشاب سنة أربع وأربعين وسبعمائة ومولده سنة ست وسبعين وستمائة وتوفي على قضاء حلب في شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

فصل الألف وما بعدها في الآباء

٢٠٤ ـ **«أبو المظفر الهروي» محمد بن آدم بن كمال. أبو المظفر الهروي**، ذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في «السِياق» وقال: مات بغتةً سنة أربع عشرة وأربع مائة ودفن بمقبرة الحسين بقرب قبر أبي العباس السراج ووصفه فقال الأستاذ الكامل الإمام في الأدب والمعاني المبرّز على أقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات والأمثال وغرائب التفسير بحيث يضرب به المثَلُ، ومن تأمّل فوائده في كتاب «شرح الحماسة» و«شرح الإصلاح» و«شرح أمثال أبي عبيد» و«شرح ديوان أبي الطيّب» وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد وتتلمذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري وتفقّه على القاضي أبي الهيثم ثم جدّد الفقهَ على القاضي أبي العلاء صاعد، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين وغير ذلك فأمّا الحديث فما أعلم أنه نُقل عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه لعدم السماع له.

---

٢٠٢ ـ «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (٢/ ١٧٢).

فصل الهمزة وما بعدها في الآباء

٢٠٥ ـ «أبو بكر المستملي» محمد بن أبان. وزير البلخي أبو بكر المستملي كان ثقة حافظاً مصنّفاً مشهوراً، حدّث عنه البخاري وغيره أصحاب الكتب الصحاح.

٢٠٦ ـ «محمد بن أبان الجعفي الكوفي» محمد بن أبان بن صالح. الجُعفي القرشي الكوفي، ضعّفه ابن مَعين وقال البخاري ليس بالقوي يتكلمون في حفظه، قال أحمد بن حنبل: كان من دُعاة المُرجئة، قال الشيخ شمس الدين الذهبي كذا أورد العُقَيلي في ترجمة هذا وإنما الذي قال فيه أحمدُ هذا محمد بن أبان الجُعفي يروي عن أبي إسحاق وحمّاد وعبد العزيز بن رُفيع، توفي سنة سبعين ومائة.

٢٠٧ ـ «الإمام ابن أبان القرطبي» محمد بن أبان سيد. ابن أبان أبو عبد الله اللخمي القرطبي، كان عارفاً باللغة والغريب والنسب والأخبار، أخذ عن أبي عليّ القالي وكان مكيناً عند المستنصر المغربي، توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

٢٠٨ ـ «الكاتب الشاعر» محمد بن أبان الكاتب. يكنى أبا جعفر أديب حسن البلاغة كان يكتب لنصر بن منصور بن بسّام ثم أُتهِم بالزندقة فحُبس في بغداد ثم أُطلق، له قصيدة يصف فيها سامرّاء، من شعره [الطويل]:

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخٍ وكنت أجازيه فأين التفاضلُ
إذا ما دهاني مَفصِلٌ فقطعته بقيتُ وما لي للنهوض مفاصِلُ
ولكن أُداويه فإن صحَّ سَرَّني وإن هو أعيى كان فيه تحاملُ

توفي المذكور...

٢٠٩ ـ محمد بن أُبيّ بن كعب. توفي سنة ثلاث وستين للهجرة.

٢١٠ ـ «أبو أمية الحافظ» محمد بن إبراهيم. أبو أُمَيَّة البغدادي ثم الواسطي الحافظ، رحل وطوّف وصنّف، وثّقه أبو داود وغيره، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة.

٢١١ ـ «ابن المواز المالكي» محمد بن إبراهيم بن زياد. الإمام أبو عبد الله المَوّاز بالواو المشددة والزاي الإسكندراني المالكي صاحب التصانيف المشهورة، له تصنيف حافل في الفقه رواه ابن أبي مَطَر وابن مُبشِّر عنه قدم دمشق صحبة ابن طولون وانتهت إليه رئاسة المذهب والمعرفة بتفريعه ودقائقه، توفي سنة إحدى وثمانين ومائتين.

٢١٢ ـ «الإمام ابن المنذر» محمد بن ابراهيم بن المنذر. الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه صاحب التصانيف، توفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة بمكة، قال أبو إسحاق في «كتاب الطبقات»: صنّف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنّف مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف انتهى، ومن

---

٢٠٤ ـ «معجم الأدباء» لياقوت (١٧/١١٦ ـ ١١٧)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٧١١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٠٨ ـ ١٦٧ ـ ٦٩١ ـ ٨١١).

كتبه المشهورة «كتاب الإشراف» وهو كتاب كبير في اختلاف العلماء وله «المبسوط» وهو أكبر منه في اختلاف العلماء وله «كتاب الإجماع» وهو صغير.

٢١٣ - **«الفزاري المنجم» محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سليمان بن سَمُرَةَ بن جُندب. الفزاري الكوفي**، كان عالماً بأمر النجوم له قصيدة تقوم مقام الزيجات وهي مزدوجة، قال المرزباني: تدخل هي وشرحها في عشرة أجلاد أولها [الرجز]:

الحمد للّهِ العلي الأعظم ذي الفضل والمجد الكبير الأكرم

الواحد الفرد الجواد المنعم

الخالق السبع العلى طباقاً والشمس يجلو ضوءها الأغساقا

والبدر يملأ نوره الآفاقا

والفلك الدائر في المسير لأعظم الخطب من الأمور

يسيرُ في بحرٍ من البحور

فيه النجوم كلها عوامل منها مقيم دهره وزائل

فطالعٌ منها ومنها آفل

قال فيه يحيى بن خالد البرمكي: أربعة لم يدرك مثلهم الخليل بن أحمد وابن المقفَّع وأبو حنيفة والفزاري.

٢١٤ - **«العلوي الخارج» محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم. المعروف بطَبَاطَبا بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، كان خطيباً شاعراً خرج في أيام المأمون بالكوفة ولما عزم نصر بن شبيب على الخروج مع محمد المذكور ومَنْ معه من قيس غيلان ومن أطاعه من غيرهم أنشده بعض بني عمه ينهاه عن ذلك منها [الكامل]:

يا نَصر لا يذهب برأيك عُصبَةٌ تبع الغرور خفيفة أحلامها

---

٢٠٥ - «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ١١٢٤)، و«الثقات» لابن حبان (٩/ ١٠٢)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٢/ ٧٨)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ١١٥٦)، و«الكاشف» للذهبي (١١/ ١١٥)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٣١٢)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (٢/ ١٤٠).

٢٠٦ - «الطبقات» لابن سعد (٦/ ٢٦٨)، و«تاريخ البخاري الكبير» (١/ ٣٤)، و«تاريخ البخاري الصغير» (٢/ ١٥٩ - ٥٢٩ - ٢٦٠)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ١١١٩)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤٥٣).

٢٠٧ - «معجم الأدباء» لياقوت (٦/ ٢٦٧).

٢٠٩ - «الطبقات» لابن سعد (٥/ ٥٥١)، و«تاريخ البخاري الكبير» (١/ ٢٧)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ٢٠٨)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٣٥٧)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٩/ ١٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (٢/ ١٤٢).

٢١٠ - «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٣٣٥).

فأنظر لنفسك قبل ساعة زلّةٍ يبقى عليك شَنارُها ولزامها
لا تعرضنّ لما يُخاف وباله إنّ الخلافة لا يُرامُ مرامُها

فأضرب نصر عن رأيه ووجّه إلى محمد بمال كثير وسلاح وقال استعِنْ بهذا وأقلني فلم يقبل وقال محمد بن إبراهيم [الطويل]:

سَتُغنى بحمد الله عنك بعُصبةٍ يهبّون للداعي إلى منهج الحق
ظنَنّا بك الحُسنَى فقصَّرتَ دونها فأصبحتَ مذموماً وفازَ ذوو الصدق
وما كلّ شيء سابقٌ أو مقصّرٌ يَؤُولُ به التحصيل إلاّ إلى العِرْقِ

ودخل الكوفة في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة وخطب الناسَ وبايعوه وأعطاهم الأمان فقال بعض شعراء الكوفة فيه [الطويل]:

ألم تَرَ أن اللَّهَ أظهر دينه وصَلّت بنو العبّاس خلف بني علي

فلما وصل الخبر بذلك جهّز الحسن بن سَهلٍ إليه عسكراً فكسره أبو السرايا وهو الذي قام بأمر محمد بن إبراهيم وهو مقدّم عسكره ثم جهّزه إليه مرّة أخرى فكبسه أبو السرايا ليلاً وهو ينشد [الرجز]:

وجهيَ رمحي والحسام حصني والرمح يُنبي بالضمير عني
واليوم يبدو ما أقول مني

ومضى ذلك العسكر الذي نُفِّذَ إليه ما بين قتيل وغريق وقتل مقدّمه ثم رجع أبو السرايا إلى الكوفة ظافراً غانماً فوجد محمد بن إبراهيم شديد المرض فقال له أبو السرايا أوصني يا ابنَ رسول الله فقال محمد: الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيّبين أوصيك بتقوى الله فإنها أحصن جُنَّة وأمتَعُ عصمة والصبر فإنه أفضل مفزع وأحمد معوّل وإن تستتمّ الغضب لربّك وتدوم على منع دينك وتحسن صحبة من استجاب لك وتعدل بهم عن المزالق ولا تُقدم إقدام متهوّر ولا تضجّع تضجيع متهاون وأكفف عن الإسراف في الدماء ما لم يُوهن ذلك منك ديناً أو يصدّك عن صواب وأرفق بالضعفاء وإياك والعجلة فإن معها الهلكة واعلم أن نفسك موصولة بدماء آل محمد ﷺ ودمك مختلطٌ بدمائهم فإن سلموا سلمتَ وإن هلكوا هلكت فكن على أن يسلَمُوا أحرصَ منك على أن يَعطَبُوا ووقّر كبيرهم وبرّ صغيرهم واقبلْ رأي عالمهم واحتمل إن كانت هفوة من جاهلهم يَرْعَ الله حقّك واحفظ قرابَتُهم يُحسن الله نصرك وولّ الناس الخيرة لأنفسهم في من يقوم مقامي لهم من آل

٢١١ ـ «مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ١٩٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٢/ ١٧٧).

٢١٢ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٦٥٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ١٢٦)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٤٠).

٢١٣ ـ «معجم الأدباء» لياقوت (٦/ ٢٦٨).

٢١٤ ـ «الكامل» لابن الأثير (٤/ ١٤٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٢٤٤).

علي فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عُبَيد الله فإني قد بلوتُ دينَهُ ورضيتُ طريقَهُ فارضَوا به وأحسنوا طاعته تحمدوا رأيَهُ وبأسه، ثم مات فدفنه ليلاً فرثاه أبو السرايا بأبيات منها [البسيط]:

عاش الحميدَ فلما أن قضى ومضى ... كان الفقيدَ فمن ذا بعده الخلَف

ومن شعر محمد بن إبراهيم أيضاً [الطويل]:

وكنتُ على جِدّ من امري فزادني ... إلى الجدّ جدّاً ما رأيت من الظلمِ

أيذهب مال اللّه في غير حقّه ... وينزل أهل الحقّ في جائر الحُكمِ

لعمرك ما أبصرتها فسألتها ... وجاوزتها إلاّ لأمضي في عزمي

كفى عبرةً واللّهُ يقضي قضاءَهُ ... بها عِظةً من ربّنا لذوي الحِلْمِ

ومنه [الوافر]:

أينقضُ حقنا في كل وقت ... على قربٍ ويأخذه البعيدُ

فيا ليت التقرّب كان بُعْداً ... ولم تجمَعْ مَناسِبنا الجدودُ

٢١٥ ـ **محمد بن ابراهيم بن صدران. الأزدي السَليمي** بفتح السين **البصري المؤذّن**، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة خمسين ومائتين.

٢١٦ ـ **محمد بن إبراهيم بن دينار. المدني**، توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة.

٢١٧ ـ **«ابن صندل» محمد بن إبراهيم بن دينار.** يعرف بابن صَندل قال في يوسف بن عبد العزيز بن الماجِشُون [البسيط]:

إن كنتَ تطلبُ علماً نافعاً وهُدىً ... فاقصِد ليوسف ثم اقصد الحجّاج

والرافعيّ فخذ عنه فإنّ له ... عقلاً أصيلاً وتصحيحاً بإبهاج

لا تَعدِلَنَّ بهم ذا فطنة أبداً ... قاضي القضاة ولا نوح بن دَرّاج

٢١٨ ـ **«الباخرزي» محمد بن إبراهيم. أبو منصور الباخَرزي** من أهل خراسان، نزل بغداد كان يتشيّع وعَمِيَ آخر عمره وكان يهاجي مِثقالاً الواسطي، قال الباخرزي [الكامل]:

صبّت عليّ مصائب لو أنها ... صبّت على الأيّام عُدنْ لياليا

وقال في مثقال [مرفل الكامل]:

في بَيْت مثقالٍ يكو ... ن ذو الزنا وذوو اللواط

يَعلونَهُ وعجوزَهُ ... ويُرى بذاك أخا اَغتباط

٢١٩ ـ **محمد بن إبراهيم المصري.** ويعرف بابن الخراساني كان كيّساً كثير النادرة، له مع الحسين الجمل المصري مُداعَبات وهو القائل [المتقارب]:

بكيتُ وما خلتُني باكياً ... على رسم دارٍ ولا في طَلل

ولـكـن بـكـائـيَ مـن حـادثٍ تـورَّطَ فـيـه حـسـيـنُ الـجـمَـل
فـمَـن لـلـقـيـادة مـن بـعـده لـقـد كـان نـاراً بـهـا تـشـتـعـل
ومَـن لـلـواط ومَـن لـلـزنـا ومـا حـرّم الـلّـه لا مـا أَحَـل

٢٢٠ ـ «محمد بن إبراهيم التيمي المدني» محمد بن ابراهيم التيمي المدني. الفقيه كان جدّه الحارث بن صخر من المهاجرين وهو ابن عم أبي بكر الصديق، روى عن أسامة بن زيد وأبي سعيد الخُدري وجابر بن عبد الله وعلقمة بن وقاص وعيسى بن طلحة بن عُبيد الله وطائفةٍ من قدماء التابعين ورأى سعد بن أبي وقاص وغيره وكان أحد الفقهاء الثقات وكان عريف بني تيم، وقد روى له أصحاب الكتب الصحاح الستة، توفي سنة عشرين ومائة.

٢٢١ ـ «الأمير محمد بن الإمام إبراهيم» محمد بن إبراهيم. الأمير محمد ابن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي دمشق للمهدي والرشيد وولي مكة والموسمَ وكان كبيرَ القدر معظّماً وهو صاحب أكرِمُوا الشهود، توفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائة، أسند عن عمه المنصور وجعفر بن محمد بن علي وغيرهما.

٢٢٢ ـ «ابن إبراهيم المدني صاحب مالك» محمد بن إبراهيم بن دينار. المدني مولى جُهَينة الفقيه صاحب الإمام مالك رضي الله عنه، توفى سنة تسعين ومائة.

٢٢٣ ـ «ابن عبدوس صاحب سحنون» محمد بن إبراهيم بن عَبدُوس. القرشي مولاهم المغربي الفقيه المالكي صاحب سحنُون، كان إماماً كبيراً مشهوراً زاهداً عابداً مُجاب الدعوة، توفي سنة ثمانين ومائتين.

٢٢٤ ـ «البوشنجي الكبير المالكي» محمد بن إبراهيم بن سعيد. الإمام الكبير البُوشنجي العَبدي الفقيه المالكي شيخ أهل الحديث في زمانه بنيسابور، رحلَ وطوّف وصنّف وكان إماماً في اللغة وكلام العرب، توفي غرة المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين وصلّى عليه إمام الأئمة ابن خُزَيمةَ.

٢٢٥ ـ «ابن إبراهيم محدث دمشق» محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مَروان. القرشي الدمشقي أبو عبد الله محدّث دمشق في وقته، قال عبد العزيز الكناني: كان ثقة مأموناً جواداً، توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

٢٢٦ ـ «خازن كتب الصاحب المسند» محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان. أبو بكر المُقرىء الحافظ مُسند أصبهان، طوف الشام ومصر والعراق وسمع في قريب خمسين مدينةً، قال ابن مَردوَيه: هو ثقةٌ مأمونٌ صاحب أصول وكان خازن كتب الصاحب بن عبّاد، توفي سنة إحدى

---

٢١٥ ـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ١٥٧٥)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٩/ ١١)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (٢/ ١٤١).

٢١٧ ـ «تاريخ البخاري الكبير» (١/ ٢٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ١٠٤٤)، و«الثقات» لابن حبان (٩/ ٣٩)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٩/ ٨)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (٢/ ١٤٠).

وثمانين وثلاثمائة.

٢٢٧ ـ «ابن المشكيالي» محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى. أبو عبد الله الحسيني الطلَيطُلي ويعرف بابن المُشكيالي من كبار المُسنِدين بالأندلس، توفي سنة أربعمائة.

٢٢٨ ـ «اليزدي مسند أصبهان» محمد بن إبراهيم بن جعفر. أبو عبد الله اليزدي الجرجاني مسند أصبهان في وقته وهو صدوق مقبول، توفي سنة ثمان وأربعمائة.

٢٢٩ ـ «ابن شق الليل» محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام. أبو عبد الله بن شُقّ الليل الأنصاري الطليطلي، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك حافظاً يعرف الرجال والعلل مليح الخط جيّد المشاركة في الفنون لغويّاً نحويّاً حسن الفضيلة كثير التصانيف وله شعر، توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

٢٣٠ ـ «الحافظ مربع الأنماطي» محمد بن إبراهيم. أبو جعفر الأنماطي ويعرف بمربع أحد الحافظين، قال حضرتُ عند الإمام أجمد بن حنبل فذكر حديثاً فقلت: أتأذن لي أن أكتب من محبرتك قال يا هذا هذا ورعٌ مظلمٌ اكتب، أسند الأنماطي عن أبي حذيفة النهدي وغيره وروى عنه المحامليّ وغيره وكان ثقة، توفي سنة ست وخمسين ومائتين.

٢٣١ ـ «أبو حمزة الصوفي البغدادي» محمد بن إبراهيم. أبو حمزة الصوفي البغدادي أستاذ البغداديين، قال ابن الجوزي في «المرآة»: هو أول من تكلم ببغداد في هذا المذهب من صفاء الذكر وجمع الهمّ والمحبّة والشوق والقرب والأُنس لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحدٌ وما زال مقبولاً حسن المنزلة عند الناس إلى أن توفي سنة تسع وستين ومائتين ودُفن بباب الكوفة في بغداد وكان عالماً بالقراءات، جالس الإمام أحمد وكان إذا جرى في مجلس أحمد شيء من كلام القوم يلتفت إلى أبي حمزة ويقول ما تقول في هذه المسألة يا صُوفي، وصحب سَرِيّاً والجنيد وحَسَناً المسوحي وغيرهم وقدم مكة والمدينة وتكلم بهما مراراً، ومن كلامه: من رُزق ثلاثة أشياء نجا من الآفات بطنٌ جائعٌ مع قلبٍ قانعٍ وفقرٌ دائمٌ مع زهدٍ حاضرٍ وصبرٌ كاملٌ مع ذكرٍ دائمٍ، وسُئل عن الأُنس فقال ضيقُ الصدر من معاشرة الخلق، سمع إنساناً يلوم آخر على إظهار وَجده وغلبة الحال عليه في مجلس بعض الأضداد فقال: يا أخي الوجد الغالب يُسقط التمييزَ ويجعل الأماكنَ كلها مكاناً واحداً والأعيان عيناً واحدةً، وما أحسن قول القائل هما لابن الرومي [الكامل]:

---

٢٢٠ ـ «تاريخ البخاري الكبير» (١/ ٢٢)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٧/ ١٨٤)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٣٨)، و«سير الأعلام» للذهبي (٥/ ٢٩٤)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٣٣٥)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٧/ ٣٥)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٥١٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (٢/ ١٤٠).

٢٢١ ـ «الكامل» لابن الأثير (٤/ ٦٣).

٢٢٣ ـ «طبقات الفقهاء» للشيرازي (١٣٤)، و«الكامل» لابن الأثير (٤/ ٤٥٤)، و«البيان المغرب» لابن عذاري (١/ ١١٦)، و«الديباج» لابن فرحون (٢٣٧ ـ ٢٣٨)، و«علماء إفريقية» للخشني (١٨٢).

٢٢٤ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

فدع الملامةَ للمحبّ فإنها بئس الدواء لموجَع مقلاق
لا تطفئنَّ جوىً بلومٍ إنّه كالريح تُغري النارَ بالإحراق

وخرج جماعةٌ من بغداد يستقبلونه عند قدومه من مكة فإذا به قد شحب لونه فقيل له: يا سيدي هل تتغيّر الأسرار بتغيّر الصفات قال معاذ الله أن تتغيّر لو تغيّرت لهلك العالم ولكنه ساكن الأسرار فحملها وأعرض عن الصفات فلاشاها ثم أنشد [مجزوء الرجز]:

كما ترى صيّرني قَطع قفار الدمنِ
شرّدني عن وطني كأنّني لم أكنِ
إذا تغيّبتُ بدا وإن بدا غيَّبَني
يقول لا تشهدُ ما تشهدُ أو تشهَدَني

٢٣٢ ـ **«ابن قحطبة البغدادي المؤدب» محمد بن إبراهيم بن قحطبة. البغدادي المؤدِّب** بالباء قال ابن أبي حاتم: صدوق، توفي في عشر الستين والمائة.

٢٣٣ ـ **«محمد ابن شاهين البغدادي» محمد بن إبراهيم بن حفص بن شاهين. أبو الحسن البغدادي**، سمع الكثيرَ وحدّث عن يوسف بن موسى القطّان وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره كان ثقة، خرج من الحمأم في رمضان وهو في عافية فمات فجاءةً سنة عشرين وثلاثمائة.

٢٣٤ ـ **«ابن عبد ربه الهذلي» محمد بن إبراهيم بن عبد ربه. أبو عبد الله الهذلي** من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نيسابوري، رحل في طلب العلم وصنّف الكتب وكان فاضلاً خرج حاجّاً فأصابته جراحة في نوبة القرمطي فرُدّ إلى الكوفة ومات بها، حدّث عن أبي الحسن بن جَوصا وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة كان ثقة.

٢٣٥ ـ **«ابو عمرو الزجاجي النيسابوري» محمد بن إبراهيم بن يوسف. أبو عمرو الزجاجي النيسابوري** أحد المشايخ في وقته، صحب الجُنيد والثورِيَّ والخَوّاصَ وغيرهم جاور بمكة وصار شيخ الحرم وحج سبعين حجة ولم يَبُلْ ولم يتغوّط في الحرم أربعين سنة وكان يخرج إلى الحلّ فيقضي حاجته ثم يرجع وكان يجتمع الكناني والنهرجُوري والمُرتعِش وغيرهم في حلقته وهي صدر الجميع فإن اختلفوا في شيء رجعوا إلى قوله وهو المنظور إليه، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

٢٣٦ ـ **«أبو بكر الصالح الزاهد» محمد بن إبراهيم بن أحمد. أبو بكر** كان مقيماً بأصبهان وكان صالحاً زاهداً يحجُّ ماشياً من أصبهان إلى مكة كثيراً، كان ثقة، توفي بهمذان سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

---

٢٢٩ ـ «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ١٥)، و«نفح الطيب» للمقري (٦/ ١٣٥ ـ ١٣٧)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٤٥٢).

٢٣١ ـ «كشف المحجوب» (١٩٤)، و«الرسالة القُشيرية» (ص ٢٤).

٢٣٧ ـ «الجرباذقاني الصالح بن محمد دادا» محمد بن إبراهيم بن الحسين. أبو جعفر الجُرباذْقاني قريةٌ من عمل أصبهان، انقطع إلى العلم والعبادة وأقام بأصبهان وبغداد وصحب أبا الفضل بن ناصر حتى مات في ذي الحجة سنة خمسين وخمسمائة ودفن بالشونيزية وقيل سنة تسع وأربعين، ومن شعره [الطويل]:

أيا ليت أسباب المنايا أراحت ... فإنّي أرى في الموت أَروَح راحةِ

ومَوتُ الفتى خيرٌ له من حياته ... إذا ظهرت أعلامُ سوءٍ ولاحت

٢٣٨ ـ «ابن الكيراني الواعظي الشافعي» محمد بن ابراهيم بن ثابت بن إبراهيم بن فرح الكناني. المقرىء الواعظ الأديب المصري المعروف بالكيزاني نسبةً إلى عمل الكُوز، قال ابن خلكان رحمه الله تعالى: كان زاهداً ورِعاً، وبمصر طائفةٌ يُنسبون إليه ويعتقدون مقالته، وله ديوان شعر مشهور أكثره في الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتاً واحداً أعجبني وهو [الخفيف]:

وإذا لاق بالمحبّ غرامُ ... فكذا الوصل بالحبيب يليق

وقال صاحب المرآة: كان يقول: أفعال العباد قديمة ولما توفي سنة ستين وخمسمائة دُفن عند الشافعي رحمه الله بالقرافة فبعث عليه الخيوشاني ونبشه في أيام صلاح الدين وأخرجه ودفن في مكان آخر، قال ابن خلكان: نقل إلى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بأمّ مودود وقبره هناك مشهور، وقال صاحب المرآة: وكان زاهداً قنوعاً من الدنيا باليسير، فصيحاً ومن شعره [مجزوء الكامل]:

اصرفوا عنّي طبيبي ... ودعوني وحبيبي

علّلوا قلبي بذكرا ... ه فقد زاد لهيبي

طاب هتكي في هواه ... بين واشٍ ورقيبِ

لا أبالي بفوات النفـ ... ـس ما دام نصيبي

وقال [مجزوء الرمل]:

ليس من لام وإن أطـ ... ـنب فيه بمُصيبِ

جَسَدي راضٍ بسقمي ... وجفوني بنحيبي

وقال [الكامل]:

يا من يتيهُ على الزمان بحُسنه ... اعطف على الصبّ المشوق التائهِ

أضحى يخاف على احتراق فؤاده ... أسفاً لأنك منه في سودائهِ

قلت وهذا معنى مشهور أشبه شيء بقول الأرّجاني [الكامل]:

يرمي فؤادي وهو في سودائهِ ... أتراه لا يخشى على حَوبائهِ

وقول الآخر [الكامل]:

يا محرقاً بالشمع وجه محبّه ... رفقاً فإنّ مدامعي تطفيهِ
حرّق بهذي النار كل جوارحي ... واحذر على قلبي فإنك فيهِ

وقول الأرّجاني وهو مليح [الوافر]:

ولا تسبِ القلوب وأنت فيها ... فأخشى أن تكون من السبايا

وقول:

.............(١)

ومن شعر ابن الكيزاني أيضاً [الطويل]:

أسُكّان هذا الحيّ من آل مالك ... مسالمةٌ ما بيننا وجميلُ
ألم تَعِدُونا أن تَزُوروا وتكرموا ... فما بال ميعاد الوصال يطولُ
وحُلتُم عن الوعد الجميل ملالةً ... وأنتم على نقض العهود نُزولُ
وإنّا لنستبقي المودّة والهوى ... شهيدٌ لنا أن ليس عنه نزولُ
وما منكمُ بُدٌّ على كلّ حالةٍ ... وإن كان منكم هاجرٌ ومَلولُ
دواعي الهوى محتومةٌ فاصطبر لها ... وإن جارَ بينٌ أو جَفاكَ خليلُ

ومن شعر ابن الكيزاني [السريع]:

شريفُنا يمضي ومشروفنا ... وإنما يُفتَقَدُ الخَيّرُ
كالجو لا يُعْدَمُ إظلامُه ... إلاّ إذا ما عُدِمَ النَيّرُ

ومنه [الخفيف]:

أسعدُ الناس من يُكاتِم سِرَّه ... ويرى بَذْلَهُ عليه مَعَرَّهْ
إنما يعرف اللبيب إذا ما ... حفظ السرَّ عن أخيه فسرَّهْ
إن يجد مرّةَ حلاوةَ شكوا ... هُ سيلقى ندامةً ألف مرّهْ

ومنه [الطويل]:

أتزعم ليلَى أنّني لا أُحبّها ... وأنّي لما ألقاه غير حَمُولِ
فلا ووقوفي بين ألوية الهَوَى ... وعصيان قلبي للهوى وعذولي
لو أنتظمتني أسهُم الهجر كلّها ... لكنتُ على الأيام غيرَ ملولِ
ولَستُ أُبالي إذ تعلّقتُ حبّها ... أفاضت دموعي أم أضرَّ نحولي

---

٢٣٧ ـ «معجم الأدباء» لياقوت (٦/ ٢٦٩)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ٦٥).
٢٣٨ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٥)، و«خريدة القصر» للأصفهاني.

ومنه [مجزوء الخفيف]:

أيّ صبر تركتم لي لمّا رحلتمُ ... فلي فؤاد متيّم سائر حيث سرتم

ثابت تحت حبّكم جرتم أو عدلتم ... فبحقّ الهوى المبرّح إلاّ رحمتم

أنا في كل حالة عبدكم إن رضيتم

ومنه [الكامل]:

يا دار هل تجدين وجد الشاكي ... أو تعطفين على بكاء الباكي

لا تنكري سُقمي فما حكم البلى ... في مُهجتي إلاّ لأجل بَلاكِ

أصبحتِ داثِرةَ الجنابِ وطالما ... طاب الهوَى وغنيتِ في مغناكِ

أمحلّ إطرابي بعيشك غادري ... لولاكِ ما كان الجوى لولاكِ

ما قصّرت نوحاً حماماتُ الحِمى ... مذ غاب عن قُمريّها قمراك

ومنه [الكامل]:

والله لولا أنّ ذكرك مؤنسي ... ما كان عيشيَ بالحياة يطيبُ

ولئن بكت عيني عليك صبابةً ... فلكلّ جارحةٍ عليك نحيبُ

أتظنّ أن البعد حلّ مودّتي ... إن بان شخصك فالخيال قريبُ

كيف السلوّ وقد تمكّن في الحشا ... وجدٌ على ما في الفؤاد رقيبُ

وإليك قد رحل الهوى بحشاشتي ... والسقم مشتملٌ وأنت طبيبُ

٢٣٩ ـ محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سَختُويَه بن عبد الله. المحدث المزكّي أبو إسحاق النيسابوري أحد الأخوة الخمسة وأصغرهم، حدّث عن والده وغيره وكان صحيح السماع، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

٢٤٠ ـ «أبو عبد الله المقرىء البغدادي» محمد بن إبرهيم بن محمد. أبو عبد الله المُقرىء البغدادي، أقام بمكة وحدّث بها وكان ديّناً زاهداً من أهل القرآن والحديث والفقه والخلاف والنحو، روى عن جماعة كأبي علي علي بن أحمد بن علي التستري البصري وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الشمخاني وأبي إسحاق بن علي الطبري وأبي عبد الله محمد بن أحمد البَرَقي وأبي القاسم ميمون بن علي الميموني وإبراهيم بن عبد الله البغدادي وروى عنه أبو المظفر محمد بن علي بن الحسين الشيباني الطبري قاضي مكة، توفي بالكوفة منصرفاً من الحج سنة ست عشرة وخمسمائة.

٢٤١ ـ «ابن خيرة» محمد بن إبراهيم بن خيرة. أبو القاسم بن المراعيني الإشبيلي، كان من أعيان إشبيلية سما بفضله وارتقى إلى أن كتب عن ملك إشبيلية السيد بن حفص، صنّف في الأدب «كتاب ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب» وهو كتاب حسن في الأدب

---

(١) بياض في الأصل.

ملكته في مجلدين كبار وهو كتاب مُمتعٌ، وأورد له ابن الإمام من الشعر قوله [الكامل]:

رعياً لمنزلنا الخصيب وظِلّه وسقى الثرى النجديَّ سحّ ربابهِ
واهاً على ذاك الزمان وطيبهِ ....
واهاً على ساداته لا أدَّعي كَلَفاً بزينبه ولا بربابه

ومن شعره أيضاً [البسيط]:

يا من له منطقٌ كالدرّ في نَسقٍ يزهَى به الحبر في وشيٍ من الحبرِ
ويُشرق الطرس ممشوقاً بأسْطُره كأنما هو مشتقّ من الحَورِ

ومنه أيضاً [المتقارب]:

لك الأنمل السُبطُ أقلامُها تغصّ بخمس على سادسِ
فَطَوْراً تخطّ بقرطاسها وطوراً تقطّ طُلَى الفارس
فريحان خطّك روضُ المُنى تعلّقَ من خُوطهِ المائِس

٢٤٢ ـ «ابن هانئ المغربي» محمد بن إبراهيم بن هانيء. أبو القاسم وأبو الحسن الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور، قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صُفرةَ وقيل من ولد أخيه رَوح، وكان أبوه شاعراً من قرية من قرى المهدِيَّة انتقل إلى الأندلس فَوَلِدَ له محمدٌ المذكور بإشبيلية ونشأ بها وحصّل حظّاً وافراً من الأدب وتمهّر في النظم واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده وكان منهمكاً على اللذّات متهماً بمذهب الفلاسفة فنقم عليه وعلى الملك أيضاً أهل إشبيلية فأشار عليه بالغيبة فانفصل عنها وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة فلقي جَوهَر القائد فامتدحه وتوجّه إلى المسيلة ونمي خبره إلى تميم بن المعزّ فطلبه فجاءه وأكرمه وبالغ في الإنعام عليه وتوجّه المعزّ إلى الديار المصرية فشيّعه ابن هانيء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فلما وصل إلى بَرقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياماً فقيل إنهم عربدوا عليه فقتلوه وقيل بل خرج من عندهم سكراناً فنام في الطريق فأصبح ميتاً ولم يُعلم سبب موته وكان موته سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كذا قيّده ابن خَلّكان، وقال صاحب المرآة: سنة خمس وستين ولما بلغت المعزّ وفاته تأسّف عليه وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يُقدَّر لنا قال ابن خلكان: وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق وهو عندهم كالمتنبّي في المشارقة وكانا متعاصرين، قلت أما أبو العلاء المعرّي فكان يقول عن شعره هو بَعرٌ مفضَّضٌ وإذا سمعه يقول رحىً تطحن قروناً وهذا من التعصّب المفرط لأن شعره يُرشَفُ خندريساً، ويَكسِف من أشعار غيره شموساً، ومن شعره القصيدة الفائية التي أولها[الطويل]:

أليلتَنا إذ أرسلت وارداً وَحْفا وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا

---

٢٤١ ـ «تكملة الصلة» لابن الأبار (٢٤٠ ـ ٢٤٢)، و«الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٥٤).

وبـات لـنـا سـاقٍ يُـديـرُ مـدامـةً بـشـمـعـة صبـحٍ لا تـقـطّ ولا تُـطـفـا

منها بعد تشبيه كثير في النجوم [الطويل]:

كـأنّ سُـهـاهـا عـاشـقٌ بـين عُـوّدٍ فـآوِنَـةً يـبـدو وآونـةً يـخـفـى

عارضه في هذه القصيدة جماعة ونسجوا على منواله ولم يتمسّكوا في الحسن بأذياله منهم أبو محمد الخَفاجي من قصيدته المشهورة [الطويل]:

كـأنّ الـسهَـى إنـسـان عـينٍ غـريـقـةٍ مـن الـدمـع يـبـدو كـلـمـا ذرفت ذرفـا

أنشدني الشيخ الإمام شهاب الدين محمود لنفسه إجازةً [الطويل]:

كـأنّ الـسـهـى صبّ سـهـا نـحـو إلـفهِ يـراعـي الـلـيـالـي جـفـنـه لا يـنـامـهـا

وأنشدني بعض أهل العصر لنفسه [الطويل]:

كأنّ السهى كشّاف حربٍ لدى الوَغى فـفـي كـرّهِ يـبـدو وفـي فِـرّهِ يـخـفـى

وقال أبو إسحاق الغَزّي القديم [الطويل]:

كـأنّ الـسـهـى جـسـمـي فـلـيـس بـشـاهـدٍ ولا غـائـبٍ مـن شـدّة الـسـقـم الـبـرح

وقال ابن حَمديس [الطويل]:

كـأنّ الـسـهـى مُـضـنىً أتـاه بـنـعـشـه بـنـوه وظـنّـوا أن مـيـتـتـه حـتـمُ

وكلهم ما أصاب شاكلة الرمي غيره، ومن شعره أيضاً القصيدة المشهورة أولها [الكامل]:

فـتـقـتْ لـكـم ريحُ الـجـلاد بـعـنـبـر وأمـدّكـم فـلَـقُ الـصـبـاح الـمُـسْـفِـرِ

وجـنـيـتـمُ ثـمـرَ الـوقـائـع يـانـعـاً بـالـنـصـر من وَرق الـحـديـد الأخـضـرِ

منها [الكامل]:

لا يـأكـل الـسـرحـان شـلـوَ طـعـيـنـهـم مـمـا عـلـيـه مـن الـقـنـا الـمـتـكـسّـرِ

طعن بعضهم في هذا وقال هو بالذّم أشبه منه بالمدح لأنه وصفهم أنهم يجتمعون جماعةً على العدوّ وتتكسَّرُ رماحهم عليه حتى يقدروا عليه، قلت ويحتمل أن يكون القتيل منهم أي الطعين من الممدوحين فلا يموت حتى تتكسر عليه رماح أعاديهم وهو ظاهر، ومن شعره القصيدة النونية التي منها [الكامل]:

الـمُـشـرقـاتُ كـأنّـهـنّ كـواكـبٌ والـنـاعـمـاتُ كـأنّـهـنّ غـصـونُ

بـيـضٌ ومـا ضـحـك الـصـبـاحُ وإنـمـا بـالـمـسـك مـن غُـرَر الـحـسـان يـخـونُ

منها [الكامل]:

أأعـيـر لـحـظ الـعَـيْنْ بـهـجـة مـنـظـرِ مـن بـعـدهـم إنّـي إذاً لـخـؤون

---

٢٤٢ ـ «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٨٥)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٨/ ٢٢٠).

لا الجوّ جوٌّ مُشرقٌ وإن اكتسىٰ زهراً ولا الروض المعين معينُ

منها في الخيل [الكامل]:

عُرِفَتْ بساعةِ سَبقها لا إنها علقت بها يوم الرهان عيونُ

وأجلّ علم البرق فيها أنّها مَرَّت بجانبتيه وهي ظنونُ

والقصيدة الفائية الأخرى التي منها [الكامل]:

ولقد هززتُ غصونَها بثمارها وهصرتُهنّ مهفهفاً فمهفهفا

فرددتها من راحتيه مُرَّةً وشَرِبتُها من مقلتيه قرقفا

ما كان أفتكني لو ٱخترطت يدي من ناظرَيك على رقيبك مُرهفا

وأخذ هذا المعنى ناصح الدين الأرّجاني [الكامل]:

عجب الخلائق من فؤاد فتًى أرسى بحيثُ الأسهم المُرقُ

يلتذّ ما أصماه قاتلهُ وبه إذا لم يَرمهِ القلَقُ

أشجع بقلبي حين ترشقهُ لو أنّ صُدغك فوقه حلقُ

وقوله [الرمل]:

امسحوا عن ناظري كحل السهاد وٱنفضوا عن مضجعي شوك القتاد

أو خذوا منّيَ ما أبقيتمُوا لا أحبّ الجسم مسلوبَ الفؤاد

منها في وصف الدروع [الرمل]:

كل رقراق الحواشي فوقه كعيون من أفاعٍ أو جرادِ

فعلى الأجساد وقدٌ من سنا وعلى الماذي صبغٌ من جسادِ

وقوله [الكامل]:

فتكاتُ طرفكِ أم سيوف أبيكِ وكؤوس خمركِ أم مراشف فيكِ

أجِلادُ مرهفهِ وفتك مَحاجرٍ لا أنتِ راحمةٌ ولا أهلُوكِ

منها [الكامل]:

منعوكِ من سِنَة الكرى وسَروا فلو عثَرُوا بطيفِ طارقٍ ظنّوكِ

ودَعوكِ نشوى ما سقوكِ مدامةً لمّا تمايل عِطْفُكِ اتهموكِ

٢٤٣ ـ «أبو بكر العطار الحافظ» محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم. أبو بكر العطّار الحافظ الأصبهاني كان عظيمَ الشأن ببلده عارفاً بالرجال والمتون وهو إمام ثقة، توفي سنة ست وستين وأربعمائة.

٢٤٤ ـ «ابن غريب الحال» محمد بن إبراهيم بن غريب الحال. أبو بكر، طلب الحديثَ بنفسه وكتب بخطّه فسمع أبَوَيْ الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر السوسنجردي وعلي بن محمد بن عبد الله بن بشران وأبا الحسن علي الحمامي، وحدّث باليسير روى عنه أبو علي ابن البنّاء في مَشيخته وروى عنه الخطيب وكتب عنه أناشيد، توفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

٢٤٥ ـ «ابن زروقة» محمد بن إبرهيم بن خلف. اللخمي الأديب ويعرف بابن زروقة، قال ابن بَشكَوال: كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه ممن يقول الشعر الحسن له التأليفات في الأدب والأخبار، ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحَباب وغيرهما، وتوفى في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو ابن سبع وستين سنة، ومن شعره . . . . . . (١)

٢٤٦ ـ «ابو سعيد البيهقي» محمد بن إبرهيم بن أحمد البيهقي أبو سعيد، قال عبد الغافر: رجلٌ فاضل متديّن حسن الطريقة حسن العقيدة، صنّف في اللغة «كتاب الهداية» «كتاب الغُنية» وسمع الحديث من مشايخ نيسابور كالإمام شيخ الإسلام الصابوني والإمام ناصر المروزي.

٢٤٧ ـ «محمد بن إبراهيم الأسدي» محمد بن إبراهيم. أبو عبد الله الأسدي، ولد بمكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وتوفى سنة خمسمائة، سافر إلى البلاد ولقي العلماء وخدم الوزير أبا القاسم المغربي، وقال العماد الكاتب: هو من أهل مكة لقي أبا الحسن التهامي في صباه، مولده بمكة ومنشؤه بالحجاز وتوجّه إلى العراق ثم ورد خراسان وعُمِّرَ إلى أن بلغ حدّ المائة ولقي القرن بعد القرن والفِئةَ بعد الفئة وتوفي بغَزنة، ومن شعره: [الطويل]

كـفَـى حـزَنـاً أنّـي خـدمـتـك بُـرهـةً ... وأنـفـقـتُ فـي مـدحـيـك شَـرخ شَـبـابـي

فـلـم يُـرَ لـي شـكـرٌ بـغـيـر شـكـايـةٍ ... ولـم يُـرَ لـي مـدحٌ بـغـيـر عـتـاب

قال سبط ابن الجوزي: ومن بديع شعره [الخفيف]:

قـال ثـقـلـتُ إذ اتـيـتُ مـراراً ... قـلـت ثـقـلـت كـاهـلـي بـالأيَـادي

قـال طـوّلـتُ قـلـت لا بـل تـطـوّ ... لـتَ وأبـرمـتُ قـلـتُ حـبـلَ الـودادِ

قلت وهذا من أنواع البديع وهو الذي يُسَمّيه أرباب البلاغة القولَ بالموجب وله نظائر كثيرة منها قول الشيخ صدر الدين ابن الوكيل [الطويل]:

وبـي مَـن قَـسـا قـلـبـاً ولان مَـعـاطـفـاً ... إذا قـلـتُ أدنـانـي يُـضـاعِـف تـبـعـيـدي

أقِـــرُّ بِــــرِقّ إذ أقــــولُ أنـــا لَـــهُ ... وكـم قـالـهـا أيـضـاً ولـكـن لـتـهـديـدي

وقول محاسن الشوّاء [الطويل]:

ولـمـا أتـانـي الـعـاذلـون عـدِمـتـهـم ... ومـا فـيـهـمُ إلاّ لِـلَـخـمِـيَ قـارِضُ

وقـد بُـهِـتُـوا لـمـا رأونـيَ شـاحـبـاً ... وقـالـوا بـه عـيـنٌ فـقـلـتُ وعـارضُ

وقولي أنا [الكامل]:

ولـقـد أتـيـتُ لـصـاحـبٍ وسـألـتـه ... فـي قـرض ديـنـارٍ لأمـرٍ كـانـا

فـأجـابـنـي والـلّـه داري مـا حـوت عـيـنـاً فـقـلـت لـه ولا إنـسـانـا؟

٢٤٨ ـ **«محمد الشرش» محمد بن إبرهيم بن عبد الرحمن بن محمد. أبو عبد الله التلمساني الأنصاري المعروف بالشرش** بالشين المعجمة، قال الشيخ قطب الدين اليونيني: ذكره أبو المظفر منصور بن سُلَيم في «تاريخ الإسكندرية» وقال شيخٌ حسنٌ من أهل الديانة والخير والعفاف والصيانة، سمعَ الحديثَ بالمغرب وبمكة وبغيرهما وسكن الإسكندرية وحدّث بها وكان ثقةً صالحاً سُئل عن مولده فقال سنة أربع وستين وخمسما.ة بتلمسان، توفي ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وخمسين وستما.ة بالإسكندرية ودفن ما بين الميناوَين وكان يوماً مشهوداً.

● ● ●

آخر الجزء الأول من كتاب الوافي بالوفيات

ويتلوه إن شاء الله تعالى محمد بن إبراهيم ابن عمر

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا

● ● ●

---

٢٤٥ ـ «معجم الأدباء» لياقوت (١٧/ ١٢)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٨/١٩٨).

(١) بياض في الأصل.

٢٤٦ ـ «معجم الأدباء» لياقوت (٦/ ٢٧٠).

محتوى الجزء الأول من كتاب الوافي بالوفيات

ت

ج

ح

خ

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ن

هـ

و

ي